

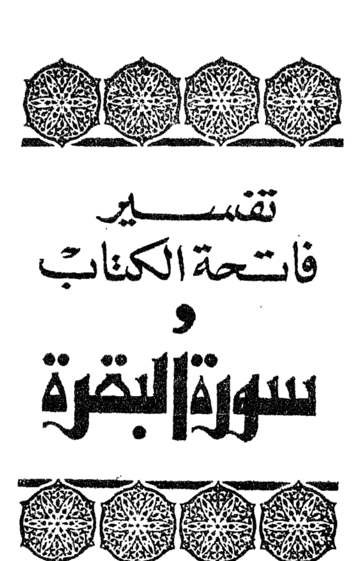
١١ (مجلد ١)

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة

المنتخب
في
تفسير القرآن الكريم

المجلد الأول

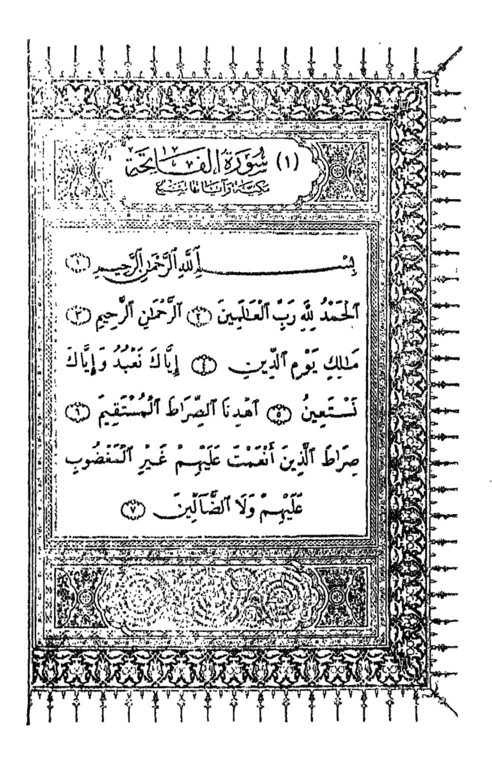
اهداءات ٢٠٠١
الدكتور/ القطب محمد طبلية
القاهرة



تفسير فاتحة الكتاب و سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .. استجابة لرغبة الآلاف من قراء مجلة منبر الاسلام فى جميع أنحاء العالم الاسلامى .. قرر المجلس الاعلى للشئون الاسلامية اعادة طبع تفسير فاتحة الكتاب وسورة البقرة وآل عمران والنساء من التفسير الذى توافر على تأليفه السادة أعضاء لجنة القرآن والسنة بأسلوب عصرى مبسط متكامل وقام بالتعليق العلمى على آياته الكريمة وبيان ما تضمنته من أسرار الحياة التى تكشفت فى العصر الحديث السادة أعضاء لجنة الخبراء بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

والله نسأل ان يوفقنا لما فيه خير أمتنا الاسلامية فهو نعم المولى ونعم النصير .



(١) سُورَةُ الفَاتِحَةِ

مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سَبْع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣)

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

هذه السورة مكية ، نزلت فى مكة قبل الهجرة ، وسميت الفاتحة لانها أولى السور فى ترتيب المصحف الشريف . وهى أول سورة نزلت بتمامها ، وهى تشتمل على مجمل ما فى القرآن ، وكأنها اجمال يحلو بعده التفصيل .

ومقاصد القرآن هى : بيان التوحيد ، وبيان الوعد والبشرى للمؤمن المحسن ، وبيان الوعيد والانذار للكافر والمسىء ، وبيان العبادة ، وبيان طريق السعادة فى الدنيا والآخرة ، وقصص الذين أطاعوا الله ففازوا ، وقصص الذين عصوه فخابوا .

والفاتحة تشتمل ، بطريق الايجاز والاشارة ، على هذه المقاصد ، ولذلك سميت « أم الكتاب » .

١ — نبتدىء باسم الله الذى لا معبود بحق سواه ، والمتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص ، وهو صاحب الرحمة الذى يفيض بالنعم جليلها ودقيقها ، عامها وخاصها ، وهو المتصف بصفة الرحمة الدائمة .

٢ — الثناء الجميل بكل انواعه وعلى كل حال لله وحده ، ونثنى عليه الثناء كله لأنه منشىء المخلوقات والقائم عليها .

٣ — وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها ، ينعم بكل النعم صغيرها وكبيرها .

٤ — وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ، يتصرف فيه لا يشاركه احد فى التصرف ولو فى الظاهر .

٥ — لا نعبد الا اياك ، ولا نطلب المعونة الا منك .

٦ — نسألك أن توفقنا الى طريق الحق والخير والسعادة .

٧ — وهو طريق عبادك الذين وفقتهم الى الايمان بك ، ووهبت لهم نعمتى الهداية والرضا ، لا طريق الذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخير لأنهم اعرضوا عن الايمان بك والاذعان لهديك .

سورة البقرة

هذه السورة مدنية نزلت بالمدينة بعد الهجرة وهى أطول سورة فى القرآن الكريم ، حسب ترتيب المصحف ، وقد ابتدأت هذه السورة بتفصيل ما انتهت اليه سورة الفاتحة فقد ذكرت أن القرآن هو مصدر الهدى،وذكرت الذين أنعم الله عليهم بالرضا ، والذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين .

وقد تحدثت السورة عن صدق القرآن ، وأن دعوته حق لا ريب فيها ، ثم تحدثت عن أصناف الناس الثلاثة : المؤمنين والكافرين والمنافقين ، وعن الدعوة الى عبادة الله وحده،وعن انذار الكافرين وتبشير المؤمنين،ثم خصت بنى اسرائيل بالدعوة والمراجعة ، وجاء فيها تذكيرهم بأيام الله وبحوادثهم مع موسى عليه السلام ، وتذكيرهم كذلك بابراهيم واسماعيل وبنائهما الكعبة ، واستغرق ذلك نحو نصف السورة ، وتخلله حديث موجه الى المؤمنين للاعتبار بما حدث لليهود والنصارى .

وانتقل الحديث الى خطاب أهل القرآن بذكر ما هو مشترك بين قوم موسى وقوم محمد من فضل ابراهيم وهدايته ونسبه ، وبذكر مسألة القبلة ونحوها .

ثم جاء الحديث عن التوحيد والتذكير بآيات الله الدالة عليه ، وجاء الحديث عن الشرك ، وعن المحرمات من الطعام ، وأن التحريم والتحليل من حق الله وحده .

وتعرضت السورة لبيان أصول البر . وذكر بعض أحكام الصيام والوصية وأكل أموال الناس بالباطل ، والقصاص والقتال والحج والخمر والميسر والنكاح والطلاق والرضاع والعدة وغيرها،كما تعرضت للحديث عن العقائد العامة كالرسالة والتوحيد والبعث، وتحدثت عن الانفاق والربا والتجارة وكتابة الدين ، ثم ختمت السورة بدعاء من المؤمنين لربهم أن ينصرهم ويؤيدهم .

وقد تضمنت هذه السورة عدة قواعد منها :

ان اتباع سبل الله واقامة دينه هما الموجبان للسعادة فى الدنيا والآخرة، وأنه لا يليق بعاقل أن يدعو الى البر والفضيلة وينسى نفسه ، وأنه يجب ايثار الخير على الشر ،وترجيح الأعلى على الأدنى .

وأن أصول الدين ثلاثة ، وهي : الايمان بالله ، والايمان بالبعث ، والعمل الصالح .

وأن الجزاء على الايمان والعمل معا ، وأن شرط الايمان هو الاذعان النفسي والتسليم القلبي لكل ما جاء به الرسول . وان غير المسلمين لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبع المسلمون دين هؤلاء .

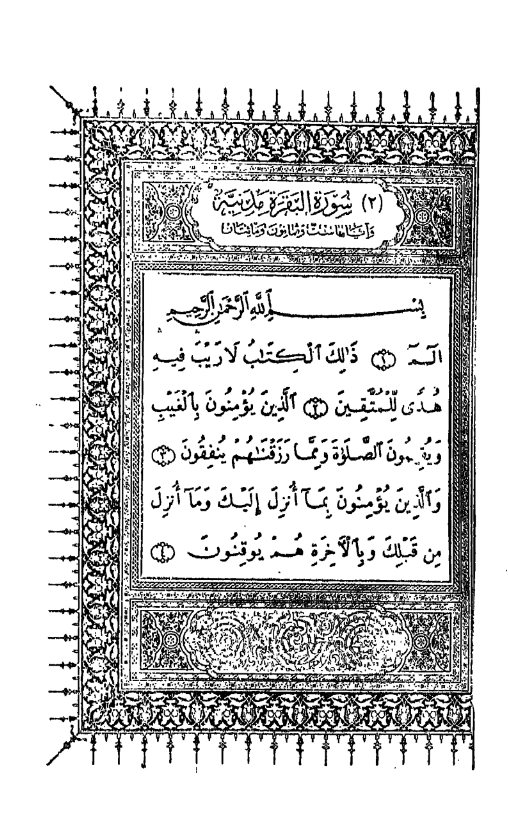
وأن الولاية العامة الشرعية يجب أن تكون لاهل الايمان والعدل ، لا لأهل الكفر والظلم . وأن الايمان بدين الله كما أنزله يستلزم الوحدة والاتفاق وأن ترك الاهتداء بذلك يورث الاختلاف والشقاق . وأن تحقيق الأمور الجليلة يستعان عليه بالصبر والصلاة ، وأن التقليد الأعمى باطل يؤدي الى الجهالة والعصبية .

وأن الله أحل لعباده الطيبات من المطعم ، وحرم أشياء خبيثة محدودة ، ولايجوز لغير الله أن يحل أو يحرم . وان المحرمات تباح للمضطر لأن الضرورات تبيح المحظورات وتقدر الضرورة بقدرها ، وأن الدين مبني على اليسر ورفع الحرج فالله لا يكلف نفسا الا وسعها ، ولا يأمر عباده الا بما يطيقون . وأن القاء النفس الى التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية اليها وأن الاكراه في الدين ممنوع . وأن القتال مشروع في الاسلام للدفاع . ولتأمين حرية الدين ، وتأمين سيادة الاسلام في مجتمعه .

وأن للمسلم أن يطلب حظه من الدنيا ، كما يؤدي واجبه نحو الآخرة ، وأن سد الذرائع وتقرير المصالح من مقاصد الشريعة .

وأن الايمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة على الكثرة الباغية ، وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام ، وأن الانسان مجزي بعمله لا بعمل غيره ، وأن حكمة التشريع يدركها العقل السليم لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد .

***



(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ

وآياتها ست وثمانون ومائتان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

١ ــ الف لام ميم : هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها الى اعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التى يؤلف منها العرب كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن ، وهى مع ذلك تنطوى على تنبيه للاستماع لتميز جرسها .

٢ ــ هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذى ننزله لايرتاب عاقل منصف فى كونه من عند الله ، ولا فى صدق مااشتمل عليه من حقائق وأحكام ، وفيه الهداية الكاملة للذين يستعدون لطلب الحق ، ويتوقون الضرر واسباب العقاب .

٣ ــ وهؤلاء هم الذين يصدقون ــ فى حزم واذعان ــ بما غاب عنهم ، ويعتقدون فيما وراء المحسوس كالملائكة واليوم الآخر ، لأن أساس التدين هو الايمان بالغيب ، ويؤدون الصلاة مستقيمة ، بتوجه الى الله وخشوع حقيقى له ، والذين ينفقون جانبا مما يرزقهم الله به فى وجوه الخير والبر .

٤ ــ والذين يصدقون بالقرآن المنزل عليك من الله ، وبما فيه من أحكام واخبار ويعملون بمقتضاه ويصدقون بالكتب الالهية التى نزلت على من سبقك من الأنبياء والرسل كالتوراة والانجيل وغيرهما ، لأن رسالات الله واحدة فى اصولها ــ يتميزون بأنهم يعتقدون اعتقادا جازما بمجىء يوم القيامة وبما فيه من حساب وثواب وعقاب .

***

٥ ــ هؤلاء الموصوفون بما سبق من صفات ، متمكنون من اسباب الهداية الالهية ، مستقرون عليها ، اولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ، ثوابا لسعيهم واجتهادهم وامتثالهم الأوامر واجتنابهم النواهى .

٦ ــ هذا شأن المهتدين ، أما الجاهلون الذين فقدوا الاستعداد للايمان اعراضا منهم وعنادا فلن يستجيبوا لله ، فيستوى عندهم تخويفك لهم وعدم تخويفك .

٧ ــ هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كأن قلوبهم مختوم عليها بحجاب لايدخلها غير ما فيها ، وكأن أسماعهم مختوم عليها كذلك ، فلا تسمع دعوة الحق ، وكان ابصارهم قد غشيها غطاء فهى لا تدرك آيات الله الدالة على الايمان ، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد .

أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ
ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

٨ — ومن الكافرين قوم آخرون من الناس يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، يظهرون الايمان فيقولون : اننا آمنا بالله وبيوم القيامة ، وليسوا بصادقين فى قولهم ، فلا يدخلون فى جماعة المؤمنين .

٩ — انهم يخدعون المؤمنين بما يصنعون ويظنون انهم يخادعون الله، اذ يتوهمون أنه غير مطلع على خفاياهم ، مع أنه يعلم السر والنجوى ، وهم فى الواقع يخدعون أنفسهم لأن ضرر عملهم لاحق بهم ، عاجلا وآجلا ، ولأن من يخدع غيره ، ويحسبه جاهلا — وهو ليس كذلك — انما يخدع نفسه .

١٠ — هؤلاء فى قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الايمان مع فساد العقيدة ، وزادهم الله على مرضهم مرضا بنصره للحق ، اذ كان ذلك مؤذيا لهم بسبب حسدهم وحقدهم و عنادهم ، ولهؤلاء عذاب أليم فى الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

١١ — واذا قال أحد من المهتدين لهؤلاء المنافقين : لاتفسدوا فى الأرض بالصد عن سبيل الله ، ونشر الفتنة وايقاد نار الحرب برءوا أنفسهم من الفساد ، وقالوا ما نحن الا مصلحون ، وذلك لفرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد خبيث مغرور يزعم فساده اصلاحا .

١٢ — الا فتنبهوا أيها المؤمنون الى انهم هم أهل الفساد حقا . ولكنهم لا يشعرون بفسادهم لغرورهم ولا بسوء العاقبة التى ستصيبهم بسبب هذا النفاق .

١٣ — واذا قال قائل لهم ينصحهم ويرشدهم : اقبلوا على ما يجب ، وهو أن تؤمنوا ايمانا مخلصا مثل ايمان الناس الكاملين المستجيبين لصوت العقل سخروا وتهكموا وقالوا : لا يليق بنا أن نتبع هؤلاء الجهلاء ضعاف العقول ، فرد الله عليهم تطاولهم وحكم عليهم بأنهم — وحدهم — الجهلاء الحمقى . ولكنهم لايعلمون علما يقينا أن الجهل ونقص الادراك محصور فيهم ومقصور عليهم .

١٤ — واذا لقى هؤلاء المنافقون المؤمنين المخلصين، قالوا : آمنا بماأنتم به مؤمنون من صدق الرسول ودعوته، ونحن معكم فى الاعتقاد ، واذاانصرفوا عنهم واجتمعوا بأصحابهم الذين يشبهون الشياطين فى الفتنة والفساد ، قالوا

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟
مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ
أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)
أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ
مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ
كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

لهم : انا معكم على طريقتكم وعملكم ، وانما كان قولنا للمؤمنين ما قلنــا استخفافا بهم واستهزاء .

١٥ — والله سبحانه يجازيهم على استهزائهم ، ويكتب عليهم الهوان الموجب للسخرية والاحتقار ، فيعاملهم بذلك معاملة المستهزىء ، ويمهلهم فى ظلمهم الفاحش الذى يجعلهم فى عمى عن الحق ثم يأخذهم بعذابه .

١٦ — وهؤلاء اذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذى يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح فى تجارته ، ويضيع راس ماله ، وهم فى عملهم غير مهتدين .

١٧ — حال هؤلاء فى نفاقهم كحال من اوقد نارا لينتفع بها مع قومه ، فلما أنارت ما حوله من الأشياء ذهب الله بنورهم وترك موقديها فى ظلمات كثيفة لا يبصرون معها شيئا ، لأن الله قدم اليهم اسباب الهداية فلم يتمسكوا بهــا فصارت بصائرهم مطموسة ، فاستحقوا أن يبقوا فى الحيرة والضلال .

١٨ — هؤلاء كالصم ، لأنهم قد فقدوا منفعة السمع ، اذ لا يسمعون الحق سماع قبول واستجابة وهم كالبكم الخرس ، لأنهم لا ينطقون بالهدى او الحق وهم كالذين فقدوا ابصارهم لانهم لا ينتفعون بها فى اعتبار او انزجار ، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم .

١٩ — أو حالهم فى حيرتهم وشدة الأمر عليهم وعدم ادراكهم لما ينفعهم ويضرهم ، كحال قوم نزل عليهم مطر من السماء ورعد وصواعق ، يضعون اطراف اصابعهم فى آذانهم كى لا يسمعوا أصوات الصواعق ، خائفين من الموت . زاعمين أن وضع الاصابع يمنعهم منه .

وهؤلاء اذا نزل القرآن — وفيه بيان لظلمات الكفر والوعيد عليه ، وبيان الايمان ونوره المتالق ، وبيان النذر والوان العذاب — اعرضوا عنــه وحاولوا الخلاص منه زاعمين ان أعراضهم عنه سيعفيهم من العقاب .. ولكن الله عليم بالكافرين مسيطر عليهم من كل جهة بعلمه وقدرته .

٢٠ — ان هذا البرق الشديد النذر يكاد يخطف منهم ابصارهم لشدته ، وهو يضىء لهــم الطريق حينــا فيسيــرون خطوات مستعينين بضــوئه وحين ينقطع البرق ويشتد الظلام يقفون متحيرين ضالين . وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهرهم اضواؤها فيهمون أن يهتدوا . ولكنهم بعد قليل يعودون الى الكفر والنفاق .

واسع القدرة اذا اراد شيئا فعله ، لايعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .



شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا
ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ



٢١ ــ يأيها الناس أعبدوا ربكم الذى أنشأكم وخلقكم ونماكم كما خلق الذين سبقوكم ، فهو خالق كل شىء ، لعلكم بذلك تعدون انفسكم ونهيئونها لتعظيم الله ومراقبته ، فتتطهر بذلك نفوسكم وتذعن للحق ، وتخــاف سوء العاقبـــة .

٢٢ ــ انه وحده هو الذى مهد لكم الأرض بقدرته ، وبسط رقعتها ليسهل عليكم الاقامة فيها والانتفاع بها ، وجعل ما فوقكم من السماء واجرامهـــا وكواكبها كالبنيان المشيد ، وامدكم بسبب الحياة والنعمة ــ وهو المــاء ــ أنزله عليكم من السماء فجعله سببا لاخراج النباتات والاشجار المثمرة التى رزقكم بفوائدها ، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا ان لله نظراء تعبدونهم كعبادته لانه ليس له مثيل ولا شريك ، وانتم بفطرتكم الاصلية تعلمون أنه لا مثيــل له ولا شريك ، فلا تحرفوا هذه الطبيعة .

٢٣ ــ وان كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع انزالنا له على عبدنا محمد ، فلديكم الحجة الظاهرة التى تبين الحق لكم فحاولوا أن تأتوا بسورة مماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها وســـائر هدايتها ، ونادوا الذين يشهدون لكم انكم اتيتم بسورة مماثلة له فاستعينوا بهم ولن تجدوهم ، وهؤلاء الشهداء هم غير الله لان الله يؤيد عبده بكتابه ويشهد له بافعاله هذا ان كنتم صادقين فى ارتيابكم فى هذا القرآن .

٢٤ ــ فان لم تستطيعوا الاتيان بسورة مماثلة لسور القــرآن ــ ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال لأنه ليس من طاقة المخلوقين ، اذ القرآن كلام الخالق ــ فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التى تؤدى بكم الى عذاب الآخرة ، وهو النار التى سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام ، وقد هيئت هذه النار لتعذيب الجاحدين المعاندين .

٢٥ ــ واذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين فالجنة مثوى المؤمنين ، فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه ، واذعنوا للحق دون شك أو ارتياب وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة اخبرهم بخبر يسرهم ويشرح صدورهم ، وهو أن الله أعد لهم عنده جنات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم فى هذه الجنات رزقا من بعض ثمـــارها

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ
مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ
مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ
فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ

قالوا : ان هذا يشبه ما رزقنا من قبل ، لان هذه الثمرات التى ينالونها تشابه أفرادها فى الصورة والجنس ولكنها تتمايز فى الطعم واللذه . ولهم فيهــا ايضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب . وسيبقون فى هذه الجنة فى حياة أبدية لايخرجون منها .

٢٦ ــ يضرب الله الامثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصغائر الاحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لا يؤمنون ضرب المثل بصغائر الأحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه انه لا يعتريه ما يعترى الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده ما يشاء من أمور بأى مثل مهما كان صغيرا ، فيصح ان يجعل المثــل بعوضة أو ما فوقها والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله،والذين كفروا يتلقونه بالاستنكارويقولون: ما الذى اراده الله بهذا المثل ؟ وان هذا المثل يكون سببا لاضــلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سببا لهداية المؤمنين بالحــــق الذين يطلبونه ، فلا يضل به الا المنحرفون المتمردون .

٢٧ ــ الذين ينقضون عهد الله ، وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوى الذى انشأه فى نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقا بالعقل المدرك ومؤيدا بالرسالة ويقطعون ما أمر الله به ان يكون موصولا كوصل ذوى الأرحام ، والتــواد والتعارف والتراحم بين بنى الانسان ، ويفسدون فى الأرض بسوء المعاملات وباثارة الفتن وايقاد الحروب وافساد العمران ، اولئك هم الذين يخسرون بافسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب ان يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلكلهم الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.

٢٨ ــ ان حالكم تثير العجب ! كيف تكفرون ولا توجد شبهة تعتمدون عليها فى كفركم ؟ ونظرة الى حالكم تأبى هذا الكفر ولا تدع لكم عذرا فيه ، فقد كنتم امواتا ، فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التقويم ، ثم هو الـــذى يعيدكم امواتا عندانتهاء اجلكم ، ثم يبعثكم احياء مرة اخرى للحساب والعقاب ثم اليه ، لا الى غيره ، تعودون فيحاسبكم ويجازيكم على اعمالكم .

٢٩ ــ وان الله الذى تجب عبادته واطاعته هو الذى تفضل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كل النعم الموجودة فى الأرض ، ثم قد توجهت ارادته مع خلقه الأرض بمنافعها الى السماء فجعل منها سبع سموات منتظمات فيهــا ماترون ومالا ترون ، والله محيط بكل شىء عالم به .



قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ
إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ
أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ
إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

٣٠ ـــ بين سبحانه أنه هو الذى أحيا الانسان ومكن له فى الأرض ، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الانسان وما أودع فيه من علم الأشياء وذكره به، فاذكر يامحمد نعمة أخرى من ربك على الانسان ، وهى أنه قال للائكته : انى جاعل فى الأرض من أمكنه منها وأجعله صاحب سلطان فيها وهو آدم وذريته، استخلفهم الله فى عمارة الأرض من يفسد فيها بالمعاصى ومن يسفك الدماء بالعدوان والقتل لما فى طبيعته منشهوات . بينما نحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، ونطهر ذكرك ونمجدك ؟ فأجابهم ربهم : انى أعلم ما لم تعلموا من المصلحة فى ذلك .

٣١ ـــ وبعد ان خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن فى الأرض وينتفع بها ، عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم: اخبرونى باسماء هذه الأشياء وخواصها ان كنتم صدقتم فى ظنكم أنكم أحق بخلافة الأرض ولا يوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم .

٣٢ ـــ وقد ظهر للملائكة عجزهم فقالوا : اننا ننزهك ياربنا التنزيه اللائق بك ، ونقر بعجزنا وعدم اعتراضنا ، فلا علم عندنا الا ما وهبتنا اياه ، وأنت العالم بكل شىء الحكيم فى كل أمر تفعله .

٣٣ ـــ قال الله لآدم : اخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء ، فأجاب وأظهر فضله عليهم ، وهنا قال الله لهم مذكرا لهم باحاطة علمه : ألم أقل لكم انى اعلم كل ماغاب فى السموات والأرض ولايعلمه غيرى ، وأعلم ماتظهرون فى قولكم وما تخفون فى نفوسكم .

٣٤ ـــ واذكر ايها النبى حين قلنا للملائكة: اخضعوا لآدم تحية له واقرارا بفضله ، فأطاع الملائكة كلهم الا ابليس ، امتنع عن السجود وصار من العاصين له ، والكافرين بنعم الله وحكمته وعلمه .

٣٥ ـــ ثم خلق الله آدم وزوجته وامرهما أن يعيشا فى جنة النعيم فقال له : اسكن انت وامراتك الجنة وكلا منها ما تشاءان أكلا هنيئا وافرا بلا تعب من أى مكان أو ثمر تريدان ، ولكن الله ذكر لهما شجرة معينة وحذرهما الأكل منها وقال لهما : لاتدنوا من هذه الشجرة ولا تأكلا منها ، والا كنتما من الظالمين العاصين .

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾
وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ
بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا
تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾


۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ

٣٦ ــ ولكن ابليس الحاسد لآدم ، الحاقد ، أخذ يحتال عليهما ويغريهما بالأكل من الشجرة حتى زلا فأكلا منها فأخرجهما الله مما كانا فيه من النعيم والتكريم ، وأمرهما الله تعالى بالنزول الى الأرض ليعيشا هما وذريتهما فيها، ويكون بعضهم لبعض عدوا بسبب المنافسة واغواء الشيطان ، ولكم في الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة ، وتمتع ينتهي بانتهاء الأجل .

٣٧ ــ وأحس آدم هو وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما ، فألهم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار ، فقالها ، فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة ، وهو الرحيم بعباده الضعفاء .

٣٨ ــ وقلنا لآدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وابليس : اهبطوا الى الأرض وستكلفون تكليفات فيها ، فان جاءكم ذلك من عندى ــ وسيأتيكم حتما ــ فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداى لا يشعرون بخوف ، ولا يصيبهم حزن لفوات ثواب ، لان الله لا يضيع اجر من احسن عملا .

٣٩ ــ والذين جحدوا وكذبوا برسل الله وكتبه ، اولئك أهل النار ، يظلون فيها ابدا لا يخرجون ولا يفنون .

٤٠ ــ يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى تفضلت بها عليكم أنتم وآباؤكم بالتفكير فيها والقيام بواجب شكرها واوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم واقررتموه على انفسكم ، وهو الايمان ، والعمل الصالح ، والتصديق بمن يجىء بعد موسى من الأنبياء ، حتى أوفى بوعدى لكم وهو حسن الثواب والنعيم المقيم ، ولا تخافوا احدا غيرى ، واحذروا من أسباب غضبى لكم .

٤١ ــ وصدقوا بالقرآن الذى أنزلت مصدقا لما عندكم من كتب ، وعلم من التوحيد وعبادة الله ، والعدل بين الناس ، ولا تسارعوا الى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغى ان تكونوا اول المؤمنين به ، ولا تتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضا قليلا زائلا من متاع الحياة الدنيا ، وخصونى بالخوف ، فاتبعوا طريقى ، وأعرضوا عن الباطل .

٤٢ ــ لا تخلطوا الحق المنزل من عندى بالباطل المفترى من عندكم ، حتى لا يشتبه هذا بذاك ، ولا تكتموا الحق ومنه صدق محمد ، وأنتم تعلمون انه حق وصدق .

٤٣ ــ واستجيبوا للايمان ، فأدوا الصلاة مستقيمة الأركان ، واعطوا الزكاة لمستحقيها ، وصلوا مع جماعة المسلمين لتنالوا ثواب الصلاة وثواب الجماعة وهذا يستلزم أن تكونوا مسلمين .

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ
ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ
يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ
تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ
ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

٤٤ ــ أتطلبون من الناس أن يتوسعوا فى الخير ، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المعصية ، ثم لا تعملون بما تقولون ، ولا تلتزمون ما تطلبون ، وفى ذلك تضييع لانفسكم كأنكم تنسونها ، مع أنكم تقرءون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للعمل ، أليس لديكم عقل يردعكم على هذا التصرف الذميم ؟ .

٤٥ ــ واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ما تكره، ومن ذلك الصوم ، وبالصلاة العظيمة الشأن التى تنقى القلب وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذلك كانت ثقيلة شاقة الا على الخاضعين المحبين للطاعة ، الذين اطمأنت قلوبهم لذكر الله .

٤٦ ــ أولئك الخاضعون المطمئنة قلوبهم ، الذين يؤمنون باليوم الآخر ويوقنون بأنهم سيلاقون ربهم عند البعث ، واليه وحده يعودون ليحاسبهم على ما قدمت أيديهم ويثيبهم عليه .

٤٧ ــ يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت بها عليكم ، من اخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتمكينكم فى الارض بعد أن كنتم مستضعفين فيها ، واشكروا واهبها بطاعتكم له ، وأذكروا اننى اعطيت آباءكم الذين انحدرتم منهم ما لم اعطه احدا من معاصريكم . والخطاب لجنس اليهود ، ويمثلهم المعاصرون للرسول .

٤٨ ــ وخافوا يوم الحساب الشديد : يوم القيامة الذى لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئا ، ولا تغنى فيه نفس عن نفس أخرى شيئا ، ولا يقبل من أى نفس تقديم اى شفيع ، كما لا يقبل عرض تفدى به الذنوب ، ولا يستطيع أحد أن يدفع العذاب عن مستحقيه .

٤٩ ــ واذكروا من نعمنا عليكم ان نجيناكم من ظلم فرعون واعوانه الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ، فهم يذبحون الذكور من اولادكم لتوهم ان يكون منهم من يذهب بملك فرعون ويستبقون الاناث ، ليستخدموهن ، وفى هذا العذاب والتعرض للفناء ابتلاء شديد من ربكم واختبار عظيم لكم .

٥٠ ــ واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن اجلكم البحر ــ وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه ــ فتتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده ، وبفضلنا نجوتم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فاغرقناهم أمام ابصاركم ــ فأنتم ترونهم وهم يغرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه .

٥١ ــ واذكروا حين وعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته ، فلما ذهب الى ميعاده ، وعاد ، وجدكم قد انحرفتم واتخذتم العجل الذى صنعه السامرى معبودا لكم ، وكنتم ظالمين باتخاذكم شريكا لله الذى خلقكم ونجاكم .

٥٢ ــ ثم عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتم واستغفرتم من اثمكم ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ

يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ

بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ

عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ

لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ

وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن

كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا۟ هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ

فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا۟ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟

حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَىٰ

٥٣ ـــ واذكروا حين انعمنا عليكم فانزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة وهو الذي يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحـــرام ، لكى تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبير ما فيها .

٥٤ ـــ واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى ياقومى ، لقد ظلمتم انفسكم باتخاذكم عجل السامرى معبودا ، فتوبوا الى ربكم خالقكم من العدم ، بأن تغضبوا على انفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها ،لتتجدد بنفوس مطهرة فأعانكم الله على ذلك ووفقكم له وكان ذلك خيرا لكم عنـــد خالقكم ، ولهذا قبل توبتكم وعفا عنكم ، فهو كثير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

٥٥ ـــ واذكروا قولكم لموسى : اننا لن نقر لك بالايمان حتى نرى الله جهارا عيانا بحاسة البصر لا يحجبه عنا شيء ، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون حالكم وما اصابكم من بلاء وعذاب فى الصاعقة .

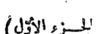
٥٦ ـــ ثم ايقظناكم من غشيتكم وهمودكم ، وعلمناكم لكى تشكروا نعمتنا فى ذلك ، وتؤيدوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

٥٧ ـــ ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد ، وانزلنا عليكم المن ، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط عـــلى الشجر من طلوع الشمس ، كما أنزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسمان ، فهو يأتيكم بأسرابه بكرة وعشيا لتاكلوا وتتمتعوا ، وقلنا لكـــم كلوا من طيبات رزقنا ـــ فكفر هؤلاء بالنعمة ، ولم يكن ذلك بضائرنا ، ولكنهم يظلمون أنفسهم لان ضرر العصيان واقع عليهم (١) .

٥٨ ـــ واذكروا يابنى اسرائيل حين قلنا لكم ادخلوا المدينة الكبيرة التى ذكرها لكم موسى نبيكم ، فكلوا مما فيها كما تشاءون ، كثيرا واسعا ، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع ، من الباب الذى سماه لكم نبيكم ، واسألوا الله عند ذلك ان يغفر لكم خطاياكم ، فمن يفعل ذلك باخلاص نغفر له خطاياه ، ومن كان محسنا مطيعا زدناه ثوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة .

---

(١) فى قوله تعالى : « وانزلنا عليكم المن والسلوى » ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم اخيرا وهى أن المواد البروتينية التي نكون من اصل حيوانى كلحوم الحيوانات والطيور ، ومنها السمان (السلوى) افضل فى تغذية الانسان من برونينات البقول النباتية من حيث التمثيـــل الحيوى واستفادة الجسم كما أن المن أساسه مواد سكرية تعد من اهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الانســــــان .





ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾
۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ
ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ
مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ
وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ
بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ
ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا
سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ
مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ

٥٩ ـــ ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم ، فقالوا غير ما أمرهم بقوله، استهزاء وتمردا ، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم .

٦٠ ـــ واذكروا يابنى اسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش فى التيه،رحمناكم وقلنا لموسى:أضرب بعصاك الحجر فانفجر الماء من اثنتى عشرة عينا فصار لكل جماعة عين وكانوا اثنتى عشرة جماعة ، فعرفت كل قبيلة مكان شربها ، وقلنا لكم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه ، ولا تسرفوا فى الافساد فى الارض بل امتنعوا عن المعاصى .

٦١ ـــ واذكروا أيها اليهود أيضا يوم سيطر البطر على أسلافكم ، ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى : اننا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كى يخرج لنا مما تنبت الارض من بقولها وقثائها وعدسها وثومها وبصلها ، فتعجب موسى من ذلك ، وأنكره عليهم فقال لهم : اتفضلون هذه الأصناف على ما هو أفضل وأحسن ، وهو المن والسلوى .. فانزلوا اذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فانكم ستجدون فيها ماتريدون وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود الذلة والفقر والخنوع واستحقوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان ، وما جروا عليه من الكفر بآيات الله وبقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر وقد جراهم على ذلك الكفر وهذا القتل ، ما ركب فى نفوسهم من التمرد والعدوان ومجاوزة الحد فى المعاصى .

***

٦٢ ـــ ان الذين آمنوا من الأنبياء من قبل ، واليهود والنصارى ، ومن يقدسون الكواكب والملائكة . ومن آمن برسالة محمد بعد بعثته ، ووحد الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة ، وعمل الأعمال الصالحة فى دنياه فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم ، ولا يلحقهم خوف من عقاب ، ولا ينالهم حزن على فوات ثواب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٤)
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥) فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ
قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٦٧) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨)

٦٣ — اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطــور ، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم من هدى وارشاد بجد واجتهاد ، واذكروا ما فيه ذكر من يستجيب له ويعمل به كى تصونوا بذلك انفسكم من العقاب .

٦٤ — ثم انكم اعرضتم بعد ذلك كله ، ولولا فضل الله عليكم ورحمتــه وتأخيره العذاب عنكم لكنتم من الضالين الهالكين .

٦٥ — وأنتم بلا ريب قد عرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم فى يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه مع انه يوم راحة وعيد ، والعمــل محرم فيه ، فمسخ الله قلوب المخالفين ، وصاروا كالقردة فى نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبعدين منرحمة الله ، مطرودينكالكلاب ينفر الناس من مجالستهم ويشمئزون من مخالطتهم .

٦٦ — وقد جعل الله هذه الحال التى آلوا اليها عبرة وتحذيرا لغيرهم من ان يفعلوا مثل فعلهمجعلها عبرة لمعاصريهمومن ياتى بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

٦٧ — واذكر حين قال موسى لقومه وقد قتل فيهم قتيل لم يعرفوا قاتله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحا لمعرفة القاتل ، ولــكنهم استغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين . أتسخر منا يا موسى ، فرد عليهمقائلا : انى اعتصم بتأديبالله لى أن أكون منالجاهلين الذين يستهزئون بعباده .

٦٨ — هنا قالوا لموسىمترددين فىأمر البقرة ، أطلب لنا من ربك انيبين لنا صفة تلك البقرة فقال لهم : ان الله أخبرنى بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة ، بل هى وسط بين الكبر والصغر، فنفذوا ما أمركم الله به .

***

٦٩ — ولكنهم استمروا فى ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة ، فاجابهم موسى : بأن الله يقول : انها بقرة صــفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تعجب الناظر اليها لصفاء لونها ووضوحه .



قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ

٧٠ ــ ثم لجوا فى اسئلتهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنـــا شأن هذه البقرة ، لأن البقر تشابه علينا ، وسنهتدى اليها بمشيئة الله .

٧١ ــ فقال لهم : ان الله يقول انها بقرة لم تذلل بالعمل فى حرث الأرض وقلبها للزراعة ، ولا فى سقى الأرض المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبـــات وهى بريئة من العيوب سالمة من الآفات ، لا لون فيها يخالف سائر جسدها فقالوا له الآن جئت بالبيان الواضح ، وبحثوا عن البقرة المتصـــفة بهـــذه الأوصاف فذبحوها وقد قاربوا الا يفعلوا ذلك لكثرة اسئلتهم وطول لجاجهم

٧٢ ــ واذكروا يوم قتلتم نفسا وتخاصمتم وتدافعتم الجريمة ، فاتهم بعضكم بعضا بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو كاشفها ومظهرها مع كتمانكم لهـــا .

٧٣ ــ فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القتيل بجزء من هذه البقرة، ففعلتم فأحيا الله القتيل وذكر اسم قاتله ، ثم سقط ميتا وكانت معجـــزة من الله لموسى (١) لأن الله قادر على كل شىء وبقدرته هـــذه يحيى الموتى يوم القيامة . ويريكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها وتعتبرون بها .

٧٤ ــ ثم أنكم بعد هذه الأيات كلها لم يستجيبوا ولم تستقيموا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع ، بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها ، بل انها أشـــد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها الميـــاه الكثيرة فتجرى أنهارا ، وهناك أحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيونا فوارة ومنها ما يتأثر بقدرة الله وينقاد لمشيئته فيتردى من أعلى الجبال انقيـــادا لمـــا أراده الله تعالى به ، أما قلوبكم أيها اليهود فانها لا تتأثر ولا تلين ولكم الويل على ذلك ، فالله ليس بغافل عن أعمالكم وهو سيؤدبكم بألوان النقم، اذا لم تشكروا أنواع النعم .

---

(١) ذكر بعض الكتاب فى عصرنا الحاضر ، وهو المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ان قوله تعالى : « اضربوه ببعضها » المراد به بعض أجزاء القتيل ، والمراد باحيائها القصاص له ، لان الضرب ببعض اجزاء المقتول يحمل القاتل على الاعتراف ، وكثيرا ما تكون رؤية القتيل باعثةعلى الاعتراف ، وتكون هذه القصة منفصلة عن الامر بالذبح وأمر الله تعالى بالذبح ، وان أمر الله تعالى لهم بان يذبحوا بقرة كان ليأكلوها ، وفى ذلك تربية نفسية لهم ، لانهم كانوا مع المصريين الذين يقدسون البقر ، وكانت فيهم بقية من هذا التقديس بدليل أنهم عبدوا تمثال العجل من بعد ذلك . فكان لابد لاقتلاع هذه البقية من نفوسهم بتكليفهم ذبح البقرة ، فكان لذلك الامر بالذبح ، وكان لذلك المجادلة والتلكؤ منهم ، فذبحوها وما كادوا يقومون بالذبح .



وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ

٧٥ ـ ما كان ينبغى لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا فى أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقد اجتمعت فى مختلف فرقهم أشتات الرذائل التى تباعد بينهم وبين الايمان بالحق ، فقد كان فريق منهم (وهم الأحبار) يسمعون كلام الله فى التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون أنه الحق ، وان كتب الله المنزلة لا يجوز تغييرها .

٧٦ ـ وكان فريق من منافقيهم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم آمنا بأنكم على الحق وان محمدا هو النبى الذى جاء وصفه فى التوراة ، واذا خلا بعضهم الى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم ، اذ تنزلق السنتهم فى اثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولايستدعيها الخداع فيذكرون لهم ماورد فى التوراة من أوصاف محمد ويعطونهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة .

٧٧ ـ وهل غاب عن هؤلاء وأولئك أن الله ليس فى حاجة الى مثل هذه الحجة لأنه يعلم ما يخفون وما يبدون .

٧٨ ـ ومن اليهود فريق جهلة أميون لا يعرفون عن التوراة الا أكاذيب تتفق مع أمانيهم ، لفقها لهم أحبارهم والقوا فى ظنهم أنها حقائق من الكتاب .

٧٩ ـ فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأحبار الذين يكتبون كتبا بأيديهم ثم يقولون للاميين هذه هى التوراة التى جاءت من عند الله ، ليطلوا من وراء ذلك الى غرض تافه من اغراض الدنيا فيشتروا هذا التافه بثمن هو الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما تقولوه على الله ، وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .

٨٠ ـ ومن اختلافاتهم هذه ما يتلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهوديا مهما ارتكب من المعاصى الا أياما معدودة ، فقل لهم يا محمد ، هل تعاهدتم مع الله على ذلك ، فاطمأننتم لأن الله لا يخلف عهده ، أم انكم تفترون الكذب عليه ؟



عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ
بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ
هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ
وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمۡ
هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ
تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ
تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ

٨١ — الحق انكم تفترون الكذب على الله . فحكم الله العام نافذ فى خلقه جميعا لا فرق بين يهودى وغير يهودى ، لأن من ارتكب سيئة واحاطت به آثامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

٨٢ — والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة لأنهم آمنوا وأدوا ما يفرضه عليهم ايمانهم من صالح الأعمال ، فهم فيها خالدون .

***

٨٣ — وأن لكم معشر اليهود بجانب هذا كله ماضيا حافلا بالاثم ونقض المواثيق ، وتعدى ما وضعه الله لكم من حدود ، فلتذكروا اذ اخذنا عليكم فى التوراة ميثاقا ألا تعبدوا الا الله ، وأن تحسنوا الى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ، وتستخدموا فى حديثكم مع الناس القول الطيب الذى يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفرهم منكم ، وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة ، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق اذ نقضتموه وأعرضتم عنه الا قليلا منكم ممن أذعن للحق .

٨٤ — واذ اخذنا ميثاقا عليكم فى التوراة الا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم من ديارهم ، وهو ميثاق تقرون أنه فى كتابكم وتشهدون على صحته .

***

٨٥ — وهأنتم أولاء يقتل بعضكم بعضا ، ويخرج فريق منكم آخر من ديارهم متعاونين فى ذلك عليهم مع غيركم بالاثم والعدوان ، ثم ان وقع فريق منكم أسرى لدى من يتعاونون معهم تعملون على انقاذهم من الأسر بافتدائهم ، وان سئلتم عما حملكم على افتدائهم قلتم لأن أسفارنا أمرتنا أن نفدى اسرانا من اليهود أو لم تأمركم اسفاركم كذلك ألا تسفكوا دماء أخوانكم ، وألا تخرجوهم من ديارهم ؟ افتذعنون لبعض ماجاء فى الكتاب وتكفرون ببعض؟

الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا
مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردهم الله المطلع على أعمالهم وسرائرهم الى أشد العذاب (١) .

٨٦ — وذلك لأنهم قد آثروا اعراض الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم ، وكانوا بهذا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فلن يخفف عنهم عذاب جهنم ، ولن يجدوا من ينقذهم منه .

٨٧ — ولتذكروا كذلك معشر اليهود مواقفكم الضالة الآثمة حيال موسى ومن بعثناه من بعده اليكم من المرسلين . فلقد أرسلنا اليكم موسى وآتيناه التوراة وبعثنا اليكم على آثاره عدة رسل ، منهم ، عيسى بن مريم الذى أمددناه بالمعجزات وأيدناه بروح القدس وهو جبريل رسول الوحى الأمين ، فكنتم كلما جاءكم رسول من هؤلاء بما لا تهوى أنفسكم تستكبرون عن اتباعه ، ففريق كذبتموه وفريق آخر قتلتموه .

٨٨ — وكذلك كان موقفكم حيال رسولنا محمد خاتم النبيين . فلقد قلتم له حينما دعاكم الى الاسلام : ان قلوبنا مغطاة بأغشية لا تنفذ اليها دعوتك فلا نكاد نفقه شيئا مما تقول ولم تكن قلوبهم كما يزعمون ، ولكنهم استكبروا وآثروا الضلالة على الهدى ، فلعنهم الله بكفرهم وأوهن يقينهم وأضعف ايمانهم .

٨٩ — ولما جاءهم رسولنا بالقرآن وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة ، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما فى هذا الكتاب ، كفروا به عنادا وحسدا لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبهم بنى اسرائيل مع أنهم كانوا من قبل اذا اشتبكوا مع المشركين فى صراع حربى أو جدلى ذكروا أن الله سينصرهم بارسال خاتم النبيين الذى بشر به كتابهم ، والذى تتفق صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد . الا لعنة الله على أمثالهم من المعاندين الجاحدين .

---

(١) كان بالمدينة قبل الاسلام قبيلتان عربيتان متعاديتان ، هما الاوس والخزرج ، وطائفتان من اليهود هما : بنو قريظة وبنو النضير ، وكان بنو قريظة حلفاء للاوس وكان بنو النضير حلفاء للخزرج ، وكان اذا اقتتلت القبيلتان العربيتان انضم الى كل قبيلة حلفاؤها من اليهود واشتركوا معها فى قتال القبيلة الأخرى وقتال من انضم اليها من اخوانهم فى الدين ولم يدخروا جهدا فى سفك دمائهم والعمل على اخراجهم من ديارهم ، ولكن كلا من الطائفتين من اليهود كانت تعمل على افتداء من كان يقع فى أيدى حليفتها من أسرى الطائفة الاخرى فاذا سئلوا : كيف تفدونهم وقد كانوا يقاتلون مع اعدائكم ؟ قالوا : لان الله أمرنا فى التوراة أن نفدى أسرى اليهود ، ويتجاهلون أن الله امرهم كذلك فى التوراة الا يسفك بعضهم دماء بعض ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .



بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا
أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو
بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠)
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١)



* وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ
وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ
إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣) قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ
الْـَٔاخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن

٩٠ — ولبئس ما باعوا به أنفسهم بغيا وعدوانا ، اذ مالوا مع اهـوائهم وتعصبهم لشعبهم ، فكفروا بما أنزلنا ، ناقمين على غيرهم أن خصهم الله دونهم بارسال رسول منهم منكرين على الله أن يكون له مطلق الخيرة فى أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب لكفرهم وعنادهم وحسدهم ، ولمثلهم من الكافرين عذاب مذل يؤلم .

***

٩١ — هذا هو ما كانت تنطوى عليه نفوسهم ، ولكنهم كانوا يبررون أمام الخلق عدم ايمانهم بالقرآن حينما يطلب اليهم الايمان بأنهم لا يؤمنون الا بما أنزل عليهم هم ويكفرون بغيره ولقد كذبوا فيما يدعون من ايمانهم بما انزل عليهم من توراة لان كفرهم بهذا الكتاب المصدق لما فى كتابهم هو كفر بكتابهم نفسه ، ولأنهم قد قتلوا الأنبياء الذين دعوا الى ما أنزل عليهم وقتلهم لهؤلاء اقطع دليل على عدم ايمانهم برسالتهم .

٩٢ — بل لقد كفرتم أيها اليهود كفرا صريحا بكتبكم ، ورجعتم الى الشرك فى عهد موسى نفسه فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه لكنه لم يلبث أن تغيب لمناجاة ربه حتى عبدتم العجل ورجعتم الى سابق وثنيتكم وأنتم ظالمون مبطلون .

٩٣ — وحينما جاءكم بالتوراة ، ورأيتم ما فيها من تكاليف شـــاقة ، فاستثقلتم أعباءها وارتبتم فيها ، أراكم الله آية على صدق هذا الكتاب وفائدة تعاليمه لكم ، فرفع جبل الطور فوق رءوسكم حتى صار كأنه ظلة وظننتم انه واقع بكم ، وحينئذ أعلنتم القبول والطاعة ، فأخذنا عليكم ميثاقا الا يأخذكم هوى فى الامتثال لما جاء فى هذا الكتاب ، فقلتم : آمنا وسمعنا ، ولكن أعمالكم تكشف عن عصيانكم وتمردكم ، وأن الايمان لم يخالط قلوبكم ، ولا يمكن أن يكون الايمان قد خالط قلوب قوم شغفوا حبا بعبـادة العجل ، فلبئس ما اليه ايمانكم الذى تزعمون .

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ

عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ

سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ

بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ

عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ

إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾

أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ

لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ

٩٤ ـــ ولقد زعمتم أن الله سيخصكم من بين سائر الناس بنعيم الجنة بعد الممات ، فان كنتم مؤمنين حقا بما تقولون فليكن الموت محببا اليـــكم ، ولتمنوه حتى لا يبطىء عنكم هذا النعيم الذى تدعون .

٩٥ ـــ ولكنهم فى الواقع لايرغبون فى الموت أبدا لما اقترفوا من ظلم لايخفى أمره على الله ، ويعلمهم انهم كاذبون فيما يدعون ، وأن النعيم يوم القيامة للمتقين ، لا الفجار أمثالهم .

٩٦ ـــ بل انك لتجدنهم أحرص الناس جميعا على حياتهم على أى شكل عزيزة أو ذليلة ، وحرصهم أكثر من حرص المشركين الذين لا يؤمنون ببعث ولا جنة ، ولذلك يود أحدهم لو يعمر الف سنة ، ولن يبعد عنـــه تعمـــيره مهمـــا طال ما ينتظر من عذاب الله انه عليم بالظالمين وســـيذيقهم جزاء ما اقترفوه .

٩٧ ـــ ولقد زعم بعضهم انهم يعادونك ويكفرون بكتابك لانهم اعداءلجبريل الذى يبلغك هذا الكتاب فقل أيها النبى لهم : من كان عدوا لجبريل فهو عدو الله ، لان جبريل مايجىء بهذا الكتاب من عنده وانما ينزله بأمر الله مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية .. ومصدقا لكتابهم نفسه .. وهدى وبشرى للمؤمنين .

***

٩٨ ـــ فمن كان عدوا لجبريل او ميكائيل او لأى ملك أو رسول من ملائكة الله ورسله الذين لا يفعلون ولا يبلغون الا ما يأمرهم به الله ، فانه بذلك يكون عدوا لله وكافرا به ، والله عدو للكافرين .

٩٩ ـــ وما ينزل جبريل على قلبك الا بآيات بينات لا يسع طالبا للحق الا الايمان بها ، وما يكفر بمثلها الا المعاندون الخارجون عن سنة الفطرة .

١٠٠ ـــ وكما تذبذبوا فى العقيدة والايمان ، تذبذبوا كذلك فيما يبرمونه من عهود : فكانوا كلما عاهدوا المسلمين و غيرهم عهـــدا نبذه فريق منهم ، لأن معظمهم لايؤمن بحرمة عهد ولا بقداسة ميثـــاق .



وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟
ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ
ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى
ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ
حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ
وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ
مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (١٠٣)
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ
وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ

١٠١ — ولما جاءهم رسولٌ من عند الله مطابقة أوصافه لما فى أسفارهم وهو محمد عليه السلام ، نبذ فريق منهم ماذكر فى كتبهم عن هذا الرسول ، كأنه لم يرد فيها ولم يعلموا شيئا عنه .

١٠٢ — واقد صدقوا ماتتقوله شياطينهم وفجرتهم على ملك سليمان ، اذ زعموا أن سليمان لم يكن نبيا ولا رسولا ينزل عليه الوحى من الله . بل كان مجرد ساحر يستمد العون من سحره ، وأن سحره هذا هو الذى وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطير والرياح فنسبوا بذلك الكفر لسليمان وما كفر سليمان ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا . اذ يقولوا عليه هذه الأقاويل ، وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم ومن اثار ما انزل ببابل على الملكين هاروت وماروت مع أن هذين الملكين ماكانا يعلمان احدا حتى يقولا له انما نعلمك ما يؤدى الى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره . وتوق العمل به . ولكن الناس لم ينتصحوا بهذه النصيحة . فاستخدموا مما تعلموه منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه . نعم كفر هؤلاء الشياطين الفجرة اذ تقولوا هذه الأقاويل من اقاويلهم واساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر ، وما هم بضارين بسحرهم هذا من أحد ، ولكن الله هو الذى يأذن بالضرر أن شاء ، وان ما يؤخذ عنهم من سحر ليضر من تعلمه فى دينه ودنياه ولا يفيده شيئا ، وهم انفسهم يعلمون حق العلم أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ فى نعيم الآخرة ، ولبئس ما اختاروه لانفسهم لو كانت بهم بقية من علم .

١٠٣ — ولو انهم آمنوا بالحق وخافوا مقام ربهم لأثابهم الله ثوابا حسنا ، ولكن ذلك خيرا مما يلقونه من اساطير ويضمرونه من خبث لو كانوا يميزون النافع من الضار .

١٠٤ — يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم من هؤلاء اليهود فلا تقولوا للرسول حينما يتلو عليكم الوحى : (راعنا) قاصدين أن يجعلكم موضع رعايته ، ويتمهل عليكم فى تلاوته حتى تعوه وتحفظوه ، لأن خبثاء اليهود يتظاهرون بمحاكاتكم فى ذلك ، ويلوون ألسنتهم بهذه الكلمة حتى تصير مطابقة لكلمة سباب يعرفونها ويوجهونها للرسول ليسخروا منه فيما بينهم ، ولكن استخدموا كلمة أخرى لا يجد اليهود فيها مجالا لخبثهم وسخريتهم ، فقولوا : (انظرنا) وأحسنوا الاصغاء الى ما يتلوه عليكم الرسول ، وأن الله ليدخر يوم القيامة عذابا اليما لهؤلاء المستهزئين بالرسول .





أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن
رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ
أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

١٠٥ ــ ولتعلموا أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين من عبدة الأصنام لا يرجون الا ضرركم ولا يودون أن ينزل عليكم خير من ربكم ، والله لا يقيم وزنا لما يرجون وما يكرهون ، فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

١٠٦ ــ ولقد طلبوا منك يا محمد أن تأتيهم بالمعجزات التى جاءهم بها موسى وأنبياء بنى اسرائيل ، وحسبنا أننا أيدناك بالقرآن ، وأننا اذا تركنا تأييد نبى متأخر بمعجزة كانت لنبى سابق ، أو أنسينا الناس أثر هذه المعجزة فاننا نأتى على يديه بخير منها أو مثلها فى الدلالة على صدقه ، فالله على كل شىء قدير .

١٠٧ ــ وهو الذى بيده ملكوت السموات والارض ، وليس لكم أيها الناس من دونه ولى يعينكم ، ولا سند ينصركم .

١٠٨ ــ لعلكم تريدون باقتراحكم معجزات معينة على رسولكم محمد ، أن تحاكوا بنى اسرائيل المعاصرين لموسى ، اذ طلبوا اليه معجزات خاصة ، أن اقتراحكم هذا ليخفى وراءه العناد والجنوح الى الكفر ، كما كان يخفى ذلك اقتراح بنى اسرائيل على رسولهم ومن يؤثر العناد والكفر على الاخلاص للحق والايمان ، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم .

١٠٩ ــ ولقد تمنى كثير من اليهود أن يردوكم ــ أيها المسلمون ــ الى الكفر بعد ايمانكم ، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق ، وما ذلك الا لأنهم يحسدونكم ويخشون أن ينتقل اليكم السلطان ويفلت من ايديهم فاعرضوا عنهم ، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم فهو القادر على أن يمكنكم منهم ، وهو على كل شىء قدير .

١١٠ ــ وحافظوا على شعار دينكم ، فأقيموا الصلاة ، وأعطوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدقة تجدوا ثوابه عند الله ان الله بما تعملون عليم ، علم من يبصر ويرى .

عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ
ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ
قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ
وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ
عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ
يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ
فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ
فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ
لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾
وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ

١١١ ـــ ومن اباطيل اليهود والنصارى وامانيهم الكاذبة ، ما يزعمه كل منهم من ان الجنة لن يدخلها الا من كان على دينه . فلتطلبوا اليهم أن يأتوا ببرهان على ذلك ان كانوا صادقين .

١١٢ ـــ ولن يجدوا على ذلك برهانا ، فالحق أن الذين يدخر لهم الله تعـالى نعيم الجنة ويثيبهم يوم القيامة ويقيهم الخوف والحزن هم الذين يخلصون لله ويتبعون الحق ، ويحسنون ما يؤدونه من أعمال .

١١٣ ـــ ومن عجب أنهم كما يعادون الاسلام يعادى بعضهم بعضا ، فيقول اليهود : ليست النصارى على شيء من الحق ، ويقول النصارى فى اليهود مثل ذلك . وكلاهما يستدل بأسفاره ، ويقول المشركون من العرب الذين لا يعلمون شيئا عن الكتب المنزلة فى اليهود والنصارى معا ما يقوله كلاهما فى الآخر ولقد صدقوا جميعا فى ذلك . فليس منهم فريق على حق ، وسيتبين ذلك حينما يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

١١٤ ـــ ومن مظاهر عدائهم بعضهم لبعض ، وعدائهم للمسلمين ، أن بعض طوائفهم خربت معابد الطوائف الاخرى ، وأن المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام ، وليس ثمة أحد أشد ظلما ممن يحول دون ذكر الله فى أماكن العبادة ويسعى فى خرابها ، فأولئك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . وما كان لهم أن يقترفوا مثل هذا الجرم الخطير ، وانما كان ينبغى ان يحفظوا للمعابد حرمتها ، فلا يدخلوها الا خاشعين ، ولا يمنعوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله .

***

١١٥ ـــ واذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصلاة فى المسجد الحرام ، فلن يمنعهم هذا من الصلاة وعبادة الله ، فجميع الجهات وجميع البقاع فى الأرض لله ، وأن الله ليتقبل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أيا كانت البقعة التى يؤدى فيها عبادته ، فالله واسع لا يضيق على عباده ، وهو عليم بنية من يتجه اليه .

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ
أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ
تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ
أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ
تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

١١٦ — ومن كان هذا شأنه ، وكان جميع ما فى الكون مسخرا لأمره ، خاضعا لمشيئته ، فهو ارفع واجل من أن يحتاج لنسل او يتخذ ولدا كما يقول هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون .

١١٧ — وكيف يحتاج لنسل أو يتخذ ولدا من أبدع السموات والأرض واذعن كل ما فيها لارادته فلا يستعصى شىء عليه ، واذا اراد أمرا فانما يقول له : كن ، فيكون ؟ .

١١٨ — هذا ويمعن المشركون من العرب فى عنادهم لمحمد ، فيطلبون اليه مثل ما طلبته الأمم السابقة من انبيائهم ، فقد قالوا : أنهم لن يؤمنوا به الا اذا كلمهم الله وجاءتهم آية حسية تدل على صدقه ، كما قال بنو اسرائيل لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله ويكلمنا ، وكما طلب اصحاب عيسى اليه ان ينزل عليهم مائدة من السماء ، وما ذلك الا لأن قلوب الكفار والمعاندين فى كل امة متشابهة ، وانه لا يستبين الحق الا من صفت بصائرهم وأذعنت عقولهم لليقين ، وطلبت الحق .

١١٩ — وقد ارسلناك بحقائق يقينية بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين، وليس عليك الا تبليغ رسالتنا ، ولن تسأل عن عدم ايمان من لم يؤمن بك من اصحاب الجحيم .

١٢٠ — فلا ترهق نفسك فى استرضاء المعاندين من اليهود والنصارى ، فان هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم التى يزعمون انها الهدى ، وليس ثمة هدى الا هدى الله فى الاسلام ، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما انزلناه اليك من الحق ، فلن يكون له يوم القيامة من دون الله ولى يعينه، ولا نصير يدفع عنه العذاب .

***

١٢١ — غير أن ثمة فريقا من اليهود والنصارى قد تفقهوا فى اسفارهم الأصيلة ، وتلوها حق التلاوة ، وفطنوا الى ما دخلها من تحريف ، فأولئك



هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ
أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ
يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ
وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ
إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾
وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ
إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا
بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾
وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ
أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ
قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ



يؤمنون بحقائقها ويؤمنون تبعا لذلك بالقرآن ، ومن يكفر بكتاب منزل فأولئك هم الخاسرون .

١٢٢ ــ يا بنى اسرائيل آمنوا ، واذكروا نعمتى العظيمة التى انعمت بها عليكم باخراجكم من ظلم فرعون واغراقه ، واعطائكم المن والسلوى وبعث الأنبياء فيكم وتعليمكم الكتاب وغير ذلك مما شرفتكم به ، وأنى فضلتكم وقتا من الزمان على الناس فى جعل مصدر النبوات منكم .

١٢٣ ــ وخافوا عقاب الله فى يوم لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها فداء ، ولا تنفعها شفاعة ، ولا يجد فيه الكافرون نصيرا لهم من دون الله .

١٢٤ ــ واذكروا اذ ابتلى الله جدكم ابراهيم بتكاليف فقام بها على أتم وجه ، فقال له : انى جاعلك للناس أماما ، يتبعونك ويقتدون بك ، فطلب ابراهيم من ربه أن يجعل من ذريته ائمة كذلك ، فأجابه بأن هذا لن يصل اليه منهم الظالمون ، وأشار انه سيكون من ذريته الأبرار والفجار .

١٢٥ ــ واذكروا كذلك قصة بناء ابراهيم مع ابنه اســـماعيل لبيت الله الحرام بمكة ، وفى هذه القصة عظة بالغة لمن كان له قلب سليم ، فلتذكروا اذ جعلنا هذا البيت ملاذا للخلق ومأمنا لكل من يلجأ اليه ، واذا أمرنا الناس بأن يتخذوا من موضع قيام ابراهيم لبناء الكعبة مكانا يصلون فيه ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان يصونا البيت مما لا يليق بحرمته ، وأن يهيئاه تهيئة صالحة لمن يؤمه من الطائفين والمعتكفين والمصلين .

***

١٢٦ ــ واذكروا اذ طلب ابراهيم الى ربه ان يجعل البلد الذى سينشأ حول البيت بلدا آمنا ، وأن يرزق من ثمرات الارض وخيراتها من آمن من اهله بالله واليوم الآخر ، فأجابه الله بأنه لن يضن على الكافر نفسه بالرزق فى أثناء

ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ
مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً
مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ
إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

حياته القصيرة ، ثم يلجئه يوم القيامة الى عذاب جهنم ، ولبئس المصير .. مصير هؤلاء .

١٢٧ ــ واذ يرفع ابراهيم هو وابنه اسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله : ربنا يا خالقنا وبارئنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك ، فأنت السميع لدعائنا العليم بصدق نياتنا (١) .

١٢٨ ــ ربنا وفقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريتنا جماعة مخلصة لك ، وعلمنا طريقة عبادتنا لك فى بيتك الحرام وما حوله ، وتب علينا أن نسينا أو أخطأنا انك أنت كثير القبول لتوبة عبادك ، الغافر لهم بفضلك ورحمتك .

١٢٩ ــ ربنا وابعث فى ذريتنا رسولا منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلمهم ما يوحى اليه به من كتاب وعلم نافع وشريعة محكمة ، ويطهرهم من ذميم الاخلاق ، انك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تفعل وما تأمر به وما تنهى عنــه .

١٣٠ ــ ولنعم ما فعله ابراهيم وما دعا الله به ، وما أتبعه من ملة قويمة ، وأنه لا يعرض عن ملة ابراهيم الا من امتهن انسانيته وعقله ، ولقد اصطفاه الله فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين المقربين .

١٣١ ــ ولقد استجاب لامر ربه حينما طلب الله اليه أن يذعن فقــال : أذعنت لرب العالمين جميعا من جن وانس وملائكة .

١٣٢ ــ ولم يكتف بذلك بل أوصى بنيه بأن يسيروا على هديه ، وحاكاه حفيده يعقوب : فأوصى هو الآخر بنيه كذلك أن يتبعوا هذا السنن ، وبين لابنائه أن الله اصطفى لهم دين التوحيد واخذ عليهم العهد الا يموتوا الا وهم مسلمون ثابتون على هذا الدين .

---

(١) الكعبة بيت الله الحرام بمكة أقدم الاماكن المقدسة وكان العرب يحجون اليها قبل الاسلام منذ عهد ابراهيم ، والمتواتر فى أمر البيت أن ابراهيم واسماعيل هما أول من رفع قواعده وقيل أن أول بناء بنته الملائكة من أحجار الجنة عند هبوط آدم الى الارض وظلت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى أن جددها قصى بن كلاب الجد الخامس للنبى العربى محمد صلى الله عليه وسلم ثم جددت بعد ذلك فى العصور الاسلامية غير مرة وكان آخرها البناء الذى حدث سنة ١٠٤٠ هجرية الموافق ١٦٣٠ ميلادية وهو الذى يطوف به المسلمون الآن .

ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾
قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ
فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

١٣٣ — ولقد زعمتم أيها اليهود انكم تسيرون على الدين الذى مات عليه يعقوب ، فهل كنتم شهداء اذ حضره الموت فعرفتم الملة التى مات عليها ؟ الا فلتعملوا أن يعقوب وأبناءه كانوا مسلمين موحدين ولم يكونوا يهودا مثلكم ولا نصارى ، وأن يقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأجابوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له خاضعون .

١٣٤ — ثم مالكم أيها اليهود والجدل فى هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ثم لهم وحدهم ما كسبوا فى حياتهم ، فلن تسألوا عن اعمالهم ، ولن يفيدكم شىء منها ، ولن يكون لكم الا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٣٥ — ولكنهم لا ينفكون يمعنون فى لجاجهم ويزعم كل فريق منهم أن ملته هى الملة المثلى ، فيقول لكم اليهود : كونوا يهودا تهتدوا الى الطريق القويم ، ويقول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا الى الحق المستقيم ، فلتردوا عليهم بأننا لا نتبع هذه الملة ولا تلك ، لان كلتيهما قد حرفت وخرجت عن اصولها الصحيحة ، ومازجها الشرك ، وبعدت عن ملة ابراهيم ، وانما نتبع الاسلام الذى أحيا ملة ابراهيم نقية طاهرة .

١٣٦ — قولوا لهم : آمنا بالله وما أنزل الينا فى القرآن ، وآمنا كذلك بما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وبنيه الأسباط ، وبالتوراة التى أنزلها الله على موسى غير محرفة ، والانجيل الذى أنزله الله على عيسى غير محرف ، وبما أوتى جميع النبيين من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض ، ونحن فى هذا كله مذعنون لأمر الله .

١٣٧ — فان آمنوا ايمانا مطابقا لايمانكم فقد اهتدوا ، وأن تمادوا فى عنادهم واعراضهم فانما هم فى نزاع مستمر وخلاف معكم ، وسيكفيكم الله أمرهم يأيها النبى ، ويريحك من لجاجهم وشقاقهم ، فهو السميع لما يقولون ، العليم بما عليه صدورهم .

مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ
مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ
أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾



۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى
كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ
وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

١٣٨ ـ قولوا لهم : ان الله قد هدانا بهدايته ، وأرشدنا الى حجته ، ومن أحسن من الله هداية وحجة ، واننا لا نخضع الا لله ، ولا نتبع الا ماهدانا وأرشدنا اليه .

١٣٩ ـ قولوا لهم : أتجادلوننا في الله زاعمين انه لا يصطفى أنبياء الا منكم ؟ وهو ربكم وربنا كل شيء ، لا يختص به قوم دون قوم ، يصيب برحمته من يشاء ، ويجزى كل قوم بأعمالهم ، غير ناظر الى انسابهم ، ولا احسابهم، وقد هدانا الطريق المستقيم فى أعمالنا ، ورزقنا صفة الاخلاص له .

١٤٠ ـ قولوا لهم : اتجادلوننا في ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وابنائه الأسباط ، زاعمين أنهم كانوا يهودا أو نصارى مثلكم ، مع اننا ما أنزلنا التوراة والانجيل اللذين قامت عليهما اليهودية والنصرانية الا من بعد هؤلاء ، وقد اخبرنا الله بذلك ، أفأنتم اعلم ام الله ؟ بل أن الله قد اخبركم انتم بذلك فى اسفاركم ، فلا تكتموا الحق المدون فى اسفاركم هذه ، ومن أظلم ممن كتم حقيقة يعلمها من كتابه ، وسيجازيكم الله على ما تلجون فيه من باطل ، فما الله بغافل عما تعملون (١) .

١٤١ ـ ثم ما لكم أيها اليهود والنصارى والجدل في هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ، لهم ما كسبوا فى حياتهم ، ولن تسألوا عن اعمالهم ، ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم الا ما كسبتم انتم من أعمال .

١٤٢ ـ ان ضعاف العقول الذين أضلتهم أهواؤهم عن التفكر والتدبر من اليهود والمشركين والمنافقين سينكرون على المؤمنين تحولهم من قبلة بيت المقدس التى كانوا يصلون متجهين اليها ويعتقدون أنهاأحق الى قبلةأخرى وهى الكعبة . فقل لهم أيها النبى : ان الجهات كلها لله ، لا فضل لجهة على أخرى بذاتها ، بل الله هو الذى يختار منها مايشاء ليكون قبلة للصلاة،وهو يهدى بمشيئته كل أمة من الامم الى طريق قويم يختاره لها ويخصها به ، وقد جاءت الرسالة المحمدية فنسخت ما قبلها من الرسائل ، وصارت القبلة الحقة هى الكعبة (٢) .

---

(١) تعاقب القوانين الوضعية فى مختلف الدول على شهادة الزور وهى قول غير الحق ويعاقب عليها القرآن أيضا ولكن هذه الآية تجعل مجرد كتمان الشهادة اثما وظلما وهى جريمة ليس لها حد أى عقوبة معينة فى الشريعة الاسلامية والعقاب عليها متروك لولى الامر فهى داخلة فى باب التعزير .

(٢) كان تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة على رأس نحو سبعة عشر شهرا من مقدم النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة .



ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ
فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ
ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ
وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم
مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ
وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣ ــ ولهذه المشيئة هديناكم الى الطريق الأقوم وجعلناكم أمة عدولا خيارا بما وفقناكم اليه من الدين الصحيح والعمل الصالح لتكونوا مقررى الحق بالنسبة للشرائع السابقة ، وليكون الرسول مهيمنا عليكم،يسددكم بارشاده فى حياته ، وبنهجه وسنته بعد وفاته ، وأما القبلة بيت المقدس التى شرعناها لك حينا من الدهر فانما جعلناها امتحانا للمسلمين ليتميز من يذعن فيقبلها عن طواعية ، ومن يغلب عليه هوىتعصبه العربى لتراث ابراهيم فيعصى أمر الله ويضل عن سواء السبيل . ولقد كان الأمر بالتوجه الى بيت المقدس من الأمور الشاقة الا على من وفقه الله بهدايته ، وكان امتثال هذا الأمر من أركان الايمان ، فمن استقبل بيت المقدس حين الأمر باستقباله فلن يضيع عليه ايمانه وعبادته رأفة من الله ورحمة .

١٤٤ ــ ولقد رأينا كيف كنت تتطلع الى السماء عسى أن ينزل الوحى بتغيير قبلة بيت المقدس الى الكعبة التى تحبها لانها قبلة ابراهيم أبى الأنبياء، وأبى اليهود والعرب ، وبها مقام ابراهيم،فهى لهذا القبلة الجامعة وان كانت تخالف قبلة اليهود ، فهانحن أولاء نؤتيك سؤلك ، فاستقبل فىصلاتك المسجد الحرام ، واستقبلوه كذلك أيها المؤمنون فى أى مكان تكونون . وأن أهل الكتاب الذين ينكرون عليكم التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا فى كتبهم أنكم أهل الكعبة ، وعلموا ان أمر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة ، وأن هذا هو الحق من ربهم ، ولكنهم يريدون فتنتكم وتشكيككم فى دينكم ، والله ليس غافلا عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

١٤٥ ــ وما كان انكار أهل الكتاب عليكم لشبهة تزيلها الحجة ، بل هو انكار عناد ومكابرة ، فلئن جئتهم أيها الرسول بكل حجة قطعية على أنقبلتك هى الحق ما تبعوا قبلتك ، واذا كان اليهود منهم يطمعون فى رجوعك الى قبلتهم ويعلقون أسلامهم على ذلك فقد خاب رجاؤهم وما أنت بتابع قبلتهم ، وأهل الكتاب انفسهم يتمسك كل فريق منهم بقبلته : فلا النصارى يتبعون قبلة اليهود ولا اليهود يتبعون قبلة النصارى ، وكل فريق يعتقد أن الآخر ليس على حق ، فاثبت على قبلتك ولا تتبع أهواءهم ، فمن اتبع أهواءهم بعد العلم ببطلانها والعلم بأن ما عليه هو الحق فهو من الظالمين الراسخين فىالظلم .

١٤٦ ــ وأن أهل الكتاب ليعلمون أن التحويل الى القبلة حق،ومسلمون انك النبى المنعوت فى كتبهم بنعوت من جملتها انه يصلى الى الكعبةومعرفتهم نبوتك وقبلتك كمعرفتهم أبناءهم فى الوضوح والجلاء ، ولكن بعضهم يخفون هذا الحق على علم اتباعا لهواهم ، وتعصبا باطلا لملتهم حفظا على سلطانهم ، ويحاولون تضليلكم .



ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١٤٧) وَلِكُلٍّ
وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟
يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ
وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى
وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠) كَمَآ أَرْسَلْنَا
فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ (١٥١)
فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

١٤٧ ــ وانما الحق هو ما صدر لك من الله تعالى لا ما يضلل به أهل الكتاب ، فكونوا على يقين منه ، ولا تكونوا من أهل الشك والتردد ، ومن ذلك الحق أمر القبلة فامضوا عليه ولا تبالوا المعارضين .

١٤٨ ــ ان هذه القبلة التى حولناك اليها هى قبلتك وقبلة أمتك ، وكذلك لكل أمة قبلة تتجه اليها فى صلاتها حسب شريعتها السابقة وليس فى ذلك شيء من التفاضل ، وانما التفاضل فى فعل الطاعات وعمل الخيرات ، فسارعوا الى الخيرات وتنافسوا فيها ، وسيحاسبكم الله على ذلك فانه سيجمعكم يوم القيامة من أى موضع كنتم ، ولن يفلت منه أحد ، وبيده كل شيء بما فى ذلك الاماتة والاحياء والبعث والنشور .

١٤٩ ــ فاستقبل المسجد الحرام فى صلاتك من كل مكان كنت فيه ، ســـواء اكان ذلك فى حال اقامتك أم فى حـــال سفرك وخروجك من مكان اقامتك ، وأن هذا لهو الحق الموافق لحكمة ربك الرفيق بك ، فاحرص عليه أنت وأمتك ، فان الله سيجازيكم أحسن الجزاء . والله عالم علما لا يخفى عليه شيء من عملكم .

١٥٠ ــ والتزم أمر الله فى القبلة واحرص عليه أنت وأمتك ، فاجعل وجهك فى ناحية المسجد الحرام من كل مكان خرجت اليـــه فى أسفارك ، واستقبلوه حيثما كنتم من أقطار الارض مسافرين أو مقيمين ، لينقطع مايحاجكم به المخالفون ويجادلونكم به اذا لم تمتثلوا لأمر هذا التحويل، فسيقول اليهود : كيف يصلى محمد الى بيت المقدس والنبى المنعوت فى كتبنا من أوصافه التحول الى الكعبة ؟ وسيقول المشركون العرب ، كيف يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته ؟ على أن الظالمين الزائغين عن الحق من الجانبين لن ينقطع جدالهم وضلالهم ، بل سيقولون : ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ، فلا تبالوا بهم فان مطاعنهم لا تضركم ، واخشونى فلا تخالفوا أمرى ، وقد أردنا بهذا الأمر أن نتم النعمة عليكم وأن تكون هذه القبلة التى وجهناكم اليها أدعى الى ثباتكم على الهداية والتوفيق .

١٥١ ــ وان توجيهكم الى المسجد الحرام لهو بارسالنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيات من اتمام نعمتنا عليكم كما أتممنا عليكم النعمة ــ القرآن ــ ويطهر نفوسكم عمليا من دنس الشرك وسيىء الأخلاق والعادات ويكلمكم علميا بمعارف القرآن والعلوم النافعة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فقد كنتم فى جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

١٥٢ ــ فاذكرونى أيها المؤمنون بالطاعة أذكركم بالثواب ، واشكروا لى ما اسبغت عليكم من النعم ولا تجحدوا هذه النعم بعصيان ما أمرتكم به .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم
بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ



١٥٣ — واستعينوا أيها المؤمنون فى كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الأمور الشاقة والصلاة التى هى أم العبادات ، ان الله بقدرته القاهرة مع الصابرين فهو وليهم وناصرهم .

١٥٤ — ولن يؤدى الصبر الا الى الخير والسعادة فى الدارين ، فلا تقعدوا عن الجهاد فى سبيل الله ، ولا ترهبوا الموت فيه ، فمن مات فى الجهاد ليس بميت بل هو حى حياة عالية وان كان الأحياء لا يحسون بها .

١٥٥ — والصبر درع المؤمن وسلاحه الذى يتغلب به على الشدائد والمشاق ، وسيصادفكم كثير من الشدائد فسنمتحنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلة الزاد والنقص فى الأموال والانفس والثمرات ، ولن يعصمكم فى هذا الامتحان القاسى الا الصبر ، فبشر يأيها النبى الصابرين بالقلب وباللسان .

١٥٦ — الذين اذا نزل بهم مايؤلمهم يؤمنون ان الخير والشر من الله، وان الامر كله لله فيقولون : انا ملك لله تعالى ، وراجعون اليه ، فليس لنا من أمرنا شىء ، ولله الشكر على العطاء وعلينا الصبر عند البلاء ، وعند المثوبة والجزاء،

١٥٧ — فهؤلاء الصابرون المؤمنون بالله لهم البشارة الحسنة بغفران الله واحسانه ، وهم المهتدون الى طريق الخير والرشاد .

١٥٨ — وكما أن الله رفع شأن الكعبة بجعلها قبلة الصلاة ، رفع أمر الجبلين اللذين يشارفانها وهما الصفا والمروة فجعلهما من مناسك الحج، فيجب بعد الطواف السعى بينهما سبع مرات ، وقد كان منكم من يرى فى ذلك حرجا لأنه من عمل الجاهلية ، ولكن الحق أنه من معالم الاسلام ، فلا حرج على من ينوى الحج أو العمرة أن يسعى بين هذين الجبلين ، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فان الله عليم بعمله ومثيبه عليه .

١٥٩ — وأولئك الذين انكروا عليكم أمر دينكم فريقان : فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحق ويخفونه على علم وعناد ، وفريق المشركين الذين



ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ
ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ

عميت قلوبهم عن الحق ، فاتخذوا أربابا من دون الله ، فأهل الكتاب الذين عرفوا براهين صدقك ، تبينوا الحق فى دينك ثم أخفوا هذه الدلائل وكتموها الناس ، أولئك يصب الله عليهم غضبه ويبعدهم عن رحمته ، ويدعو عليهم الداعون من الملائكة ومؤمنى الثقلين بالطرد من رحمة الله .

١٦٠ — ولا يستثنى منهم الا من تاب وأحسن فرجع عن الكتمان وتدارك أمره باظهار ما كان يخفيه من وصف الرسول والاسلام فان الله يتقبل توبته ويمحو ذنبه ، فهو الذى يقبل التوبة من عباده رأفة منه ورحمة .

١٦١ — أما الذين استمروا على الكفر ، وماتوا على ذلك دون توبة ولا ندم ، فجزاؤهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

١٦٢ — وسيستمرون فى هذه اللعنة وفى النار ، لا يخفف عنهم العذاب ، ولن يمهلوا ويؤخروا ، ولو طلبوا الامهال والتأخير لم يجابوا اليه .

١٦٣ — ان الهكم الذى ينفرد بالعبودية واحد ، فلا اله غيره ،ولاسلطان لسواه ، ثم هو قد اتصف بالرحمة فهو رحيم بعباده فى انشائهم وتكوينهم .

١٦٤ — وقد أقام دلائل وآيات لكل ذى عقل على وجوده وألوهيته ، ومن ذلك السموات التى ترونها تسير فيها الكواكب بانتظام دون تزاحم ولا صدام تبث الحرارة والنور لهذا العالم ، والأرض وما فيها من البر والبحر ، وتعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من المنافع ، وما يجرى فى البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ، ولا يسيرها الا الله فهو الذى يرسل الرياح التى يسير بها المطر ينزل فيحيى الحيوان ويسقى الارض والنبات ، والرياح وهبوبها فى مهابها المختلفة ، والسحاب المعلق بين السماء والأرض . أفقامت هذه الاشياء كلها بهذا الاتقان والاحكام من تلقاء نفسها أم هى صنع العليم القدير ؟ (١)

---

(١) سبقت هذه الآية ما قرره العلم من أن الكون المرئى يعج باجرام سماوية وتوجه الآية نظر الانسان الى ما فى الوجود من حقائق علمية ينطوى تحتها خلق أجرام السماء المتباينة والنظم التى تحكمها والافلاك التى تسير فيها وكذلك دوران الارض حول محورها مما يسبب تتابع الليل والنهار . ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الارض ، والى الماء الذى ينزل من السماء فى دورات متتابعة تبدأ بتبخر ماء البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الارض وكذلك تشير الآية الى الرياح ودورانها وان الدارس لهذه الحقائق لابد أن يلمس قدرة الله تعالى .

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ
ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ
عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ
مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ
وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ
كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً

١٦٥ — ومع هذه الدلائل الواضحة اتخذ بعض الناس ممن ضلت عقولهم أربابا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم كعبادة الله ويجعلونهم مثل الله،والمؤمن يسلم القيادة لله وحده وطاعته له لا تنقطع ، أما هم فان ولاءهم لآلهتهم يتزلزل عند النوائب فيلجئون الى الله سبحانه ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عاينوا ما سينالهم من العذاب يوم الجزاء ، حين ينكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده ، لانتهوا عن جرمهم وأقلعوا عن اثمهم .

١٦٦ — فى ذلك اليوم يرجو الأتباع أن ينجيهم رؤساؤهم من الضلال فيتنكرون لهم ويتبرءون منهم ويقولون : ما دعوناكم لطاعتنا فى معصية ربكم وانما هو هواكم وسوء تصرفكم ، وتنقطع بينهم الصلات والمودات التى كانت بينهم فى الدنيا ويصير بعضهم لبعض عدوا .

١٦٧ — وهنا يتبين الأتباع أنهم كانوا فى ضلال حين اتبعوا رؤساءهم فى الباطل ويتمنون ان يعودوا الى الدنيا فيتنكروا لرؤسائهم كما تبرءوا منهم فى هذا اليوم ، وتبدو لهم أعمالهم السيئة فتكون حسرات عليهم ويندمون ، وقد ألقى بهم فى النار فلا يبرحونها .

١٦٨ — يأيها الناس كلوا مما خلق الله فى الأرض من الحلال الذى لم ينزل تحريمه ، المستطاب الذى تستسيغه النفوس،ولاتسيروا وراءالشيطان الذى يزين لكم أكل الحرام أو تحريم الحلال ، فقد علمتم عداوة الشيطان ، وبان قبيح ما يأمركم به .

١٦٩ — وانما يزين لكم الشيطان ما هو سيىء فى ذاته ، ويضركم فى عافيتكم وما يقبح فعله : وتسيرون بسببه وراء الظنون والأوهام ، فتنسبون الى الله من التحريم والتحليل ما لم يأت دليل عليه من العلم اليقين .

١٧٠ — وقد اعتاد الضالون عن سبيل الهدى ان يتمسكوا بما توارثوا عن آبائهم فى العقيدة والعمل ، واذا دعوا الى ما جاء من هدى الله قالوا : لانعدل عماوجدنا عليه آباءنا،ومن أكبر الجهل ترجيح اتباع الآباء على اطاعة الله واتباع هداه ، فكيف اذا كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يستنيرون بنور الهداية والايمان ؟ .

١٧١ — وأن مثل ما يدعو اولئك الكافرين الجاحدين الى الحق والهدى فلا يستجيبون له ولا يفقهون ما يدعوهم اليه كمثل راعى الغنم يناجيها ، فلا تفقه منه شيئا ولايقرع سمعها الا الصوت ولاتعى غيره ، فهم كذلك عن الحق



صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ
وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ
فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ (١٧٦) * لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ



صم الآذان ، عمى البصائر ، خرس الألسنة ، لا ينطقون بخير ، ولا يصدرون عن عقل .

١٧٢ ــ لقد أبحنا للناس كل حلال (١) خلقناه لهم فى الارض ، ونهيناهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ، فان فعلوا اهتدوا ، وان أبوا فانا نخص المؤمنين بهدايتنا ونبين الحلال والحرام ، فيأيها الذين آمنوا أبيح لكم أن تأكلوا من لذيذ الطعام الطيب غير الخبيث ، فاشكروا الله على ما أولاكم من نعمة التمكين من الطيبات واباحتها ومن نعمة الطاعة والامتثال لأمره لتتم عبادتكم .

١٧٣ ــ وليس المحرم ما زعمه المشركون وما زعمه اليهود ، وانما المحرم عليكم أيها المؤمنون الميتة التى لم تذبح من الحيوان ، ومثله فى التحريم لحم الخنزير ، وما ذكر على ذبحه غير اسم الله من الوثن ونحوه ، على أن من اضطر (٢) الى تناول شىء من هذه المحظورات لجوع لا يجد ما يدفعه غيرها أو لاكراه على أكله فلا بأس عليه ، وليتجنب سبيل الجاهلية من طلب هــذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع .

١٧٤ ــ هذا وقد كان من العالمين بما أنزل الله فريق يخفى بعض الوحى لقاء عرض من أعراض الدنيا : فان اليهود كتموا كثيرا مما جاء فى التوراة من نعت الرسول خشية أن يسلم أهل ملتهم فيزول أمرهم وتضيع مكاسبهم ولذيذ مطاعمهم ، وأن مطاعمهم من هذا السبيل لهى كالنار يأكلونها،لأنها ستقودهم الى النار ، وسيعرض الله عنهم يوم القيامة ، ولايطهرهم من دنسهم،وأمامهم عذاب شديد موجع .

١٧٥ ــ وأولئك هم الآثمون الذين اختاروا الضلالة على الهدى فاستحقوا العذاب فى الآخرة بدل الغفران ، فكانوا كمن يشترى الباطل بالحق ، ومافيه ضلال بما فيه هداية ، وان حالهم لتدعو الى العجب ، اذ يصبرون على موجبات العذاب ويستطيبون ما يؤدى بهم اليــه .

١٧٦ ــ ولقد استوجبوا ما قدر لهم من الجزاء لكفرهم بكتاب الله الذى انزله بالحق والصدق ، ولقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا ، دفع اليه حب الجدل ومجانبة الحق والانقياد للهوى ، فحرفوه وأفسدوه وفسروه بغير معانيه .

---

(١) سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة لأن ما يموت بشيخوخة أو مرض يكون موته بسبب مواد سامة ضارة تصل الى من يأكله ، وفوق ذلك فان الموت بالاختناق ، أو المرض ينحبس فيه الدم ، وفيه مواد ضارة كثيرة يشتمل عليها العرق والبول ، والخنزير ينقــــل الامراض الخطيرة مثل التنيا كما أنه الحيوان الوحيد الذى يصاب بالتركينا التى تصيب آكله اذا أكله .

(٢) حال الاضطرار تسوغ ما يحرم لأن الموت المؤكد أشد من الضرر المحتمل ولأن الجائع تتنبه أجهزة هضمه فيتغلب على المواد الضارة ولذا لا يصح للمضطر أن يتجاوز حد الضرورة ، ولا يبغى ما اضطر اليــــه .

وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ
فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ
فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ
حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

١٧٧ — لقد أكثر الناس الكلام فى أمر القبلة كأنها هى وحدها الخير ، وليس هذا هو الحق ، فليس استقبال جهة معينة فى المشرق أو المغرب هو قوام الدين وجماع الخير ، ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة ، وبعضها من أمهات الفضائل والعبادات ، فالأول هو : الايمان بالله ويوم البعث والنشور والحساب وما يتبعه يوم القيامة ، والايمان بالملائكة وبالكتب المنزلة على الأنبياء وبالانبياء انفسهم . والثانى هو : بذل المال عن رغبة وطيب نفس الفقراء من الأقارب واليتامى ، ولمن اشتدت حاجتهم وفاتتهم من الناس ، وللمسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلا يجدون مايبلغهم مقصدهم ، وللسائلين الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال ولفرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق : وثالثها : المحافظة على الصلاة . ورابعها : اخراج الزكاة المفروضة . وخامسها : الوفاء بالعهد فى النفس والمال . وسادسها : الصبر فى الأذى ينزل بالنفس أو المال ، أو وقت مجاهدة العدو فى مواطن الحروب . فالذين يجمعون هذه العقائد والاعمال الخيرة هم الذين صدقوا فى ايمانهم ، وهم الذين اتقوا الكفر والرذائل وتجنبوها .

١٧٨ — ومن الشرائع التى فرضناها على المؤمنين ، أحكام القتل العمد ، فقد فرضنا عليكم القصاص بسبب القتل ، ولا تأخذوا بظلم أهل الجاهلية (١) الذين كانوا يقتلون الحر غير القاتل بالعبد ، والذكر الذى لم يقتل بالأنثى ، والرئيس غير القاتل بالمرءوس القاتل دون مجازاة القاتل نفسه ، فالحر القاتل يقتل بالحر المقتول ، وكذلك العبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فأساس القصاص هو دفع الاعتداء فى القتل بقتل القاتل للتشفى والبغى ، فان سمت نفوس أهل الدم ودفعوا بالتى هى أحسن فآثروا العفو عن اخوانهم وجب لهم دية قتيلهم ، وعلى أولياء الدم اتباع هذا الحكم بالتسامح دون اجهاد للقاتل أو تعنيف ، وعلى القاتل اداء الدية دون مماطلة أو بخس ، وفى حكم القتل الذى فرضناه على هذا الوجه تخفيف على المؤمنين بالنسبة الى حكم التوراة الذى يوجب فى القتل القصاص ، كما فيه رحمة بهم بالنسبة الى الذين يدعون الى العفو من غير تعرض للقاتل ، فمن جاوز هذا الحكم بعد ذلك فله عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .

١٧٩ — وان رحمة الله بكم لعظيمة فى فرض القصاص عليكم ، فبفضل القصاص عليكم يتحقق للمجتمع حياة آمنة سليمة . وذلك أن من يهم بالقتل اذا

---

(١) كان العرب فى الجاهلية لا يسوون بين الاشراف والضعفاء فاذا قتل زعيم لا يكتفى بقاتله بل قد يترك القاتل ليقتص من زعيم قبيلة القاتل فالدماء عندهم ليست متساوية والنفوس ليست واحدة وما كان الاسلام ليسمح بهذا بل شرع القصاص فالنفس بالنفس فمن قتل يقتل فالحر ايا كان يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والأنثى تقتل بالانثى فهذا موجب المساواة فى الدماء ليس هناك دم أزرق شريف ودم غير شريف.وقد يفهم بالاشارة أن العبد لا يقتل بالحر او الحر لا يقتل بالعبد ولكن صريح العبارة فى آية أخرى وفى أحاديث نبوية نفيد أن القصاص فيه النفس بالنفس وهى شريعة خالدة كانت فى التوراة والانجيل والقرآن فقد قال تعالى : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس » راجع سورة المائدة . والنبى يقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم » ويقول : « النفس بالنفس » .

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ

علم أن فى ذلك هلاك نفسه لم ينفذ ما هم به ، وفى ذلك حياته وحياة من هم بقتله ، واذاقتل الرئيس بالمرءوس وغير المذنب بالمذنب ، كما هو شأن الجاهلية كان ذلك مثارا للفتن واختلال النظام والأمن . فيتدبر أولو العقول مزية القصاص فان ذلك يحملهم على ادراك لطف الله بهم الى سبيل التقوى وامتثال أوامر الله سبحانه .

١٨٠ ــ وكما شرعنا القصاص لصلاح الأمة وحفظ المجتمع ، كذلك شرعنا شريعة فيها صلاح الأسرة وحفظ كيانها وهى شريعة الوصية . فعلى من ظهرت أمامه امارات الموت وعلم انه ميت لا محالة ، وكان ذا مال يعتد به أن يجعل من ماله نصيبا لمن يدرك من والديه وأقاربه ــ الأقربين غير الوارثين ــ وليراع فى ذلك ما يحسن ويقبل فى عرف العقلاء فلا يعطى الغنى ويدع الفقير ، بل يؤثر ذوى الحاجة ولا يسوى الا بين المتساوين فى الفاقة ، وكان ذلك الفرض حقا واجبا على من آثر التقوى واتباع أوامر الدين .

١٨١ ــ واذا صدرت الوصية عن الموصى كانت حقا واجبا لا يجوز تغييره ولا تبديله ، الا اذا كانت الوصية مجافية للعدل ، فمن بدل هذا الحق فغير الوصية العادلة القويمة بعد ما علم هذا الحكم وثبت عنده فقد ارتكب ذنبا عظيما ينال عقابه ، وقد برىء الموصى من تبعته ، ولا يظن أحد أن يفعل ذلك ولا يجازى عليه ، فان الله سميع عليم لا تخفى عليه خافية .

١٨٢ ــ اما اذا كانت الوصية زائغة عن العدل وعن الصراط القويم الذى بيناه بأن حرم الموصى الفقير وأعطى الغنى ، أو ترك الأقربين وراعى الفقراء غير الوارثين الأجانب ، فسعى ساع فى سبيل الخير وأصلح بين الموصى اليهم ليرد الوصية الى الصواب ، فلا اثم عليه فيما يحدثه من تغيير الوصية وتبديلها على هذا الوجه ، ولا يؤاخذه الله على ذلك ، فان الله غفور رحيم .

١٨٣ ــ وكما شرعنا لكم القصاص والوصية لصلاح مجتمعكم ، والحفاظ على أسركم ، شرعنا فريضة الصيام تهذيبا لنفوسكم ، وتقويما لشهواتكم ، وتفضيلا لكم على الحيوان الأعجم الذى ينقاد لغرائزه وشهواته ، وكان فرض الصيام (١) عليكم مثل ما فرض على من سبقكم من الأمم فلا يشق عليكم أمره .

= ويلاحظ ان الاسلام فى القصاص للقتلى نظر الى أمر لم ينظر اليه القانونيون وهو انه جعل القصاص حقا لأولياء الدم شفاء لغيظ نفوسهم ومنعا لاهدار دم برىء ولذلك كان لهم حق العفو او القصاص ولم يمنع ولى الامر من أن يقتل تعزيرا اذا رأى فى ذلك مصلحة .

ولم ينظر الاسلام الى البواعث لان القاتل ظالم مهما تكن البواعث وقد أدى النظر فى البواعث الى الرأفة بالجانى واهمال المجنى عليه مما أدى الى عادة الاخذ بالثأر وتسلسل جرائم القتل لانه لم يشف أولياء الدم وان هذه النظرية الاسلامية تدرس الآن فى الجامعات الاوربية .

(١) علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد اثبت الطب الحديث أن للصيام فوائد طبية عدة فهو يفيد فى علاج كثير من الامراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكرى ويصلح الجهاز الهضمى وهبوط القلب والتهاب المفاصل ويعطى الجسم والانسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بالجسم كما أنه وقاية من كثير من الامراض المختلفة .



الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ
ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ
فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

لانه فرض على الناس جميعا ، وكان وجوب الصيام والقيام به ، لتتربى فيكم روح التقوى ، ويقوى وجدانكم ، وتتهذب نفوسكم .

١٨٤ ــ وفرض عليكم الصيام فى أيام معدودة قليلة لو شاء الله لأطال مدته ، ولم يكلفكم فى الصوم ما لا تطيقون ، فمن كان مريضا مرضا يضر معه الصوم ، أو كان فى سفر ، فله أن يفطر ويقضى الصوم بعد برئه من المرض أو رجوعه من السفر ، أما غير المريض والمسافر ممن لا يستطيع الصوم الا بمشقة لعذر دائم كشيخوخة ومرض لا يرجى برؤه فله الفطر حينئذ ، وعليه أن يطعم مسكينا لا يجد قوت يومه ، ومن صام متطوعا زيادة على الفرض فهو خير له ، لأن الصيام خير دائما لمن يعلم حقائق العبادات .

١٨٥ ــ وهذه الايام هى شهر رمضان الجليل القدر عند الله ، لقد أنزل فيه القرآن يهدى جميع الناس الى الرشد ببياناته الواضحة الموصلة الى الخير ، والفاصلة بين الحق والباطل على مر العصور والأجيال ، فمن أدرك هذا الشهر سليما غير مريض ، مقيما غير مسافر فعليه صومه ، ومن كان مريضا مرضا يضر معه الصوم أو كان فى سفر ، فله أن يفطر وعليه قضاء صيام ما أفطره من أيام الصوم ، فان الله لا يريد أن يشق عليكم فى التكاليف وانما يريد لكم اليسر ، وقد بين لكم شهر الصوم وهداكم اليه لتكملوا عدة الأيام التى تصومونها وتكبروا الله على هدايته اياكم وحسن توفيقه .

١٨٦ ــ وانى مطلع على العباد ، عليم بما يأتون وما يذرون ، فاذا سألك يا محمد عبادى قائلين : هل الله قريب منا بحيث يعلم ما نخفى وما نعلن وما نترك ؟ فقل لهم : انى أقرب اليهم مما يظنون ، ودليل ذلك أن دعوة الداعى تصل فى حينها ، وانا الذى أجيبها فى حينها كذلك ، واذا كنت استجبت لهــا فليستجيبوا هم لى بالايمان والطاعة فان ذلك سبيل ارشادهم وسدادهم .

١٨٧ ــ احل الله لكم ليلة الصوم اتيان نسائكم لاختلاطكم بهن واختلاطهن بكم فى الحياة والمبيت ، وعسر ابتعادكم عنهن وتخفيفا عليكم . وقد علم الله أنكم كنتم تنقصون حظ نفوسكم وتظلمونها ، فتحرمون عليها اتيان النساء فى ليل رمضان فتاب عليكم من الغلو وعفا عنكم ، والآن وقد تبين لكم حل ذلك فلا تتحرجوا من مباشرتهن ، وتمتعوا بما اباحه الله لكم وكلوا واشربوا فى ليل رمضان حتى يظهر لكم نور الفجر ، متميزا من ظلام الليل ، كما يتميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، واذا ظهر ذلك فصوموا واتموا الصيام الى غروب الشمس .

واذا كان الصيام من العبادات التى يجب التفرغ لها والتجرد من شهوات النفس ومقاربة النساء فى نهار الصوم ، فكذلك عبادة الاعتكاف فى المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التمتع بالنساء مادام المرء ملتزما بهــا . وما شرعنا لكم فى الصوم والاعتكاف حدودا وضعها الله لكم فحافظوا عليها





ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ

ولا تقربوها لتتجاوزوا أوامرها ، وقد أوسع الله فى بيانها للناس على هذا النحو ليتقوها ويتجنبوا تبعاتها .

١٨٨ ــ وقد حرم عليكم أكل مال غيركم دون وجه من الحق دائما . فلا يستحل أحدكم مال غيره الا بوجه من الوجوه التى شرعها الله كالميراث والهبة والعقد الصحيح المبيح للملك (١) وقد ينازع أحدكم أخاه فى المال وهو مبطل ، ويرفع أمره الى الحاكم أو القاضى ليحكم له وينتزع من أخيه ماله بشهادة باطلة أو بينة كاذبة ، أو رشوة خبيثة ، فبئسما يفعل وما يجر على نفسه من سوء الجـــزاء .

١٨٩ ــ ويسألك قوم عن الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، ولا يكون على حالة واحدة كالشمس ، فما وراء هذا التغير ، حتى صار فى كل شهر هلال وصارت هناك اهـــلة ؟

فقل لهم : ان لتكرار هذه الأهلة واختلاف نموها حكما ومصالح دينية ودنيوية ، فهى امارات تحدد أوقات(٢) المعاملات فى معاشكم . وتعين أوقات الحج الذى هو من أركان دينكم ، ولو استقر الهلال على حاله كالشمس ما استقام لكم توقيت معاشكم وحجكم ، وليس جهلكم بحكمة اختلاف الهـــلال مدعاة للشك فى حكمة الخالق ، وليس من البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ، متميزين بذلك عن الناس ، ولكن البر هو تقوى القلوب واخلاصها وأن تأتوا البيوت من أبوابها كما يأتى كل الناس ، وأن تطلبوا الحق والدليل المستقيم ، فاطلبوا رضا الله واتقوا عذابه وأرجوا بذلك فلاحكم وفوزكم ونجاتكم من عذاب النـــار .

١٩٠ ــ ومن تقوى الله تحمل المشاق فى طاعته وأشد المشاق على النفس هو قتال أعداء الله(٣) ولكن اذا اعتدى عليكم فقاتلوا المعتدين ، وقد أذن لكم برد

---

(١) هذه الآيه الكريمه اشارة الى جريمة الرشوة وهى أخطر الجرائم التى تودى بالأمم . وفى نص الآية جمبع الاركان لتلك الجريمة من راش صاحب حاجة ومرتش وهو أحد الحكام ذوى السلطان ببيع سلطانه الوظيفى ليعطى الراشى ما ليس له به حق أو بعطل على صاحب الحق حقه لمصلحة الراشى .

(٢) ان القمر بعكس ضوء الشمس نحو الارض من أجزاء سطحه المرئية والمضيئة فتظهر الاهله فاذا كان القمر فى الاقتران أى بين الشمس والارض فهو فى المحاق وبدأ مبلاد الهلال الجديد لجميع سكان الارض واذا كان فى الاستقبال أى الجهة المقابله للشمس بالنسبة للارض ظهر بدرا ثم يأخذ فى التناقص حتى الاقتران الثانى وتتم الدورة الاقترانية أى الشهر العربى فى مدى ٣٠٩ر٢٩ يوما وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ العربى من ساعة الهلال وشدة اضاءته فاذا شوهد الهلال خطا رفيعا عند الأفق الغربى وغرب بعد الغروب ببضع دقائق تمكن الرؤية بعد هذا الغروب وثبت بداية الشهر ويتيسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للناس . ودورة القمر هى التى علمت الناس حساب الشهور ومنها شهر الحج وبدايتـــه .

(٣) اتهم الاسلام بأنه قام بحد السيف وهذه الآية واحدة من الآيات القرآنية الكثيرة التى تدحض هذا الزعم وهى تتضمن أمرا صريحا للمسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير

لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ
إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ
ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ
بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ

اعتداءاتهم ، ولكن لا تعتدوا بمبادأتهم أو بقتل من لا يقاتل ولا رأى له فى القتال فان الله لا يحب المعتدين .

١٩١ — واقتلوا أولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم ، وأخرجوهم من مكة وطنكم الذى حملوكم على الخروج منه ، ولا تتحرجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشد من القتل فى المسجد الحرام اذ حاولوا فتنة المؤمنين عن دينهم بالتعذيب فى مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم ، ولكن للمسجد الحرام حرمته فلا تنتهكوها الا اذا انتهكوها هم بقتالكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله ، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم .

=

وسلوك هذا السبيل اعتداء مكروه من الله لانه لا يحب المعتدين وهذه الاية ثانى آية نزل بها الوحى من آيات القتال الاولى آية ٣٩ من سورة الحج وهى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقـــدير » .

وموجز الدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى رسم لرسوله طريق الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنه وان يجادل أهل الكتاب بالتى هى أحسن.ثم أمره أن يدعو الناس الى الايمان عن طريق العقل بالنظر الى بديع صنعه فى خلقه وظل الرسول يدعو بالحسنى ثلاثة عشر عاما قضاها فى مكة لم يشرع فيها سيفا ولم يرق دما ولم يرد على ما الحقه الكفار به وبأتباعه من اذى بل أمرهم بالهجرة الى الحبشة فرارا بدينهم ثم نابذت قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب وهم خاصة أهل رسول الله وأنذروهم بالخروج من مكة أو يسلمون محمدا اليهم ليقتلوه فلما ابوا ذلك قاموا بأهم أعمال الحرب اذ حاصروهم فى شعب بنى هاشم بمكة وكتبوا بذلك معاهدة علقوها فى جوف الكعبة تعاهدوا فيها بأن لا يبيعوهم ولا يبتاعون منهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجون منهم . وامتد الحصار ثلاث سنوات اشتد فيها الكرب على المسلمين حتى أكلوا الحشائش الجافة وكادوا يهلكون جوعا . وهناك أذن الرسول لهم أن يتسللوا ليلا فيهاجروا فرادى الى الحبشة مرة ثانية ولما سمعوا أن الرسول اعتزم الهجرة الى المدينة تآمروا على قتله بواسطة جماعة تمثل مختلف القبائل بحيث يتفرق دمه فى القبائل.ولما افلت من المؤامرة تبعوه فنصره الله وعمى اعينهم عن مكان الغار فازدادوا حنقا واشتدوا بالاذى وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد على اتباعه فتبعوه ارسالا الى المدينة تاركين خلفهم اموالهم وديارهم وذراريهم فلما استقر المسلمون بالمدينة كانت حالة الحرب التى أعلنها قريش منذ الحصار قائمة وظل كل فريق بعد الهجرة يترصد طريق الآخر ويستمع أخباره . فترصد المسلمون قافلة أبى سفيان فأصرت قريش رغم عدم المساس بالقافلة على أن تخرج بقضها وقضيضها لتقضى على الاسلام والمسلمين بالمدينة. فكان لابد للمسلمين من رد الاعتداء وهنالك أذن الله لهم بالقتال فنزلت أولى آيات القتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » الآيات ٣٩، ٤٠، ٤١ من سورة الحج وهى صريحة فى ان الترخيص بالقتال جاء معللا بأن الكفار يقاتلونهم ظلما وبغيا . ثم وصف الله المسلمين بانهم الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد هزيمتهم ببدر نادى كبيرهم (الحرب يا محمد سجال وموعدنا العام القابل فى أحد) فكان ذلك استمرارا لحالة الحرب المعلنة من جانب قريش ودفاعا من جانب المسلمين .. وجاءوا بجيش جرار الى احد وهى على بعد ستة أميال من المدينة وبهذا كانت غزوة أحد اعتداء من قريش ودفاعا من جانب المسلمين وكذلك الشأن فى موقعة الخندق حيث أشرف جيش الكفار وبقية الاحزاب على مساكن المدينة فاضطر المسلمون الى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرفيها اعتداء من قريش ودفاعا من المسلمين .. ولما استتب الامر للاسلام فى الجزيرة العربية أرسل الرسول رسله الى الملوك والامراء فى أنحاء المعمورة يدعوهم الى الاسلام فمزق كسرى كتاب الرسول فأرسل من يأتى برأس محمد وبذلك أعلنت الفرس الحرب ضد المسلمين فخاضوها حربا دفاعية فتح الله لهم بها ملك كسرى وأتباعه من ملوك العرب « المناذرة » .

أما شرحبيل بن عمرو الغسانى أمير الغساسنة فى الشام الذين كانوا يتبعون دولة الروم فقد قتل حامل كتاب رسول الله وهو فى طريقه الى هرقل ثم قتل المسلمين الذين أسلموا من رعاياه وعبأ جيشا لقتال دولة الاسلام فى الجزيرة العربية فدافع المسلمون وأورثهم الله ملك دولة الروم الشرقية وهكذا لم يشرع الاسلام سيفا الا ردا على اعتداء أو تأمينا للدعوة الاسلاميه وصدق الله اذ يقول (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) سورة البقرة آية ٢٥٦ .



كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾
ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ
ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ
وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم
مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ
فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ

١٩٢ ـ فان رجعوا عن الكفر وانقادوا الى الاسلام فان الاسلام يجب ما قبله ، والله يغفر لهم ما سلف من كفرهم بفضل منه ورحمة .

١٩٣ ـ وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالايذاء والتعذيب ، حتى تستأصل جذور الفتنة ويخلص الدين لله . فان انتهوا عن كفرهم فقد نجوا انفسهم وخلصوا من العقاب ، فلا ينبغى الاعتداء عليهم حينئذ وانما العدوان على من ظلم نفسه واوبقها بالمعاصى وتجاوز العدل فى القول والفعل .

١٩٤ ـ فاذا اعتدوا عليكم فى الشهر الحرام فلا تقعدوا عن قتالهم فيه فانه حرام عليهم ، كما هو حرام عليكم ، واذا انتهكوا حرمته عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن انفسكم فيه ، وفى الحرمات والمقدسات شرع القصاص والمعاملة بالمثل فمن اعتدى عليكم فى مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بمثله واتقوا الله فلا تسرفوا فى المجازاه والقصاص ، واعلموا ان الله ناصر المتقين.

١٩٥ ـ جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال ، فأنفقوا فى الاعداد للقتال ، واعلموا ان قتال هؤلاء قتال فى سبيل الله ، فلا تقعدوا عنه ، وابذلوا الأموال فيه فانكم ان تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدو واذلكم فكانما القيتم انفسكم بأيديكم الى الهلاك ، فافعلوا ما يجب عليكم باحسان واتقان ، فان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه .

١٩٦ ـ وادوا الحج والعمره لله على وجه التمام والكمال قاصدين بهما وجه الله ، ولا تقصدوا بهما اصابة عرض دنيوى من شهرة ونحوها . واذا قصدتم الحج والعمرة واحرمتم بهما فمنعكم عدو فى الطريق فلكم أن تتحللوا من احرامكم بحلق رءوسكم ، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح ما تيسر لكم ـ من شاة او بعير او بقرة ـ والتصدق به على المساكين ، ولاتحلقوا رءوسكم حتى تقوموا بهذه النسك ، ومن كان محرما وآذاه شعر رأسه لمرض او هوام فى رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه ، وعليه حينئذ أن يفدى عن ذلك بصيام ثلاثة أيام ، او التصدق على ستة مساكين بقوت يوم او ذبح شاة والتصدق بها على الفقراء والمساكين . واذا كنتم فى دار الأمان والسلم ولم يعترض طريقكم عدو ، وقصدتم الحج والعمرة وتمتعتم اولا بالعمرة الى ان يحين وقت الحج فتحرموا ، فعليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه ، فمن لم يجد شاة او لم يقدر على ثمنها صام ثلاثة أيام فى مكة وسبعة أيام اذا رجع الى اهله ، وهذا على من لم يكن من اهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شىء عليه اذا تمتع .

١٩٧ ـ والحج يقع فى اشهر معلومة لكم ، اذ كان أمره معروفا عندكم من عهد ابراهيم عليه السلام ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه فى هذه الاشهر ودخل فيه فليراع آدابه ، ومن آداب الحج ان يتنزه المحرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصى من السباب وغيره



فِى ٱلۡءَاخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا
فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلۡءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعۡدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوۡمَيۡنِ
فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ
مَا فِى قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِى ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ
بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَشۡرِى نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ



وعن الجدل والمراء مع رفقته فى الحج ، وعن كل ما يجر الى الشحناء والخصام حتى يخرج المحرم مهذب النفس ، وليجتهد فى فعـل الخير وطلب الأجر من الله بالعمل الصالح فان الله عليم بذلك ومجاز عليه ، وتزودوا لآخرتكم بالتقوى والائتمار بأوامر الله واجتناب نواهيه ، فان ذلك خير الزاد واستشعروا خشية الله فيمـا تأتون وما تذرون كما هو مقتضى العقل والحكمة ، فلا تشوبوا شيئا من أفعالكم بدواعى الهوى والغرض الدنيوى.

١٩٨ ـ ولقد كان منكم من يجد حرجا فى مزاولة التجارة وابتغاء الرزق فى موسم الحج ، فلا حرج عليكم فى ذلك ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته ، واذا صدر الحجاج من عرفات بعد الوقوف بها ووصلوا المزدلفة ليلة عيد النحر فليذكروا الله عند هذا المشعر الحرام ، وهو جبل المزدلفة ، بالتهليل والتلبية والتكبير ، وليمجدوه وليحمدوه على هدايته اياهم الى الدين الحق والعبادة القويمة فى الحج وغيره ، وقد كانوا من قبل ذلك فى ضلال عن صراط الهدى والرشاد .

١٩٩ ـ وقد كان قوم من العرب وهم قريش لا يقفون مع الناس فى عرفات مع علمهم أنه موقف أبيهم ابراهيم ، وذلك ترفعا أن يساووا غيرهم وهم أهل بيت الله وقطان حرمه ، وزعما منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذى لا يريدون الخروج منه الى عرفات ، وهى من الحلال لا من الحرام ، فطالبهم الله بأن يقلعوا عن عادات الجاهلية ويقفوا بعرفات ويصدروا عنها كما يصدر جمهور الناس ، فلا فضل لأحد على الآخر فى اداء العبادة ، وعليهم أن يستغفروا الله فى هذه المواطن المباركة فذلك أدعى أن يغفر الله لهم ما فرط منهم من الذنوب والآثام ويرحمهم بفضله .

٢٠٠ ـ واذا فرغتم من أعمال الحج وعبادته فدعوا ما كنتم عليه فى الجاهلية من التفاخر بالآباء وذكر مآثرهم وليكن ذكركم وتمجيدكم لله فاذكروه كما كنتم تذكرون آباءكم ، بل اذكروه أكثر من ذكر آبائكم لانه ولى النعمة عليكم وعلى آبائكم ، ومواطن الحج هى مواطن الدعاء وسؤال الفضل والخير والرحمة من عند الله ، وقد كان فريق من الحجاج يقصر دعاءه على عرض الدنيا وخيراتها ولا يلقى بالا للآخرة فهذا لا نصيب له فى الآخرة .

٢٠١ ـ ومن الناس من وفقه الله فاتجه بقلبه الى طلب خيرى الدنيا والآخرة ، ودعا الله أن يجنبه شر النار وعذابها .

٢٠٢ ـ فهؤلاء يعطون ما قدر لهم مما كسبوه بالطلب والركون الى الله والله يجزى كلا بما يستحق وهو سريع الحساب والجزاء .

٢٠٣ ـ واذكروا الله بالتكبير وغيره فى أيام معدودات هى أيام رمى الجمار بمنى وهى : الحادى عشر . والثانى عشر . والثالث عشر ، وليس بلازم لان قوام الخير تقوى الله ، لا مقدار العدد ، واتقوا الله دائما واعلموا أنكم اليه تحشرون مسئولون عن اعمالكم .



بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ
فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ
ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ
ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ

٢٠٤ — واذا كانت تقوى الله هى الاساس فالخسر لفريق من الناس ، يختلف الذى تضمره قلوبهم عن الذى تنطق به السنتهم ، أوتوا حلاوة فى صوغ الكلام ، يعجبك قولهم فيما يحتالون به على جلب المنفعة فى الحياة الدنيا ، ويؤيدون لك زعمهم بأن الله يعلم صدق قلوبهم فيما تقوله السنتهم ، وانهم لأشد الناس خصومة لك وأقساهم عليك .

٢٠٥ — واذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لا يكون سعيه للاصلاح، بل للافساد واهلاك الزرع والنسل ، والله لا يحبه ، لان الله تعالى لا يحب الفســـاد .

٢٠٦ — واذا نصحت له حينئذ بالخوف من الله ثارت فى نفسه الحمية وظن ذلك هدما لعزته ، وحمله على ارتكاب الاثم فيما نهيته عنـــه لجاجة وعنادا ، فحسبه على ذلك عذاب جهنم ولبئس المستقر .

٢٠٧ — فما أبعد الفرق بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين الصادقين الذين يبيع أحدهم نفسه فى سبيل مرضاة الله واعلاء كلمة الحق ويكون هذا القسم مقابلا للقسم الاول ، ويكون توليه امرا من أمور الناس من رأفة الله بعباده ، والله تعالى يرحمهم بجعل الولاية لهؤلاء ليدفع بهم أذى الأشرار .

٢٠٨ — يأيها الذين آمنوا كونوا جميعا مسالمين فيما بينكم ولا تثيروا العصبيات الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف ، ولا تسيروا فى طريق الشيطان الذى يدفعكم الى الشقاق فانه لكم عدو مبين (١) .

٢٠٩ — فان انحرفتم عن هذا الطريق الذى دعيتم اليه جميعا من بعـــد ظهور الحجج القاطعة على أنه طريق الحق ، فاعلموا أنكم مؤاخذون بهذا الانحراف لأن الله عزيز يعاقب من يعرض عن سبيله ، حكيم يقدر العقوبة بقدرها .

٢١٠ — وهل ينتظر هؤلاء المعرضون عن الاسلام ليقتنعوا أن يروا الله تعالى جهرة فى غمام سائر مع الملائكة وقد قضى الامر بقطع مطامعهم ، لان الشئون جميعا فى قبضة الله يصرفها هو حيث يشاء وقد قضى فيها قضاءه الذى سينفذ لا محالة .

٢١١ — سل بنى اسرائيل كم سقنا اليهم الادلة القاطعة على صـــدق الرسول ، وفى ذلك نعمة هدايتهم الى الله فكفروا بهذه الأدلة وعمدوا بتكذيبهم

---

(١) هذا النص القرآنى فيه دعوة عامة من المؤمنين الى السلام ، وتفيد أن الحرب والخصام هى من السير وراء الشيطان ، وانها تدعو عامة المؤمنين الى أن يكونوا مسالمين مع غيرهم ، ومسالمين فى داخل أنفسهم ، فلا حرب مع غيرهم ، ولا حرب فيما بينهم .

وأن هذا النص يدل على أن الاصل فى العلاقة بين الدول الاسلامية وغيرها هى السلم ، وأن ذلك هو مبدأ الاديان السماوية كلها ، ففى الوقت الذى كان قانون الغابة هو الذى يحكم بين الدول ، وهو الذى يحدد العلاقات بينها ، القوى يأكل الضعيف جاء الاسلام بذلك المبدأ السامى، وهو أن العلاقة هى السلم،واذا كان القتال ، فانه لدفع الاعتداء،أى لحمل المعتدى على أن يكون مسالما ، فالحرب التى شرعها الاسلام ، وشرعتها الاديان هى لتثبيت دعائم السلم ، وتحقيق العدل ، فهى حرب السلام ، لاستقرار العدل والسلام .



فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

لها الى تبديل الغرض منها ، فبعد أن وضعت للهداية أصبحت بالنسبة لكفر هؤلاء بها سببا فى زيادة ضلالهم واثمهم ، ومن يبدل نعم الله بهذه الصورة يحق عليه العذاب لأن الله شديد العقـــاب .

٢١٢ ــ وان السبب فى الانحراف والكفر هو طلب الدنيا ، فقد زين للذين كفروا شهوات الحياة الدنيا فمضوا يسخرون من الذين آمنوا لانشغالهم بالحياة الآخرة ــ والله جاعل الذين آمنوا أعلى مكانا منهم فى الاخرة . فأما زيادة هؤلاء الكفار بالمال والزينة فى الدنيا فلا يدل على أفضليتهم لأن رزق الله لا يقدر على حساب الايمان والكفر بل يجرى تبعا لمشيئته ، فمن الناس من يزاد له الرزق استدراجا ومنهم من يقتر عليه اختبارا .

٢١٣ ــ وان الناس طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة ، ومنهم من تستولى عليه أسباب الهداية ، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ولذلك اختلفوا فبعث الله اليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق ، لتكون هى الحكم بين الناس فينقطع التنازع ، ولكن الذين انتفعوا بهدى النبيين هم الذين آمنوا فقط ، الذين هداهم الله فى موضع الاختلاف الى الحق والله هو الذى يوفق أهل الحق اذا أخلصوا .

٢١٤ ــ فهل حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد اقراركم بكلمة الاسلام بدون أن تصابوا بمثل ما أصاب الذين من قبلكم ، فقد أصابتهم الشدائد والنوازل وزلزلوا حتى بلغ بهم الأمر أن قال رسولهم نفسه وقالوا معـــه : متى نصر الله ؟ فبير ربهم بوعده فيجابون عندئذ بأن نصر الله قريب .

٢١٥ ــ يسألك المؤمنون فى شأن الانفاق فقل لهم : ان الانفاق يكون من المال الطيب ، ويعطى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ومن انقطع من ماله وأهله ، وما تفعلوه من عمل خير فان الله يعلمه وهو يثيبكم عليه .

٢١٦ ــ فاذا كان فى الانفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حمـــاية للمجتمع فى داخله فان القتال حماية له من أعدائه فى الخارج ، ولذلك فرض عليكم أيها المسلمون القتال لحماية دينكم والدفاع عن أنفسكم ، وأن نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرها شديدا ولكن ربمـــا كرهتم ما فيـــه خيركم واحببتم ما فيه شركم ، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم ، وأنتم لاتعلمون فاستجيبوا لما فرض عليكم .

٢١٧ ــ وقد كره المسلمون القتال فى الشهر الحرام فسألوك عنه ، فقل لهم : نعم ان القتال فى الشهر الحرام (١) اثم كبير ، ولكن أكبر منه ما حدث

---

(١) الاشهر الحرم اربعة وردت عدتها فى سورة التوبة حيث قال سبحانه وتعالى : « ان عدة الشهور عنـــد الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم » الآية ٢٥ التوبة ، وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاشهر الاربعة باسمائها فى حديثه الشريف الذى أخرجه البخارى عن



يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ
وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ
وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ
أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ



رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ
ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

من أعدائكم من صد عن سبيل الله ومن المسجد الحرام ، واخراج المسلمين من مكة ، وقد كان ايذاؤهم للمسلمين لاخراجهم من دينهم اكبر من كل قتل ولذلك لبيح القتال فى الشهر الحرام لقمع هذه الشرور فهو عمل كبير يتقى به ما هو اكبر منه . واعلموا . أيها المسلمون ، أن سبيل هؤلاء معكم سبيل التجنى والظلم ، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يضعف أمام هجماتهم ويرتد عن دينه حتى يموت على الكفر ، فأولئك بطلت أعمالهم الصالحة فى الدنيا والآخرة ، وأولئك اهل النار هم فيها خالدون .

٢١٨ — وأن الذين آمنوا ايمانا صادقا دفعهم الى الهجرة لنصرة الدين والجهاد لاعلان كلمته فأولئك ينتظرون عظيم ثواب الله لهم ، وأن قصروا فى شىء ، لأن الله غفور يغفر الذنوب ، رحيم يرحم عباده بالهداية والثواب .

٢١٩ — ويسالونك يا محمد عن حكم الخمر والقمار ، فقل ان فيهما ضررا كبيرا من افساد الصحة وذهاب العقل والمال واثارة البغضاء والعدوان

=

خطبته فى حجة الوداع حيث قال : « أيها الناس ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وأن عدد الشهور اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورابع هو رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، وكانت قبيلة ربيعة تستقل القتال فى رمضان لشدة الحرارة فكانت تسميه رجب وتحرمه ولذا حدد الرسول رجب الحرام بانه رجب قبيلة مضر الذى بين جمادى وشعبان ، وحكمة تحريم القتال فى الاشهر الحرم ان جعلها الله هدنة اجبارية يخلد الناس فيها الى الراحة والهدوء والقيام على أمور معاشهم من زراعة وتجارة وهذه الحرمة قائمة مفروضة منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، ومنذ أن فرض الله على الناس حج بيته « الكعبة » والوقوف بعرفات فى اليوم العاشر من ذى الحجة فحرم القتال فى هذا الشهر فالشهر الذى قبله والشهر الذى بعده رحمة الله بعباده وليامن الحجاج على انفسهم وأموالهم فى هذا الموسم ومنذ أن يخرجوا من ديارهم قاصدين مكة الى ان يعودوا اليها بعد أداء مناسك الحج والعمرة ثلاثة اشهر متواليات حرم الله فيها القتال ليعم الأمن والسلام جميع الناس من خرج منهم حاجا ومن لم يخرج اما الشهر الرابع وهو رجب فهو وسط بين بقية اشهر العام .

متى يحل الجهاد فى الاشهر الحرم ؟ الحكم فى ذلك أنزله الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بالجواز متى كان دفعا لاعتداء ، والمناسبة التى نزل فيها الوحى بهذا الحكم فى سرية عبد الله بن جحش وحاصل الخبر أن الرسول بعثه وسلمه كتابا أمره الا يفضه الا بعد مسيرة يومين ، ثم يقرأه على رفاقه ولا يكرهن أحد على السير معه بعد أن يعمهم بمهمته وهى « أن تسير مع من تبعك حتى تأتى بطن نخلة — مكان بين نجد والطائف — ترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » والكتاب صريح بعدم القتال وانما استطلاع حركات العدو ولكن الذى حدث بعد قراءة كتاب النبى أن اثنين من رجال عبد الله بن جحش ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل فاسرتهما قريش ، وهما سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان ثم نزل الركب بنخلة فمرت بهم عير قريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمى وكان ذلك فى آخر شهر رجب ، وكانت قريش قد حجزت أموال بعض المسلمين فى مكة عند الهجرة منهم بعض من كان فى سرية ابن جحش فتشاوروا فى قتال اهل العير وحاروا فيما يصنعون أن تركوا العير تمضى لليلها امتنعت بالحرم وفاتهم تعويض ما حجزته قريش فى هذه الفرصة ، وان قاتلوا أهلها قاتلوهم فى شهر حرام هو شهر رجب ولكنهم اندفعوا للقتال فقتلوا عمرو الحضرمى وأسروا رجلين مشركين واصابوا بعض الغنائم . فلما رجعوا الى المدينة وقدموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس من غنيمتهم فاباه واستنكر عملهم وقال ما امرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، وساءت مقابلتهم من أهل المدينة الى ان نزل الوحى بالآية الكريمة : « يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ
لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ
مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ
مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟
ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى
فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

بين الناس ، وفيهما منافع كالتسلية والربح السهل . ولكن ضررهما أكبر من نفعهما فاجتنبوهما . ويسألونك عما ينفقون ، فأجبهم أن ينفقوا فى ذات الله السهل اليسير الذى لا يشق عليكم انفاقه ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة (١) .

٢٢٠ — ويسألونك بشأن اليتامى الذى يوجبه الاسلام حيالهم ، فقل ان الخير لكم ولهم فى اصلاحهم ، وأن تضموهم الى بيوتكم ، وأن تخالطوهم بقصد الاصلاح لا الفساد ، فهم اخوانكم فى الدنيا يستدعون منكم هذه المخالطة ، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا . ولو شاء الله لشق عليكم ، فألزمكم رعاية اليتامى من غير مخالطة لهم ، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم ، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك افسادا لجماعتكم واعناتا لكم ، اذ أن قهرهم وذلهم يجعل منهم المبغضين للجماعة المفسدين فيها . وان الله عزيز غالب على أمره ، ولكنه حكيم لا يشرع الا ما فيه مصلحتكم .

٢٢١ — واذا كانت مخالطة اليتامى لا حرج فيها فان الحرج فى مخالطة اهل الشرك ، فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماوى ولا يحمل المرء منكم على زواج المشركة مالها وجمالها وحسبها ونسبها . فالمؤمنة التى وقع عليها الرق خير من المشركة الحرة ذات المال والجمال والحسب والنسب ، ولا يزوج المرء منكم من له عليه ولاية من النساء مشركا لا يؤمن بالكتب السماوية ، ولا يبعث أحدكم على ايثار المشرك غناه وشرفه ، فخير منه العبد المؤمن ، فأولئك المشركون يجتذبون عشراءهم الى المعصية والشرك فيستوجبون النار . والله اذ يدعوكم الى اعتزال المشركين فى النكاح يدعوكم الى ما فيه صلاحكم ورشادكم فتنالون الجنة والمغفرة ، وتسيرون فى طريق الخير بتيسيره ، والله يبين شرائعه وهداه للناس لعلهم يعرفون صلاحهم ورشادهم .

٢٢٢ — ويسألونك عن اتيان الزوجات زمن المحيض ، فأجبهم أن المحيض أذى فامتنعوا عن اتيانهن مدته ولا تأتوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن فى المكان الطبيعى ، ومن كان وقع منه شىء من ذلك فليتب فان الله يحب من عباده كثرة التوبة والطهارة من الأقذار والفحش .

---

(١) هذه الآية تقرر حقيقة ثابتة هى أن للخمر والميسر منافع عرضية ، كما أن فيهما اثما كبيرا وأن هذا الاثم أكبر مما يتراءى فيهما من منافع ، فشارب الخمر ينتفع ببعض النشوة التى تنقلب الى خمود يؤدى شربها بعد ذلك الى اصابته بمختلف الامراض التى تقود شاربها الى الادمان عليها ويتعدى ضررها ذلك الى الاضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الهضمى والعصبى والدورى والدموى وفى تجارتها منافع مادية ولكن هذه المنافع لا تعتبر شيئا بجانب الاضرار الجسيمة التى يحدثها ترويجها بين الناس .

والميسر كالخمر ، فالنشوة التى يشعر بها المقامر هى على حساب أعصابه والربح الذى يربحه قد يضيع فى جلسة واحدة أو فى مرات تالية بل قد يصيبه ادمانه بالافلاس والفوائد المادية التى يربحها أصحاب دور القمار لا تساوى شيئا بجانب الاضرار الجسيمة التى تنجم عن نشر هذه الجريمة بين الناس .

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ
عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ
أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ
مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا
وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٢٢٣ ــ زوجاتكم هن موضع النسل كموضع البذر ينبت النبات ، فيباح لكم أن تأتوهن على أى طريقة تشاءون اذا كان ذلك فى موضع نسل ، واتقوا الله أن تعصوه فى مخالطة المرأة واعلموا أنكم ملاقوه مسئولون عنده ، والبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدونها .

٢٢٤ ــ لا تجعلوا اسم الله معرضا لكثرة الحلف به ، لان ذلك ينافى تعظيم اسم الله ، وأن التصون عن كثرة الحلف باسم الله يؤدى الى البر والتقوى والقدرة على الاصلاح بين الناس ، اذ يكون المتصون جليل القدر فى أعين الناس موثوقا به بينهم فيقبل قوله ، والله سميع لأقوالكم وأيمانكم عليم بنياتكم .

٢٢٥ ــ عفا الله عنكم فى بعض الأيمان ، فما جرى على الألسنة من صور الأيمان ولم يصحبه قصد ولاعقد قلب ، أو كان يحلف على شىء يعتقده حصل وهو لم يحصل فان الله لا يؤاخذ عليه ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من عزم على ايقاع فعل أو عدم ايقاعه . وعلى الكذب فى القول مع التوثيق باليمين ، فالله غفور لمن يتوب ، حليم يعفو عما لا يكتسبه القلب .

٢٢٦ ــ وهؤلاء الذين حلفوا الا يقربوا نساءهم يمهلون أربعة أشهر ، فان أتوا نساءهم فى اثنائها استمر الزواج وعليهم كفارة اليمين وغفر الله لهم ويقبل الكفارة رحمة بهم .

٢٢٧ ــ وان لم يأتوا نساءهم فى هذه المدة كان ذلك اضرارا بالمرأة ، فليس الا الطلاق ، والله سميع لأيمانهم عليم بأحوالهم ومحاسبهم على ذلك يوم القيامة .

٢٢٨ ــ وعلى المطلقات أن ينتظرن دون الطموح الى زواج يستأنف مدة ثلاثة حيضات (١) ، استبراء للرحم (٢) ، وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحل لهن أن يكتمن ما يكون فى أرحامهن من جنين أو دم حيض ، وذلك شأن المؤمنات بالله ولقائه فى اليوم الآخر ، وازواجهن لهم الحق فى ارجاعهن

---

(١) تنبيهان :

الأول : جرى التفسير فى جعل العدة ثلاث حيضات على تفسير كلمة « القرء » الواردة فى النص القرآنى بالحيض ، وهذا رأى جمهور الفقهاء ، وفسر الشافعى « القرء » بالطهر بين الحيضتين ، فعلى ذلك تكون العدة عنده ثلاثة أطهار .

الثانى : بقية أنواع العدة وأحكامها ستأتى فى أماكن أخرى .

(٢) شرعت العدة استبراء للرحم أولا ، وذلك أن الاستبراء للرحم من الحمل لا يكون مؤكدا الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لا تحيض عادة ، وان حاضت فان ذلك يكون مرة أو اثنتين على الاكثر اذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة الى درجة يملأ معها تجويف الرحم فيمنع نزول دم الحيض ،ذلكتقدير الله فى خلقه وما كان معلوما عند العرب ، وما كان للنبى الأمى أن يعلمه ولكن الله انزل عليه القرآن معلمه وعلم أمته.وشرعت العدة ثانيا ليكون عند المطلق فرصة المراجعة لزوجته اذ قديكون طلق امرأته التى دخل بها تحت تأثير نوبة غضب جامحة فاذا ثاب اليه رشده ندم على ما فعل محينئذ بجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكيما ، قد أعطاه الحق فى أن يقول (راجعتك) فتعود اليه زوجته ولكن تحتسب عليه الطلقة من ثلاث طلقات .



دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟
مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ
حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا

للزوجية ثانيا مدة العدة ، وعلى الازواج عند استعمال هذا الحق أن يقصدوا الى الاصلاح لا المضرة وللزوجات من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات بما لاينكره(١) (الشرع الشريف) وللرجال عليهن درجة الرعاية والمحافظة على الحياة الزوجية وشئون الأولاد ، والله سبحانه فوق عباده يشرع لهم ما يتفق مع الحكمة .

٢٢٩ ـــ الطلاق مرتان(٢) يكون للزوج بعد كل واحدة منهما الحق في أن يمسك زوجته برجعتها فى العدة أو اعادتها الى عصمته بعقد جديد ، وفى هذه الحال يجب أن يكون قصده الامساك بالعدل والمعاملة بالحسنى ، أو أن ينهى الحياة الزوجية مع المعاملة الحسنة واكرامها من غير مجافاة . ولا يحل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا مماأعطيتموهن شيئا الا عند خشية عدم اقامة

---

(١) جعل الله تعالى للمراة من الحقوق بمقدار ما عليها من واجبات وجعل للزوج درجة الرعاية والمحافظة وعليه واجب العدالة وأن التسوية فى الحقوق الزوجيه بالنسبة للمرأة بين الحقوق والواجبات مبدأ لم يكن عند الامم السابقة ، فكانت المراة عند الرومان أمة فى بيت زوجها عليها واجبات وليس لها حقوق وكذلك كانت فى فارس وقد سبق الاسلام بهذه العدالة .

(٢) شرع الله سبحانه وتعالى الطلاق وجعله بيد الرجل ابتداء وقد توهم بعض الناس أن ذلك يؤدى الى الاضرار بالحياة والى سهولة انحلال الأسرة وزكوا كلامهم بأن نسبة الطلاق فى مصر قد بلغت نحو ٣٠٪ أو تزيد وأن هذا أدى الى كثرة التشرد والواجب علينا أن نتكلم فى اعطاء الحق للزوج ثم فيما ادعوا انه ترتب عليه .

(أ) أما اعطاء حق الطلاق للزوج فهو لم يعط ذلك الحق غير مقيد بل قيد بقيود نفسية وقيود محددية بالنسبة للزوجة التى دخل بها زوجها وتلك القيود هى :

اولا ـــ لا يطلق الا طلقه واحدة رجعية أى يكون له حق المراجعة فى اثناء العدة فاما أن يرجع فى العدة وأما أن يتركها ويكون هذا دليلا على كمال النفرة ولا يصح بقاء زوجية مع شدة النفرة

ثانيا ـــ ان لا يطلقها فى وقت الحيض لانها تكون فى حالة عصبية ولا يكون ثمة اقبال عليها وقد تكون هذه الحال العارضة سبب هذه النفرة التى اشتدت فلا يطلق الا عند الاقبال .

ثالثا ـــ لا يطلق فى طهر قد دخل بها فيه لان ذلك يفسر بالنفرة تكون لعدم وجود الرغبة فيها فاذا كانت هذه الامور فان الطلاق يكون فى حالة نفرة شديدة وانقطاع المودة الدائمة .

(ب)وأما ادعاء زيادة نسبة الطلاق بنحو ٣٠٪ فمع التسليم بها تكون اقل مما عند الانجليز والامريكان والفرنسيين على انه ليس كل طلاق يوجد انفصالا وأن الطلاق قبل الدخوللايعد كارثة زوجية بل يعد منعا لكارثة ولكن نتبين نسبة عدد الرجعات وعدد الطلاق من قبل الدخول وعدد الطلاق بتراضى الزوجين وعدد الزواج الذى استؤنف بعد الطلاق ولو استنزل هذا كله لهبطت النسبة هبوطا واضحا الى درجة أن يكون الطلاق الذى أدى الى الانفصال التام نادرا وقد قمنا بهذه التجربة فى بعض المحاكم التى يكثر فيها الطلاق فوجدنا نسبة الطلاق الذى يوجد انفصالا يحتمل اساءة استعمال ذلك الحق تهبط الى نحو ١٪ أو ٢٪ .

(ج) وأما بالنسبة للتشرد فقد أثبتت الاحصاءات أن الطلاق يقل عند وجود الولد ويكثر اذا لم يكن ولد وقد اثبتت الاحصاءات أن ٧٥٪ من وقائع الطلاق تكون فى أعقاب اى ولد وأن كان ١٧٪ من وقائع الطلاق بعد اعقاب ولد واحد ثم تهبط النسبة بعد ذلك كلما كثر الاولاد حتى اذا وصل العدد الى خمسة أولاد هبطت النسبة حتى تصل الى ربع فى المائة من وقائع الطلاق فهل يوجد برهان أقوى من هذا يدل على أن التشرد ليس سببه الطلاق انما سببه الحقيقى هو ضعف الرقابة على الولى على النفس الذى يقوم بتربية الاطفال ورعايتهم على أن الاحصاء بالنسبة لجرائم الاحداث اثبت ان الانفصال الجسدى وهجر الأب للبيت اكثر من الطلاق تأثيرا .

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم
بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ



حقوق الزوجية التى بينها الله سبحانه وتعالى ، والزم بها. فان خفتم يامعشر المسلمين الا يؤدى الزوجات حقوق الزوجية سليمة كما بينها الله فقد شرع للزوجة أن تقدم مالا فى مقابل افتراقها عن زوجها ، وهذه هى أحكام الله المقررة فلا تخالفوها وتتجاوزوها لأن من يفعل ذلك ظالم لنفسه وظالم للمجتمع الذى يعيش فيـــه .

٢٣٠ ــ فان طلق الزوج أمرأته مرة ثالثة بعد التطليقتين السابقتين فلا تحل له حينئذ الا بعد أن تتزوج زوجا غيره ويدخل بها . فان طلقها من بعد ذلك الزوج الثانى وصارت أهلا لأن يعقد عليها عقد جديد فلا اثم عليها ولا على زوجها الأول فى ان يستأنفا حياة زوجية جديدة بعقد جديد ، وعليهما أن يعتزما اقامة حياة زوجية صالحة تراعى فيها كل الاحكام الشرعية التى حددها الله سبحانه وتعالى ، وقد بينت هذه الحدود لمن يؤمن بالشرع الاسلامى ويريد العلم والعمل به .

٢٣١ ــ واذا طلقتم النساء فشارفن انتهاء عدتهن ، فلكم ان تراجعوهن قاصدين اقامة العدل وحسن الصحبة وعدم المضارة ، ولكم أن تتركوهن لتنقضى عدتهن ملاحظين المعاملة اللائقة عند الفراق من غير جفوة ولا يجوز أن يكون القصد من المراجعة مضارة المراة وتطويل عدتها ، ومن يفعل ذلك فقد حرم نفسه سعادة الحياة الزوجية وثقة الناس به واستحق سخط الله عليه ، ولا تتخذوا أحكام الله فى الاسرة التى جاءت بها الآيات وجعلت زمام الاسرة بيد الوكيل سخرية ولهوا وعبثا . تطلقون لغير سبب وترجعونها مضارة وايذاء . واذكروا نعمة الله عليكم بتنظيم الحياة الزوجية تنظيما عاليا وبما انزل عليكم من كتاب مبين للرسالة المحمدية والعلوم النافعة والامثال والقصص التى بها تتعظون وتهتدون ، واتخذوا بينكم وبين غضب الله وقاية واعلموا ان الله يعلم سركم وجهركم ونياتكم واعمالكم وهو مجازيكم بما كنتم تعملون .

٢٣٢ ــ واذا طلقتم النساء واتممتم عدتهن ، وأرادت أحداهن أن تستأنف زواجا جديدا من المطلق أو من رجل آخر غيره ، فلا يحل للاولياء ولا للزوج المطلق ان يمنعوهن من ذلك ، واذا تراضى الطرفان على عقد جديد وارادة حياة كريمة تؤدى الى حسن العشرة بينهما ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، ذلكم ادعى الى تنمية العلاقات الشريفة فى مجتمعكم وأطهر فى نفوسكم من الأدناس والعلاقات المريبة ، والله يعلم من مصالح البشر واسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول اليه



فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ

٢٣٣ — وعلى الأمهات أن يقمن(١) بارضاع أولادهن مدة عامين تامين مراعاةلمصلحة الطفل ، اذا طلبأحد الوالدين أو كلاهما استيفاء مدة الرضاعة تامة لاحتياج الولد اليها ، ويلزم الوالد — باعتبار الولد منسوبا اليه — بالانفاق على الأمهات حينئذ باطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا اسراف ولا تقتير . فانه لا يلزم انسان الا بما يقدر عليه ويستطيعه . ولا ينبغى أن يكون سببا فى الحاق الضرر بأمه بأن يهضم حقهـا فى نفقتها أو حضـانة ولدها ، كما لا ينبغى أن يكون الولد سببا فى الحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه فى ولده ، واذا مات الأب أو كان فقيرا عاجزا عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد لو كان له مال ، فان رغبالوالدان أو كلاهما فى فطام الطفل قبل تمام العامين وقد تراضيا على ذلك ونظرا الى مصلحة الرضيع فلا تبعة عليهما ، واذا شئتم أيها الآباء أن تتخذوا مراضع للأطفال غير أمهاتهم فلا تبعة عليكم فى ذلك ، ولتدفعوا اليهن ما انفقتم عليه من الأجر بالرضا والمحاسنة ، وراقبوا الله فى أعمالكم ، واعلموا أنه مطلع عليها مجازيكم بها .

٢٣٤ — والذين يتوفون منكم أيها الرجال ويتركون زوجات لهـم غير حوامل فعليهن أن يمكثن بعدهم دون تعرض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال بأيامها استبراء للرحم وحدادا على الأزواج . فاذا انتهت هذه المدة فلا تبعة عليكم أيها الأولياء لو تركتموهن يأتين من شريف الأعمال التى يرضاها الشرع ليصلن بها الى الزواج . فلا ينبغى أن تمنعوهن من ذلك ولا يجوز لهن أن يأتين من الاعمال ما ينكره الشرع ويأباه فان الله مطلع على سرائركم ويعلم أعمالكم فيحاسبكم على ما تعملون .

٢٣٥ — ولا اثم عليكم أيها الرجال فى مدة العدة اذا لمحتم للمعتداتمن وفاة بالزواج واضمرتم ذلك فى قلوبكم ، فان الله يعلم أنكم لا تصبرون عن التحدث فى شأنهن لميل الرجال الى النساء بالفطرة ، ولهذا اباح لكم التلويح دون التصريح ، فلا تعطوهن وعدا بالزواج الا أن يكون ذلك اشارة لا نكر فيها ولا فحش ، ولا تبرموا عقد الزواج حتى تنقضى العده . وايقنوا أن الله مطلع على ما تخفونه فى قلوبكم ، فخافوا عقابه ولا تقدموا على ما نهاكم عنه ،

---

(١) النص القرآنى يعتبر وجوب الارضاع على الام ولا يكون الاسترضاع الا حيث لا يمكنها ارضاع وقد اتفق الفقهاء علىوجوب الارضاععليها صيانة لانالارضاع هو المطعم الطبيعىللمولود اذ لبن الام يلائم حياة الطفل كل الملاءمه ميزداد حجما بزياده حجم المولود وتنوع محتوياته حسب حاجاته والرضاعة تفيد الأم ولا تضرها الا فى احوال شاذة اذ أن الرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمى وحمله على العمل للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود وذلك فوق ما تعيده الرضاعة فى الجهاز التناسلى اذ تعيده الى أوضاعه الطبيعية بعد عملية الولادة والنظام الطبى يكون تدريجيا ويجوز ان الفطم الصغير لاقل من عامين من ولادته اذا كانت صحته تعاونه على ذلك اما اذا كانت صحته لا تعاونه ولا يستسيغ الطعام الخارجى فانه يستمر حولين كاملين وبعدهما يمكن أن يستغنى الطفل استغناء كاملا من لبن الام .



قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ
وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ
أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ
وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ
أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم
مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى

ولا تيأسوا من رحمته أن خالفتم أمره فانه واسع المغفرة يقبل التــوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، كما أنه حليم لا يعجل بالعقوبة لمـــن انتهــك المحرمـــات .

٢٣٦ — ولا اثم عليكم أيها الأزواج ، ولا مهر اذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بهن وقبل أن تقدروا لهن مهرا ، ولكن اعطوهن عطية من المال يتمتعن بها لتخفيف آلام نفوسهن ولتكن عن رضا وطيب خاطر وليدفعها الغنى بقدر وسعه والفقير بقدر حاله ، وهذه العطية من أعمال البر التى يلتزمها ذوو المروءات وأهل الخير والاحسان .

٢٣٧ — واذا طلقتم النساء قبل الدخول بهن بعد تقدير مهورهن ، فقد وجب لهن نصف المهر المقدر ويدفع اليهن ، الا اذا تنازلت عنه الزوجة ، كما انهن لا يعطين أكثر من النصف الا اذا سمحت نفس الزوج فأعطاها المهر كله ، وسماحة كل من الزوجين أكرم وأرضى عند الله وأليق بأهل التقوى فلا تتركوها ، واذكروا أن الخير فى التفضل وحسن المعاملة ، لأن ذلك أجلب للمودة والتحاب بين الناس ، والله مطلع على ضمائركم وسيجازيكم على ما تتفضلون .

٢٣٨ — احرصوا على اقامة الصلوات كلها ، وداوموا عليها ، واحرصوا على ان تكون صلاتكم هى الصلاة الفضلى باقامة أركانها والاخلاص الكامل لله فيها ، واتموا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله .

٢٣٩ — فاذا ادركتم الصلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلوا كما استطعتم مشاة أو راكبين فاذا زال الخوف عنكم فصلوا الصلاة مستوفية الاركان كما علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علمكم اياه وما من به عليكم من نعمة الأمن .

٢٤٠ — والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات لهم ، فقد أوصى الله بهن ان يقمن فى بيت الزوجية عاما كاملا مواساة لهن وازالة لوحشتهن ، ولا يحق لاحد ان يخرجهن ، فان خرجن بأنفسهن فى اثناء العام فلا اثم عليكم أيها الأولياء ان تتركوهن يتصرفن فى انفسهن بما لا ينكره الشرع الشريف عليهن ، وأطيعوا الله فى أحكامه واعملوا بماشرع لكم فانه قادر على أن ينتقم ممن يخالف أمره ، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرع لكم الا ما فيه المصلحة وان غابت حكمتها عن علمكم .



ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ
وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ
أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟

٢٤١ ـــ وللنساء اللاتى يطلقن بعد الدخول حق فى أن يعطين مايتمتعن به من المال جبرا لخاطرهن ، يدفع اليهن بالحسنى على قدر غنى الزوج وفقره لان ذلك مما توجبه تقوى الله ويلزم به اهل الايمان .

* * *

٢٤٢ ـــ بمثل هذه البيانات والتشريعات الواضحة المحققة للمصلحة، يبين الله لكم أحكامه ونعمه وآياته لتتدبروها وتعملوا بما فيها من الخير .

* * *

٢٤٣ ـــ تنبه ايها النبى الى القصة العجيبة واعلمها ، وهى حالة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الجهاد خشية الموت فيه وهم الوف كثيرة فقضى الله عليهم بالموت والهوان من أعدائهم ، حتى اذا استبسلت بقيتهم وقامت بالجهاد أحيا الله جماعتهم به ، وان هذه الحياة العزيزة بعد الذلة المميتة من فضل الله ، الذى يستوجب الشكران ، ولكن اكثر الناس لا يشكرون .

* * *

٢٤٤ ـــ واذا علمتم ان الفرار من الموت لا ينجى منه ، فجاهدوا وابذلوا انفسكم لاعلاء كلمة الله ، وأيقنوا ان الله يسمع ما يقول المتخلفون وما يقول المجاهدون ، ويعلم ما يضمر كل فى نفسه فيجازى بالخير خيرا وبالشر شرا .

* * *

٢٤٥ ـــ والجهاد فى سبيل الله يحتاج الى المال فقدموا أموالكم ، فأى امرىء لا يبذل أمواله لله طيبة بها نفسه وقد وعد الله أن يردها عليه مضاعفة اضعافا كثيرة ، والرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم واليه مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم ، ومع أن الرزق من فضل الله وعنايته وانه هو الذى يعطى ويمنع ، سمى المنفق مقرضا للحث على الانفاق والتحبيب فيه ، وتأكيد الجزاء المضاعف فى الدنيا والآخرة .



إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ
بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ
أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ
بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ

٢٤٦ ــ تنبه الى النبأ العجيب عن جماعة من بنى اسرائيل بعد عهد موسى طلبوا من نبيهم فى ذلك الوقت ان يجعل عليهم حاكما يجمع شملهم بعد تفرق ويقودهم تحت لوائه اعلاء لكلمة الله واستردادا لعزتهم ، سألهم ليستوثق من جدهم فى الأمر : الا ينتظر منكم أن تجبنوا عن القتال اذا فرض عليكم ؟ . فأنكروا ان يقع ذلك منهم قائلين : وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدو من أوطاننا . فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال احجموا الا جماعة قليلة منهم ، وكان احجامهم ظلما لأنفسهم ونبيهم ودينهم ، والله يعلم ذلك منهم وسيجزيهم جزاء الظالمين .

* * *

٢٤٧ ــ وقال لهم نبيهم ان الله استجاب لكم فاختار طالوت حاكما عليكم ، فاعترض كبراؤهم على اختيار الله قائلين : كيف يكون ملكا علينا ونحن أولى منه ، لأنه ليس بذى نسب ولا مال ، فرد عليهم نبيهم قائلا أن الله اختاره حاكما عليكم لتوافر صفات القيادة فيه ، وهى سعة الخبرة بشئون الحرب وسياسة الحكم مع قوة الجسم ، والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على وراثة أو مال ، وفضل الله وعلمه شامل، يختار ما فيه مصالحكم .

* * *

٢٤٨ ــ وقال لهم نبيهم أن دليل صدقى على أن الله اختار طالوت حاكما لكم هو ان يعود اليكم صندوق التوراة الذى سلب منكم تحمله الملائكة . وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدهما ــ وفى احضاره تطمئن قلوبكم ، وان فى ذلك لدليلا يدفعكم الى اتباعه والرضا به ان كنتم تذعنون للحق وتؤمنون به .



ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ج
قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ج وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩)
وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٥٠)
فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ قلى وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ج
وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ ج مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ج
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ



٢٤٩ — فلما خرج بهم طالوت قال لهم ان الله مختبركم بنهر تمرون عليه فى طريقكم فلا تشربوا منه الا غرفة فمن شرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جمعنا لخروجه عن طاعة الله ، ولن يصحبنى الا من لم يشرب منه اكثر من غرفة ، فلم يصبروا على هذا الاختبار وشربوا منه كثيرا الا جماعة قليلة ، فاصطحب هذه القلة الصابرة واجتاز بها النهر ، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا : لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقلتنا ، فقال نفر منهم — ثبت الله قلوبهم لرجائهم فى ثواب الله عند لقائه — لا تخافوا فكثيرا ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، فاصبروا فان نصر الله يكون للصابرين .

* * *

٢٥٠ — ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا الى الله ضارعين داعين له ان يملأهم بالصبر ، ويقوى عزائمهم ويثبتهم فى ميدان القتال، وان ينصرهم على اعدائهم الكافرين .

٢٥١ — فهزموا عدوهم باذن الله تعالى وقتل داود — وهو أحد جنود طالوت — جالوت قائد الكفار ، وأعطاه الله الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم النافع وعلمه مما يشاء ، وسنة الله ان ينصر الذين يصلحون فى الارض ولا يفسدون ، لولا ان الله يسلط جنوده على المفسدين لمحو فسادهم ، ويسلط الأشرار بعضهم على بعض ، لما عمرت الارض ، ولكن الله دائم الاحسان والفضل على عباده .

* * *

٢٥٢ — تلك القصة من العبر التى نقصها عليك بالصدق لتكون أسوة لك ودليلا على صدق رسالتك ، ولتعلم اننا سننصرك كما نصرنا من قبلك من الرسل .



وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ
لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ
ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

٢٥٣ ـ هؤلاء الرسل الذين ذكرنا فريقا منهم وقد فضلنا بعضهم على بعض . فمنهم من كلمه الله دون سفير كموسى ، ومنهم من رفعه الله درجات فوق درجاتهم جميعا وهو محمد الذى اختص بعموم الرسالة ، وكمال الشريعة ، وختمه الرسالات . ومنهم عيسى ابن مريم الذى امددناه بالمعجزات كاحياء الموتى ، وابراء الأكمه والأبرص وايدناه بجبريل روح القدس وقد جاء هؤلاء الرسل بالهدى ، ودين الحق ، والبينات الهادية ، وكان مقتضى هذا أن يؤمن الناس جميعا ، ولا يختلفوا ولا يقتتلوا ، ولو شاء الله الا يقتتل الناس من بعد مجىء الرسل اليهم بالآيات الواضحة الدالة على الحق، ماحدث اقتتال ولا اختلاف ، ولكن الله لم يشأ ذلك ، ولهذا اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله مااقتتلوا ولا اختلفوا بل يكونون جميعا على الحق ، ولكنه يفعل ما يريد لحكمة قدرها .

* * *

٢٥٤ ـ يأيها المؤمنون بالله واليوم الآخر انفقوا بعض ما رزقكم الله فى وجوه الخير ، وبادروا بذلك قبل أن يأتى يوم القيامة الذى يكون كله للخير ولا توجد فيه أسباب النزاع ، لا تستطيعون فيه تدارك ما فاتكم فى الدنيا ، ولا ينفع فيه بيع ولا صداقة ولا شفاعة أحد من الناس دون الله ، والكافرون هم الذين يظهر ظلمهم فى ذلك اليوم ، اذ لم يستجيبوا لدعوة الحق .

* * *

٢٥٥ ـ الله هو الذى يستحق أن يعبد دون سواه ، وهو الباقى القائم على شئون خلقه دائما ، الذى لا يغفل ابدا ، فلا يصيبه فتور ولا نوم ولا ما يشبه ذلك لانه لا يتصف بالنقص فى شىء ، وهو المختص بملك السموات والأرض لا يشاركه فى ذلك احد ، وبهذا لا يستطيع اى مخلوق كان أن يشفع لأحد الا باذن الله ، وهو سبحانه وتعالى محيط بكل شىء عالم بما كان وما سيكون ، ولا يستطيع احد أن يدرك شيئا من علم الله الا ما أراد أن يعلم به من يرتضيه ، وسلطانه واسع يشمل السموات والأرض ، ولا يصعب عليه تدبير ذلك لأنه المتعالى عن النقص والعجز ، العظيم بجلاله وسلطانه .



ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم
مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ
ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ

٢٥٦ــ لا اجبـار لأحد فى الدخـول فى الـدين ، وقد وضـح بالآيات الباهرة طريق الحق ، وطريق الضلال : فمن اهتدى الى الايمان وكفر بكل ما يطغى على العقل ، ويصرفه عن الحق . فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردى فى الضلال كمن تمسك بعروة متينة محكمة الرباط تمنعه من التردى فى هوة . والله سميع لما تقولون ، عليم بما تفعلون ومجازيكم على أعمالكم(١)

* * *

٢٥٧ ــ الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم يخرجهم من ظلمات الشك والحيرة الى نور الحق والاطمئنان . والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الايمان الذى فطروا عليه والذى وضح بالادلة والآيات الى ظلمات الكفر والفساد ، هؤلاء الكافرون هم اهل النار مخلدون فيها .

* * *

٢٥٨ ــ الم تر الى من عمى عن ادلة الايمان وجـادل ابراهيم خليل الله فى الوهية ربه ووحدانيته ، وكيف اخرجه غروره بملكه الذى وهبه ربه من نور الفطرة الى ظلام الكفر فعندما قال له ابراهيم : ان الله يحيى ويميت ، بنفخ الروح فى الجسم واخراجها منه ، قال انا أحيى وأميت بالعفو والقتل فقال ابراهيم ليقطع مجادلته : ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ان كنت الها كما تدعى ، فتحير وانقطع جدله من قوة الحجـة التى كشفت عجزه وغروره ، والله لا يوفق المصرين المعاندين الى اتباع الحق .

* * *

٢٥٩ ــ ثم تدبر فى مثل هذه القصة العجيبة ، قصة الذى مـر على قرية متهدمة سقطت سقوفها وهدمت حيطانها وهلك أهلها ، فقال : كيف

---

(١) سبق التعليق عليها من ناحية القانون الدولى عند التعليق على آيات القتال من ١٩٠ ـ ١٩٥ من سورة البقرة .



فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم ؟ فأماته الله وابقاه على موته مائة عام ثم بعثه ليظهر له سهولة البعث ويزول استبعاده ثم سئل اى مدة مكثتها ميتا ؟ قال : غير شاعر بطول المدة — : يوما أو بعض يوم ، قيل له بل مكثت على هذه الحالة مائة عام،ثم لفت الله نظره الى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له : فانظر الى طعامك لم يفسد ، والى شرابك لم يتغير ، وانظر الى حمارك أيضا ، وقد فعلنا ذلك لنعاين ما استبعدته من احياء بعد الموت ولنجعلك آية ناطقة للناس تدل على صدق البعث ، ثم امره الله أن ينظر الى عجيب خلقه للاحياء ، وكيف يركب عظامها ، ثم يكسوها لحما ، ثم ينفخ فيها الروح فتتحرك . فلما وضحت له قدرته تعالى وسهوله البعث ، قال اعلم ان الله قادر على كل شيء .

٢٦٠ — واذكر كذلك قصة ابراهيم ، اذ قال ابراهيم : رب أرنى كيفية احياء الموتى ؛ فسأله ربه عن ايمانه باحياء الموتى ليجيب ابراهيم بما يزيل كل الشك فى ايمانه ، فقال الله له : أو لم تؤمن باحياء الموتى،قال:انى آمنت ولكنى طلبت ذلك ليزداد اطمئنان قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير الحى فضمها اليك لتعرفهن جيدا . ثم جزلهن بعد ذبحهن ؛ واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءا منهن . ثم نادهن فسيأتينك ساعيات وفيهن الحياة كما هى ، واعلم أن الله لا يعجز عن شيء ، وهو ذو حكمة بالغه فى كل أمر (١) .

* * *

٢٦١ — ان حال الذين يبذلون اموالهم فى طاعة الله ووجوه الخير ، وينالون على ذلك ثواب الله المضاعف اضعافا كثيرة . كحال من يبذر حبة فى الأرض طيبة فتنبت منها شجيرة فيها سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الانفاق فى الدنيا،والله يضاعف عطاءه لمن يشاء فهو واسع الفضل . عليم بمن يستحق وبمن لا يستحق .

---

(١) ذكر الفخر الرازى وغيره أن هناك رأيا آخر فى تفسير النص الكريم وهو أن ابراهيم لم يذبحهن ولم يؤمر بالذبح وانه أمر بضمهن اليه تروبضا لهن على البقاء عنده ثم قسمهن فجعل على كل جبل واحدة من الاربع ثم دعاهن فجئن اليه وهذا تصوير لخلق الله تعالى للاشياء من انها تكون بامره للشيء كن فيكون كما دعاهن فجئن اليه .



عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا

٢٦٢ ـ ان الذين ينفقون أموالهم فى وجوه البر المشروعة دون من أو تفاخر أو تطاول على المحسن اليه . لهم أجرهم العظيم الموعود به عند ربهم، ولا يصيبهم خوف من شيء ولا حزن على شيء .

٢٦٣ ـ قول تطيب به النفوس وتستر معه حال الفقير فلا تذكر لغيره، خير من عطاء يتبعه ايذاء بالقول أو الفعل . والله سبحانه وتعالى غنى عن كل عطاء مصحوب بالأذى ، ويمكن الفقراء من الرزق الطيب ، ولا يعجل بعقوبته من لا يعطى رجاء أن يهتدى الى العطاء .

٢٦٤ ـ لا تضيعوا ثواب صدقاتكم أيها المؤمنون ـ باظهار فضلكم على المحتاجين وايذائهم فتكونوا كالذين ينفقون اموالهم بدافع الرغبة فى الشهرة وحب الثناء من الناس ، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، فان حال المرائى فى نفقته كحال حجر أملس عليه تراب ، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب .. فكما أن المطر الغزير يزيل التراب الخصب المنتج من الحجر الأملس ، فكذلك المن والاذى والرياء تبطل ثواب الصدقات . . فلا ينتفع المنتفعون بشيء منها ، وتلك صفات الكفار فتجنبوها ، لأن الله لا يوفق الكافرين الى الخير والارشاد .

٢٦٥ ـ حال الذين ينفقون أموالهم طلبا لمرضاة الله وتثبيتا لأنفسهم على الايمان ، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة (١) يفيده كثير الماء وقليله ، فان اصابه مطر غزير اثمر مثلين ، وان لم يصبه المطر الكثير بل القليل فانه يكفى لاثماره لجودة الأرض وطيبها ، فهو مثمر فى الحالتين ـ فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم ، والله لا يخفى عليه شيء من اعمالكم .

٢٦٦ ـ أنه لا يحب أحد منكم أن يكون له بستان من نخيل وأعناب تجرى خلالها الأنهار وقد أثمر له البستان من كل الثمرات التى يريدها (٢)

---

(١) فى تعبير القرآن الكريم بكلمة ربوة وهى الأرض الخصبة المرتفعة اشارة الى ما كشفه العلم الحديث لانها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص المجموع الجذرى فى التربة من غير ماء يضره ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لاكبر كمية من الغذاء للسيقان المجموع الخضرى فيتضاعف المحصول وللوابل من الامطار فائدة فوق التغذية انه يذيب بعض المواد التى تحتاج اليها النباتات ويغسلها مما يعطل نموها كما يغسلها من الآفات .

(٢) يفسر العلم الحديث الاعصار بأنه اضطراب جوى يتميز برياح شديدة يصحبه رعد وبرق وامطار وقد يكون فيه نار اذا كان مقترنا بتفريغ شحنات كهربائية من السحب أو يحمل قذائف نارية من بركان ثائر قريب تهلك ما حولها من أشجار وثمرها والنص القرآنى يشير الى كل هذه المعانى .

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ
وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن
تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ
يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ
وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ
وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

وأصابه ضعف الكبر وله ذرية ضعاف لا يقدرون على الكسب ولا يستطيع هو لكبره شيئا ، وجف بستانه فى هذه الحال العاجزة بسبب ريح شديدة فيها نار فأحرقته ، وصاحبه وذريته أحوج ما يكون اليه ، وكذلك شأن من ينفق ويتصدق ثم يعقب النفقة والصدقة بالمن والأذى والرياء فيبطل بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع ان يتصدق من بعد ذلك طيبة نفسه ، ومثل هـذا البيان يبين الله لكم الآيات لتتفكروا فيها وتعملوا بها .

٢٦٧ — يأيها المؤمنون أنفقوا من جيد ما تحصلونه بعملكم ، ومما يتيسر لكم اخراجه من الأرض من زروع ومعادن وغيرهما . ولا تتعمدوا الانفاق من ردىء المال وخبيثه مع انكم لا تأخذونه لو قدم اليكم الا على اغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث ورداءة ، واعلموا ان الله غنى عن صدقاتكم، مستحق للحمد بما أرشدكم اليه من خير وصلاح .

٢٦٨ — الشيطان يخوفكم من الفقر ويثنى عن كل عمل صالح ليصرفكم عن الانفاق فى وجوه الخير ويغريكم بالمعاصى . والله واسع المغفرة قادر على اغنائكم ، لا يخفى عليه شىء من أموركم .

* * *

٢٦٩ — يعطى صفة الحكمة من اصابة الحق فى القول والعمل من يشاء من عباده ، ومن اعطى ذلك فقد نال خيرا كثيرا لان به انتظام امر الدنيا والآخره ، وما ينتفع بالعظة والاعتبار بأعمال القرآن الا ذوو العقول السليمة التى تدرك الحقائق من غير طغيان الاهواء الفاسدة .

٢٧٠ — وما انفقتم من نفقة فى الخير أو الشر ، أو التزمتم بنفقة فى طاعة ، فان الله يعلمه وسيجزيكم عليه ، وليس للظالمين الذين ينفقون رياء او يؤذون فى نفقتهم أو ينفقون فى المعاصى ، اعوان يدفعون عنهم عذاب الله فى الآخرة .

* * *

٢٧١ — وان تظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم مرضى منكم ، ممدوح من ربكم ، وأن تعطوها الفقراء سرا منعا لحرجهم وخشيه الرياء فذلك خير لكم ، والله يغفر لكم من ذنوبكم بسبب اخلاصكم فى صدقاتكم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم نياتكم فى اعلانكم واخفائكم.



خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن

٢٧٢ — ليس عليك يا محمد هداية هؤلاء الضالين او حملهم على الخير ، وانما عليك البلاغ ، والله يهدى من يشاء ، وما تبذلونه من معونة لغيركم ففائدته عائدة عليكم ، والله مثيبكم عليه ، وهذا اذا كنتم لا تقصدون بالانفاق الا رضاء الله وأى خير تنفقونه على هذا الوجه يعود اليكم، ويصلكم ثوابه كاملا دون أن ينالكم ظلم .

٢٧٣ — وذلك الانفاق والبذل يكون للفقراء الذين كانوا بسبب الجهاد فى سبيل الله غير قادرين على الكسب ، أو لأنهم اصيبوا فى الجهاد بجراحات اقعدتهم عن السعى فى الأرض ، وهم متعففون عن السؤال يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء ، ولكنك اذا تعرفت حالهم عرفت هذه الحالة بعلامتها . وما تبذلونه من معروف فان الله عليم به ، سيجزيكم عليه الجزاء الأوفى .

٢٧٤ — الذين من شأنهم الانفاق تسخو نفوسهم فى الليل والنهار وفى العلانية والسر ، لهم جزاؤهم عند ربهم ، لا ينالهم خوف من أمر مستقبلهم ، ولا حزن على شىء فاتهم .

٢٧٥ — الذين يتعاملون بالربا لا يكونون فى سعيهم وتصرفهم وسائر احوالهم الا فى اضطراب وخلل ، كالذى افسد الشيطان عقله فصار يتعثر من الجنون الذى أصابه . لأنهم يزعمون ان البيع مثل الربا فى ان كلا منهما فيه معاوضة وكسب . فيجب أن يكون كلاهما حلالا وقد رد الله عليهم زعمهم فبين لهم أن التحليل والتحريم ليس من شأنهم ، وان التماثل الذى زعموه ليس صادقا . والله قد احل البيع وحرم الربا ، فمن جاءه أمر ربه بتحريم الربا واهتدى به ، فله ما اخذه من الربا قبل تحريمه ، وأمره موكول الى عفو الله . ومن عاد الى التعامل بالربا باستحلاله بعد تحريمه ، فأولئك يلازمون النار خالدين فيها (١)

---

(١) الربا المذكور فى الآية هو ربا الجاهلية وهو الزيادة فى الديون فى نظير الاجل وهو حرام فى قليله وكثيره ، وقال الامام أحمد (لا يسع مسلما أن ينكره) ويقابله ربا البيوع وهو ثابت بالسنة فى قوله عليه السلام : (البر بالبر مثلا بمثل يدا بيد والشعير بالشعير مثلا بمثل يدا بيد والذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد والفضة بالفضة مثلا بمثل ، يدا بيد ، والتمر بالتمر مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد اربى) .

وقد اتفق الفقهاء على تحريم الزيادة عند المبادلة مع اتحاد الجنس فى هذه الاشياء واباحوا الزيادة اذا اختلف الجنس ولكن حرموا التاجيل من هذه الاصناف واختلفوا فى قياس غيرها عليها اختلافا طويلا وأقرب الآراء أن يقاس عليها كل ما هو مطعوم قابل للادخار وربا الجاهلية لا خلاف فيه فمنكره كافر ، وأن ربا الجاهلية يصيب آكله ومؤاكله باضطرابات نفسية وعصبية نتيجة ارهاقه وتركز ذهنه فى المال الذى اقرضه أو أخذه فالدائن فى قلق بسبب انحصار ذهنه وفراغ نفسه من كل عمل والمدين فى هم وخوف من الا يسدده . وقد اسند بعض كبار الاطباء كثرة ضغط الدم والنزلات القلبية الى كثرة التعامل بالربا .



جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

٢٧٦ــ ان الله يذهب بالزيادة المأخوذة من الربا ويبارك فى المال الذى تؤخذ منه الصدقات ويثيب عليها اضعافا مضاعفة . والله لا يحب الذين يصرون على تحليل المحرمات كالربا ، ولا الذين يستمرون على ارتكابها .

٢٧٧ ــ أن الذين آمنوا بالله ، وامتثلوا أوامره فعملوا الصالحات التى أمر بها ، وتركوا المحرمات التى نهى عنها . وادوا الصلاة على الوجه الاكمل، واعطوا الزكاة لأهلها ، لهم ثوابهم العظيم المدخر عند ربهم . ولا خوف عليهم من شيء فى المستقبل ، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم .

* * *

٢٧٨ ــ يأيها الذين آمنوا خافوا الله واستشعروا هيبته فى قلوبكم ، واتركوا طلب ما بقى لكم من الربا فى ذمة الناس ان كنتم مؤمنين حقا .

٢٧٩ ــ فان لم تفعلوا ما أمركم الله به من ترك الربا فكونوا على يقين من أنكم فى حرب من الله ورسوله لمعاندتكم لامره . فان أردتم توبة مقبولة فلكم رءوس اموالكم فلا تاخذوا زيادة عليها قلت او كثرت وأيا كان سبب الدين ومصرفه ، لان الزيادة التى تأخذونها ظلم لغيركم ، كما أن ترك جزء من رءوس الاموال ظلم لكم .

* * *

٢٨٠ ــ وان وجد ذو عسرة فأعطوه وامهلوه عند انقضاء أجل الدين الى وقت ميسرته ، وتصدقكم عليه بالتنازل عن الدين او بعضه خير لكم ان كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله الذى يعلمكم المروءة والانسانية .

٢٨١ ــ وخافوا اهوال يوم تعودون فيه الى الله ، ثم تستوفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر .

= وتحريم الربا فى القرآن كما هو فى كل الديانات السماوية تنظيم اقتصادى ويتفق التحريم مع ماقرره الفلاسفة ذلك لان النقد لايلد النقد والاقتصاديون يقررون أن طرق الكسب أربعة: ثلاثة منها منتجه ، والرابعه غير منتجة فالثلاثة المنتجة : العمل ويتبعه الصناعة والزراعة والمخاطرة فى التجارة لانها بنقل الاشياء من مكان انتاجها الى مكان استهلاكها تتعرض لمخاطر ولانها تزيد قيمتها بهذا الانتقال وذلك فى ذاته انتاج . أما الرابعة فهى الفائدة أو الربا وهذه لامخاطرة فيها لان القرض لا يتعرض للخسارة بل له الكسب دائما ولانه لا انتاج الا العمل المقترض فالفائدة نتيجة لقيمه القرض .. واذا كان السبب هو القرض فهو بتوسيط غيره من غير تعرض للخسارة . والطبيعى ان كان ينتج بنفسه ويفرض ذلك فان شيوع الكسب بالفائدة يؤدى الى تحكم رؤوس الاموال فى العمل ويؤدى الى فراغ وعطل فيكون الاضطراب والكسل .

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم
بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ
كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا
أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ
وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ
أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

٢٨٢ — يأيها الذين آمنوا اذا داين بعضكم بعضا بدين مؤجل الى اجل ، ينبغى أن يكون الأجل معلوما ، فاكتبوه حفظا للحقوق وتفاديا من النزاع وعلى الكاتب أن يكون عادلا فى كتابته ، ولا يمتنع كاتب عن الكتابة ، شكرا لله الذى علمه مالم يكن يعلم ، فليكتب ذلك الدين حسب اعتراف المدين وليخش المدين ربه ولا ينقص من الدين شيئا ، فان كان المدين لا يحسن التصرف ولا يقدر الأمور تقديرا حسنا ، أو كان ضعيفا لصغر أو مرض أو شيخوخة ، أو كان لا يستطيع الاملاء لخرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوثيقة ، فلينب عنه وليه الذى عينه الشرع أو الحاكم ، أو اختاره هو فى املاء الدين على الكاتب بالعدل التام . واشهدوا على ذلك الدين شاهدين من رجالكم ، فان لم يوجدا فليشهد رجل وامرأتان تشهدان معا لتؤديا الشهادة معا عند الانكار ، حتى اذا نسيت احداهما ذكرتها الأخرى ، ولا يجوز الامتناع عن اداء الشهادة اذا ماطلب الشهود — ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أوكبيرا مادام مؤجلا لأن ذلك اعدل فى شريعة الله وأقوى فى الدلالة على صحة الشهادة ، وأقرب الى درء الشكوك بينكم ، الا اذا كان التعامل على سبيل التجارة الحاضرة ، تتعاملون بها بينكم ، فلا مانع من ترك الكتابة اذ لا ضرورة اليها . ويطلب منكم أن تشهدوا على المبايعة حسما للنزاع وتفادوا أن يلحق أى ضرر بكاتب او شاهد،فذلك خروج على طاعة اللهوخافوا اللهواستحضروا هيبته فى أوامره ونواهيه ، فان ذلك يلزم قلوبكم الانصاف والعدالة ، والله يبين ما لكم وما عليكم ، وهو بكل شىء — من أعمالكم وغيرها — عليم(١) .

---

(١) من ادق المسائل القانونية فى جميع القوانين الحديثة قواعد الاثبات وهى الطرق التىيثبت بها صاحب الحق حقه اذا ما لجأ الى القضاء بطلبه من خصيمه .

يوجب القرآن على الناس الانصاف والعدل ولو انصف الناس لاستراح القاضى ولكن النفوس البشرية بما جبلت عليه من مختلف الطبائع من طمع انى هب للمال والى شره الى أثرة الى نسيان الى رغبة فى الانتقام كل ذلك جعل الحقوق بينهما متنازعا عليها مختلفا فيها فوجب أن تكونهناك قواعد للاثبات تكون وسيلة فى تبين وجه الحق .

ولا نزاع ان الكتابة عند الخلف هى أقوى الادلة لان عند عدم الخلف قد يعترف الغريم بحق خصمه فاذا بعتك أو أجرتك أو داينتك وجب أن يثبت كل ذلك بالكتابة ولو فعل كل الناس ذلك لضاقت شقة الخلف بينهم . ولكن وقد تقدم العمران واشتبكت مصالح الناس عمدوا الىوسائل السرعة فاصبحت التقاليد التجارية تسمح للتاجر فى لندن أن يعقد عقدا كبير القيمة برسالة تليفونية أو لاسلكية فى نيويورك مرغما على أن لا يحتم الكتابة فى صفقته التى قد تصل الى الملايين فاذا ما اختلف العاقدان على الصفقة ولجأ الى القضاء أباح لهما .





فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ
وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾
* وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ
وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا
فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

٢٨٣ ــ واذا كنتم فى سفر فلم تجدوا من يكتب لــكم الدين ، فليكن ضمان الدين رهنا يأخذه الدائن من المدين . واذا اودع أحدكم آخر وديعة تكون أمانة عنــده ، وقد اعتمد على أمانته ، فليؤد المؤتمن الأمانة عنــد طلبها ، وليخش الله الذى رباه وتولاه بالعناية حتى لا يقطع عنه نعمته فى الدنيا والآخرة . ولاتكتموا الشهادة عند طلبها ، ومن يكتمها فهو آثم خبيث القلب ، والله بما تعملون عليم ، سيجزيكم عليه حسب ما تستحقون .

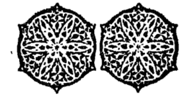
***

٢٨٤ ــ واعلموا أن لله ما فى السموات وما فى الأرض قد أحاط به قدرة وعلما ، وسواء أظهرتم ما فى أنفسكم أو أخفيتموه فان الله عليم خبير ، سيحاسبكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو تعالى على كل شىء قدير .

***

٢٨٥ ــ ان ما أنزل الى الرسول محمد هو الحق من عند الله ، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهم يسوون بين رسل الله فى الايمان بهم وتعظيمهم قائلين : لا نفرق بين أحد من رسله ، وأكدوا ايمانهم القلبى بقولهم اللسانى متجهين الى الله فى خطابهم : ربنا سمعنا تنزيلك المحكم واستجبنا لما فيه ، فامنحنا اللهم مغفرتك ، واليك وحدك المصير والمرجع .

مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ
ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا
مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن
نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ
وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا
عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦



٢٨٦ — ان الله لا يكلف عباده الا ما يستطيعون تأديته والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله : ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فاضرعوا الى الله ايها المؤمنون داعين : ربنا لا تعاقبنا ان وقعنا فى النسيان لما كلفتنا اياه ، او تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ ، ربنا ولا تشدد علينا فىالتشريع كما شددت على اليهود بسبب تعنتهم وظلمهم ، ولا تكلفنا مالا طاقة لنا به من التكاليف ، واعف عنا بكرمك ، واغفر لنا بفضلك ، وارحمنا برحمتك الواسعة انك مولانا ؛ فانصرنا يارب — من أجل اعلاء كلمتك ونشر دينك — على القوم الجاحدين .»

رقم الايداع بدار الكتب
١٨٩ / ١٩٦٩

مطابع الأهــرام التجارية

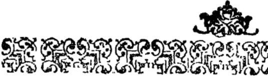


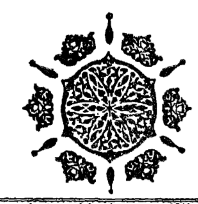


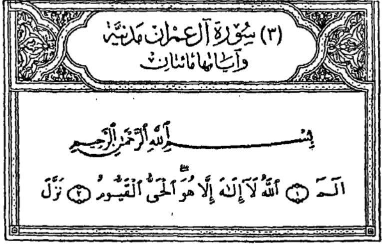
بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

استجابة لرغبة الآلاف من قراء مجلة منبر الاسلام فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، قرر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية اعادة طبع تفسير سورتى آل عمران والنساء من التفسير الذى توافر على تأليفه السادة أعضاء لجنة القرآن والسنة بأسلوب عصرى مبسط ومتكامل ، وقام بالتعليق العلمى على آياته الكريمة وبيان ما تضمنته من أسرار الحياة التى تكشفت فى العصر الحديث السادة أعضاء لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خير أمتنا الاسلامية فهو نعم المولى ونعم النصير .







(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا مِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آل عمران

يتحدث القرآن الكريم من خلال ما يذكره من قصص عن سنن الله الكونية ، وعن العبرات والعبر التى تستنتج ويبين فى اثناء القصة الكثير من العقائد والأحكام والأخلاق . وقد ذكر فى السورة السابقة طرفا من سيرة بنى اسرائيل صور فيه الكثير من انحرافهم ، وفى هذه السورة يذكر جوانب أخرى من ضلالهم وانحرافهم ، ويرشد الى ما ينبغى ان يكون عليه المؤمن فى عقيدته وسلوكه ويبين حقيقة الدين السماوى ، ويشير الى آداب المجادلة، ويذكر العادات فى الانتصار والفشل احيانا . ويبين مقام الشهداء يوم القيامة والجزاء وعمومه للذكر والأنثى وطريق الفلاح ، وتبتدىء هذه السورة الكريمة بما ابتدات به السورة السابقة .

* * *

١ ــ الم ، حروف صوتية سيقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعوا .

٢ ــ الله واحد لا اله غيره ، وكل ما فى العالم من تنسيق وابداع يشهد بذلك ، وهو الحى الذى لا يموت ، القائم بأمر العالم يدبره ويصرفه .

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ

ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ

ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ

فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ

فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ

هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

٣ — نزل عليك يا محمد القرآن مشتملا على الحق فى كل ما تضمنه من أصول الشرائع السماوية فى الكتب السابقة ، ولقد انزل الله من قبله التوراة على موسى والانجيل على عيسى .

٤ — انزلهما قبل القرآن لهداية الناس ، فلما انحرفوا أنزل القرآن فارقا بين الحق والباطل ، ومبينا الرشد من الغى ، فهو الكتاب الصادق الدائم ، وكل من ترك ما انزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد ، والله قادر لايغلبه شىء ، منتقم ممن يستحق الانتقام .

* * *

٥ — ان الله عليم بكل شىء ، فهو لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، صغيرا كان أو كبيرا ، ظاهرا أو باطنا .

٦ — وهو الذى يصوركم وانتم اجنة فى الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد ، لا اله الا هو العزيز فى ملكه ، الحكيم فى صنعه(١) .

٧ — وهو الذى أنزل عليك القرآن ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المعنى بينة المقاصد ، هى الاصل واليها المرجع ، وأخر متشابهات يدق معناها على اذهان كثير من الناس ، وتشتبه على غير الراسخين فى العلم ، وقد نزلت هذه المتشابهات لتبعث العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر فى الاجتهاد ، وفى البحث فى الدين ، وشأن الزائغين عن الحق أن يتتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة فى اثارة الفتنة ، ويؤولوها حسب اهوائهم . وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق الا الله والذين تثبتوا فى العلم وتمكنوا منه — وأولئك المتمكنون منه يقولون انا نوقن بأن ذلك من عند الله ، لا نفرق فى الايمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه ، وما يعقل ذلك الا أصحاب العقول السليمة التى لا تخضع للهوى والشهوة .

---

(١) « تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المعجزة لقدرة البارى المصور وهو تحول البويضة المخصبة وهى خلية واحدة ضئيلة الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من اجهزة واعضاء وأنسجة بملايين الخلايا وآيات فى البنيان والوظيفة . وسوف تتوالى فى القرآن الكريم آيات تفصل بعض أطوار النمو الجنينى . ولكن الذى تنوه به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص هو المشيئة الالهية المطلقة فى تصوير الجنين اذ ان الله يودع فى البويضة الدقيقة الحجم جميع المورثات الجينات التى تحدد جنس المولود ونصيبه من الخصائص الجسمانية بل ومواهبه العقلية والنفسية والسمات الرئيسية فى تكوين الشخصية الوارثة وان كانت تسير على قوانين ثابتة الا ان هذا التحديد لكل فرد بذاته من التقاء بويضة بعينها وحيوان منوى بعينه من بين الملايين من اقرانه هو من دلائل المشيئة المطلقة حتى انه لا يتماثل فردان فى العالم تماثلا كاملا .اللهم الا فى توائم البويضة الواحدة تكاد تتطابق .

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

٨ ــ وأولئك العلماء العاقلون يقولون : ربنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحق بعد اذ ارشدتنا اليه ، وامنحنا اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت انك انت المـــانح المعطى .

* * *

٩ ــ ربنا انك جامع الناس ليوم لاشك فيه لتجازى كلا على ما فعل ، فقد وعدت بذلك وانت لا تخلف الميعـــاد .

* * *

١٠ ــ ان الكافرين لن تدفع عنهم فى هذا اليوم اموالهم مهما عظمت ، ولا اولادهم مهما كثرت ، وسيكونون حطبا للنار تشتعل بهم .

* * *

١١ ــ وشأن هؤلاء شأن قومفرعونو المعادين منقبلهم، كذبوا بآيات الله مع وضوحها فنكل الله بهم بسبب ما ارتكبوه من الذنوب ، والله شـــديد العقـــــاب .

* * *

١٢ ــ قل أيها النبى لهؤلاء الذين كفروا ، وانكم فى الدنيا ستهزمون وفى الآخرة ستعذبون ، وتكون جهنم فراشا وبئس الفراش .

* * *

١٣ ــ لقد كان لكم آية بينة وعبرة ظاهرة طائفتين من المحاربين التقيـــا يوم بدر ، احداهما مؤمنة تحارب لاعلاء كلمة الله ونشر الحق ، والأخرى كافرة تحارب فى سبيل الأهواء والشهوات ، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقى ، وبذلك وقع الرعب فى قلوب الكفار فانهزموا . والله يمنح نصره لمن يشاء . وأن فى ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التى لا تنحرف فى ادراكها عن الحق .

١٤ ــ أن البشر جبلوا على حب الشهوات التى تتمثـل فى النســـاء ، والبنين والكثرة من الذهب والفضة ، والخيل الحسان المعلمة ، والانعـــام





وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ
عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن
ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ
وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا
بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا
مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ

التى منها الابل والبقر والغنم ، وتتمثل أيضا فى الزرع الكثير . لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية ، وهو لا يعد شيئا اذا قيس باحسان الله الى عباده الذين يجاهدون فى سبيله عند أوبتهم اليه فى الآخرة .

* * *

١٥ — قل يا أيها النبى ، أأخبركم بما هو خير من ذلك الذى زين للناس فى الدنيا ، أن للذين اتقوا ثوابا مضمونا عند ربهم ، هو جنات تجـرى من تحت ظلال أشجارها الأنهار ، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لايساورهم خوف من زوال نعيمها اذ كتب لهم الخلود فيهـا . وأزواج طاهرة نقية من كل ما يشين نساء الدنيا ، ورضاء من الله يشعرون فى ظله بنعيم أكبر . والله مطلع على أحوال عباده ، لا يخفى عليه أمر أو سر من أمورهم وأسرارهم .

١٦ — ينال هذا الجزاء اولئك الذين مـلأ الايمان قلوبهم وأعلنوا ذلك بألسنتهم فقالوا ضارعين الى الله : ربنا اننا آمنا استجابة لدعوتك ، فاعف عن ذنوبنا ، واحفظنا من عذاب النار .

١٧ — والذين يتحملون المشقة فىسبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه ، الذين يصدقون فى اقوالهم وافعالهم ونياتهم ، المداومون على الطاعة فى خشوع وضراعة الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره فى وجوه الخير ، الذين يستغفرون الله فى اواخر الليـل حيث تصفو النفس ويطيب التأمل والتفكير فى عظمة الخالق .

* * *

١٨ — بين الله بما بث فى الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقـل ، انه واحد لا شريك له ، وأنه قائم على شئون خلقه بالعدل ، وأقرت بذلك ملائكته الاطهار ، وعلمه اهل العلم موقنين به ، وأنه جل شأنه المتفـرد بالألوهية الذى لا يغلبه أحد على امره ، وشملت حكمته كل شىء .

١٩ — أن الدين الحق المرضى عند الله ، هو التوحيد والخضوع لله فى اخلاص ، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى فى هذا الدين فحرفوا وبدلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل اذ جاءهم العلم ، بل كان ذلك للتحاسد والتطاول ، ومن يجحد بآيات الله فلينتظر حساب الله السريع .

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ
وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا
جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

٢٠ ــ فان جادلك هؤلاء فى هذا الدين بعد ان أقمت لهم الحجج ، فــلا تجارهم فى الجدل،وقل اخلصت عبادتى لله وحده انا ومن اتبعنى من المؤمنين وقل لليهود والنصارى ومشركى العرب قد بانت لكم الدلائل فأسلموا ، فان أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه ، وان أعرضوا فلا تبعة عليك فى اعراضهم ، فليس عليك الا ان تبلغهم رسالة الله ، الله مطلع على عباده لا يخفى عليه شىء من احوالهم واعمالهم .

* * *

٢١ ــ ان الذين يجحدون آيات الله الكونية والمنزلة ، ويقتلون من بعثهم الله لهدايتهم من الأنبياء ــ ولا يكون بحق ابدا ، بل هو اعظم الظلم ،ويقتلون دعاة الناس الى القسط والعدل ، يستحقون العذاب الأليم فبشرهم به .

* * *

٢٢ ــ اولئك المتصفون بتلك الصفات بطلت اعمالهم ولو كان بعضها طيبا ، وخلت من ثمراتها فلم تنفعهم فى الدنيا ، واعقبهم الخزى والنكال فى الآخرة ، وليس من ينقذهم من الخسران والعذاب .

* * *

٢٣ ــ الم تعلم حال الذين اعطوا حظا من الكتاب والعلم يدعون الى كتاب الله وهو القرآن ليفصل الحق من الباطل فيما شجر بينهم من خلاف فلا يسارعون الى اجابة الداعى ، بل يعرض عنه فريق منهم شأنه الأعراض عن دعوة الخــير .

* * *

٢٤ ــان اولئك المعــرضين من اليهود ، زين لهم ذلك الاعراض أنهم يمنون انفسهم بالأمانى الباطــلة ، فيزعمون ان النار لن تمســـهم الا اياما معدودات ودفعهم الى ذلك الغرور وتلك الأمانى افتراءاتهم المستمرة فى دينهم .

* * *

٢٥ ــ فكيف يكون حالهم وقت ان يجمعهم الله فى الآخرة التى لا شك



وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ

فى وجودها ولا حسابها ، فكل نفس تعطى جزاءها فيها وافيا ، وهم جديرون بما ينالهم من عذاب الجحيم .

٢٦ — قل — ايها النبى — ضارعا اليه مقرا بجبروته : اللهم انت وحدك مالك التصرف فى الأمر كله ، تمنح من تشاء من الحكم والسلطان ، وتنزعه ممن تشاء وتهب العزة من تريد من عبادك بتوفيقه الى الأخذ بأسبابها ، وتضرب الذل والهوان على من تشاء ، فأنت وحدك تملك الخير : لا يعجزك شىء عن تنفيذ مرادك ، وما تقتضيه حكمتك فى نظام خلقك .

٢٧ — وانت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسنن ، تدخل من الليل فى النهار ما يزيد به النهـــار طولا ، وتدخل من النهـــار فى الليل ما يزيد به الليل طولا ، وتخرج المتصف بمظاهر الحياة من فاقدها ، كما تخـــرج فاقد الحياة من الحى المتمكن من أسباب الحياة ، وتهب عطاءك الواســع من تشاء كما تريد على نظام حكمتك ، فلا رقيب يحاسبك ، ومن كان هذا شأنه لا يعجزه أن يمنح رسوله واصفياءه السيادة والسلطان والغنى واليسار كما وعـــــدهم(١) .

٢٨ — اذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك ، ويعز ويذل ، وبيده وحده الخير والخلق والرزق ، فلا يصح للمؤمنين أو يجعلوا لغـــير المؤمنين ولاية عليهم ، متجاوزين نصرة المؤمنين . لأن فى هذا خذلانا للدين وايذاء لأهله ، واضعافا للولاية الاسلامية ، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك فى شىء ، ولا يرضى مؤمن بولايتهم الا أن يكون مضطرا لذلك ، فيتقى اذاهم باظهار الولاء لهم . وعلى المؤمنين ان يكونوا فى الولاية الإسلامية دائما وهى ولاية الله ، وليحذروا أن يخرجوا الى غير ولايته ، فيتولى عقابهم بنفسه بكتابة الذلة عليهم بعد العزة . واليه وحـــده المصير فلا مفر من سلطانه فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٢٩ — قل — ايهـــا النبى — أن تخفوا ما فى صـــدوركم أو تظهروه فى اعمالكم واقوالكم فان الله يعلمه ، ويعلم جميع ما فى السموات وما فىالأرض ما ظهر منه وما استتر ، وقدرته نافذة فى جميع خلقه .

---

(١) « دورة الحياة والموت هى معجزة الكون وسر الحياة نفسها . والسمات الرئيسية فى هذه الدورة ان الماء وثانى أكسيد الكربون والنتروجين والاملاح غير العضوية فى التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وانواع معينة من البكتريا الى مواد عضوية هى مادة الحياة فى النبات والحيوان اما فى الشق الثـــانى من هذه الدورة فتعود هذه المواد الى عالم الموت فى صورة نفايات الاحياء ونواتج أيضها وتنفسها .

ثم فى صورة اجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل البكتيرى والكيماوى التى تحيلها الى مواد غير عضوية بسيطة مهياة للدخول فى دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا فى كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتا من الحياة وهذه الدورة المتكررة لا تتم الا فى وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبذرة النبات مثلا .

والآية الكريمـــة تذكر أولى الالباب بالمعجـــزة الاولى وهى خلق الحيـــاة من مادة الارض الميتة ثم تكرار الدورة كما سبق . وهكذا جاء فى الآية الكريمة اخراج الحى من الميت سابقا لاخراج الميت من الحى وهذا هو الاعجاز بعينه » .

أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾



۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ
لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ
ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا

٣٠ ـ فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عملها من الخير مهما قل مشاهدا حاضرا ، وما اقترفته من سوء تتمنى أن يكون بعيدا عنها بعدا شاسعا حتى لا تراه استقباحا له وخوفا من الوقوع فى مغبته ،ويحذركم الله عقابه اذا خرجتم من ولايته التى هى رأفة ورحمة بالعباد .

٣١ ـ قل : ان كنتم صادقين فى دعواكم انكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم الله : فاتبعونى فيما آمركم به وانهاكم عنه ، لأننى مبلغ عن الله ، فان ذلك يحبكم الله به ، يثيبكم الله عليه بالاحسان اليكم والتجاوز عن خطاياكم ، والله كثير الغفران والرحمة لعباده .

٣٢ ـ قل : أطيعوا الله ورسوله ، فان اعرضوا عنك فهم كافرون بالله ورسوله ، والله لا يحب الكافرين .

٣٣ ـ كما اصطفى الله محمدا لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته ، ذكر انه اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى نوحا بالرسالة ، واصطفى ابراهيم وآله اسماعيل واسحاق والأنبياء من أولادهما ، ومنهم موسى عليهم السلام ، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وامه ، فعيسى جعله الله رسولا لبنى اسرائيل ، ومريم جعلها اما لعيسى من غير أب .

٣٤ ـ اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم وما تكنه صدورهم .

٣٥ ـ واذكر ايها النبى حال امراه عمران اذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصا لعبادة الله وخدمة بيته ، قائلة يا رب : انى نذرت ما فى بطنى خالصا لخدمة بيتك فاقبل منى ذلك ، انك السميع لكل قول، العليم بكل حال .

❋ ❋ ❋

٣٦ ـ فلما وضعت حملها قالت معتذرة تناجى ربها . انى ولدت انثى والله عليم بما ولدت ، وان مولودها وهو انثى خير من مطلوبها وهو الذكر . وقالت : انى سميتها مريم انى اسألك أن تحصنها هى ونسلها من غواية الشيطان الرجيم .

حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

٣٧ ــ فتقبل الله مريم نذرا لأمها ، وأجاب دعاءها ، فأنبتها نباتا حسنا، ورباها فى خيره ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها ، وجعل زكريا عليه السلام كافلا لها . وكان زكريا كلما دخل عليها فى معبدها وجد عندها رزقا غير معهود فى وقته . قال متعجبا يا مريم : من أين لك هذا الرزق ؟ قالت : هو من فضل الله ، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقا كثيرا بغير عدد ولا احصاء .

* * *

٣٨ ــ لما رأى زكريا عليه السلام ما رآه من نعمة الله على مريم ، اتجه الى الله ضارعا أن يهبه من فضله وكرمه وبقدرته ولدا ، فهو يسمع دعاء الضارعين ، وهو القدير على الاجابة وان وقفت الأسباب العادية من شيخوخة أو عقم دون تحقيقها .

* * *

٣٩ ــ فاستجاب الله دعاءه ، فنادته الملائكة وهو قائم فى معبده متجها الى ربه ، بأن الله يبشرك بولد اسمه يحيى ، يؤمن بعيسى عليه السلام الذى سيوجد بكلمة من الله فيكون على غير السنة العامة فى التوالد ، ويجعله (أى يحيى) يسود قومه بالعلم والصلاة ، يعزف عن الشهوات والأهواء ، ويجعله من الأنبياء والصالحين .

* * *

٤٠ ــ ولما سبقت اليه هذه البشرى ، اتجه الى ربه متشوقا الى معرفة الكيفية التى يكون بها هذا الغلام ، مع عدم توافر الأسباب العادية لكبر سنه وعقم زوجه ورد الله عليه بأنه متى شاء أمرا أوجد له سببه ، أو خلقه بغير الأسباب المعروفة . فهو يفعل ما يشاء .

* * *

٤١ ــ فدعا زكريا ربه أن يجعل له علامة لتحقق هذه البشرى ، فأجابه الله بأن علامتك أن تعجز عن كلام الناس ثلاثة أيام الا بالاشارة اليهم بما تريد وثابر على ذكر ربك وتنزيهه فى المساء والصباح .



وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ
وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ
ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى
بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى
قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ

٤٢ — واذكر أيها النبى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اختارك لتكونى أم نبيــه ، وطهرك من كل دنس ، وخصك بأمومتك لعيسى بفضل على كل نساء العــالمين .

٤٣ — وهذا يا مريم يستوجب منك الشكر لربك، فالزمى طاعته ، وصلى له ، وشاركى الذين يعبدونه ويصلون له .

٤٤ — ذلك الذى قصه القرآن عليك يا محمد من الأخبار العظيمة عمن اصطفاهم الله ، هى من الغيب الذى أوحى الله به اليك . وما كنت حاضرا معهم وهم يقترعون بالسهام ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم ، وما كنت معهم وهم يختصمون فى نيل هذا الشرف العظيم .

* * *

٤٥ — اذكر — أيها النبى — اذ بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السنة العادية فى التوالد[*] ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وقد خلقه الله ذا مكانة فى الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب ، وفى الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين الى الله من النبيين أولى العزم .

٤٦ — وميزه الله بخصائص ، فكان يكلم الناس وهو طفل فى مهده كلاما مفهوما حكيما ، كما يكلمهم وهو رجل سوى ، من غير تفــاوت بين حالتى الطفولة والكهولة . وكان ممن منحهم الله الصلاح .

٤٧ — قالت مريم متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد : من أين يكون لى ولد ولم يمسسنى رجل ؟ فذكر الله تعالى لها ان الله يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية ، فانه اذا أراد شيئا أوجده بتأثير قدرته فى مراده من غير افتقار الى موجب آخر .

٤٨ — والله يعلم هذا الوليد الكتابة ، والعلم الصحيح النافع ، والتوراة (كتاب موسى) والانجيل الذى أوحاه الله اليه .

* * *

٤٩ — ويبعثه رسولا الى بنى اسرائيل ، مستدلا على صدق رســالته بمعجزات من الله ، هى ان يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ينفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائرا بارادة الله ، ويشفى بتقدير الله



كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ
يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ



من ولد أعمى فيبصر ، ومن به برص فيزول برصه ، ويعيد الحياة الى من فقدها . كل ذلك باذن الله وارادته ، ويخبرهم بما يدخرون فى بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول لهم ان هذه الآيات التى أظهرها الله على يدى حجة على ان رسالتى حق ان كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به .

* * *

٥٠ ــ وأرسلت اليكم مصــدقا لشريعة التوراة التى نزلت على موسى ولأبيح لكم بأمر الله بعض ما حرم عليكم من قبل ، وقد جئتكم بآية من الله على صدق رسالتى . فاتقوا الله واطيعون .

* * *

٥١ ــ لان الله مفيض على وعليــكم الوان احسانه ، فربانى ورباكم ، فأخلصوا العبادة له ، فان هذا هو الطريق الذى لا عوج فيه .

* * *

٥٢ ــ ولمــا جاء عيسى عليه السلام ، دعا قومه الى الصراط المستقيم ، فأبى اكثرهم ، فلما علم منهم ذلك اتجه اليهم مناديا : من يناصرنى فى هذا الحق الذى ادعو اليه ؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبه : نحن نؤيــدك وننصرك لانك داع الى الله واشهد بأنا مخلصون لله منقادون لأمره .

* * *

٥٣ ــ ونحن نقول : يا ربنا ، صدقنا بكتابك الذى أنزلته على نبيك ، وامتثلنا امر رسوله عيسى عليه السلام ، فأثبتنا من الشاهدين لرسولك بالتبليغ ، وعلى بنى اسرائيل بالكفر والجحود .

* * *

٥٤ ــ اما الجاحدون فقد دبروا تدبيرا خفيا يحاربون به دعوة عيسى ، فأبطل الله كيدهم فلم ينجحوا فيما ارادوا ، والله احكم المدبرين واقواهم .

* * *

٥٥ ــ واذكر أيها النبى اذ قال الله ياعيسى انى مستوفٍ أجلك ، ولا أمكن أحدا من قتلك ، وأنى رافعك الى محل كرامتى ، ومنجيك من اعدائك الذين قصدوا قتلك ، وجاعل المتبعين لك ، الذين لم ينحرفوا عن دينك ، ظاهرين

كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ
الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ
مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل
لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ

بالقوة والسلطان على الذين لم يهتدوا بهديك الى يوم القيامة . ثم الى مصيركم فى الآخرة فاقضى بينكم فى الذى تنازعتم فيه من أمر الدين ».

* * *

٥٦ ــ فأما الجاحدون ، فأذيقهم عذاب الخزى والنكال بتسليط الأمم عليهم فى الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وأخزى . وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله ».

* * *

٥٧ ــ وأما المهتدون بهدى الله ، العاملون على سنن الخير ، فيعطيهم الله جزاء اعمالهم وافيا . وشأن الله أنه لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاغين على دعوته واحسانه ، ولا يرفع لهم قدرا ».

* * *

٥٨ ــ ذلك الذى قصصناه عليك ، من الحجج الدالة على صدق رسالتك ، وهو من القرآن الكريم المذكر ، المشتمل على العلم النافع ».

* * *

٥٩ ــ ضل قوم فى أمر عيسى ، فزعموا انه ابن الله لانه ولد من غير أب ، فقال الله لهم ، ان شأن عيسى فى خلقه من غير اب كشأن آدم فى خلقه من تراب من غير أب ولا أم ، فقد صوره واراد أن يكون فكان بشرا سويا ».

* * *

٦٠ ــ هذا البيان فى خلق عيسى هو الصدق الذى بين الواقع بأخبار رب الوجود فدم على يقينك ، ولا تكن من الشاكين ».

* * *

٦١ ــ فمن جالك يأيها النبى فى شأن عيسى من بعد ما جاءك من خبر الله الذى لا شبهة فيه ، فقل لهم قولا يظهر علمك اليقينى وباطلهم الزائف ، تعالوا يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه ، ثم نضرع الى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب فى أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله .

ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ
أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا
مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ

٦٢ ــ وذلك هو الحق الذى لا مرية فيه ، فليس فى الوجود اله الا الله الذى خلق كل شىء ،وانه لهو المنفرد بالعزة فى ملكه والحكمة فى خلقه .

* * *

٦٣ ــ فان أعرضوا عن الحق بعد ما تبين لهم ، ولم يرجعوا عن ضلالاتهم فهم المفسدون ، والله عليم بهم .

* * *

٦٤ ــ قل ــ يأيها النبى ــ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة عادلة جامعة تجرى بيننا ونذكرها على السواء ، وهى أن نخص الله بالعبادة ولا نجعل غيره شريكا له فيها ، ولا يطيع بعضنا بعضا وينقاد له فى تحليل شىء أو تحريمه ، تاركا حكم الله فيما أحل وحرم ، فان اعرضوا عن هذه الدعوة الحقة فقولوا لهم : أشهدوا بأنا منقادون لأحكام الله ، مخلصون له الدين ، لا ندعو سواه .

* * *

٦٥ ــ يا أهل الكتاب لماذا تتنازعون وتجادلون فى دين ابراهيم : كل منكم يدعى انه على دينه . فى حين ان ابراهيم سابق فى الوجود على التوراة والانجيل بشريعة خاصة ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، فكيف يكون على شريعة واحدة منهما . أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذى يناقض الواقع ؟ .

* * *

٦٦ ــ هأنتم يا هؤلاء جادلتم فى أمر موسى وعيسى الذى لكم به معرفة ــ كما تزعمون ــ فكيف تجادلون فى كون ابراهيم يهوديا أو نصرانيا وليس لكم بذلك علم ، والله يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه ، وأنتم لا علم لكم بذلك .

* * *

٦٧ ــ ان ابراهيم عليه السلام ما كان على دين اليهود ولا على دين النصارى ، ولكن كان منصرفا عن الأديان الباطلة الى الدين الحق ، منقادا لله ، مخلصا فى طاعته وما كان من الذين يشركون مع الله غيره فى العبادة .



وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ
ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟
إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ
أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ



٦٨ ــ أن أحق الناس بالانتساب الى ابراهيم ودينه للذين أجابوا دعوته واهتدوا بهديه فى زمنه ، وكذا محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه ، فانهم أهل التوحيد الخالص وهو دين ابراهيم ، والله يحب المؤمنينوينصرهم لأنهم أولياؤه ، ويجازيهم بالحسنى وزيادة .

٦٩ ــ أن فريقا من أهل الكتاب يتمنون اضــلال المؤمنــين وفتنهم عن دينهم ، بالقاء الشبه التى توهن الاعتقــاد . وهم فى عملهم هذا لا يضلون الا أنفسهم باصرارهم على الضلال الذى يحيق بهم وحدهم ولا يعلمون أن عاقبة سعيهم هذا لاحقة بهم ولا تضر المؤمنين .

٧٠ ــ يا أهل الكتاب لم تكذبون بآيات الله المنزلة الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : وأنتم تعلمون انها حق ؟ .

٧١ ــ يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذى جاء به الأنبياء ونزلت بــه الكتب بالشبهات الواهية ، والتأويلات الباطلة ، ولا تذيعون الحق صريحا واضحا بعيدا عن التخليط ، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظــيم .

٧٢ ــ وأن أهل الكتاب ــ فى سبيل اضلال المؤمنين ــ قالوا لاخوانهم آمنوا بالقرآن الذى نزل على محمد واتبعه فيه المؤمنون أول النهار،واكفروا فى آخره . لعلكم تستطيعون بهذا فتنتهم ببث الريب والشك فيهم ، فيرجعوا من دينهم .

٧٣ ــ وقالوا ايضا : لاتذعنوا الا لمن تبع دينكم ، خشية أن يدعى أحد أنه أوتى مثل ما عندكم ، أو يحتج عليكم باذعانكم عند ربكم ، قل لهم أيهــا النبى ــ أن الهدى ينزل من عند الله ، فهو الذى يفيض به ويختار له من يشاء وقل لهم ــ أيها النبى ــ أن الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده ، وهو واسع الفضل ، عليم بمن يستحقه ومن ينزله عليه .

٧٤ ــ فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة ، ومن خصه بذلك فانما هو محض فضله ، والله صاحب الفضل العظيم ، لا ينازعه فيه غيره ، ولايحجر عليه فى عطائه .

* * *

٧٥ ــ هذا سلوك أهل الكتاب فى الاعتقاد ، أما سلوكهم فى المال ، فمنهم من أن استأمنته على قنطار من الذهب او الفضة اداه اليك لاينقص منــه شيئا ، ومنهم من أن استأمنته على دينار واحد لا يؤديه اليك الا اذا لازمته



وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن

وأحرجته ، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم اميون ، وأنهم لا ترعى لهم حقوق ، ويدعون أن ذلك حكم الله ، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعـــالى .

٧٦ ـــ حقا لقد افتروا على الله الكذب ، فان من ادى حق غيره ووفاه في وقته كما عاهده عليه وخاف الله فلم ينقص ولم يماطل ، فانه يفوز بمحبة الله لأنه اتقـــاه(١) .

٧٧ ـــ ان الذين يتركون عهد الله الذى عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات ، ويتركون أيمانهم التى اقسموا بها على الوفاء ـــ لثمن قليل من اعراض الدنيا مهما عظم فى نظرهم لا نصيب لهم فى متاع الآخرة ، ويعرض عنهم ربهم ، ولا ينظر اليهم يوم القيامة نظرة رحمة ، ولا يغفر لهم آثامهم ، ولهم عذاب مؤلم مستمر الايلام .

٧٨ ـــ وان من هؤلاء فريقـــا يميلون ألسنتهم فينطقون بمـــا ليس من الكتاب ، محاولين أن يكون شبيها له ، ليحسبه السامع من الكتاب وماهو منه فى شيء ، ويدعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحى فى شيء وهم بهذا يكذبون على الله ، وهم فى أنفسهم يعلمون أنهم كاذبون .



٧٩ ـــ وما كان معقولا ولا سائغا لبشر ينزل الله عليه الكتاب ، ويؤتيه العلم النافع والتحدث عن الله ـــ أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله ،

---

(١) توجب الآية الوفاء بالعهد وفى الوفاء بالعهد آيات اخرى سبقت فيها (٢٧) من « سورة البقرة » ولقد اتهم الاسلام والمسلمون بانهم لا يرعون العهد ولا يعقدون معاهدة الا لحاجة مؤقتة وينبذونها كلما حانت لهم الفرصة وقد مر الرد على هذه الفرية ومن جوامع كلم الامام على بن ابى طالب ما ورد فى كتابه للاشتر النخعى ـ وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اشد اجتماعا عليه مع تفرق أهوائهم من تعظيم الوفاء بالعهود فلا تغدرن بذمتك وتحنث بعهدك ..) .

وحدث أن احد قواد المسلمين رد الى معاهديه الجزية التى اقتضاها عماله منهم لما أحس بعدم قدرته على الدفاع عنهم وكان ذلك شرطا من شروط العهد .

كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ

تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾

وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ

وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ

وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ

قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ

وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ

ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذى خلقهم بمقتضى ما علمهم من علم الكتاب وما يدرسونه منه .

* * *

٨٠ ـ ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أربابا من دون الله ، وان ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن صرتم مسلمين وجوهكم لله .

* * *

٨١ ـ واذكر لهم أيها النبى أن الله اخذ العهد والميثاق على كل نبى أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع ، انه اذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤمنن به وينصرنه . واخذ الاقرار من كل نبى بذلك العهد ، واقروا به وشهدوا على انفسهم وشهد الله عليهم ، وبلغوه لأممهم ، أن ذلك العهد يوجب عليهم الايمان والنصرة ان ادركوه وان لم يدركوه ، فحق على اممهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعا لما التزم به أنبياؤهم .

* * *

٨٢ ـ فمن أعرض عن الايمان بالنبى بعد هذا الميثاق المؤكد ، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله ، الكافر بالأنبياء اولهم وآخرهم .

* * *

٨٣ ـ أيطلبون دينا غير دين محمد وهو دين الأنبياء ـ وهو وحده دين الله ـ الذى خضع له كل من فى السموات والارض طوعا بالارادة والاختيار ، او كرها بالخلق والتكوين ، واليه وحده يرجع الخلق كله .

* * *

٨٤ ـ أكد الله وحدة الالوهية والرسالة ، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدقنا بالله المعبود وحده ، ومرسل رسله ، وآمنا بما انزل الله علينا من القرآن والشريعة ، وما نزله من كتب وشرائع على ابراهيم واسماعيل

مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟
بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ
أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟
كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم
مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

واسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الاثنى عشر ، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الانجيل ، وما انزل على سائر النبيين لا فــرق فى الايمان بين احد منهم . ونحن بذلك قد اسلمنا وجهنا لله .

***

٨٥ ـــ فمن يطلب بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم دينا وشريعـــة غير دين الاسلام وشريعته ، فلن يرضى الله منه ذلك ، وهو عند الله فى دار جزائه من الذين خسروا انفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم .

٨٦ ـــ ان الله لا يوفق قوما شهدوا بأن الرسول حق ، وجاءتهم الأدلة على ذلك ، ثم بعد ذلك كفروا به ، وبمعجزاته ، فكان ذلك ظلما منهم ، والله لا يوفق الظالمين .

٨٧ ـــ أولئك عقوبتهم عند الله ، استحقاق غضبه عليهم ، ولعنته ، ولعنة صفوة الخلق جميعا من ملائكة وبشر .

٨٨ ـــ لا تفارقهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يمهلون .

٨٩ ـــ لكن الذين اقلعوا عن ذنوبهم ، ودخلوا فى اهل الصلاح وازالوا ما افسدوا ، فان الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية .

***

٩٠ ـــ وأن قبول التوبة والرحمة بالغفران ، شرطهما الاستمرار على الايمان ، فالذين يجحدون الحق بعد الاذعان والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جحودا وفسادا وايذاء للمؤمنين ، فلن يقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لانها يمكن أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنـــه .

***

٩١ ـــ وان الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليـــه حتى وهم جاحدون ، فلن يستطيع احدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله سبحانه

أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

* كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ



وتعالى شيئا ، ولو كان الذى يقدمه فدية له ما يملأ الأرض من الذهب ان استطاع ، وعذابهم مؤلم شديد الايلام .

٩٢ — لن تنالوا ايها المؤمنون الخير الكامل الذى تطلبونه ويرضاه الله تعالى ، الا اذا بذلتم مما تحبون وانفقتموه فى سبيل الله المتنوعة ، وان الذى تنفقونه قليلا او كثيرا ، نفيسا أو غيره ، فان الله يعلمه لأنه العليم الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

٩٣ — اعترض اليهود على استباحة المسلمين بعض الاطعمة كلحوم الابل وألبانها ، وادعوا ان ذلك حرمته شريعة ابراهيم . فرد الله سبحانه دعواهم ببيان ان تناول كل المطعومات كان مباحا لبنى يعقوب من قبل نزول التوراة، الا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم .. وامر الله نبيه أن يطلب منهم ان يأتوا من التوراة بدليل يثبت ان شريعة ابراهيم تحرم ذلك ان كانوا صادقين ، فعجزوا وافحموا .

٩٤ — واذ ثبت عجزهم ، فمن اختلق منهم الكذب على الله من بعد لزوم الحجة فهم المستمرون على الظلم المتصفون به حقا .

٩٥ — وبعد تعجيزهم امر الله النبى ان يبين لهم انه بعد افحامهم ثبت صدق الله فيما اخبر ، فاتبعوا شريعة ابراهيم التى يدعوكم اليها وتكذبون عليها ، فهذا بعيد عن الأديان الباطلة ، فليس من أهل الشرك بالله .

٩٦ — وان من اتباع ملة ابراهيم ، الاتجاه فى الصلاه الى البيت الذى بناه والحج اليه ، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر : ان اول بيت فى القدم والشرف جعله الله متعبدا للناس لهو الذى فى مكة ، وهو كثير الخيرات والثمرات ، واودع الله سبحانه وتعالى البركة فيه ، وهو مكان هداية الناس بالحج والاتجاه فى الصلاة اليه[1] .

٩٧ — وفيه دلائل واضحات على حرمته ومزيد فضله ، منها مكان قيام ابراهيم للصلاة فيه ، ومن دخله يكون آمنا لايتعرض له بسوء ، وحج هذا البيت واجب على المستطيع من الناس ، ومن ابى وتمرد على امر الله وجحد دينه ، فالخسران عائد عليه ، وان الله غنى عن الناس كلهم .

---

(١) « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكه الكعبه اول بيت وضع للناس لعبادة الله الواحد القهار بينما بقية الشعوب والقبائل فى سائر انحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتماثيل فالمصريون كانوا يعبدون الهه متعددة تارة فى وقت واحد وتارة فى أوقات متعددة . فمن عبادة الشمس الى عبادة الصور الى عبادة الالهه الثلاثة أوزوريس واوزيس وابنهما حوريس وأقاموا لذلك التماثيل .

وكان الاشوريون يعبدون بعل متسموش . أى اله الشمس ويصنعون له صنما على نحو ابى الهول له رأس انسان وجسم أسد وله اجنحه . وكان الكنعانيون يعبدون البعل وهو على وصف أبي الهول ولا يزال تمثال الكنعانيين موجودا . وإن كان مشوها حتى اليوم ببعلبك .

وبكه هى عين مكة . ومن المعلوم أن بعض القبائل العربيه تبدل الباء ميما وبالعكس . فيقولون فى مكان (بكان) وفى بكر (مكر) وتوجد فى بعض جهات الاقليم الجنوبى الصعيد من الجمهورية العربية المتحدة أثر من ذلك حتى اليوم .

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ
ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ
تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ
وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ
وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ
قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ

٩٨ ــ أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال : قل لهم : يا اهل الكتاب لا وجـــه لكفركم ، فلأى سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوه محمد وصدقه ، والله مطلع على اعمالكم ومجازيكم عليهـــا .

* * *

٩٩ ــ يا أهل الكتاب كيف تحاولون صرف من آمن بالله ورسوله وأذعن للحق عن سبيل الله الحق المستقيمة ، وتحاولون ان تصوروها معوجة ، وانتم عالمون انها حق ، وليس الله غافلا عن اعمالكم وسيجازيكم عليها .

* * *

١٠٠ ــ وقد حذر الله المؤمنين مما يثيره بعض اهل الكتاب من شبهة قائلا : ان تطيعوا بعض اهل الكتاب فيما يبثونه من الشبهة فى دينكم ، تعودوا الى الضلال بعد الهداية ، ويردوكم جاحدين بعد الايمان .

* * *

١٠١ ــ وتصوروا حالكم العجيبة وانتم تضلون وتكفرون بعد الايمان ، والقرآن يتلى عليكم ، ورسول الله بينكم ، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم ، ومن يلجأ الى ربه ويستمسك بدينه فنعم ما فعل ، فقد هداه ربه الى طريق الفوز والفـــلاح .

* * *

١٠٢ ــ وان باب الشر مفتوح اذا لم تتقوا الله ، فيا أيها الذين آمنـــوا خافوا الله الخوف الواجب بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ، ودوموا على الاسلام حتى تلقوا الله .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ

١٠٣ — وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه ، ولا تفعلوا ما يؤدى الى فرقتكم ، وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم فى الجاهلية متعادين ، فألف بين قلوبكم بالاسلام فصرتم متحابين — وكنتم بسبب كفركم وتفرقكم على طرف حفرة من النار فخلصكم منها بالاسلام ، بمثل ذلك البيان البديع يبين الله لكم دائما طرق الخير لتدوموا على الهدى .

١٠٤ — وأن السبيل للاجتماع الكامل على الحق فى ظل كتاب الله ورسوله ، أن تكونوا امة يدعون الى كل ما فيه صلاح دينى أو دنيوى ، ويأمرون بالطاعة ، وينهون عن المعصية ، أولئك هم الفائزون فوزا كاملا .

١٠٥ — ولا تكونوا باهمالكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين يجمعانكم على الخير والدين الحق ، كأولئك الذين اهملوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتفرقوا شيعا ، واختلفوا فى دينهم من بعد ما جاءتهم الحجج الواضحة المبينة للحق ، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم .

١٠٦ — ذلك العذاب العظيم فى اليوم الذى تبيض بالسرور فيه وجوه المؤمنين ، وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين ، ويقال لهم توبيخا : اكفرتم بعد ان فطرتم على الايمان والاذعان للحق وجاءتكم البينات عليه ، فذوقوا العذاب بسبب كفركم .

١٠٧ — واما الذين ابيضت وجوههم سرورا ، ففى الجنة التى رحمهم الله بها هم فيها خالدون .

١٠٨ — وان تلك الآيات الواردة بجزاء المحسن والمسىء نتلوها عليك مشتملة على الحق والعدل ، وما الله يريد ظلما لأحد من الناس والجن .

١٠٩ — ولله وحده ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا وتصرفا واليه مصير امورهم ، فيجازى كلا بما يستحقه .

* * *

١١٠ — انتم يا أمة محمد افضل أمة خلقها الله لنفع الناس ، ما دمتم تأمرون بالطاعات وتنهون عن المعاصى ، ومؤمنون بالله ايمانا صحيحا صادقا ،

أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ



ولو صدق اهل الكتاب فى ايمانهم مثلكم لكان خيرا لهم مما هم عليه ، ولكن منهم المؤمنون واكثرهم خارجون عن حدود الايمان وواجباته .

* * *

١١١ — لن يضركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به ، ويكون له اثر فيكم ، وان كان قد يحصل منهم اذى لا يبقى له اثر ، وان يقاتلوكم ينهزموا فارين من لقائكم ، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم ما دمتم متمسكين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* * *

١١٢ — واخبر سبحانه بأنه الزمهم المهانة فى أى مكان وجدوا فيه ، الا بعقد الذمة الذى هو عهد الله وعهد المسلمين . وانهم استوجبوا غضب الله والزمهم الاستكانة والخضوع لغيرهم ، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد ، ورضاهم من قبل بقتل الانبياء الذى لا يمكن ان يكون بحق ، بل هو عصيان منهم واعتداء .

* * *

١١٣ — وأن اهل الكتاب ليسوا متساوين ، فان منهم جماعة مستقيمة عادلة يقرءون كتاب الله فى ساعات الليل وهم يصلون .

* * *

١١٤ — ويصدقون بوجود الله ووحدانيته وبالرسل — لا يعبدون الا الله — ومجىء يوم القيامة ، ويأمرون بالطاعات وينهون عن المعاصى ، ويبادرون الى فعل الخيرات ، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين .

* * *

١١٥ — وما يفعلوا من خير فلن يحرموا ثوابه والله محيط بأحوالهم ومجازيهم عليها .

كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ
مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ
قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ
قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ
تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ
قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ

١١٦ ــ ان الذين كفروا ، لن تدفع عنهم اموالهم لو افتدوا بها انفسهم ، ولا أولادهم لو استعانوا بهم شيئا ولو يسيرا من عذاب الله فى الآخرة . وهؤلاء هو الملازمون للنار ، الباقون فيهـا .

* * *

١١٧ ــ ان حال ما ينفقه الكفار فى الدنيا صدقة أو قربة فى ضـياعه فى الآخرة ، كحال زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى ، اصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم . وما ظلمهم الله بضياع اجور اعمالهم ، ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما اوجب ضياعها ، وهو جحود دلالات الايمان والكفر بالله .

* * *

١١٨ ــ يأيها الذين آمنوا : لا تتخذوا اصفياء تستعينون بهم من غير اهل دينكم ، تطلعونهم على اسراركم ، لأنهم لا يقصرون فى افساد أموركم. اذ هم يودون ان يرهقوكم ويضروكم اشد الضرر . وقد ظهرت امارات البغضاء لكم من فلتات السنتهم ، وما تضمره قلوبهم أعظم ممـا بـدا ، قد أظهرنا لـكم العلامات التى يتميز بها الولى من العدو ان كنتم من اهـل العقل والادراك الصـحيح .

* * *

١١٩ ــ هأنتم أولاء أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة او مودة ، ولا يحبونكم لتعصبهم لدينهم ، وأنتم تؤمنون بجميـع كتب الله المنزلة ، واذا لقوكم اظهروا الايمان خداعا لكم ، واذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظا وأسفا . قل ايها النبى : دوموا على غيظكم الى الموت ، وان الله عليم بما تخفيه الصدور ، ويجازيكم عليه .

* * *

١٢٠ ــ ان جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة تحزنهم ، وان تصبكم مسـاءة كجدب وهزيمة يسروا باصابتكم ، وان تصبروا على اذاهم وتتقوا مانهيتم



وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ

عنه من موالاتهم ، لا يضركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر ، لانه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد فلا يعجزه رده عنكم .

* * *

١٢١ ــ واذكر أيها النبى حين خرجت مبكرا من عند أهلك الى أحـد قاصدا انزال المؤمنين فى مراكز القتال . والله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم

* * *

١٢٢ ــ حين خطر لطائفتين من المؤمنين أن تفشلا وترجعا ، فعصمهم الله فثبتوا ومضوا للقتال لأنه متولى امرهما بالعصمة والتوفيق ، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة ، وليتوكلوا عليه لينصرهم .

١٢٣ ــ ذكر الله المؤمنين بنعمة النصر فى غزوة بدر(١) حين صبروا ، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة ، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمـــة .

١٢٤ ــ وكان النصر حين قال الرسول للمؤمنين : الن يكفيكم فى طمأنينة نفوسكم اعانة ربكم اياكم بثلاثة آلاف من الملائكة مرسلين من عنـــد الله لتقويتـــكم .

١٢٥ ــ بلى يكفيكم ذلك الامداد ، وان تصبروا على القتال ، وتلتزموا التقوى ، ويأتكم أعداؤكم على الفور ، يزد ربكم الملائكة الى خمســـة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم .

١٢٦ ــ وما جعل الله الامداد بالملائكة الا بشارة لكم بالنصر ، ولتسكن به قلوبكم ، وليس النصر الا من عند الله الغالب الذى يضـــع الاشياء فى مواضعها ، ويدبر الأمور لعبادة المؤمنين .

---

(١) « بدر على مسيرة نحو ١٢٠ ميلا من الجنوب الغربى للمدينة وكان اللقاء فيهـا بين المسلمين وقريش فى يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ من الميلاد المسيحى) وكان خروج النبى صلى الله عليه وسلم فى اصحابه من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة (٥ مارس ســنة٦٢٤ للميلاد المسيحى) وكان عدد المقاتلين من المسلمين .. فى هذه الغزوة ثلاثمـائة رجل او يزيدون قليلا ، وعدد المشركين ثلاثة أمثالهم وقد انجز الله فى هذه الغزوة وعده وكان النصر مالا تفعله القوة المادية. وكان النصر المبين فى هذه الغزوة سببا فى ان صارت كلمة الايمان هى العليا اذ كانت مقدمة لانتصارات بعدها وامتد ظل الاسلام الى الجزيرة العربية كلها . ثم لما وراءها بعدها .

فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ
عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ
ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾
وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ



مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ
لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ

١٢٧ ــ وقد نصركم ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل ، او يذلهم ويغيظهم بالهزيمة والعار والخزى ، فيرجعوا خائبين .

١٢٨ ــ ليس لك من التصرف فى امر عبادى شىء ، بل الأمر لله ، فاما أن يتوب عليهم بالايمان ، أو يعذبهم بالقتل والخزى والعذاب يوم القيامة لأنهم ظالمون .

١٢٩ ــ ان لله وحده ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا . وهو القادر على كل شىء ، وفى يده كل شىء ، يغفر لمن يريد له المغفرة ، ويعذب من يريد تعذيبه ، ومغفرته أقرب ، ورحمته ارجى لأنه كثير المغفرة والرحمة

١٣٠ ــ يأيها الذين آمنوا لا تأخذوا فى الدين الا رءوس اموالكم ، فلا تزيدوا عليها زيادة تجىء سنة بعد اخرى فتتضاعف وخافوا الله ، فلاتأكلوا اموال الناس بالباطل ، فانكم تفلحون وتفوزون باجتنـابكم الربا قليـله وكثـيره(١) .

١٣١ ــ واحذروا النـار التى هيئت للكافرين باجتناب ما يوجبها من استحلال الربا .

١٣٢ ــ واطيعوا الله والرسول فى كل امر ونهى لترحموا فى الدنيـا والآخـرة .

١٣٣ ــ وبادروا بالاعمال الصالحة ، لتنالوا مغفرة عظيمة لذنوبكم من الله مالك امركم ، وجنة واسعة عرضها كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون الله وعذابه .

١٣٤ ــ الذين ينفقون اموالهم ارضـاء لله فى أحوال الرخاء واليسر ، والقدرة والضعف ،والعسر ،ويحبسون انفسهم عن أن يؤدى غيظهم الى انزال عقوبة بمن اساء اليهم خاصة ، ويتجاوزون عن المسىء ، انهم بهذا يعـدون محسنين ، والله تعالى يثيب المحسنين ويرضى عنهم .

---

(١) وصف الربا بانه اضعاف مضاعفه وهذا يدعونا الى الكلام من الناحية الأقتصادية عن الربا فالربا نوعان ــ ربا النسيئة وهو ما حرم بالنص القرآنى وضابطه كل قرض جر نفعـا للمقرض فى مقابل النسيئة اى التاخير سواء كانت المنفعه نقدا او عينا كثيره او قليلة لا كمـا ذهبت اليه القوانين الوضعية من جعل الربا جائزا فى حدود معينه ٦٪ مثلا .

أما الربا الفضل فهو بيع ربوى بمثله او زيادة كاردب قمح جيد باردب وكيلتين باتفـاق الطرفين ويكون فى المطعومات التى تخرج منها الزكاة وفى النقدية وتحريمه ثابت بالحـديث الشريف الذى مر ذكره بحديث آخر عن ابن عمر (لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق الا مثلا بمثل سواء بسواء انى اخشى عليكم الرماء اى الربا) وبعض العلماء يرى أن الأول هو المحرم مؤكدا بنص القرآن لانه هو الربح المركب الذى يؤكل به الربا اضـعافا مضاعفة واما ربا الفضل فضرره قليل ولم يحرم بالحديث لذاته لانه قد يجر الى ربا النسيئة وذلك من باب سد الذرائع فهو يباح عند الضرورة والحـاجة والربا من الناحيـة الاقتصـادية من اخطر الوسائل على الثروة والانتاج لانه وسيلة الى كنز النقـد والأستكثار منه دون عمـل سوى الأتجار به مع انه فى الاصل لم يوجد الا كواسطة تقوم بها المنتجـات والحاصـلات حتى يمكن التبادل عليها وتقييمها بالنسبة لبعضها البعض وديانة اليهود نفسها تحرمه بين اليهـودى واليهودى وانما احلوه مع الآخرين لمصلحتهم وللاضرار بالاخرين والتحـكم فى الاقتصـاد الدولى بئس ما يصنعون .

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ
ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

١٣٥ — والذين اذا فعلوا خطيئة كبيرة ، او تحملوا ذنبا صغيرا ، تذكروا الله وجلاله ، وعقابه وثوابه ، ورحمته ونقمته ، فندموا ، وطلبوا مغفرته ، وانه لا يغفر الذنوب الا الله ، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه .

١٣٦ — اولئك المتصفون بهذه الصفات أجرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك أمرهم ، وجنات تجرى الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها . ونعم ذلك ثوابا للعاملين بأمر الله .

١٣٧ — قد مضت من قبلكم أيها المؤمنون سنن الله فى الأمم المكذبة ، بامهالهم ، ثم أخذهم بذنوبهم ، فتأملوا كيف كان عاقبة امر المكذبين .

١٣٨ — وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله فى الماضين ، فيه بيان للناس وارشاد لهم الى طريق الخير ، وزجر عن طريق الشر .

١٣٩ — ولا تضعفوا عن الجهاد فى سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه ، ولا تحزنوا على من يقتل منكم ، وانتم بتأييد الله وايمانكم ، وقوة الحق الذى تدافعون عنه ، الأعلون ، ولكم الغلب ان صدق ايمانكم ودمتم عليه .

١٤٠ — ان يكن قد مسكم بأحد قتل او جراح عميقة فى اجسامكم ، واثرت فى نفوسكم ، فلا تهنوا ولا تحزنوا ، لأنه قد اصاب خصومكم مثله يوم بدر . وان أوقات النصر يصرفها الله بين الناس ، فيكون النصر لهؤلاء أحيانا ولأولئك اخرى ، اختبارا للمؤمنين ، وليميز الله الثابتين على الايمان وليكرم قوما بالاستشهاد فى سبيله ، والله لا يحب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم .

١٤١ — وينقى الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين ، ويطهرهم من مرضى القلوب وضعفاء الايمان ، ودعاة الهزيمة والتردد ، ويستأصل بذلك الكفر واهله .

١٤٢ — لا تظنوا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة دون أن يتبين منكم المجاهدون الصابرون الذين تطهرهم المحن والشدائد .

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ
وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ
كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ
أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ
يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

١٤٣ ــ لقد كنتم تطلبون الموت فى سبيل الله من قبــل أن تشاهدوه وتعرفوا هو له ، فقد رايتم الموت حين قتل اخوانكم بين أيديكم وانتم تنظرون

* * *

١٤٤ ــ لما اشيع قتل محمد فى غزوه احد ، هم بعض المسلمين بالارتداد فأنكر الله عليهم دلك قائلا : ليس محمد الا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله ، وسيموت كما ماتوا ، وسيمضى كما مضوا ، فان مات اوقتــل رجعتم على أعقابكم الى الكفر ، ومن يرجع الى الكفر بعد الايمان فلن يضر الله شيئا من الضرر ، وانما يضر نفسه بتعريضها للعذاب ، وسيثيب الله الثابتين على الاسلام الشاكرين لنعمه .

* * *

١٤٥ ــ لا يمكن أن تموت نفس الا باذن الله ، وقد كتب الله ذلك فى كتاب مشتمل على الآجال.ومن يرد متاع الدنيا يؤته منها ، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها ، وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهــاد وغــيره .

* * *

١٤٦ ــ وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم ، فما جبنت قلوبهم ولا فترت عزائمهم ، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما اصابهم فى سبيل الله ، لانهم فى طاعته والله يثيب الصابرين على البلاء .

* * *

١٤٧ ــ وما كان قولهم عند شدائد الحرب الا أن قالوا : ربنــا ، تجاوز عما يكون منا من صغائر الذنوب وكبائرها ، وثبتنا فى مواطن الحرب وانصرنا على اعداء دينك ، الكافرين بك وبرسالة رسولك .



وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ
أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ
وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ
إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا
وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾



۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

١٤٨ ــ فأعطاهم الله النصر والتوفيق فى الدنيا ، وضمن لهم الجــزاء الحسن فى الآخرة ، والله يثيب الذين يحسنون اعمالهم .

* * *

١٤٩ ــ يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه ، فيما يدعونكم اليه من قول او فعل ، يقلبوكم الى الكفر ،فتخسروا الدنيا والآخرة .

* * *

١٥٠ ــ والله هو ناصركم ، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين .

* * *

١٥١ ــ لا يضعفكم ما اصابكم يوم احد فسنقذف الخوف ، والفزع فى قلوب اعدائكم ، لاشراكهم بالله آلهة لم ينزل الله بعبادتها حجة ، لأنها لاتنفع ولا تضر ، ومستقرهم النار فى الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاما .

* * *

١٥٢ ــ وان نصر الله محقق واقع ، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم اول الأمر بارادته ، حتى اذا ضعف رايكم فى القتــال ، واختلفتم فى فهم امر النبى أياكم بالمقام فى مراكزكم ، فرأى بعضكم تــرك موقفه حيث ظهر النصر ، ورأى البعض البقاء حتى النهاية ، وعصى فريق منكم أمر الرسول فمضى لطلب الغنيمة من بعد ما اراكم ما تحبون من النصر ، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا ، ومنكم من يريد ثواب الآخــرة ، لمــا كان ذلك ، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم ، ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره . ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم . والله ذو الفضــل عليكم بالعفو وقبول التوبة .

* * *

١٥٣ ــ اذكروا أيها المؤمنون حالكم وقت أن كنتم تبعــدون فى الأرض هاربين ، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب ، والرسول يناديكم من ورائكم

وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ
عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ
ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا

لترجعوا ، فجازاكم الله حـزنا غامرا كالغمة ، توالى على نفوسكم لـكى لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما اصابكم من الهزيمة . والله عليم بمقاصدكم واعمالكم .

* * *

١٥٤ ـ ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغنم نعمة امن ، وكان مظهرها نعاسا يغشى فريق الصادقين فى ايمانهم وتفويضهم لله ، اما الطائفة الأخرى فقد كان همهم انفسهم لا يعنون الا بها ، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية ، يقولون مستنكرين : هل كان لنا من أمر النصر الذى وعدنا به شىء ؟ قل ـ ايها النبى ـ الأمر كله فى النصر والهزيمة لله ، يصرف الأمر فى عباده ان اتخذوا أسباب النصر ، او وقعوا فى اسباب الهزيمة . وهم اذ يقولون ذلك يخفون فى انفسهم أمرا لا يبدونه . اذ يقولون فى انفسهم لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب . قل لهم . لو كنتم فى منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا الى مصارعهم فقتلوا . وقد فعـل الله ما فعل فى أحد لمصالح جمة ، ليختبر ما فى سرائركم من الاخلاص وليظهر قلوبكم ، والله يعلم ما فى قلوبكم من الخفايا علما بليغا .

* * *

١٥٥ ـ ان الذين انصرفوا منـكم عن الثبـات فى أماكنهم ـ يا معشر المسلمين ـ يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد ، انما جرهم الشيطان الى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول ، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم .

* * *

١٥٦ ـ يأيهـا الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفـروا وقالوا فى شأن اخوانهم اذا ابعدوا فى الأرض لطلب العيش فماتوا او كانوا غزاة فقتلوا ، لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فقد جعل الله ذلك القول والظن

ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

حسرة فى قلوبهم ، والله هو الذى يحيى ويميت ، وبيده مقادير كل شىء ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر ، ومجازيكم عليـــه .

* * *

١٥٧ — ولئن قتلتم فى الجهاد أو متم فى أثنائه ، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم ، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم .

* * *

١٥٨ — ولئن متم أو قتلتم فى الجهاد فلن تضيع أعمالكم ، بل ستحشرون الى الله فيثيبكم على جهادكم واخلاصكم .

* * *

١٥٩ — كان رحمة من الله بك وبهم ان لنت لهم ولم تغلظ فى القــول بسبب خطئهم ، ولو كنت جافى المعاملة قاسى القلب ، لتفرقوا من حولك ، فتجاوز عن خطئهم ، واطلب المغفــرة لهم ، واستشرهم فى الأمر متعرفا آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى ، فاذا عقدت عزمك على امر بعدالمشاورة فامض فيه متوكلا على الله ، لأن الله يحب من يفوض أموره اليه(١) .

* * *

١٦٠ — ان يؤيدكم الله بنصره — كما حصل يوم بدر — فلن يغلبكم أحد ، وان قدر لكم الخذلان لعــدم اتخاذكم أسباب النصر — كما حصل يــوم أحد — فلا ناصر لكم ســواه ، وعلى الله وحده يجب أن يعتمــد المؤمنون ويفوضوا أمرهم اليــه .

---

(١) الشورى اصل أصيل وركن ركين فى الاسلام ولقد قيل ما خاب من استخار ولا ندم من استشار والقرآن على نهجه فى التشريع بشرع كبريات الاسس والقــواعد ويدع التفاصــيل للجماعة بحسب ظروف الزمان والمكان فقد يكون النظام النيابى فى الحكم والشــورى صــالحا لبلاد معينة كانجلترا وفرنسا بحيث يكون رجال الحكومة مسئولين امام البرلمان . لانهم نشــأوا على ذلك ومرجع الامر عندهم تاريخى يتفق مع البيئة التى هم فيها . وقد يكون نظــام الحكم الرئاسى وفيه نوع كبير من الشورى مناسبا لبلاد الولايات المتحدة لما تبغيه من نهــوض سريع وعدم تعويق التقدم والرقى بسقوط الوزارات كما هو حادث فى فرنســا البرلمانية حيث لم تكن الوزارة قبل الحرب الاخيرة لتبقى اكثر من ثلاثة أشــهر وقد تكون الشورى على نظــام وسط بين الرئاسى والبرلمان كما هو الحال فى الجمهورية العربية المتحدة .

فكل دولة وكل جماعة لها أن تسن طريق الشــورى وفق ظروفها أو تاريخها وبيئتها والمهم أن مبدأ الشورى يكون موجودا خشية تسلط الفرد وتحكمه وطغيانه ولذلك اكتفى القــرآن بالنص على المبدأ منذ اربعة عشر قرنا سابقا بذلك كل المدنيات العصرية التى تتشدق بالحرية .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ
مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ
عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ
قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا
قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ

١٦١ — ما صح لنبى أن يخون فى المغنم كما أشاع المنافقون الكذابون ، لأن الخيانة تنافى النبوة ، فلا تظنوا به ذلك ، ومن يخن يأت يوم القيامة بأثم ما خان فيه ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما عملت وافيــا ، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب .

* * *

١٦٢ — ليس من سعى فى طلب رضا الله بالعمل والطاعة ، مثل الذى باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية . ومصير العاصى جهنم وبئس ذلك المصــــير .

* * *

١٦٣ — ليس الفريقان سواء ، بل هم متفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على حسبها .

* * *

١٦٤ — لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبى ، بأن يبعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويطهرهم من سوء العقيده ، ويعلمهم علم القرآن والسنة . وقد كانوا من قبل بعثه فى جهالة وحــيره وضــياع .

* * *

١٦٥ — أجزعتم وتخاذلتم ، وقلتم مستغربين حــين اصابتكم مصــيبة يوم احد قد اصبتم ضعفيها يوم بدر : من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ قل : الذى اصابكم من عنــد انفسكم بسبب مخالفتكم الرسول ، والله قادر على كل شىء ، وقد جازاكم بما عملتم .

* * *

١٦٦ — ان الذى اصابكم أيها المؤمنون يوم التقى جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس ما علمه من ايمان المؤمن حقا .



وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ
لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ
بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾



حزب ٨

* يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ
مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ
فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾
فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ

١٦٧ — وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال : تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله او قاتلوا دفاعا عن أنفسكم قالوا : لو نعلم أنكم ستلقون قتالا لذهبنا معكم — وهم حين قالوا هذا القول أقرب للكفر منهم للايمان ، يقولون بأفواههم : ليس هناك حرب ، مع أنهم يعتقدون فى قلوبهم أنها واقعة . والله أعلم بما يضمرون من النفاق ، لأنــه يعلم نتيجة أسرارهم .

❊ ❊ ❊

١٦٨ — وأنهم هم الذين تخلفوا عن القتال وقعدوا عنه ، وقالوا فى شأن أخوانهم الذين خرجوا وقتلوا : لو أطاعونا وقعدوا كما قعدنا لنجو من القتل كما نجونا . قل : فادفعوا عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين فى أن الحــذر كان يمنعكم من القــدر .

❊ ❊ ❊

١٦٩ — ولا تظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل هم أحياء حيــاة استأثر الله بعلمها ، يرزقون عند ربهم رزقا حسنا يعلمه هو .

❊ ❊ ❊

١٧٠ — يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما اعطاهم الله بسبب فضله من المزايا ، ويفرحون بأخوانهم الذين تركوهم فى الدنيا أحياء مقيمين على منهج الايمان والجهاد ، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات محبوب .

❊ ❊ ❊

١٧١ — تتألق وجوه الشهداء بما من الله به عليهم من نعمــة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة ، وبأنه لا يضيع أجر المؤمنين .

❊ ❊ ❊

١٧٢ — الذين لبوا دعوة الرسول الى أستئناف الجهاد من بعــد ما أصابهم فى غزوة أحد من الجرح العميق ، وبذلك أحسنوا ، واتقوا عصيان أمر الله ورسوله ، فاستحقوا الأجر العظيم فى دار الجزاء والنعيم .

❊ ❊ ❊

١٧٣ — الذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم : ان أعداءكم قــد جمعوا لكم جيشا كثيفا فخافوهم ، فما ضعفوا وما وهنوا ، بل ازدادوا ايمانا بالله وثقة بنصره ، وكان ردهم . الله كافينا ، وهو المتولى أمورنا ، وهو نعم من يفوض اليه الأمر كله .

رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

١٧٤ ــ ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكثيف ، ولكن المشركين جبنوا عن اللقاء ، فعاد المؤمنون فائزين بنعمة السلامه مع الرغبة في الجهاد ، وفوزهم بثوابه ، وفضل الله عليهم في القاء الرعب في قلوب عدوهم فلم ينلهم اذى . وابتغوا رضوان الله فصاروا اهلا لفضله ، والله صاحب الفضل العظيم .

* * *

١٧٥ ــ يبين الله سبحانه للمؤمنين ان أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجبنوا عن لقائهم ليسوا الا اعوانا للشيطان الذى يخوف اتباعه فيجعلهم جبناء ولستم منهم . فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا الله وحده ان كنتم صادقى الايمان ، قائمين بما يفرضه عليكم هذا الايمان .

* * *

١٧٦ ــ لا تحزن ــ أيها النبى ــ اذا رأيت الذين يزدادون كفرا ويسرعون بالانتقال من سىء الى اسوا ، فهم لن ينالوا الله بأى ضرر ، لأنه القاهر فوق عباده ، بل يريد الله ألا يجعل لهم نصيبا من ثواب الآخرة ، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم ، عذاب عظيم .

* * *

١٧٧ ــ أن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالايمان ، فابتغوا الكفر وتركوا الايمان ، لن يضروا الله شيئا ، ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم شديد الايلام .

* * *

١٧٨ ــ لا يحسبن هؤلاء الكافرون ان امهالنا لهم حين نمد فى أعمارهم ونهيىء لهم اسباب النعيم فى حياتهم الدنيا ، خير لهم . فان اطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم الى الاستمرار فى اكتساب الاثم واستحقاق ما اعد الله لهم من عذاب مهين .

* * *

١٧٩ ــ ما كان الله ليترككم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق ، حتى يميز بينكم بالمحنة والتكليف لتروا المنافق الخبيث والمؤمن الطيب ، ولم تجر سنة الله باطلاع احد من خلقه على شىء من غيبه . ولكن الله يصطفى من رسله من يشاء باطلاعه على ما يشاء من غيبه ، وان تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته يدخلكم الجنة جزاء ، ونعم الجزاء اذ هى جزاء عظيم .

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ
يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

١٨٠ ــ لا يظن الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلا منه ، ولا يبذلونه فى الواجبات وسبل الخير ، ان البخل خير لهم ، بل انه شر سىء العاقبة عليهم ، سيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة ، وسيكون العذاب ملازما لهم ملازمة الطوق للعنق . وان كل ما فى الوجود يؤول لله سبحانه وتعالى وهو المالك له ، وهو سبحانه يعلم كل ما تعمـــلون ، وسيجازيكم عليــــه .

* * *

١٨١ ــ ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثهما ، فقد قال بعض اليهود متهكمين ، ان الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالانفاق ؛ ونحن أغنياء ننفق أو لا ننفق ، لقد سمع الله قولهم هذا وسجل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلما واثما وعدوانا وسيقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب النار المحرقة .

* * *

١٨٢ ــ وذلك العذاب بما قدمت ايديهم من الآثام ، وعقاب الله لا يكون الا عدلا ، فهو لا يظلم العباد ابدا .

* * *

١٨٣ ــ انهم هم الذين قالوا ان الله امرنا فى التوراة الا نؤمن مذعنــين لرسول الا اذا دلل على صدقه بأن يأتينا بشىء يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله ، فقل لهم أيها النبى : ان رسلا من الله قد جاءوا من قبـــل بالأدلة الواضحة ، وجاءوا بما اقترحتم ، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم . فلم فعلتم ذلك ان كنتم صادقين فى وعدكم بالايمان عندما يتحقق ما تريدون ؟

* * *

١٨٤ ــ وان كذبوك أيها النبى ، فلا تحزن ، فقد سبق قبلك كثــيرون كذبهم اقوامهم عنتا وعنادا ــ مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والــكتب السماوية الدالة على صدق رسالتهم .

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾



* لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟
بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا
تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

١٨٥ ــ كل نفس تذوق الموت لا محالة ، واذا أصابتكم آلام فى الدنيا فانما توفون ثوابكم كاملا يوم القيامة . ومن قارب النار وزحزح عنها فقد نال الفوز . وما الحياة الدنيا الا متاع زائل يغر ولا يبقى .

* * *

١٨٦ ــ تأكدوا أيها المؤمنون أنكم ستختبرون فى أموالكم بالنقص أو الانفاق ، وفى أنفسكم بالجهاد والقتل وبالأمراض والآلام . وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيرا مما يؤذيكم من السب والطعن ، وأن تقابلوا ذلك بالصبر وتقوى الله ، فان ذلك من الأمور الصالحة التى يجب العزم على تنفيذها .

* * *

١٨٧ ــ واذكر أيها النبى ، اذ اخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه ، والا يخفوا شيئا من آياته عن الناس ، فألقوه وراء ظهورهم نابذين له ، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبين له ، ومتاع الدنيا مهما يكن كالثمن البخس الحقير فى مقابل الهداية والارشاد ، فقبحا لما فعلوا .

* * *

١٨٨ ــ لا تظنن الذين يفرحون دائما بما يأتون من أفعال قبيحة ويحبون الثناء مما لم يفعلوه ، لا تظنن هؤلاء بمنجاة من العذاب ، لأن من شأنهم ان يغلقوا على أنفسهم باب الايمان والحق كاليهود،ولهم عذاب مؤلم يوم القيامة.

* * *

١٨٩ ــ الله وحده هو المالك لأمر السموات والأرض ، وهو القادر على



قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ
فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم
مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ

كل شيء ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم ويثيب المحسنين على احسانهم .

١٩٠ — ان فى خلق الله للسموات والأرض مع ما فيهما من ابداع واحكام ، واختلاف الليل والنهار نورا وظلمة وطولا وقصرا ، لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته (١) .

١٩١ — وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون فى نفوسهم عظمة الله وجلاله فى كل مكان ، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتدبرون فى خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب قائلين ربنا ما خلقت هذا الا لحكمة قدرتها وأنت منزه عن النقص ، بل خلقته دليلا على قدرتك ، وعنوانا لبالغ حكمتك ، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا الى طاعتك .

١٩٢ — يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا . ان من يستحق النار وتدخله فيها فقد أخزيته وليس للظالم الذى استحق النار من نصير يمنعه منها .

١٩٣ — يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا اننا سمعنا رسولك يدعو الى الايمان بك فأطعناه وآمنا به ، ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامح عنا صغائر سيئاتنا واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الاخيار .

١٩٤ — يا خالقنا ، والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا ، أعطنا الذى وعدتنا على السنة رسلك من نصر وتأييد فى الدنيا ، ولاتدخلنا النار فتخزنا — يوم القيامة — فشأنك ألا تخلف الميعاد .

---

(١) « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب » .

« فى هذا ألنص تنبيه الى حقائق كونيه تدل على عظمه الخالق ، بذلك ان السماء هى آيه من آيات الله بدت لنا بتأثير الاشعه الشمسيه على الغلاف الجوى الذى يحيط بالارض . فعندما تسقط هذه الاشعه على ذرات العناصر الكيماويه التى يتألف منها الجو وعلى ما يحمله هذا الجو من اتربه دقيقه عالقه به ينعكس من هذه الذرات وتلك الاتربة تتشتت فى جهات مختلفه ومن المعلوم ان الضوء الابيض يتألف من جمع الالوان المرئية . وان هذه الذرات تمتص بعض الالوان من بعضها الاخر .

وقد اتضح من تجارب واعتبارات خاصه بطاقته . ان اللون الاكثر تشتتا هو اللون الازرق وينجلى هذا بصورة أوضح عندما تكون الشمس فى سمت الرأس ، وتتناقص زرقة هذا اللون شيئا فشيئا حتى أذا بلغت الشمس الافق أى وقت الغروب أو الشروق . فان اشعاعها يخترق جو الارض فى مسافات أطول بكثير .

ولهذا فان اللون الاحمر يظهر تشتته اكثر من غيره .

وصفوةالقول : ان ضوء النهار يتطلبالاشعاعالشمسى وكمية متناسبة من الغبار الجوى والدليل على ذلك ما حدث فى سنه ١٩٤٤ حيث اظلمت السماء فجاة فى وضح النهار . ولشدة ظلمتها صار النهار كأنه الليل . وظل الامر كذلك زمنا وجيزا ، ثم تحولت السماء الى لون احمر ثم تدرج الى لون برتقالى فأصفر . حتى عادت السماء الى حالتها الطبيعية بعد حوالى ساعة أو اكثر .

وقد تبين فيما بعد ان هذه الظاهرة نشأت من تفتت مترتب فى السماء فاستحال الى رماد وحملته الرياح الى مسافات بعيدة من أواسط افريقية الى شمالها وتجاوزت الى غربى آسيا حيث شوهدت هذه الظاهرة فى اقليم سوريا .

وتفسير ذلك أن الغبار المعلق فى الهواء قد حجب نور الشمس فلما قلت كثافته اخذ الضوء فى الاحمرار والاصفرار الخ =

فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

١٩٥ ـ فأجاب ربهم دعاءهم ، مبينا لهم انه لا يضيع على عاملٍ منهم ثواب عمله ، سواء أكان ذكرا أم أنثى ، فالأنثى من الذكر والذكر من الأنثى . فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم ، ونالهم الاذى فى سبيل الله وقاتلوا وتعرضوا للقتل ، وقتل منهم من قتل . كتب الله على نفسه انه سيمحو عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار جزاء كريما عاليا من عند الله ، والله ـ وحده ـ عنده الثواب الحسن الجميل .

١٩٦ ـ لا تتأثر ـ أيها النبى ـ بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب فى النعيم والتصرف فى التجارة والمكاسب .

١٩٧ ـ فان ذلك متاع ، زائل ، وكل زائل قليل ، ثم يكون المأوى الذى ينتهون اليه جهنم ، وبئس منزلا جهنم .

١٩٨ ـ ذلك جزاء الكافرين اما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار مخلدين فيها ، نازلين فى كرم الله سبحانه ، وما عند الله خير للابرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل .

١٩٩ ـ ان بعض اهل الكتاب يؤمنون بالله وبما انزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله ، تراهم خاضعين لله ضارعين اليه ، لا يستبدلون بالبينات الظاهره عرضا من أعراض الدنيا مهما عظم فهو قليل ، هؤلاء لهم الجزاء الاوفى فى دار الرضوان عند ربهم ، والله سريع الحساب لا يعجزه احصاء أعمالهم ومحاسبتهم عليها ، وهو قادر على ذلك ، وجزاؤه نازل بهم لا محـــالة .

٢٠٠ ـ أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر ، وغالبوا أعداءكم به ، ولازموا الثغور لحمايتها ، وخافوا ربكم ، ففى كل ذلك رجاء فلاحكم .

= ولو ارتفع الانسان فى الفضاء فانه سوف يمر بطبقات جوية تختلف خصائصها ومميزاتهـا بعضها عن بعض فهو يشاهد السماء تأخذ فى الزرقه الشديده شيئا فشيئا حتى اذا ما بلغ عتبة الفضاء الخارجى الخاليه من المواد التى تتألف منها الغلاف الجوى والاتربه العالقه به بدت له السماء معتمه كأنها ليل على الرغم من وجود الشمس فوق الافق والخلاصـــه أن هنـــاك سموات متطابقه فى هيئه قباب تختلف فى خصائصها وألوانها وتمتد الى أقصى أعماق الفضـــاء وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى التى تتجلى فى خلقه كل ما فى الســـموات والارض .

وضوء النهار يتطلب سقوط الاشعة الشمسيه ذرات من الغـــلاف الجوى الذى يحمل جسيمات من الغبار بكميات متفاوته وضوء النهار يبلغ من الشده حدا بحيث يحجب الاضـــواء الخافته المنبعثه من النجوم أو من احتكاك الشهب والنيازك بالغلاف الجوى .

وعندما تختص اشعة الشمس تحت الافق بمسافات بعيدة فان أضواء النجـــوم الخافتة تظهر لبعدها الشاسع عنا قليلة التأثير على الغلاف الجوى بحيث لا تحدث نورا يشـــبه نور النهـــــار .

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الارض حول محورها ومرجع التفاوت الزمنى بين الليل والنهار هو دورة الارض حول الشمس وميل محورها عن مستوى مدارها فتختلف الفترات الزمنيه باختلاف الفصول وعروض البلاد .

ومن حكمته جلت قدرته أن التعاقب بين الليل والنهار وتراوحهما على فترات قصيرة يؤدى الى اعتدال فى درجه الحرارة والمناخ ويهيىء البيئة الصالحة للحياة والاحياء ، ولهذا فان اللون الاحمر يظهر بسبب التشعب الناجم عن الغبار الحجمى .

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّة
وآياتها ست وسبعون ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ
ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى
ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

سورة النساء

١ ـ يأيها النـاس اتقوا ربكم الذى اوجدكم من نفس واحدة ، وانشأ من هذه النفس زوجها ، ومنهما نشر فى الوجود رجالا كثيرا ونساء ، فانتم جميعا تنتهون الى تلك النفس الواحدة ، واتقوا الله الذى تستعينون به فى كل ما تحتاجون ويسأل باسمه بعضكم بعضا فيما تتبادلون من أمور ، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها قريبها وبعيدها ، ان الله دائم الرقابة على أنفسكم ، لا تخفى عليه خافية من اموركم ، ومجازيكم عليها .

* * *

٢ ـ وملكوا اليتامى ما يستحقون من مال ، واحفظوه لهم ، ولا تعطوهم الردىء وتحرموهم الجيد ، ولا تأخذوا أموالهم وتضيفوها الى اموالكم ، ان ذلك كان اثما كبيرا .

* * *

٣ ـ وان شعرتم بالخوف من ظلم اليتامى لأنه ذنب كبير ، فخافوا كذلك الم نسائكم بعدم العدل بينهن ، والزيادة على اربع ، فتزوجوا منهن اثنتين أو ثلاثا او اربعا اذا وثقتم بالقدرة على العدل ، فان خفتم عدم العدل فتزوجوا واحدة ، أو استمتعوا بما تملك ايديكم من الاماء ، ذلك اقرب الى



أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ

عدم الوقوع فى الظلم والجور (١) وأقرب الا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الانفاق عليهم .

* * *

٤ ــ وأعطوا النساء مهورهن عطية خالصة ، وليس لكم حق فى شىء من هذه المهور ، فان طابت نفوسهن بالنزول عن شىء من المهر فخذوه وانتفعوا به طيبا محمود العاقبة .

* * *

٥ ــ ولا تعطوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف فى المال أموالهم التى هى اموالكم ، فان مال اليتيم وضعيف العقل مالكم ، يعنيكم أمره واصلاحه حتى لا يضيع المال ، فقد جعله الله قوام الحياة . وأعطوهم من ثمراتها النصيب الذى يحتاجون اليه فى الطعام ، واكسوهم وعاملوهم بالحسنى ، وقولوا لهم قولا يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلهم .

* * *

٦ ــ واختبروا عقول اليتامى ونبينوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ، حتى اذا أصبحوا صالحين للزواج وتبينتم رشدهم وسدادهم فادفعوا اليهم اموالهم ، ولا تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا ونرد اليهم ، ومن كان من الأوصياء عليهم غنيا فليتعفف عن اموال اليتامى ، ومن كان فقيرا فليكتف بقدر ما يكفيه عرفا ، فاذا سلمتموهم اموالهم فأشهدوا عليهم ، والله من ورائكم هو المحاسب والمراقب ، وكفى به حسيبا ومراقبا .

* * *

٧ ــ للرجال نصيب من الأموال التى يتركها الوالدان والأقربون ــ ميراثا ــ وللنساء أيضا نصيب مما ترك هؤلاء دون منع أو بخس ، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة قلت الأموال او كثرت .

---

(١) لم تنفرد الشريعه الاسلاميه من بين الشرائع السماوية بمبدأ تعدد الزوجات ، فشريعة التوراة تثبت انه يباح للرجل أن يتزوج بمن يشاء ، وهى تذكر أن الانبياء كانوا يتزوجون من النساء بالعشرات لا بالاحاد . والتوراه هى كتب العهد القديم الذى يؤخذ به عند النصارى ما لم يوجد نص قد جاء فى الانجيل او رسائل الرسل يخالفها ، ولم يوجد نص صريح فى المخالفه ، والكنيسه كانت تأذن بالتعدد ولا تعارض فيه فى القرون الوسطى وما بعدها ، وملوك أوروبا الذين عددوا الزوجات معروفون فى تاريخها .

واذا كان الاسلام قد انفرد بشىء فى هذا المقام ، فالذى انفرد به انه قيد التعدد ، فهو أول شريعه سماويه قيدت التعدد صراحه ، فقد قيدته بثلاثة أمور : أولها الا يزيد عن أربع ، وثانيها ألا يكون فيه ظلم لاحداهن ، وثالثها أن يكون قادرا على الانفاق . والشرطان الاخيران لازمان فى كل زوج ولو كان الاول ، فقد قرر فقهاء المسلمين على اختلاف فرقهم بالاجماع أنه يحرم الزواج على من يتأكد أنه لا يعدل مع زوجته اذا تزوج غير ان ذلك التحريم دينى لا يقع تحت سلطان القضاء ، لان العدل امر نفسى لا يعلم الا من جهته ، والقدرة على الانفاق أمر نسبى لا تحد بميزان واحد ، ولذلك ترك الامر فيها الى تقدير الشخص وهو آثم عليه العقاب يوم القيامة ان خالفه ، ولان الظلم او العجز عن الانفاق امور تتعلق بالمستقبل ، والعقود لا تبنى صحتها على أمور متوقعة ، بل تبنى على أمور واقعة ، والظالم قد يكون عادلا ، والعاجز فى المال =

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ
فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ
الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن
بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا
تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ

٨ — واذا حضر قسمة التركة بعض الاقارب الذين لا يرثون من اليتامى والمساكين ، فاكرموهم باعطائهم شيئا من هذه التركة تطييبا لنفوسهم ، ونزعا للحسد من قلوبهم ، ويحسن أن يشفع هذا العطاء بلين القول وحسن الاعتذار .

* * *

٩ — وعلى الناس الا يظلموا اليتامى . وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع اليتامى . وليتقوا الله فيهم ، وليقولوا قولا مسددا نحو الحق ، غير ظالم لأحد .

* * *

١٠ — ان الذين يظلمون اليتامى باخذ أموالهم فى غير حق . انما يأكلون ما يؤديهم الى النار ، فسيعذبون يوم القيامه بنار شديدة الايلام .

* * *

١١ — يأمركم الله فى شأن توريث أولادكم وأبويكم — اذا متم — بما يحقق العدل والاصلاح ، وذلك بان يكون للذكر مثل نصيب الاثنيين اذا كان الاولاد ذكورا وأناثا . فان كان جميع الاولاد أناثا يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة . ويفهم من مضمون الآية ان الثنتين نصيبهما كنصيب الاكثر من ثنتين . وان ترك بنتا واحدة فلها نصف ما ترك . وان ترك أبا واما فلكل منهما السدس ان كان له ولد معهما ، ولد ذكر أو أنثى . فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فقط فلأمه الثلث والباقى للأب . فان كان له أخوة فلأمه السدس والباقى للأب ولا شيء للاخوة . تعطى هذه الانصبة لمستحقيها بعد أداء ما يكون عليه من دين ، وتنفيذ ما وصى به فى حدود ما أجازه الشارع ، هذا حكم الله فانه عدل وحكمة ، وأنتم لا تدرون الأقرب

= قد يكون فاجرا ، فالمال غاد ورائح ، ومع ذلك قرر الاسلام ان الرجل اذا ظلم امرأته او عجز عن الانفاق عليها كان لها طلب التفريق ولكن لا يمنعها من العقد اذا دخلت راضية مختارة فى انشائه .

والاسلام اذ قد فتح باب التعدد مع التضييق فيه على ذلك النحو قد دفع أدواء اجتماعية

فأولا — قد ينقص عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء الصالحات للزواج ، وخصوصا عقب الحروب المفنيه ، فقد لوحظ فى بعض الدول الاوربية أن عدد الرجال الصالحين بعد الحرب يعادل واحدا الى سبع من النساء فيكون من كرامة المرأة أن تكون زوجة ولو مع اخرى بدل ان تكون حائرة بين أحضان الرجال .

وثانيا — قد يكون بين رجل وامرأة ما لا يستطيعان معه ألا تكون بينهما علاقه شرعية أو آثمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية أن تكون شرعية ، وخير للمرأة أن تكون زوجة من أن تكون خليلة تتنقل بين احضان الرجال ، واذا كانت هذه صورة شوهاء للتعدد ، فانه فيها خير من عدم التعدد فان التعدد على أقبح صوره يدفع شرا اجتماعيا أعظم منه .

وثالثا — لا يمكن أن تقبل امرأة الزواج من متزوج الا اذا كانت مضطرة الى ذلك اضطرارا ، فاذا كانت الزوجة الاولى ينالها ضرر بالزواج بالثانية ، فان الثانيه ينالها ضرر أشد بالحرمان اذ تموت أنوثتها او تكون ضياعا بين الرجال والضرر الكبير يدفع بالضرر القليل .

رابعا — قد تصاب الزوجة بمرض لا تكون معه صالحة للعلاقة الجنسيه ، او تكون عقيمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية والشخصية التزوج من أخرى .

لهذه المعانى ولغيرها فتح الاسلام الباب مضيقا ، ولم يغلقه تماما .

ان الاسلام شريعة الله الذى يعلم كل شيء ، فهو العليم الحكيم .



كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ

لكم نفعا من الآباء والابناء ، والخير فيما أمر الله ، فهو العليم بمصـــالحكم الحكيم فيما فرض لكم .

١٢ ـــ للزوج نصف ما تركت الزوجة ان لم يكن لها ولد منه أو من غيره فان كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية توصى بها أو دين . وللزوجة ـــ واحدة أو متعددة ـــ الربع مما ترك الزوج ان لم يكن له منها أو من غيرها ولد ، فان كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعـــد وصية يوصى بها أو دين ، وولد الابن كالولد فيما تقدم . وان كان الميت رجلا أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أخا لأم أو اختا لأم فلكل واحد منهمـــا السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث يستوى فى ذلك ذكرهم وانثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التى عليه وتنفيذ الوصـــية التى لا تضر الورثة وهى التى لا تتجاوز ثلث الباقى بعد الدين ، فالزموا أيها المؤمنون ما وصاكم الله به فانه عليم بمن جار او عدل منكم ، حليم لا يعاجل الجـــائر بعقوبة .

١٣ ـــ تلك الاحكام المذكورة فى بيان المواريث وما سبقها ، شرائع الله التى حددها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها . ومن يطع الله ورسوله فيما حكم به كان جزاؤه الجنة التى تجرى فيها الانهار خالدا فيها وذلك الفـــوز العظيم (١) .

---

(١) نظام الميراث الذى بينه القرآن الكريم اعدل نظام للتوريث عرف فى كل قوانين العالم، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون فى أوربا ، وهو دليل على ان القرآن من عند الله ، اذ انه لم يكن مثله ولا قريب منه معروفا عند الفرس ولا عند الرومان ، ولا فى أى تشريعه أخرى قبله ، وقد أتبع فيه النظم العادله الاتيه ;

اولها ـــ أنه جعل التوريث بتنظيم الشارع لا باراده المالك ، من غير ان يهمل هذه الارادة، بل جعل له الوصيه بالمعروف فى الثلث ليتدارك تقصيرا نسيا فانه ، كزكوات لم يؤدها ، أو ليعين بعض ذوى الحاجة ممن تربطه به صله مودة او قرابه لا تستحق ميراثا ، ومنع الوصية اذا كان الباعث عليها معصية أو تحريضا على الاستمرار فى معصيه ، وتولى الشارع توزيع الثلثين ان كانت وصية ، أو توزيع الكل اذا لم تكن وصية ، أو كانت بأقل من الثلث فوزع الشـــارع البـــاقى .

وثانيها ـــ انه فى توليه سبحانه توزيع التلثين أعطى الاقرب فالاقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير ، ولذلك كان الاولاد أكثر حظا من غيرهم فى الميراث ، لانهم امتداد لشخص المالك ، ولانهم فى الغالب ضعاف ، ومع ذلك لم يستأثروا بالميراث ، بل يشاركهم الام والجدة ، والاب ، والجد ، وان كانوا يأخذون أقل من الاولاد .

وثالثها ـــ انه يلاحظ فى التوريث مقدار الحاجه ، ولذلك كان نصيب الاولاد اكبر . لانهم اكثر احتياجا ، اذ هم مقبلون على الحياة ، والاباء والامهات مدبرون عنها .

وان ملاحظة الحاجة هى التى جعلت نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل فى أكثر أحوال الميراث ، اذ أن التكليفات المالية التى يطالب بها الرجل أكبر ، فهو المطالب بنفقة =

يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ
ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ
فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ
ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ
فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ
ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ
لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ

١٤ ــ ومن يعص الله ورسوله ويتعــد حــدود ما شرعه مستبيحا ذلك التعدى ، يجزه نارا مخلدا فيها ، يعذب بها بدنه ، الى جانب عــذاب مهين تتألم به روحه .

١٥ ــ واللاتى يأتين الزنا من النساء ان شهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يمسكن فى البيوت محافظة عليهن ودفعا للفساد والشر حتى يأتيهن الموت أو يفتح الله لهن طريقا للحياة المستقيمة بالزواج والتوبة .

١٦ ــ والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلهما عقوبة محدودة ــ اذا ثبت الزنا بشهادة شهود أربعة عدول ــ فان تابا بعد العقوبة فلا تذكروهما بما ارتكبا ولا تعيروهما به . ان الله يقبل برحمته توبة التائبين

١٧ ــ انما التوبة مضمونة عند الله للذين يعملون السيئات فى حال الحماقة والطيش وعدم التبصر ، ثم يبادرون بالتوبة قبل حضور الموت ، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يخطىء فى تقدير .

١٨ ــ وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ثم لا يبادرون بالندم عليها ، الى أن يحضر أحدهم الموت فيقول : انى اعلن الندم والتوبة الآن ، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر ، وقد أعد الله للفريقين عذابا مؤلما فى دار الجزاء .

١٩ ــ يأيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا النســـاء كالمتــاع ، فترثوهن زوجات لــكم من غير صــداق ، وهن كارهات ، ولا تظلموهن

= الاولاد واصلاحهم ، وهو المطالب بنفقة المرأة ، اذ أن الفطرة الانسانية هى التى جعلت المرأة قوامه على البيت وتدبيره ، ورعاية الاولاد ، وتهيئة راحتهم ، وجعلت الرجل كادحا يعمل خارج البيت ، ويقدم المال المطلوب لميزانية الاسرة .

وان الاعطاء على مقدار الحاجة هو العدل ، والمساواة مع تفاوت الحاجة هى الظلم .

ورابعها ــ أن الشرع الاسلامى فى توزيعه للتركة يتجه الى التوزيع دون التجميع ، فلم يجعلها للولد البكر ، ولم يجعلها للابناء دون البنات ، ولا للاولاد دون الاباء ، ولم يحرم من ليسوا من عمود النسب ، كالاخوة والاعمام وابناء الاعمام وان بعدوا ، فالميراث يمتد الى ما يقارب القبيلة ، ولكن يأخذ الاقرب فالاقرب ، ولا يوجد فى مسائل الميراث أن ينفرد به واحد الا نادرا .

وخامسها ــ انه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجرى عند العرب ، بل لها ميراث ، وفى ذلك احترام للمرأة واعطاؤها حقوقها .

وفوق ذلك لم يمنع الاسلام قرابة المرأة من الميراث ، بل ورث القرابة التى تكون من جانبها ، كما ورث القرابة التى تكون من جانب الاب ، فالاخوات والاخوة لام يأخذون عندما يأخذ الاشقاء ، بل فى بعض الاحيان يأخذ الاولاد لام ولا يأخذ الاخوة والاخوات ، وهذا بلا شك تكريم للامومة ، واعتراف بقرابتها ، ولم يكن ذلك معروفا من قبل ، ولكنها شريعة الله العليم الحــكيم .

بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن
تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ
ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا
فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾
وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ
مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم
مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ
وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ
وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ
وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن

بالتضييق عليهن لينزلن عن بعض ما آتيتموهن من مهور ، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا بعض ما آتيتموهن من مال الا أن يرتكبن اثما بينا بنشوز أو سوء خلق أو فجور ، فلكم أن تضيقوا عليهن او تأخذوا بعض ما آتيتموهن عند الفراق ، وعليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم قولا وعملا فان كرهتموهن لعيب فى الخلق او الخلق او غيرهما فاصبروا ولا تتعجلوا فراقهن فعسى أن يجعل الله فى المكروه لكم خيرا كثيرا وعلم الأمور كلها عند الله .

***

٢٠ — وان أردتم ان تستبدلوا زوجة مكان اخرى واعطيتم واحدة منهن مالا كثيرا فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئا ، اتأخذونه على وجه البطلان والاثم المبين ؟ .

***

٢١ — وكيف يسوغ لكم أن تستردوا ما أعطيتم من مهر وقد امتزج بعضكم ببعض ، وأخذن منكم عقدا قويا موثقا احل الله به العشرة الزوجية .

***

٢٢ — ولا تتزوجوا — أيها الابناء — ما تزوج آباؤكم من النساء ، انه كان أمرا فاحش القبح ، يمقته الله والناس ، وهو أسوأ سبيل ومقصد ، وان الله يعفو عما قد سلف منكم فى زمن الجاهلية (١) .

***

٢٣ — حرم الله عليكم أن تتزوجوا أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة ، وأمهات نسائكم . والمحرمات لغير النسب : أمهات الرضاعة ،

---

(١) كان عند العرب فى الجاهلية عادات ليس فيها تكريم للمرأة بل فيها ظلم شديد ، وفيها قطع للعلاقة التى تربط بين الاسرة ، فكان الرجل اذا مات أبوه وكان متزوجا غير امه يفرض عليها زواجها منه ، او يرث زواج أبيه من غير عقد يعقده عليها جديد ، وكان الرجل اذا طلق امرأته وقد دخل بها يسترد كل ما اعطاها من مهر ظالما معتديا . ومنهم من كان يعمل على منعها من الزواج بغيره معتديا آثما ، ولا نصير لها فى ذلك الوسط ، فجاء الاسلام ، ودفع عنها ذلك الظلم البين ، ونهى عن أن يورث زواج النساء ، وأن يسترد شىء من المهر ، ولو كان قنطارا ، ونهى عن العضل وهو منع المرأة من الزواج أو ايذاؤها لحملها على طلب الطلاق بمال تعطيه .

وكان من الجائز عندهم أن الرجل يتزوج من تزوجها أبوه وافترق عنها بطلاق أو نحوه ، فنهى الاسلام عنه ، وسماه مقتا ، لانه أمر فاحش القبح ، يمقته الله ، ويمقته أهل العقول المستقيمة ، وذلك عدل الله .

نِسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ
وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٣﴾ * وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ
فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ
طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ
بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ

حزب ٩ جزء ٥

والاخوات من الرضاعة (١) ، وأمهات الزوجات وبنات الزوجات من غير الأزواج اذا دخل بهن ، وزوجات أبناء الصلب ، والجمع بين الأختين ، وما سلف فى الجاهلية فانه معفو عنه . ان الله غفور لما سلف قبل هذا النهج ، رحيم بكم فيما شرع لكم .

* * *

٢٤ — وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء عامة ، حرائر وغير حرائر الا من سبيتم وملكتم منهن فى حرب بينكم وبين الكفار ، فان نكاحهن السابق ينفسخ بالسبى فيصرن حلالا لكم بعد استبراء أرحامهن ، فالزموا ما كتب الله عليكم فى تحريم ما حرم ، ولكم فيما عدا هؤلاء المؤمنات المحرمات، أن تتطلبوا بأموالكم نساء تتزوجون بهن ، لا تقصدون الزنا أو المخادنة ، فأى نساء استمتعتم بهن بعد الزواج منهن احل الله لكم الدخول بهن فوفوهن مهورهن التى قدرتم لهن حقا عليكم لا تسامح فيه تؤدونه فى موعد ، ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من تنازل زوجة عن بعض مهرها أو زيادة زوج فيه . ان الله كان ولم يزل مطلعا على شئون العباد ، مدبرا لهم فى أحكام ما يصلح به أمرهم .

* * *

٢٥ — ومن لم يستطع منكم نكاح الحرائر المؤمنات فله أن يتجاوزهن الى مايستطيع من المملوكات المؤمنات ، والله أعلم بحقيقة ايمانكم واخلاصكم، ولا تستنكفوا من نكاحهن ، فأنتم وهن سواء فى الدين ، فتزوجوهن باذن أصحابهن وأدوا اليهن مهورهن التى تفرضونها لهن حسب المعهود بينكم فى حسن التعامل وتوفية الحق ، واختاروهن عفيفات ، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خليلة ، فان أتين الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبة الحرة . واباحة

---

(١) اختصت شريعة القرآن من بين الشرائع القائمة بالتحريم بسبب الرضاعة ، لان الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم آمه فى بطنها فكلاهما يكون أجزاء جسمه ، ولا فرق بين تكوين فى الحجر ، وتكوين فى البطن ، وفى التحريم بالرضاعة نكون للمرضع اذ تكون كالام فى التحريم ، وفى هذا تشجيع على الارضاع الذى هو الغذاء الطبيعى للاطفال فى المهد .

تسبق هذه الآية الشريفة علم الوراثة فيما قررته من تحريم زواج الاقارب ، وقد ثبت علميا أخيرا أن زواج الاقارب يسبب ذرية أفرادها على استعداد للامراض وبهم عيوب خلقية ، وان درجة التناسل تقل حتى تصل الى العقم ، اما زواج الاباعد فانه يأتى بنتائج على عكس ذلك كما تزيد عليها نتيجة عرفت باسم قوة الخليط ، ويقصد بها أن النسل الناتج من رتبة الاباعد يفوق كلا من ابويه فى كثير من صفاته ، كما يمتاز النسل كذلك بزيادة الوزن وقوة مقاومته للامراض وسرعة النمو وقلة الوفيات .

أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا
مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ
أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ
وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ
مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ

نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية الى الزنا وصبركم عن نكاح المملوكات مع العفة خير لكم ، والله كثير المغفرة عظيم الرحمـــة ».

* * *

٢٦ ــ يريد الله أن يوضح لكم أصلح السبل ، ويريد الذين يتبعـــون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من قبلكم ، ويرجع بكم الى طريق طاعته والله مطلع على شئونكم ، مدبر فى احكامه لما يصلح امركم ».

* * *

٢٧ ــ والله يريد أن يرجع بكم الى طاعته ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من الكفار والعصاة أن تبعدوا عن طريق الحق بعـــدا شـــديدا ».

* * *

٢٨ ــ يريد الله أن ييسر عليكم بتشريع ما فيه سهولة لكم ، وتخفيف عليكم ، وقد خلق الله الانسان ضعيفا أمام غرائزه وميوله ، فينـــاسبه من التكاليف ما فيه يسر وسعة . وذلك هو ما يكلف الله عباده فضلا وتيسيرا

* * *

٢٩ ــ يأيها الذين آمنوا لا يأخذ بعضكم مال بعض بغير الحق . ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضى منكم ، ولا تهلكوا انفسكم بمخالفة أوامر ربكم ، ولا يجنى احدكم على اخيه فانما هى نفس واحدة ، ان الله دائم الرحمة بكم .

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ
عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾
وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ
عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا
فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ
فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ
وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ

٣٠ — ومن يقدم على فعلَ ما حرم الله اعتداء وتجاوزا لحقه ، فسوف ندخله نارا يحترق فيها ، وكان ذلك على الله هينا ميسورا .

* * *

٣١ — ان تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التى ينهاكم الله عنها نمح عنكم ما دونها من السيئات والصغائر مادمتم باذلين جهدكم فى الاستقامة ، وننزلكم فى الدنيا والآخرة منزلا فيه احسان لكم وتكريم .

* * *

٣٢ — ولا يتطلع الرجال الى ما ميز الله به النساء ، ولا النساء الى ما ميز به الرجال ، فان لكل فريق حظا ملائما لما طبع عليه من العمل وما اضيف اليه من الحقوق ، فليتجه كل الى رجاء الاستزادة من فضل الله بتنمية مواهبه والاستعانة على ما نيط به . ان الله كان عالما أتم العلم بكل شىء ، وقد أعطى كل نوع ما يصلح له .

* * *

٣٣ — ولكل من الرجال والنساء جعلنا مستحقين لتركتهم يكونون خلفاء لهم ، وهم الولدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم عقدا مقتضاه ان يرثوه اذا مات من غير قرابة ، وينصروه اذا احتاج الى نصرتهم فى مقابل ذلك ، فآتوا كل ذى حق حقه ولا تنقصوه شيئا ، ان الله كان رقيبا على كل شىء ، حاضرا معكم ، يشهد ما تتصرفون به .

* * *

٣٤ — الرجال لهم حق الصيانة والرعاية للنساء ، والقيام بشئونهن بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهـــذا الحق ، وبسبب انهم هم الذين

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا
يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ
ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

يكدون ويكدحون لكسب المال الذى ينفقونه على الأسرة ، فالصالحات مطيعات لله ولازواجهن ، حافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن بسبب امر الله بهـذا الحفظ وتوفيقه لهن . والزوجات اللاتى تظهر منهن بوادر العصـيان ، فانصحوهن بالقول المؤثر ، واعتزلوهن فى الفراش ، وعاقبوهن بضرب خفيف غير مبرح ولا مهين عند التمرد ، فان رجعن الى طاعتكم فى أى سبيل من هذه السبل الثلاث ، فلا تتطلبوا السبيل التى هى أشد منها بغيا عليهن ، ان الله فوقكم وينتقم منكم اذا آذيتموهن أو بغيتم عليهن .

***

٣٥ ـ وان حدث خلاف بين الزوجين وخفتم منه حدوث انشقاق بينهما يعرضهما للانفصال ، فاختاروا حكمين . احدهما من اهله والآخر من اهلها ، أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فى الوصول الى ما هو خير للزوجين من معاشره بالمعروف أو تسريح باحسان . ان الله كان مطلعا على ظواهر العباد وبواطنهم .

***

٣٦ ـ واعبدوا الله وحده ، ولاتجعلوا معه شريكا فىالألوهية والعبادة، وأحسنوا الى الوالدين احسانا لا تقصير فيه ، والى أقربائكم ، والى اليتامى، والذين افتقروا بسبب عجزهم أو ذهاب الكوارث بأموالهم ، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبى ، والرفيق لك فى عمل أو طريق أو جلوس ، والمسافر المحتاج الذى لا قرار له فى بلد معين ، ربما ملكتم من الأرقاء فتيانا وفتيات . ان الله لا يحب من كان متعاليا على الناس : لا تأخذه بهم رحمة ، كثير التمدح بنفسـه .

***

٣٧ ـ أولئك الذين يضمون الى التكبر والتباهى البخـل بأموالهم وجهودهم عن الناس ، ويدعون الناس الى مثل صنيعهم من البخل ، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلا ينفعون أنفسهم ولا الناس بذلك ، وقد اعددنا للجاحدين أمثالهم عذابا مؤلما مذلا .

***

٣٨ ـ والله لا يحب الذين يبذلون المال للرياء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويعظموهم ، وهم غير مؤمنين بالله ولا بيوم الجزاء ، لانهم اتبعوا الشيطان فأضلهم ، ومن يكن الشيطان صاحبه فبئس الصاحب .

وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ
مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ
عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ

٣٩ ـ ألا قبحا لهؤلاء ، فما الذى يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الايمان ؛ وما يقتضيه من اخلاص النية ورجاء الثواب . والله عالم كل العلم ببواطن الامور وظواهرها .

＊＊＊

٤٠ ـ ان الله لا يظلم أحدا شيئا فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد فى عذابه شيئا ؛ ويضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت ، ويعطى من فضله عطاء كبيرا غير مقابل بالحسنات التى يضاعفها .

＊＊＊

٤١ ـ فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والمعرضين عما أمر الله به ، اذا جئنا يوم القيامة بكل نبى شهيدا على قومه ، وجئنا بك ـ يأيها النبى ـ شهيدا على قومك وفيهم المانعون والمعرضون ؟

＊＊＊

٤٢ ـ يوم يحدث هذا ، يود الجاحدون المعرضون لو يغيبون فى الأرض كما يغيب الأموات فى القبور ، وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله أى شأن من شئونهم ، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم .

＊＊＊

٤٣ ـ يأيها الذين آمنوا لا تأتوا الصلاة فى المساجد حال سكركم حتى تفقهوا ما تقولون ، ولا تدخلوا المساجد وأنتم على جنابة الا اذا كنتم عابرين المساجد عبورا دون استقرار فيها ، حتى تطهروا بالاغتسال . وان كنتم مرضى لا تستطيعون استعمال الماء خشية زيادة المرض أو بطء البرء ، أو مسافرين يشق عليكم وجود الماء ، فاقصدوا التراب الطيب ، وكذلك اذا جاء أحد منكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو اتيتم النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به لفقده ، فاقصدوا ترابا طيبا كذلك فاضربوا به أيديكم ، وامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة .

ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ
ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا
فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا
نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ
ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ
إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ

٤٤ ــ الا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من الكتب السابقة ، يتركون الهدى ويبتغون الضلالة فى شأن أنفسهم ، ويريدون منكم ان تبعدوا مثلهم عن الحق وهو صراط الله المستقيم .

٤٥ ــ والله أعرف منكم بأعدائكم الحقيقيين ، وأخبر بما تنطوى عليه نفوسهم ، وولاية الله تحميكم وتكلؤكم وتكفيكم ، فلا تطلبــوا ولاية غير ولايته وتكفيكم نصرته فلا تستعينوا بسواه .

٤٦ ــ من اليهود فريق يميلون الكلام عن معناه ، ويقولون فى أنفسهم للنبى : سمعنا القول وعصينا الأمر . ويقولون اسمع كلامنا ــ لا سمعت دعاء ــ يدعون بذلك على النبى ويقولون (اسمع غير مســمع) فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه ، ويوهمون أن مرادهم الدعاء له .

ويقولون (راعنا) يلوون بها ألسنتهم يوهمون أنهم يريدون « أنظــرنا » فيظهرون أنهم يطلبون رعايته ويبطنون وصفه بالرعونة ، ويطعنون بذلك فى الدين لوصف مبلغه بالرعونة .

ولو انهم استقاموا وقالوا (سمعنا وأطعنا) بدل قولهم (ســمعنا وعصينا) وقالوا (اسمع) دون أن يقولوا (غير مسمع) ، وقالوا (انظرنا) بدل (راعنا) لكان خيرا لهم مما قالوه وأعدل منه سبيلا ، ولكن الله طردهم من رحمته باعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الايمان الا عددا قليــلا .

٤٧ ــ يأيها الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله آمنوا بما أنزلنــا من القرآن على محمد مصدقا لما معكم ، من قبل أن ننزل بكم عقابا تنمحى به معالم وجوهكم فتصير كاقفيتها ، لا انف فيها ولا عين ولا حاجب ، او نطردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل ما نهوا عنه من الصيد يوم السبت . وكان قضاء الله نافذا لا مرد له .

٤٨ ــ ان الله لا يغفر الاشراك به ، ويعفو عما دون الاشراك من الذنوب لمن يشاء من عباده ، ومن يشرك بالله فقد ارتكب ــ مفتريا على الله ــ ذنبا كبيرا لا يستحق معه الغفران .

يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ
وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ
ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ
إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟

٤٩ ــ الا تعجب من هؤلاء الكافرين الذين يغترون بأعمالهم ، فنبين لهم سوء عملهم فيرونه حسنا ، ويثنون على أنفسهم مزكين لها ، والله وحده هو الذى يعلم الخبيث من الطيب ، فيزكى من يشاء ولا يظلم اى انسان قدره مهما كان ضئيلا .

* * *

٥٠ ــ كيف يختلقون على الله الكذب بهذا وأمثاله ، وكفى بالكذب على الله ذنبا واضحا يكشف عن خبيث طويتهم .

* * *

٥١ ــ ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين اوتوا حظا من علم الكتاب ، يرضون عبده الأصنام والشيطان . ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان انهم أهدى من أهل الايمان طريقا .

* * *

٥٢ ــ أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمته ، ومن يخذله الله ويطرده من رحمته فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله .

* * *

٥٣ ــ لقد حرم هؤلاء نعمة الادعان للحق ، كما حرموا السلطان ، ولو أوتوه ما نفعوا الناس به بأى قدر ولو كان ضئيلا .

* * *

٥٤ ــ كيف يستكثر هؤلاء على العرب ما آتاهم الله من فضله ببعث النبى منهم ، مع أن الله قد آتى ابراهيم وآله ــ وهو ابوكم وابوهم ــ الكتاب المنزل والنبوه والملك العظيم .

* * *

٥٥ ــ فمن الذين بعث فيهم ابراهيم وآله من آمن بالكتاب المنزل اليهم، ومنهم من أعرض عنه ، وحسب هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون نارا حاميـــة .



ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ
وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ



ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ
بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ
ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ
ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ
أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ
أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ

٥٦ — ان الذين جحدوا حججنا البينات ، وكذبوا الأنبياء ، سوف ندخلهم النار التى تكوى بها جلودهم ، وكلما فقدت الاحساس بالعذاب بدلهم الله جلودا غيرها جديدة ليستمروا فى الم العذاب ، ان الله تعالى غالب على امره، حكيم فى فعله ، يعذب من جحد به وأصر على ذلك حتى مات (١) .

* * *

٥٧ — والذين صدقوا بما جاءهم من ربهم وعملوا الاعمال الصالحة ، سنثيبهم على ايمانهم وعملهم ، فندخلهم جنات تجرى تحت أشجارها الأنهار، لا تنتهى حياتهم فيها أبدا ، لهم فيها ازواج مطهرة من العيوب والأدناس ، ونحييهم حياة ناعمة فى ظل ظليل من العيش الطيب والنعيم المقيم .

* * *

٥٨ — ان الله يأمركم أيها المؤمنون ان توصلوا جميع ما ائتمنتم عليه من الله او الناس الى اهله بالعدل ، فلا تجوروا فى الحكم . هذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها ، فنعمت الموعظة التى يعظكم بها . ان الله دائما سميع لما يقال ، بصير بما يفعل ، فيعلم من ادى الأمانة ومن خان ، ومن حكم بالعدل او جار فيجازى كلا بعمله .

* * *

٥٩ — يأيها الذين صدقوا بما جاء به محمد اطيعوا الله واطيعوا الرسول والذين يلون امركم من المسلمين القائمين بالحق والعدل ، والمنفذين الشرع، فان تنازعتم فى شىء فيما بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله لتعلموا حكمه ، فانه أنزل عليكم كتابه وبينه رسوله ، وفيه الحكم فيمااختلفتم فيه ، وهذا مقتضى ايمانكم بالله واليوم الآخر ، وهو خير لكم ، لأنكم تهتدون به الى العدل فيما اختلفتم فيه ، وأحسن عاقبة ، لأنه يمنع الخلاف المؤدى الى التنازع والضلال .

---

(١) تدل الآية الكريمه علىشدة العذاب الذى يتعرض لهأصحاب النار بدليل ما تقره الحقيقه العلمية من أن الاعصاب المنتشرة فى طبقات الجلد هى أكثر الاعصاب حساسية لمختلف المؤثرات من حرارة وبرودة » .

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم

٦٠ ــ الا تعجب ــ أيها النبى ــ من الذين يدعون أنهم صدقوا بما انزلَ عليك من الكتـــاب وما انزل من قبلك من الكتب ، يريدون ان يتحاكموا فى خصوماتهم الى ما فيه الضلال والفساد وحكم غير الله ، وقد أمرهم الله أن يجحدوه ولا يتحاكموا اليه ، ويريد الشيطان أن يصدهم عن طريق الحق والهدى ، فيضلهم عنه ضلالا بعيدا .

٦١ ــ واذا قيل لهم اقبلوا على ما أنزل الله من قرآن وشريعة ، وعلى رسوله ليبين لكم ، رايت الذين ينافقون يعرضون عنك اعراضا شديدا .

٦٢ ــ فكيف تكون الحال اذا نزلت بهم نازلة بسبب خبث نفوسهم وسوء أعمالهم ، ولم يجدوا ملجأ الا اليك ، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم الا الاحسان وطلب التوفيق .

٦٣ ــ اولئك الذين يقسمون انهملا يريدون الا الاحسان والعمل الموفق، يعلم الله حقيقة مافى قلوبهم وكذب قولهم ، فلا تلتفت الى كلامهم ، وادعهم الى الحق بالموعظة الحسنة ، وقل لهم قولا حكيما بالغا يصل الى اعمـــاق نفوسهم .

٦٤ ــ وما ارسلنا من رسول الا كان الشأن فى رسالته أن يطاع ، وأن تكون طاعته باذن من الله وأن من ينافق أو يكذب أو يخالفه يكن ظالما لنفسه، ولو ان هؤلاء الذين ظلموا انفسهم رجعوا الى الهدى فجاءوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدموا ، ورجوت المغفره لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم ، لوجدوا الله سبحانه وتعالى كثير القبول للتوبة رحيما بعباده .

٦٥ ــ فوربك لا يعدون مؤمنين بالحق مذعنين له ، حتى يجعلوك حكما فيما يكون بينهم من نزاع ، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ، ويذعنوا لك اذعان المؤمنين المصدقين .

٦٦ ــ ولو اننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهادالمستمر، وأن يعرضوا انفسهم للتلف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائما،ما أطاع

مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ



الا عدد قليل ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يكلفه الا ما تحتمله الطاقة ، ولو انهم فعلوا وقاموا بحقه لكان فى ذلك خير الدنيا والآخرة لهم ، وهو يؤدى الى تثبيت الايمان ، والاستقرار والاطمئنان .

٦٧ ـ واذا قاموا بحق التكليف الالهى الذى يكون فى وسعهم ، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله .

٦٨ ـ ولكانوا بسبب اطاعتهم فيما يطيقون ، قد هداهم الله الى الطريق المستقيم الذى لا افراط فيه ولا تفريط .

٦٩ ـ ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما والرضا بحكمهما ، فهو مع الذين انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة من انبيائه واتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم ، والشهداء فى سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم ، وما احسن هؤلاء رفقاء لا يشقى جليسهم ، ولا يمل حديثهم .

٧٠ ـ تلك المنزلة العظيمة لمن اطاع الله ورسوله هى الفضل الكبير من الله ، وهو عليم بالاعمال ومثيب عليها ، ويكفى المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ويطلب مرضاته .

٧١ ـ يأيها الذين آمنوا كونوا فى حذر دائم من أعدائكم ، وخذوا الأهبة لرد كيدهم ، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة ، جماعة بعد جماعة ، أو اخرجوا لهم مجتمعين .

٧٢ ـ واحذروا المثبطين المعوقين فان ممن يعيش معكم من يثبط عن القتال ويتخلف عنه ، فان أصابكم نكبة فى الجهاد ، قال ذلك الفريق المتخلف شامتا : قد أنعم الله على اذ لم اشهد معهم هذا القتال .

٧٣ ـ وان جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بغنائم القتال ، قال ذلك الفريق ـ متحسرا متمنيا الأمانى ـ ياليتنى كنت معهم فى هذا القتال فأفوز بعظيم الغنائم ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم .



ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا
وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ

٧٤ ـ اذا كان منكم من يعوق أو يبطىء ، لضعف فى ايمانه ، أو خور فى عزيمته . فليقاتل فىسبيل اعلاء كلمة الله والحق الذين يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل اعلاء كلمة الله والحق فسينال احدى الحسنيين فأما ان يقتل فينال فضل الاستشهاد فى سبيل الله.، او ينتصر فينال فضل الفوز فى الدنيا ، وهو فى كلتا الحالتين يؤتيه الله اجرا عظيما فى الآخرة .

* * *

٧٥ ـ كيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا فى سبيل الله ، مع ان المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين الى الله يقولون : ربنا اخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ، ومكنا بقوتك ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين ، واجعل لنا من عندك نصيرا ينصرنا .

* * *

٧٦ ـ الذين صدقوا بالحق واذعنوا له ، يقاتلون فى سبيل اعلاء كلمة الله والعدل والحق ، والذين جحدوا او عاندوا يقاتلون فى سبيل الظلم والفساد وبذلك كانوا اولياء الشيطان ، فيأيها المؤمنون قاتلوهم لأنهم اعوان الشيطان وأنصاره ، واعلموا انكم منتصرون عليهم بتأييد الله ، لأن تدبير الشيطان مهما عظم فساده ضعيف ، والغلبة للحق .

* * *

٧٧ ـ ألم تنظر يا محمد فتعجب الى الذين رغبوا فى القتال قبل أن يجىء الاذن به فقيل لهم : لم يأت وقت القتال ، فكفوا ايديكم عنه ، واحرصوا على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، فلما فرض الله عليهم القتال اذا طائفة منهم يخافون الناس كخوف الله او اشد.وقالوا مستغربين : لم كتبت علينا القتال؟ متوهمين ان فى فرضية القتال تعجيلا لآجالهم ، ولذلك قالوا : هلا اخرتنا الى زمن قريب نستمتع فيه بما فى الدنيا ؟ فقل لهم : تقدموا للقتال ولو ادى الى استشهادكم ، فمتاع الدنيا مهما عظم قليل بجوار متاع الآخرة ، والاخرة خير



ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ
مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ
وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ
مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ
مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ
فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ
وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ

واعظم لمن اتقى الله وستجزون على اعمالكم فى الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئا مهما صغر .

٧٨ ـــ ان الموت الذى تفرون منه ملاقيكم اينما كنتم ، ولو كانت اقامتكم فى حصون مشيده ، وأن هؤلاء الخائرين لضعف ايمانهم يقولون : ان اصابهم فوز وغنيمة : هى من عند الله،وان اصابهم جدب او هزيمة يقولوا لكيامحمد هذه من عندك ، وما كان الا بشؤمك . فقل لهم : كل ما يصيبكم مماتحبون أو تكرهون فهو من تقدير الله ومن عنده اختبار وابتلاء ، فما لهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولا صحيحا يتحدث به اليهم .

٧٩ ـــ ما يصيبك ـــ ايها النبى ـــ من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك ، يتفضل به احسانا منه اليك ، وما اصابكمن شده ومشقة وادى ومكروه فمن نفسك بسبب تقصير او ذنب ارتكبته . والخطاب للنبى لتصوير النفس البشريه وان لم يقع منـــه ما يستوجب السيئة ، وأرسلناك رسولا من عندنا للناس جميعا ، والله شهيد على تبليغك وعلى اجابتهم ، وكفى به عليمـــا .

٨٠ ـــ من يطع الرسول فقد أطاع الله ، لأنه لا يأمر الا بما أمر الله به، ولا ينهى الا عما نهى الله عنه . فكانت طاعته فى الامتثال والانتهاء طاعة لله. ومن اعرض عن طاعتك ، فما ارسلناك الا بشيرا نذيرا حفيظا ومهيمنا عليهم، تحفظ عليهم اعمالهم ، ان ذلك لنا لا لك .

٨١ ـــ ويقول هذا الفريق المتردد : أمرك مطاع ، وليس لك منا الا الطاعة فيما تأمر وتنهى ، ولكن اذا خرجوا من عندك وابتعدوا عنك دبرت طائفـــة منهم امرا وبيتته ، غير الذى تقوله انت لهم من امر ونهى ، والله سبحانه وتعالى يحصى عليهم ما يدبرونه فى خفاء . فلا تلتفت اليهم ، واعرض عنهم . وفوض أمرك الى الله ، وتوكل عليه وكفى ان يكون الله وكيلك وحافظك تفوض اليه جميع أمورك .

مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ
أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ
مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ
وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ
شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً
سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ

٨٢ ـ أفلا يتدبر أولئك المنافقون كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم فى وجوب طاعته واتباع أمرك ، وان هذا الكتاب من عند الله لائتلاف معانيه وأحكامه ، وتأييد بعضه لبعض . فهذا دليل على انه من عند الله ، اذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه ، واختلفت احكامه اختلافا كثيرا .

٨٣ ـ واذا اطلعت ـ هذه الطائفة المنافقة ـ على أمر يتعلق بقوة المسلمين او ضعفهم ، أفشوه ونشروه ، جاهرين به ، للتغرير بالمسلمين او القاء الرعب فى قلوبهم ، أو توصيل انبيائهم الى اعدائهم ، ولو ان هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف الى الرسول والى اولى الأمر من القواد وكبار الصحابة ، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع واذاعتها ، الحق من جانب الرسول والقادة ، ولولا فضل الله عليكم بتثبيت قلوبكم على الايمان ، ومنع الفتنة ، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار ، لاتبع اكثركم اغواء الشيطان ، ولم ينج من اغوائه الا القليل .

٨٤ ـ واذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم ، وقاتل فى سبيل كلمة الله والحق ، فلست مسئولا الا عن نفسك ، ثم ادع المؤمنين الى القتال وحثهم عليه ، لعل الله يدفع بك وبهم شدة الكافرين ، والله مؤيدكم وناصركم ، وهو اشد قوة وأشد تنكيلا بالكافرين .

٨٥ ـ وان هؤلاء المنافقين يناصرون الفساد ، وأهل الايمان يناصرون الحق ، ومن يناصر فى أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه ، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه ، والله مقتدر على كل شىء ، محيط به .

٨٦ ـ واذا حياكم احد أيا كان بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره، فردوا عليه بأحسن منها أو بمثلها ، فان الله محاسب على كل شىء كبيرا كان أو صغيرا .

٨٧ ـ الله الذى لا اله الا هو ولا سلطان لغيره سيبعثكم حتما من بعد





مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ
أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟
قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ
ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ

مماتكم ، وليحشركم الى موقف الحساب ، لاشك فى ذلك . وهو يقول ذلك فلا تشكوا فى حديثه ، وأى قول اصدق من قول الله .

* * *

٨٨ ـ ما كان يسوغ لكم أيها المؤمنون أن تختلفوا فى شأن المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ، وما يسوغ لكم ان تختلفوا فى شأنهم : اهم مؤمنون ام كافرون ؟ ويقتلون ام ينظرون ، وهم قابلون لان يكونوا مهديين أم لا ترجى منهم هداية ، انهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من اعمال ، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم ان تتوقعوا هداية من قدر الله فى علمه الازلى انه لن يهتدى ، فان من يكتب فى علم الله الازلى ضلاله ، لن تجدوا طريقا لهـــدايته .

* * *

٨٩ ـ انكم تودون هداية هؤلاء المنافقين ، وهم يودون أن تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين فى الكفر معهم ، واذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم ، ولا تعتبروهم منكم ، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين فى ســـبيل الاسلام . وبذلك تزول عنهم صفة النفاق ، فان اعرضوا عن ذلك وانضموا الى اعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء .

* * *

٩٠ ـ استثنى من المنافقين الذين يستحقون القتـــل لافسادهم لجماعة المؤمنين .. أولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المنتمين لأحد الفريقين ، او كانوا فى حيرة ايقاتلون مع قومهم الذين هم اعداء المسلمين وليس ثمة ميثاق أم يقاتلون مع المؤمنين ؟ فان الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق ، والآخرين يمنع قتلهم لأنهم فى حرج ، وأن الله تعالى لو شاء لجعلهم يحاربونكم فان آثروا الموقف السلبى وسالمـــوكم فلا يسوغ لكم ان تقتلوهم ، لانه لا مسوغ لذلك .



أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ
وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ
خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

٩١ — فان ظهرتم على الشرك كانوا معكم ، وان ظهر المشركون على الاسلام كانوا مع المشركين فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين — وهؤلاء فى ضلال مستمر ونفاق فان لم يعتزلوا قتالكم ويعلنوكم بالأمن والسلام فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، لأنهم بعدم اعتزالهم القتال ، قد مكنوا المؤمنين من قتلهم ، وجعل الله تعالى للمؤمنين حجة بينة فى قتالهم.

٩٢ — ان تقسيم المنافقين ذلك التقسيم للاحتياط ، حتى لا يقتل مؤمن على ظن أنه منافق ، وان قتل المؤمن لا يسوغ الا ان يقع ذلك خطأ غير مقصود وفى حال قتل المؤمن خطأ ، ان كان يعيش فى ولاية الدولة الاسلامية فانه تدفع الدية لأهله تعويضا عما فقدوه ، وتعتق رقبة مؤمنة ليعوض جماعة المؤمنين عما فقدت ، لأن عتق الرقبة المؤمنة احياء لها بالحرية ، فكأنه يكتفى بتحرير رقبة مؤمنة ، ليعوض المؤمنين عن فقده[1] وان كان ينتمى لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة سلم ، فانه يجب تحرير رقبة مؤمنة ، وتسليم الدية لأهل المقتول ، لأنهم لعهدهم لا يتخذونها لايذاء المسلمين ، واذا كان القاتل خطأ لا يجد رقبة مؤمنة يعتقها ، فانه يصوم شهرين متتابعين لا يفطر يوما فيهما ، لأن ذلك يكون تهذيبا لنفسه وتربية لها على الاحتراس والله سبحانه وتعالى عليم بالنفوس والنيات ، وحكيم يضع العقوبات فى مواضعها .

٩٣ — ان من يقتل مؤمنا قتلا عدوانا متعمدا مستحلا ذلك القتل ، يكون جزاؤه الذى يكافىء جريمته أن يدخل جهنم ويستمر فيها ، ويغضب الله عليه ويطرده من رحمته وقد اعد الله له فى الآخرة عذابا عظيما ، فان هذه أكبر جريمة فى الدنيا .

---

(١) « لم يسو الشارع بين عقوبة القتل الخطأ والقتل العمد ذلك لان الجاني فى القتل العمد تعمد العصيان بالفعل والقلب وعلى ذلك فجريمته مغلظة مما يناسبها شدة العقوبة أما فى القتل الخطأ فان الجانى لم يتعمد العصيان بقلبه بل تعلق العصيان بفعله وهذا من الشريعة الاسلامية تنويع للمسئولية الجنائية بحسب نوع العصيان .

والآية الكريمة بينت ما يوقع على القاتل خطأ فذكرت الكفارة وهى تحرير رقبة مؤمنة والصيام عند عدم وجود الرقبة المؤمنة والكفارة يدور بين العقوبة والعبادة ، وظاهر أن الذى يتحمل هذه الكفارة هو الجانى وهذا فيه ايلام له وتهذيب وتقرب الى الله حتى يتوب عليه مما فعل .

وفضلا عن الكفارة ففى القتل الخطأ الدية ، والدية محددة من الشارع وهى لا تختلف فى قتيل دون قتيل وفى هذا أسمى ما يكون من التسوية بين الناس ، وتكون الدية على العاقلة لان العاقلة هى أهل نصرة الجانى فاذا اشتركوا فى الغرم فانهم لا شك مانعوه من ارتكاب ما قد ينجم عنه الغرم وهذا النوع من الاشتراك فى المسئولية يدفع الى تقليل الجرائم .

وهذا كله لا يمنع ولى الامر من تعزير الجانى بالعقوبة التى يراها اذا وجد فى ذلك مصلحة اذ الجـــرم فى القتـــل الخطا ثابت حتى من الآية الكريمة فقد جاء فى نهايتها عقوبة من الله بقى أن الاجزية الواردة من كفارة ودية مشروعة من العلى القدير لقبول التوبة من الله تعـــالى وفى هذا اشارة الى ما وقع فيه القاتل خطأ من تقصير بترك الاحتياط ولذلك يقول الفقهاء أن القتل الخطأ لا يأثم اثم القتل وانما يأثم اثم ترك التحرز والمبالغة فى التثبيت لان الافعال المباحة لا تجوز مباشرتها الا بشرط ان لا تؤذى أحـــدا . فاذا آذى أحدا فقد تحقق ترك التحرز فيأثم =

فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ

٩٤ ـ الاحتراس من قتل المؤمن واجب فى حال الغزو ، فاذا سافرتم مجاهدين فى سبيل الله تعالى فتعرفوا شأن الذين تقاتلونهم قبل القتال ، أهم أسلموا أو لا يزالون على الشرك ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام وشارة الأمن لست مؤمنا ، تريدون بذلك الاموال والغنائم ، بل اقبلوا منهم السلام ، فان الله أعد لكم مغانم كثيرة . وأنتم أيها المؤمنون كنتم على الكفر قبل ذلك وهداكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم ، وان الله عليم علما دقيقا لا يخفى عليه شىء ، وانه محاسبكم بمقتضى علمه .

* * *

٩٥ ـ وان الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جدا . فلا يستوى الذين يقعدون عن الجهاد فى منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، فقد جعل الله للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قعدوا الا اذا كان القاعدون من ذوى الأعذار التى تمنعهم من الخروج للقتال ، فان عذرهم يرفع عنهم الملامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم ، فقد وعد الله الفريقين المنزلة الحسنى والعاقبة الطيبة .

* * *

٩٦ ـ وهذه الدرجة التى اختص بها المجاهدون درجة عظيمة رفيعة ، حتى كأنها درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ما عداها ، وان لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة .

= الفاعل (الزيلعى جـ ٦ ص ١٠١)

ويقولون أن القتل الخطأ يمكن الامتناع عنه بالتكلف والجهد (الكاسانى جـ ٧ ص ٢٥٢) .

وهذه الاجزية جميعا تتفق مع ما يتمثل فى القتل الخطأ من ضرر جسيم يدعو الشارع لوضع الزواجر عليه وبمقارنة ذلك بالتشريعات الوضعية نجد البون شاسعا حتى أن الناس لم يعودوا يخافون العقاب مما أدى لكثرة هذا النوع من الجرائم ولحصول حوادث صارخة دفعت الكثير الى أن ينادوا بتشديد عقاب القتل الخطأ ، ولو اتبع الناس تشريع القرآن لادى ذلك الى تعويض أهل القتيل بما يخفف عليهم الآلام النفسية والخسارة المادية والى زجر الجانى بما يبذل من كفارة فضلا عن الدية التى عليه وعلى العاقلة والى دفع الناس الى منع بعضهم بعضا من ارتكاب الخطأ الذى قد يسبب القتل .

مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ
وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿٩٩﴾ * وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ
طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟
فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟

ربع الحزب

٩٧ ــ وأن المسلم عليه أن يهاجر الى الدولة الاسلامية ولا يعيش فى ذل ، فان الملائكة تسألهم : فيم كنتم حتى ارتضيتم حياة الذل والهوان ؟ فيجيبون : كنا مستضعفين فى الأرض يذلنا غيرنا فتقول الملائكة : الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذى تقيمون فيه ، وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال ، مأواهم عذاب جهنم ، وأنهــا اسوأ مصير فالمسلم لا يصح ان يعيش فى ذل ، بل يعيش عزيزا كريما .

* * *

٩٨ ــ غير أنه يعفى من هذا العقاب من لا يستطيعون الانتقــال من الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال ، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولايجدون سبيلا للخــروج .

* * *

٩٩ ــ وأولئــك يرجى عفو الله عنهم ، والله تعالى من شــأنه العفو والغفـــران .

* * *

١٠٠ ــ ومن يهاجر طالبا بهجرته مناصرة الحق وتأييده ، يجـــد فى الأرض التى يسير فيها مواضع كثيرة يرغم بها أنف اعداء الحق ، ويجـــد سعة الحرية والاقامة العزيزة ، وله بذلك الثواب والأجر العظيم ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى موطن الدولة العزيزة التى هى دولة الله ورسوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت اجره ، وتكرم الله فجعل الأجر حقــا عليه ، وغفر له ورحمه ، لأن من شأنه الغفران والرحمة .

* * *

١٠١ ــ الصلاة فريضة محكمة لا تسقط فى السفر ، ولكن لا أثم على من يقصرها فيه عن الحضر . فالذين يخرجون مسافرين ان خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون ، لهم أن يقصروا الصلاة ، فالصلاة التى هى أربع ركعات يصلونها اثنتين ، وان الحذر من تعرض الكافرين واجب لأنهم أعداء ، عداوتهم واضحة .

فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۚ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم
مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ
أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ
فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا
مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۚ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ
خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾

١٠٢ ــ واذا كنت أيها النبى الأمين فيهم وقامت صلاة الجماعة ، فــلا تنسوا الحذر من الأعداء وذلك بتقسيم المسلمين الى طائفتين : احــداهما تبدأ الصلاة مقتدية بك ، وتكون الأخرى قائمة على الاسلحة والأمتعـــة لحراستها ، فاذا أتممت نصف الصلاة ذهبت التى صلت وراءك وجاءت الأخرى فصليت بها الباقى ، ثم تصلى ما فاتها وتصلى الاولى بقية الصلاة ، وتسمى لاحقة(١) والاخرى مسبوقة ، اذ تؤدى اول الصلاة ، واللاحقةتؤدى اخرها ، وذلك للتنظيم لكى لاتفوت الصــلاة ، وللحذر من الكافرين الذين يودون ان تغفلوا عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلوا عليكم دفعــة واحــدة ، وينقضوا عليكم وانتم فى الصلاة ، وأن قتال المشركين مستمرا واجب ، ولكن لا اثم عليكم ان تسكنوا اذا كان بكم مرض او نزل مطر عاق عن القتال،ولكن على ان تكونوا على حذر دائم وهذا عقاب الله للكافرين فى الدنيا ، وفى الآخرة اعد لهم عذابا مهينا مذلا .

١٠٣ ــ واذا أتممتم صلاة الحرب التى تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائما فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وانتم قاعدون ، واذكروه وانتم نائمون ، فان ذكر الله تعالى يقوى القلوب ، وبه اطمئنانها ، فاذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان ، فأدوا الصلاة كاملة فان الصلاة قد فرضــت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها .

١٠٤ ــ لا تضعفوا فى طلب القوم الكافرين الذين اعلنوا عليكم الحرب ، وحاولوا ان يغيروا عليكم من كل مكان . والحرب بلا شك الم ، فاذا كنتم تألمون من جراحها وما يكون فيها ، فأنهم يألمون أيضا ، والفرق بينكم وبينهم انهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئا ، وانتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والنعيم الدائم . والله عليم بأعمالكم واعمالهم حكيم يجازى كلا بمــا يعمل .

١٠٥ ــ أنزلنا اليك القرآن حقا وصدقا ، مشتملا على كلّ ما هو حقّ مبينا للحق الى يوم القيامة ليكون منارك فى الحكم بين الناس ، فاحكم بينهم ولا تكن مدافعا عن الخائنين .

١٠٦ ــ وعند الحكم بين الناس اتجه الى الله وتذكر عظمته واطلب مغفرته ورحمته ، فان المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى .

---

(١) اللاحقة : هى التى تصلى مع الامام اول الصلاة وتضطر للتخلف باقيها ، ثم تؤدى الباقى منفردة ، والمسبوق هو الذى يؤدى آخر الصلاة جماعة ثم يؤدى الاول منفردا .

وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ

١٠٧ ــ ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون فى اخفاء الخيانة فى انفسهم ، فان الله لا يحب من يكون من شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب .

* * *

١٠٨ ــ يختفون ويستترون بخيانتهم من الناس ، ولا يمكن أن تخفى على الله وهو معهم دائما خياناتهم ، وهم يتفقون ليلا على مالا يرضى الله من القول من رمى التهم على الأبرياء ، والله تعالى يعلم علما ، لا يخفى منه شىء مما يعملون .

* * *

١٠٩ ــ اذا كنتم تدافعون عنهم فى الدنيا فلا يعاقبون عقاب الدنيا ، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة امام الله تعالى ، بل من يقبل أن يكون وليا عليهم ناصرا لهم .

* * *

١١٠ ــ وان باب التوبة مفتوح ، فمن يعمل أمرا سيئا فى ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصى ثم يطلب مغفرة الله تعالى ، فانه يجد الله تعالى قابلا توبته غافرا له ، لأن من شأنه المغفرة والرحمة .

* * *

١١١ ــ وان الذنوب مضارها على نفس من يفعلها ، فمن يكسب ذنبا فانما هو ضد نفسه ، ومغبته على نفسه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكمته ، فيعاقب او يغفر على حسب ما تقتضيه الحكمة .

* * *

١١٢ ــ ومن يرتكب اخطاء تحيط بالنفس وذنوبا ، ثم يتهم بهذه الذنوب بريئا لم يرتكبها ، كمن يسرق شيئا ويتهم غيره بسرقته ، فقد وقع عليه وزران : احدهما الكذب والافتراء باتهام الأبرياء ، والثانى : الذنب الواضح البين .





وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ

١١٣ — ولولا أن الله تفضل عليك بالوحى ورحمك بالادراك النـــافذ ، لارادت طائفة منهم ان يضلوك ، ولكنهم لا يضلون الا أنفسهم . لأن الله مطلعك ، وبصيرتك نافذه الى الحق ، لا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم ، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذى هو ميزان الحق ، واودع قلبك بالحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه الا بوحى منه ، وان فضل الله عليك عظيم دائمـــا .

١١٤ — ان الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بهـــا فيما بينهم ، لا خير فى هذه الأحاديث فى الكثير ، لأن الشر يفرخ فى الخفاء لكن اذا كان التحدث للامر بصدقة يعطونها ، أو للعزم على القيـــام بعمل غير مستنكر ، او تدبير اصلاح بين الناس ، فان ذلك خير ، ومن يفعله طلبا لرضا الله سبحانه فان الله تعالى يعطيه جزاء كبيرا على عمله فى الدنيـــا والآخـــــرة .

١١٥ — وان الذى يكون فى شقاق مع الرسول من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية ، ويتبع طريقا غير طريق المؤمنين ، ويدخل فى ولاية اعداء أهل الايمان ، فانه يكون منهم اذ اختارهم اولياءه ، وسيدخله الله تعـــالى النار يوم القيامة .

١١٦ — وأن هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك ، لأنهم أعداء الاسلام،ومثله مثل من أشرك بالله وان كل ذنب قابل للغفران الا الشرك بالله ، وعبـــادة غيره ، ومعاندة رسوله فى الحق ، فان الله من شأنه المغفرة الا ان يشرك به فى عبادة ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وان من يشرك بالله فى عبادته وولائه فقد تاه عن الحق وبعد عنه كثيرا ، لأنه أفسد عقله ونفسه .

١١٧ — وأن من اظهر مظاهر الضلال الذى بعد به عن الحق المشرك بالله أنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ويسمى آلهته الباطلة بأسماء الاناث ، كاللات والعزى ومناة ، وغيرها من الاسماء المؤنثة ، وانه يتبع بهذه العبادة الشيطان .

١١٨ — وأن هذا الشيطان طرده الله تعالى من ظل رحمته ، وجعله فى طريق غوايته ، وقد أقسم واخذ على نفسه عهدا أن يتخذ من عباد اللهتعالى عددا معلوما مقدرا يستهويهم بغوايته ويوسوس لهم بشره .

فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ

١١٩ — وان قسمه أن يضل الذين استهواهم بأبعادهم عن الحق ويثير اهواءهم وشهواتهم ، ويجعلهم يتيهون فى أوهام وأمانى كاذبة يتمنونها ، واذا صاروا بهذه الأهواء وتلك الأمانى تحت سلطانه ، دفعهم الى أمور غيرمعقولة وحملهم على أن يظنوها عبادة وهى أوهام كاذبة ، فوسوس لهم بأن يقطعوا آذان بعض الابل ويغيروا خلق الله فيها ، وأن ما قطع اذنه لا يذبح ولا يعمل ولا يمنع من مرعى وكل ذلك بأوامره ، ثم يوسوس لهم بأنه دين ، وأنهم بهذا يتبعونه ، ويتخذونه نصيرا متبعا من دون الله ، ومن يتخذه نصيرا متبعا يخسر خسرانا واضحا ، لأنه يضل عن الحقائق ويهمل عقله ، ويناله الفساد فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

١٢٠ — يزين لهم الشر ، ويعدهم النفع اذا فعلوه ، ويلقى فى نفوسهم بأمانى يتمنونها ، وليس وعده وتزيينه الا تغريرا .

١٢١ — وأن أولئك الذين ألغوا عقولهم واتبعوا وساوس الشيطان فى نفوسهم ، مصيرهم الى جهنم ولا يجدون منها خلاصا .

١٢٢ — هذا مصير اتباع الشيطان ، أما مصير اتباع الله فالخير ، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الاعمال الصالحة ، ولم يسيروا وراءأوهام كاذبة ، فان الله تعالى سيدخلهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجرى تحت ظلالها ، وهى أكبر من أعظم جنات الدنيا وان ذلك مؤكد ، لأنه وعد الله ، ووعد الله لا يكون الا حقا ، لا غرور فيه ، اذ هو مالك كل شىء ولا يتصور أن يكون احد فى الوجود أصدق من الله وعدا وقولا .

١٢٣ — ان الجزاء ليس هو ما يتمناه ويحلم به الانسان من غير عمل طيب مثمر ، فليس الجزاء بما تتمنون ايها المسلمون ، ولا بما يتمناه ويحلم به اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وانما الجزاء والنجاة من العذاب بالايمان والعمل الصالح ، ومن يعمل سيئا يجز به ، ولا يجد له من دون الله من يواليه أو ينصره .

١٢٤ — ومن يعملوا الأعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهم مؤمنون بالله ورسوله ، فانهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون اى مقدار ولو كان ضئيلا . ولا فرق فى الجزاء بين الذكر والأنثى ، لأن الانثى مكلفة . لها جزاء الخير ، و عليها عذاب الشر .

وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾
وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ
مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ
خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ
بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا
بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ
وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾
وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ
فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ

١٢٥ ــ وأن أساس عمل الخير منبعث من الاعتقاد السليم ، وأحسن الدين ان يخلص لله تعالى ، فيجعل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه ، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرســل ، وان يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الاعمال ، ويتبعوا فى ذلك ابا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فدينه هو دين الله ، وهو الدين الذى يتجه الى طلب الحق دائما . وان ابراهيم هو الذى تلتقى عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى ، فاتبعوا طريقه ، وان الله أكرم ابراهيم فسماه خليلا .

١٢٦ ــ وان الاخلاص لله واسلام الوجه اليه ، هو اخلاص لمن انشأهذا الوجود وملكه ، فلله كل ما فى السموات والأرض ، من نجــوم وأفــلاك وشمس وقمر وجبال ووهاد وصحارى ومزارع ، وهو مستبين كل شىء،وهو الذى يعلم علم احاطة بكل ما يعمل الانسان ، ويجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا .

١٢٧ ــ قد استفتى النــاس النبى فى شــأن النســاء وكن ولا يزلن ضعيفات ، فبين الله لنبيه ان يبين حال النساء وحال الضعفاء فى الاسرة من الولدان واليتامى ، وذكر أن يتامى النساء اللاتى يزوجن ولا يأخــذن مهورهن والاولاد ، واليتامى ، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية، وان كل ما يفعل من خير فان الله يعلمه وهو الذى سيجزى به .

١٢٨ ــ وان الزوجة اذاخافت من زوجها اهمــالا لشئون الأسرة أو اعراضا عنها وعدم اقبال عليها ، فلا اثم عليهما فى أن يحاولا اصلاح مابينهما بالصلح الجميل والتقريب . والعاقل منهما يبدأ به والصلح خير دائما لا شر فيه ، وأن الذى يمنع الصلح هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة ، اذ يسيطر الشح النفسى ، ولا سبيل لعودة المودة الا التساهل من احدالجانبين وهو المحسن المتقى ، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله ، فان الله خبير بعمله ومجازيه عليــه .

وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ
ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن
تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ
وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن
كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟
قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ



١٢٩ — وان العدل مع النساء بالمحبة الدائمة التى لا تشوبها شائبة ، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادله ، أمر غير ممكن دائما ، وغير ممكنة كذلك المساواة فى المحبة بين الزوجات اذا كان عنده أكثر من واحدة ولكن اذا حرصتم فلا تجوروا عليها وتميلوا كل الميل الى غيرها وتتركوها لا هى ذات زوج ولا هى مطلقة ، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلاح من غير افساد . وتتقوا الله فان الله يغفر لكم ويرحمكم اذ من شأنه المغفرة والرحمة .

١٣٠ — واذا لم يمكن الاصلاح واستحكمت النفرة ، فان التفريق لازم وأن يتفرقا يغن الله كل واحد منهما من سعة رحمته وفضله ، والأرزاق بيد الله ، والله واسع الرحمة والفضل ، وهو حكيم يضع الأمور فى مواضعها.

١٣١ — أن لب الدين هو الخضوع لمنشىء الكون ذى الجلال والاكرام والاعتراف بسلطانه المطلق فلله كل ما فى السموات والارض،وبهذا السلطان المطلق قال : وصينا اهل الديانات السماوية من اهل الكتاب — وانتم معشر المسلمين — بأن تخافوه وتعبدوه ، والا تكفروا بعبادته ، فهو صاحب السلطان الاكبر فى الأرض والسموات ، لا يخل بسلطانه شىء ، وهو غنى عنكم ، ومع ذلك يحمد لكم ايمانكم ، لأن من شأنه الغنى ، وان يحمد مع ذلك فعل الخير من عباده .

١٣٢ — ولله سبحانه وتعالى تدبير كل ما فى السموات والارض فهو المسيطر والمسير والمدبر وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم ، وامر الناس ليعبدوه ، ويفوضوا أمورهم اليه ويتقوه .

١٣٣ — انكم معشر العباد فى سلطان الله ، وهو القادر القاهر ، ان يشأ يمتكم ويأت بآخرين ، وهو ذو الجلال ، قدير على ذلك وعلى كل شىء .

١٣٤ — وان الناس اذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم ، فان الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة،وهو وحده الذى يملك النعيمين .

فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟
ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟

١٣٥ — ان العدل هو نظام الوجود ، وهو القانون الذى لايختلف النظر فيه ، فيأيها الذين اذعنتم لله الحق ، ولدعوة رسله ، كونوا مراقبين لأنفسكم فى الاذعان للعدل ، ومراقبين للناس ، فانصفوا المظلوم ، وكونوا قائمين لا لرغبة غنى أو لعطف على فقير ، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير وهو اولى بالنظر فى حال الغنى أو الفقير ، وان الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وان تتولوا اقامة العدل أو تعرضوا عن اقامته فان الله يعلم ما تعملون علما دقيقا ، ويجازيكم بعملكم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

١٣٦ — وان الرسالات السماوية واحدة لوحدة مرسل الرسل ، وهو الله ، فيأيها الذين آمنوا اذعنوا لله واخلصوا له ، وصدقوا رسوله محمدا وصدقوا ما جاء فى كتابه الذى أنزله عليه واعملوا به ، وصدقوا بالكتب التى نزلت من قبله كما أنزلهـا الله من غير تحريف ولا نسيان ، آمنـوا بكل ذلك ، فان من يكفر بالله خالق الوجود، والملائكة ، وعالم الغيب ، وكتب الله ورسله ، وينكر اليوم الآخر ، فقد تاه عن الطريق المستقيم ، واوغل فى طريق الضلال وابعد فيـه .

١٣٧ — ان الايمـان اذعان مطلق وعمل مستمر بالحـق ، فالمترددون المضطربون ليسوا بمؤمنين ، فالذين يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يؤمنون ثم يكفرون ، وبهذا يزدادون كفرا ، ما كان الله غافرا لهم ما يفعلون من شر ، ولا ليهديهم الى الحق ، لأن غفران الله يقتضى توبة واقـلاعا عن الشر ، وهدايته تكون لمن يتجهون الى الحق ويطلبونه .

١٣٨ — يأيها الرسول الكريم أنذر المنافقين بأن لهم عذابا يوم القيامة مؤلمـا .

١٣٩ — وأن أولئك المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين ، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين ؟ ان العزة لله وحـده ، يعطيها عباده المؤمنين ، ومن اعتز بالله عز ، ومن اعتز بغيره ذل .

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن
مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ
وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ
وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟
ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن

١٤٠ ــ وقد نزل الله عليكم فى القرآن الكريم انكم كلما سمعتم آية من الكتاب كان منكم الايمان ، وكان من الكافرين الجحود بها والاستهزاء ، واذا كانت تلك حال الكافرين والمنافقين وسمعتم استهزاءهم فلا تقعدوا معهم حتى ينتقلوا الى حديث غير حديث الاستهزاء وانكم ان لم تفعلوا وسمعتم استهزاءهم كنتم مثلهم فى الاستهزاء بالقــرآن وان العاقبة وخيمــة على الكافرين والمنافقين ، فان الله جامعهم جميعا فى النار يوم القيامة .

١٤١ ــ وان أولئك المنافقين ينتظرون انتظار الحاقــد الحانق الذى يتمنى السوء لكم اذا كنتم فى حرب مع الاعداء ، فان كان لكم نصر من الله وفتح لطريق الحق ، قالوا للمؤمنين وقد اذهلهم النصر الذى نصر الله به أهل الايمان : الم نكن معكم باعتبارنا من جماعتكم ؟ وان كان للكافرين نصيب من الغلب اتجهوا اليهم وقالوا لهم : الم نغلب اموركم علينـــا حتى صارت أمورنا وألم نمنحكم مودتنا ونمنعكم من المؤمنين ؟ والله سبحانه وتعالى يحكم بينكم وبين هؤلاء المنافقين يوم القيامة ، ولن يجعل الله للــكافرين سبيلا للغلب على المؤمنين مادام المؤمنون على صفة الايمان الحق والعمل الصالح .

١٤٢ ــ ان المنافقين بنفاقهم يحسبون انهم يخادعون الله تعالى ويخفون عنهم حقيقة أنفسهم ، والله سبحانه خادعهم ، فيمهلهم ويتركهم يرتعون فى شرهم ، ثم يحاسبهم على ما يفعلون ، وان لهؤلاء المنافقين مظهرا حسيا ، ومظهرا نفسيا ، فالحسى انهم يقومون الى الصلاة كسالى متبــاطئين ، وصلاتهم رياء لا حقيقة . والمظهر النفسى أنهم لا يذكرون الله الا احيــانا نادرة ، ولو ذكروه لتركوا النفاق .

١٤٣ ــ وان المنافقين مترددون مضطربون ، لا هم منكم ولاهم فى كل أحوالهم منهم وذلك من ضعف الايمان وضعف النفس ، ومن الضلال عن الحق ومن يكتب الله عليه فى علمه الأزلى الضلال ، فلن تجد سبيلا لهدايته.

١٤٤ ــ وان من اسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الايمــان ولاية لهم ونصرة ، فتجنبوا هذا ايها المؤمنون ، ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم ، وانكم ان فعلتم ذلك كان لله حجــة عليكم



تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ
لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾ * لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾



إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ
بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ
سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا

بينة ، فتدخلون مع المنافقين وتذلون ، لانكم لا تجعلون عزتكم من الله ، ومن الحق ، ومن العمل الصالح .

١٤٥ — ان المنافقين بسبب نفاقهم يكونون فى اعمـــاق جهنم ، فهم فى أسفل مكان فيها ، وأحط درجاتها ، ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب .

١٤٦ — الا الذين يتوبون منهم ويعودون الى الله تعالى ، ويعتصـــمون به وحده ، ويخلصون ويسلمون وجوههم له ، ويعملون الصالحات ، فانهم بهذا يكونون من المؤمنين ولهم جزاء المؤمنين وقد اعد الله تعالى جـــزاء عظيما للمؤمنين فى الدنيا والآخرة .

١٤٧ — وان الله تعالى لا مطلب له منكم الا الايمان به ، وشكر نعمته ، واذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم ، ولكن جزاء على الخير والشكر ، وان الله تعالى شاكر يشكر لعباده عمل الخير ، وعليم يعلم كل حالهم من خير وشر .

١٤٨ — ينهى الله عباده عن قول السوء ، ولا من وقع عليه ظلم ، فيباح له ان يشكو ظالمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، والله سبحانه ســـميع لكلام المظلوم عليم بظلم الظالم ، ويجازيه على عمله (١) .

١٤٩ — ان تظهروا الخير او تسروه ، أو تصفحوا عمن يسىء اليكم ، يثبكم الله لتخلقكم بأخلاقه — تعالى — من العفو مع كمال القدرة ، والله سبحانه عظيم العفو كامل القدرة .

١٥٠ — ان الذين لا يؤمنون بالله ورســـله ، والذين يريدون التفرقة فى الايمان باللهورسله ، ويقولون : نؤمن ببعضالرسل دون بعض ، فيؤمنون بمن يحبون ، ويكفرون بمن لا يحبون ، والواجب الايمان بالجميع ، لان الايمان لا يقبل أن يتجزأ .

---

(١) تمنع القوانين الوضعية اى انسان ان يجاهر بفاحش القول او سيئه يوجهه الى آخر والعله فى ذلك لدى تلك القوانين هى حمايه أسماع الناس من أن تتأذى من مثل هذا الجهر وحماية أخلاقهم من ان تندس اليها تلك القبائح لان فى ذلك اذى لمن وجهاليه هذا الســوء ويقول القرآن الكريم فى هذا « لا يحب الله الجهر بالسوء » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بأن كانت « لا يحب الله الجهر بالسوء » لشملت أيضا جريمه الفعل الفاضـــح العلنى ومثلها أن يكشف انسان عن عورته فى مكان عام او ان يكشف ثياب امرأة لتظهر عورتها لكن تحديد السوء هنا بانه من القول أمتنع معه السوء من الفعل ، وهذا الفعل الفاضح العلنى وهذه الجريمة منصوص مليها فى آية أخرى هى الآية الثامنة عشرة من سورة النساء « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة » ، سيجىء الكلام عن هذه الاية فى مناسبة أخرى ، ومما اصطلحت عليه أحدث القوانين الوضعية فى جرائم كثيرة منهـــا السب والقذف اعتبار القاذف معذورا اذا ما تبدره غيره بالسب والقذف فاهتاج فرد سبا بسبب وقذفا بقذف وقد نصت الآية فى بقية لها على عذر من الاعذار القانونية اما الاية كاملة فهى « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » وهذا الاستثناء لمن ظلم أن يجهر بالسوء ما دام غير باغ ولا عاد =

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن
ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾
فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

١٥١ — هؤلاء جميعا هم المعنون فى الكفر البين ، وقــد أعد الله لهم ولامثالهم عذابا شديدا مذلا .

١٥٢ — وأما من آمنوا بالله ورسله ، ولم يكذبوا بأحــد منهم ، فان الله يثيبهم على كامل ايمانهم الثواب العظيم ، والله غفور للتائبين ، رحيم بعبــاده .

١٥٣ — يسألك — أيها الرسول — أهل الكتاب من اليهود ، متعنتين ، أن تقيم دليلا على صدق نبوتك ، فتأتيهم بكتاب خاص ، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ، ويدعوهم الى الايمان بك وطاعتك ! فان استكثرت ما سألوا فلا تعجل ، فقد تعنت أسلافهم فسألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله عيانا . فعاقبهم على تعنتهم وظلمهم بصاعقة أهلكتهم ! ! ثم أذكر لهؤلاء جرما أشد وأفظع ، وهو أنهم اتخذوا العجل الها لهم من دون خالقهم ، بعد ما عاينوا الادلة التى اظهرها موسى لفرعون وقومه ! ثم وسعهم عفو الله بعد انابتهم اليه ، وأيد الله موسى بالحجة الواضحة والكلمة النافذة .

١٥٤ — ورفع الله الجبل فوق بنى اسرائيل ، تهديدا لهم لامتناعهم عن قبول شريعة التوراة ، حتى قبلوا ، واخذ عليهم الميثاق ، وأمرهم أن يدخلوا القرية خاضعين لله ، والا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة فى يوم السبت ، ولا يعتدوا فيه ، وقد أخذ عليهم فى كل ذلك عهدا مؤكدا .

١٥٥ — فغضب الله عليهم ، بسبب نقضهم هذا الميثاق ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الآنبياء ظالمين (ولا يكون ذلك الا ظلما) ، واصرارهم على الضلال بقولهم : قلوبنا محجوبة عن قبول ما ندعى اليه ! ! وليسوا صادقين فى قولهم ، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، فلا يؤمن منهم الا قلة من النــاس !

= ولم تحدد الآية هنا بأن يكون الاعتداء بالقول كما حدد السوء بأنه من القول ، وهذا الاطلاق قد يجعل الظلم شاملا لحالى القول والفعل فيكون معذورا اذا ، وغير مستحق لعقاب أو ملام ينهال عليه الغير بالضرب وهو أيضا من يعتدى على ماله والرأى فى ظاهر معنى الآية أن من اعتدى عليه ظلما وعدوانا بالفعل او القول فاهتاج فرد الظلم بسب أو شتم فلا آثم عليه ، وتجمل الاشارة هنا الى ان الآية التالية مباشرة استدركت لما قد ينشأ من تطرف فى فهم عذر الاستفزاز فنصت على أن العفو عن السوء خير من رد السوء بسوء لكى لا تشيع الفاحشــة بين الناس فقالت « ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » .

عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ
عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن
شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم
بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل
رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾
لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۗ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ

١٥٦ ـ وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم افتراء كبيرا .

* * *

١٥٧ ـ وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين ، انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، والحق المستيقن انهم ما قتلوه ، كما زعموا وما صلبوه كما أدعوا .. ولكن شبه لهم ، فظنوا انهم قتلوه وصلبوه ، وانما قتلوا وصلبوا من يشبهه ! وقد اختلفوا من بعد ذلك فى ان المقتــول عيسى أم غيره ، وأنهم جميعا لفى شك من امره .. والواقع انهم يقولون ما لا علم لهم به الا عن طريق الظن ، وما قتلوا عيسى قطعا .

* * *

١٥٨ ـ بل رفع الله عيسى اليه وأنقذه من اعدائه ، ولم يصلبوه ولم يقتلوه والله غالب لا يقهر حكيم فى افعاله .

* * *

١٥٩ ـ وما من أحد من أهل الكتاب الا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وانه عبد الله ورسوله ، ويؤمن به ايمانا لا ينفعه لفوات اوانه ، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بانه بلغ رسالة ربه وانه عبد الله ورسوله .

١٦٠ ـ فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم ، عاقبهم الله ، فحرم عليهم الوانا من الطيبات كانت حلالا لهم ، وكان من هــذا الظلم منعهم كثيرا من الناس من الدخول فى دين الله .

* * *

١٦١ ـ وبسبب تعاملهم بالربا ـ وقد حرمه الله عليهم ـ وأخــذهم أموال الناس بغير حق ، كان عقاب الدين بتحريم بعض الطيبات . وقد أعد الله لمن كفر منهم عذابا مؤلما .





ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ * إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ
حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ
يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

١٦٢ ــ لكن المتثبتون فى العلم من اليهود ، المؤمنون من امتك ــ أيها النبى ــ يصدقون بما اوحى اليك ، وما أوحى الى الرسل من قبلك . والذين يؤدون الصلاة حق الاداء ، ويعطون الزكاة ، ويصــدقون بالله وبالبعث والحساب ، أولئك سيجزيهم الله على ايمانهم وطاعتهم احسن الجزاء .

* * *

١٦٣ ــ انا أوحينا اليك ــ أيها النبى ــ القرآن والشريعة ، كما أوحينا من قبلك الى نوح والى النبيين من بعده ، وكما أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب ، والى عيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ، وكما أوحينا الى داود فانزلنا عليه كتاب الزبور .

* * *

١٦٤ ــ وكذلك أرسلنا رسلا كثيرين ذكرنا لك أنباءهم من قبل ، ورسلا آخرين لم نذكر لك قصصهم ، وكانت طريقة الوحى الى موسى ان كلمه الله تكليما من وراء حجاب بلا واسطة .

* * *

١٦٥ ــ بعثنا هؤلاء الرسل جميعا ، مبشرين من آمن بالثواب ، ومنذرين من كفر بالعقاب ، حتى لا يكون للناس على الله حجة يتعللون بها بعد ارسال الرسل ، والله قادر على كل شىء ، غالب لا سلطان لاحد معه ، حكيم فى أفعاله

* * *

١٦٦ ــ لكن اذا لم يشهدوا بصدقك ، فالله يشهد بصحة ما أنزل اليك لقد انزله اليك محكما بمقتضى علمه ، والملائكة يشهدون بذلك ، وتغنيك أيها الرسول شهادة الله عن كل شهادة .

* * *

١٦٧ ــ ان الذين كفروا فلم يصدقوك ، ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله ، قد بعدوا عن الحق بعدا شديدا .

وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ
بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا
لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ
وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

١٦٨ — ان الذين كفروا وظلموا انفسهم بالكفر . وظلموا الرسول بجحد رسالته ، وظلموا الناس ، اذ كتموهم الحق ، لن يغفر الله لهم ما داموا على كفرهم ، ولن يهديهم طريق النجاة ، وما كان من شأنه سبحانه ان يغفر لامثالهم وهم فى ضلالهم .

* * *

١٦٩ — ولكن يسلك بهم طريق النار . مخلدين فيها أبدا ، وأمر ذلك يسير على الله .

* * *

١٧٠ — يأيها الناس قد جاءكم الرسول — محمد — بالدين الحق من عند ربكم ، فصدقوا بما جاء به يكن خيرا لكم ، وان ابيتم الا الكفر فالله غنى عن ايمانكم ، مالك لكم ، فله ما فى السموات والارض ملكا وخلقا وتصرفا وهو العليم بخلقه ، الحكيم فى صنعه ، لا يضيع اجر المحسن ، ولا يهمل جزاء المسيىء .

* * *

١٧١ — يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مغالين فى دينكم ، ولا تفتروا على الله الكذب ، فتنكروا رسالة عيسى ، او تجعلوه الها مع الله ، فانما المسيح رسول كسائر الرسل ، خلقه الله بقدرته وكلمته التى بشر بها ، ونفخ روحه جبريل فى مريم ، فهو سر من اسرار قدرته . فآمنوا بالله ورسله جميعا ايمانا صحيحا ولا تدعوا أن الآلهة ثلاثة ، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيرا لكم ، فانما الله واحد لا شريك له ، وهو منزه عن أن يكون له ولد ، وكل ما فى السموات والأرض ملك له ، وكفى به وحده مدبرا لملكه .

لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ
وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن
فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا
أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ
بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ
صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ
إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ
مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ
فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ

١٧٢ ــ لن يترفع المسيح عن أن يكون عبدا لله ، ولن يترفع عن ذلك الملائكة المقربون ، ومن يتكبر ويترفع عن عبادة الله فلن يفلت من عقابه ، يوم يجمع الله الناس للحساب .

* * *

١٧٣ ــ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيوفيهم ثواب أعمالهم ويزيدهم من فضله ، اكراما وانعاما ، واما الذين انفوا أن يعبدوه ، وترفعوا ان يشكروه ، فقد اعد لهم عذابا شديد الايلام ، لن يدفعه عنهم معين ولن يمنعهم منه نصير .

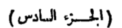
* * *

١٧٤ ــ يأيها الناس جميعا . قد جاءتكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول محمد ، وانزلنا اليكم على لسانه قرآنا بينا كالنور ، يضيء الطريق ويهديكم الى النجاة .

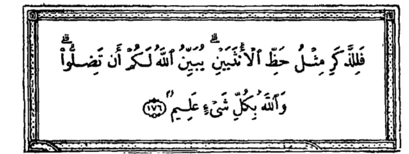
* * *

١٧٥ ــ فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته ، وتمسكوا بدينه ، فسيدخلهم فى الآخرة جناته ، ويغمرهم بفيض رحمته ، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقهم فى الدنيا الى الثبات على صراطه المستقيم .





(الجـزء السادس)



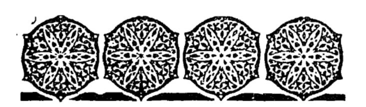
فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

١٧٦ ــ يسألونك ــ أيها النبى ــ عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد ؟ فقل : ان حكم الله فى ميراث هؤلاء : ان كان للمتوفى اخت ، فلهــا نصف تركته ، وان كان للمتوفاة أخ فله تركتها ، وان كان للوارث أختين فلهما ثلثــا التركة(١) ، وان كانوا اخوة من ذكور واناث فنصيب الذكر مثــل نصيب الاثنتين . يبين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا فى تقسيم الانصباء والله عالم علما كاملا بكل شىء من اعمالكم وافعالكم ، ومجازيكم عليها ــ

(١) وبينت السنة ان الاكثر من الاختين كذلك مع اية المواريث التى ذكرت ان الاكثر من بنتين يأخذن الثلثين ، فالاولى الاكثر من الاختين ، لان البنات اقرب الى المتوفى . ويلاحظ ان القوانين الاوربيه ، المشتقة من القانون الرومانى ، لا تورث الاخوة ، ولا الاخوات ولا اولادهم، وفوق ذلك تعطى المالك الحق فى حرمان كل ورثته . وقد منع ذلك الاسلام ، فلم يعط المورث حقا الا فى الثلث ، ولا يزيد عليه .

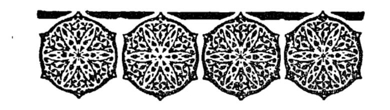
رقم الايداع بدار الكتب
١٨٩ / ١٩٦٩م

مطابع الأهرام التجارية



تفسير سورتي

المائدة والأنعام



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .. استجابة لرغبة الآلاف العديدة من قراء مجلة منبر الاسلام فى جميع انحاء العالم الاسلامى .. قرر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية متابعة اهداء السادة قراء المجلة تفسير القرآن الكريم على ان يكتمل لدى القارىء فى شهر رمضان المقبل باذن الله التفسير الكامل لكتاب الله العزيز ، وهو التفسير الذى توافر على تاليفه السادة اعضاء لجنة القرآن والسنة باسلوب عصرى مبسط متكامل وقام بالتعليق العلمى على آياته الكريمة وبيان ما تضمنته من اسرار الحياة التى تكشفت فى العصر الحديث السادة اعضاء لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

والله نسال ان يوفقنا لما فيه خير امتنا الاسلامية فهو نعم المولى ونعم النصير .

سورة المائدة

هى مدنية ، وعدد آياتها عشرون ومائة ، وهى من أواخر سور القـــرآن نزولا ، وقد اشتملت على بيان وجوب الوفاء بالعقود عامة ، ســواء أكانت بين العبد وربه ، أم بين الناس بعضهم مع بعض ؛ وبينت بعض المحـــرمات من الأطعمة ؛ كما بينت الحلال منها وحل نســـاء أهل الكتاب • وذكر أركان الوضوء ؛ والتيمم ، وفيها بيان طلب العدالة مع العدو • وقد تضمنت الاشارة الى نعم الله على المسلمين ، ووجوب المحافظة على كتابهم ، وبينت أن اليهـــود حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به ؛ وأنهـــم كفروا بقولهم أن المسيح ابن الله ، وتكذيب اليهود النصارى فى ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه • ثم تضمنت بعض أخبار اليهود ، كما تضمنت قصـــة ولدى آدم التى تثبت أن الاعتداء فى طبيعة ابن آدم ؛ ثم وجوب القصـــاص تهذيبا لهذه الطبيعة ! واشتملت على عقوبة البغاء وعقوبة السرقة • ثم عادت الى بيان تحريف اليهود للأحكام التشريعية التى اشتملت عليها التوراة ، وبيـــان أن التوراة والانجيل كان فيهما الحق قبل التحريف ، وقررت وجـــــوب الحكم بما أنزل الله ، وأشارت الى عداوة اليهود والنصارى الحاليين للمؤمنين ؛ ووجوب عدم الخضوع لهم ، وعدم الرضا بما يفعلون نحوهم وضرورة مقاومتهم، وقررت كفر النصارى الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة ! ثم أنصف القرآن فى هذه السورة بعض النصارى الذين أذعنوا للحق وآمنوا به • ثم اشتملت على منع المؤمن من أن يحرم بعض الطيبات عليه ؛ وبينت كفارة الأيمان اذا حنث ، ثم حرمت الخمر تحريما قاطعا ، ثم بينت بعض مناسك الحج ومكانة الكعبة والأشهر الحرم ، وبطلان بعض ماحرمه العرب على أنفسهم من غير حجـــة ولا دليل ، كما بينت حكم الوصية فى السفر • وختمت الســـــورة بالمعجزات التى جرت على يد عيسى عليه السلام ؛ ومع ذلك كفر به بنو اسرائيل ، وذكرت تبرؤ عيسى عليه السلام من الذين عبدوه ، وبيان ملك الله سبحانه للسموات والأرض وكمال قدرته •



(٥) سُورَةُ المَائِدَةِ مَدَنِيَّة
وآياتها عشرون ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ
شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ
وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ
وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ



١ ـ يأيها المؤمنون : التزموا الوفاء بجميع العهـــود التى بينكم وبين الله ، والعهود المشروعة التى بينكم وبين الناس • وقد أحل الله لكم أكل لحوم الأنعام من الابل والبقر والغنم ، الا ماينص لكم على تحريمه • ولا يجـــوز لكم صيد البر اذا كنتم محرمين ؛ أو كنتم فى أرض الحرم • ان الله يقضى بحكمته مايريد من أحكام ، وان هذا من عهود الله عليكم • (١)

***

٢ ـ يأيها المؤمنون لاتستبيحوا حرمة شعائر الله ، كمناسك الحج وقت الاحرام قبل التحلل منه وسائر أحكام الشريعة ؛ ولا تنتهكوا حرمة الأشـــهر الحرم باثارة الحرب فيها ؛ ولا تعترضوا لما يهدى من الأنعام الى بيت الله الحرام باغتصابه أو منع بلوغه محله ، ولا تنزعوا القلائد ، وهى العلامات التى توضــع فى الأعناق ، اشعارا بقصد البيت الحرام ؛ وأنها ستكون ذبيحة فى الحج ، ولا تعترضوا لقصاد بيت الله الحرام يبتغون فضل الله ورضاه ، واذا تحللتم من الاحرام ، وخرجتم من أرض الحرم ؛ فلكم أن تصطادوا ، ولايحملنكم بغضكم الشديد لقوم صدوكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم • وليتعـــاون (٢) بعضكم مع بعض ـ أيها المؤمنون ـ على فعل الخير وجميع الطاعات، ولا تتعاونوا

---

(١) (الوفاء بالعقود يدخل فيه ما يتعاقده الناس فيما بينهم والعقد اصلا يكون بين طرفين وفيه معنى الاستيثاق والشد بخلاف عهد يكون من طرف واحد ويدخل فى الاخير الالتزام بالارادة المنفردة وبهذا سبق القرآن الكريم غيره من القوانين الوضـــعية والآية عامة فى الوفاء بالعقود وجامعة لان العقد فى الاسلام شريعة المتعاقدين وأى مشرع وضعى لا يمكن ان ياتى بأتم واشمل وادق واوضح من هذه الآية او بما يماثلها فى ضرورة الوفاء بالعقود واحترامها) .

(٢) (ان القرآن الكريم فى هذه الآية قد سبق بالدعوة الى التعاون،جيع التشريعات الوضعية التي تهدف الى التعاون فى الخير بعشرات المئات من السنين) .

قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟
وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ
وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن
تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ
ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ
لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ
لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

على المعاصى ومجاوزة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه ؛ ان الله شديد العقاب لمن خالفه ٠

٣ ـ حرم الله عليكم ـ أيها المؤمنون ـ أكل لحم الميتة ، (وهى ما فارقته الروح من غير ذبح شرعى) ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ؛ وما مات خنقـــا ، أو التى ضربت حتى ماتت ، وماسقط من علو فمات ، ومامات بسبب نطح غيره له ؛ وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه ٠ وأما ما أدركتموه وفيه حياة ، مما يحـــل لكم أكله ، وذبحتموه ؛ فهو حلال لكم بالذبح ٠ وحرم الله عليكم ماذبح قربة للأصنام ، وحرم عليكم أن تطلبوا معرفة ماكتب فى الغيب بواسطة القرعة بالأقداح ٠ وتناول شىء مما سبق تحريمه ذنب عظيم وخروج عن طـــاعة الله ٠ ومن الآن انقطع رجاء الكفار فى القضاء على دينكم ، فلا تخافوا أن يتغلبوا عليـــكم ؛ واتقوا مخالفة أوامرى ٠ اليوم أكملت لكم أحكام دينكم ، واتممت عليكم نعمتى باعزازكم وتثبيت أقدامكم ، واخترت لكم الاسلام دينا ٠ فمن ألجـــأته ضرورة جوع الى تناول شىء من المحرمات السابقة ، ففعل لدفع الهلاك عن نفسه ، غير منحرف الى المعصية ، فان الله يغفر للمضطر ما أكل ؛ دفعا للهلاك ، وهو رحيم به فيما أباح له ٠ (١)

---

(١) قد يكون موت الحيوان نتيجة لشيخوخة او مرض عضوى او طفيلى او نتيجة لتسممه من مصدر خارجى ، ومن ثم قد يشتمل لحمه على مواد تضر من ياكله هذا فضلا عن ان الحيوان الذى يموت دون تذكية ينحبس فيه دمه وقد يمضى على موته وقت طويل لا يستطاع تحديده فيتعرض جسمه للتحلل والفساد .

والدم هو المجرى الذى تلتقى فيه مواد الايض « اى التمثيل الغذائى » كلها ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ يكون فى طريقه الى الاعضاء التى تزيل سمومه او تخرجه من الجسم هذا فضلا عن ان الدم تجتمع فيه ايضا السموم التى تفرزها الكائنات المتطفلة فى الجسم كما ان كثيرا من الطفيليات يمضى فيه مراحل قصيرة او طويلة دورة حياته فى عائلة ، ولهذا كله كان تنـــاول الدم كغذاء محرما .

اما الخنزير فهو معرض للاصابة بعدد كبير من الطفيليـــات التى تصيب الانســـان من الفيروسات والسبيروكينات (اللبتوسبيرا) والحيوانات الأوليـــة (البروتوزوا) والديدان المفلطحة والاسطوانية وشوكية الراس واهم هذه الطفيليات ما يلى :

١ ـ الحيوان الأولى الهدبى المسمى بالانتيديوم كولاى المسبب للزحار البلنتيدى الذى يماثل الزحار الأميبى شدة وضررا ومصدره الوحيد للانســان هو الخنزير ويكاد يكون مرضا مهنيـــا لا يصيب سوى المشتغلين بتربية الخنزير وذبحه وبيع لحمه .

٢ ـ الوشائع الكبدية والمعـــوية فى الشرق الاقصى وبخاصة وشـــيعة الامعاء الـكبيرة (فاسيلوبسس بوسكاى) الواسعة الانتشار فى الصين ووشيعة الامعاء الصغيرة (جاســترو وسكويدس هومينس) التى تصيب الانسان فى البنغال وبورما واسام ووشيعة الـكبد الصينية (كلونوركس سينتسز) المنتشرة فى الصين واليابان وكوريا على الخصوص ويعتبر الخزير العـائل الخازن الرئيسى لهذه الطفيليات وبخاصة الديدان الأولى التى تنطلق فيه لتمضى دورة حياتها فى عوائلها الأخرى حتى تصيب الانسان ومن ثم فمقاومتها فى الانسان وحده لا تكفى .

٣ ـ دودة لحم الخنزير الشريطية (تينا سوليوم) والدورة الطبيعية لهـــا ان تنتقـل بويضاتها من الانسان الى الخنزير حيث تكون اجنتها ديدانا مثانية فى لحمه ثم تنتقل الى آكل=



مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ
وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ
وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ
وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ
جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ

٤ – يسألك المؤمنون – أيها الرسول – ماذا أحل الله لهم من طعام وغيره ؟ فقل لهم : أحل الله لكم كل طيب تستطيبه النفوس السليمة ، وأحل لكم ماتصطاده الجوارح التى علمتموها الصيد بالتدريب ، مستمدين ذلك مما علمكم الله · فكلوا من صيدها الذى أرسلتموه اليه وأمسكته عليكم ، واذكروا اسم الله عند ارسالها ، واتقوا الله بالتزام ماشرع لكم ، ولا تتجاوزوه ، واحذروا مخالفة الله فيه ؛ فانه سريع الحساب ·

٥ – اليوم – منذ نزول هذه الآية – أحل الله لكم كل طيب تستطيبه النفوس السليمة ، وأحل لكم طعام أهل الكتاب ، وذبائحهم ؛ مما لم يرد نص بتحريمه ؛ كما أحل لهم طعامكم ، وأحل لكم زواج الحرائر العفائف من المؤمنات ومن أهل الكتاب ؛ اذا أديتم لهن مهورهن قاصدين الزواج ، غير مستبيحين العلاقات غير الشرعية علانية ، أو بطريق اتخاذ الخلائل · ومن يجحد الدين فقد ضاع ثواب عمله الذى كان يظن أنه قربى ، وهو فى الآخرة من الهالكين ·

= هذا اللحم فتنمو الى الدودة الشريطية البالغة فى امعائه وهكذا . وهذه اصابة غير خطيرة فى المعتاد وتشبه فى ذلك دودة لحم البقر الشريطية (تينيا ساجيناتا) ولكن دودة لحم الخنزير تنفرد دون دودة لحم البقر بخصائص تؤهلها لانعكاس هذه الدورة انعكاسا جزئيا امابتلاع الانسان للبويضات بيده الملوثة او مع طعامه الملوث او بارتداد قطع الدودة (أى اسلاتها) المثقلة بالبيض او البيض نفسه من الامعاء الىالمعدة حيث يفقس البيض وتنتشراليرقانات فى عضلات المصاب مسببة اعراضا شديدة كثيرا ما تكون قاتلة اذا ما اصابت المخ او النخاع الشوكى أو القلب أو غيرها من الاعضاء الرئيسية والاصابة بهذه الدودة ومضاعفاتها الخطيرة لا تكاد تعرف فى البلاد الاسلامية حيث يحرم أكل لحم الخنزير .

٤ – الدودة الشعرية الحلزونية (تريكينلا سبيرالس) وأمراضها الخطيرة مترتبة على انتشار يرقاناتها فى عضلات الجسم واعراض الاصابة بها شديدة متنوعة منها الاضطرابات المعدية المعوية والحمى والآلام الروماتزمية العضلية المبرحة وصعوبة المضغ والتنفس وتحريك العينين والتهاب المخ والنخاع الشوكى والسحايا المحيطة بهما والامراض العصبية والعقلية المترتبة على ذلك التسمم والاجهاد العام والارتشاح والمضاعفات التنفسية .. الخ . وفى الاصابات القاتلة تحدث الوفاة بين الاسبوعين الرابع والسادس فى معظم الاحوال والخنزير هو المصدر الوحيد لاصابة الانسان بهذا المرض الوبيل الا فى المناطق القطبية الشمالية ومواطن انتشار المرض هى اوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية ولكنه بحمد الله غير معروف البتة بين المسلمين . والمحاولات المضنية لتجنب هذا البلاء بتربية الخنازير بطريقة صحية وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية ويكفى للدلالة على هذا أن نذكر ان الولايات المتحدة الامريكية بها ثلاثة امثال عدد الاصابات فى العالم أجمع . وان متوسط نسبة الاصابة فى ولاياتها المختلفة هو ١٦٪ مع الوثوق بان هذا الرقم أقل كثيراً من الحقيقة وأن نسبة اصابة الخنازير به تتراوح بين ٥٪ و ٢٧٪ فى الولايات المختلفة .

يزاد على هذاكله ان دهن الخنزير مختلف تماما فى درجة تشبعه عن الزيوت النباتية والدهون الحيوانية الاخرى . ومن ثم فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير بين العلماء وينصح الاستاذ دام عالم الكيمياء الحيوية الدانماركى الحاصل على جائزة نوبل بعدم المداومة على تناوله حيث أنه قد ثبت بالتجربة انه من أهم ما يسبب حصى المرارة وانسداد قنواتها وتصلبا فى الشرايين وبعض امراض القلب الاخرى وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم الفقهاء يعتبرون لفظ اللحم شاملا للحم والدهن جميعا .

اما ما اهل به لغير الله وما ذبح علي النصب فهى أوامر تعبدية اما المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع فحكمها حكم الميتة وان اختلف سبب موتها .



أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

٦ ـ فيأيها المؤمنون ـ اذا أردتم القيام الى الصلاة ولم تكونوا متوضئين ، فتوضئوا بغسل وجوهكم وأيديكم مع المرافق ؛ وامسحوا رءوسكم ـ كلها أو بعضها ـ واغسلوا أرجلكم مع الكعبين ٠ وان كنتم جنبا عند القيام الى الصلاة بسبب ملامسة أزواجكم ، فاغسلوا جميع أبدانكم بالماء ؛ وان كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء ، أو كنتم مسافرين يتعسر عليكم وجود الماء ، أو عند رجوعكم من مكان قضاء الحاجة ؛ أو لامستم النساء ولم تجدوا ماء ، فعليكم بالتيمم بالتراب الطهور ، بمسح وجوهكم وأيديكم به ٠ مايريد الله فيما أمركم به أن يضيق عليكم ؛ ولكنه شرع ذلك لتطهيركم ظاهرا وباطنا ، وليتم نعمه عليكم بالهداية والبيان والتيسير ؛ لتشكروا الله على هدايته وتمام نعمته بالمداومة على طاعته (١) ٠

٧ ـ واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم ، بهدايتكم الى الاسلام ، وحافظوا على تنفيذ عهده الذى عاهدكم عليه ، حين بايعتم رسوله ـ محمدا ـ على السمع والطاعة ، واتقوا الله بالمحافظة على هذه العهود ، فانه سبحانه عليم بخفيات قلوبكم ، فمجازيكم عليها ٠

٨ ـ يأيها المؤمنون ، حافظوا محافظة تامة على أداء حقوق الله ، وأدوا الشهادة بين الناس على وجهها الحق ؛ ولايحملنكم بغضكم الشديد لقوم على أن تجانبوا العدل معهم ، بل التزموا العدل ، فهو أقرب سبيل الى خشية الله والبعد (٢) عن غضبه ، واخشوا الله فى كل أموركم ؛ فانه ـ سبحانه ـ عليم بكل ماتفعلون ، ومجازيكم عليه ٠

٩ ـ تفضل الله فوعد الذين صدقوا بدينه ، وعملوا الأعمال الصالحة : أن يعفو عن ذنوبهم ، ويجزل لهم الثواب ٠

١٠ ـ والذين جحدوا دينه ، وكذبوا بآياته الدالة على وحدانيته ؛ وصدق رسالته ، فأولئك هم أهل جهنم المخلدون فيها ٠

---

(١) (فى الطهارة الاسلامية معنيان : أحدهما التوجه القلبى الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له .

وثانيهما ـ النظافة الحسية بالوضوء وفى ذلك غسل الأعضاء الظاهرة المعرضة للاوساخ والوضوء يتكرر وقد يصل تكراره الى خمس مرات فى اليوم وبالاغتسال فى حال الاتصال بزوجه وفى حال الحيض والنفاس وفى الوضوء والغسل وقاية من الاتربة الحاملة لجراثيم الامراض ومد الجسم بنشاط فى حركة الدم فى الشعيرات الموجودة على ظاهر الجسم وتخفيف حدة توتر الأعصاب ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « اذا غضبت فتوضأ » والتيمم فيه المعنى الاول وهو التوجه القلبى الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له) .

(٢) (يدعو الاسلام الى العدالة المطلقة مع الولي ومع العدو على السواء فلا يصح أن يكون البغض حاملا على الظلم وذلك ينطبق على معاملات الافراد ، ومعاملات الاسلام مع غيره من الدول والعدالة مع العدو يصرح النص القرآنى بانها أقرب للتقوى ولو طبق ذلك فى القانون الدولى لماقامت حرب ، فاذا كان لكل دين سمة وعلامة فسمة الاسلام التوحيد والعدالة .

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾



۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ

١١ ـ يأيها المؤمنون ، تذكروا نعمة الله عليكم فى وقت الشدة ؛ حين هم قوم ـ جماعة من المشركين ـ أن يفتكوا بكم ، وبرسولكم ؛ فمنع أذاهم عنكم ، ونجاكم منهم . والزموا تقوى الله ، واعتمدوا عليه ـ وحده ـ فى أموركم ؛ فهو كافيكم ، وشأن المؤمن أن يكون اعتماده على الله وحده دائما .

***

١٢ ـ ان الله أخذ العهد على بنى اسرائيل بالسمع والطاعة ؛ فأقام عليهم اثنى عشر رئيسا منهم لتنفيذ العهد ، ووعدهم الله وعدا مؤكدا بأن يكون معهم بالعون والنصر ان أدوا الصلاة على وجهها ؛ وآتوا الزكاة المفروضة عليهم ؛ وصدقوا برسله جميعا ، ونصروهم ، وأنفقوا فى سبيل الخير ؛ واذا مافعلوا ذلك ؛ تجاوز الله عن ذنوبهم ، وأدخلهم جناته التى تجرى من تحتها الأنهار ، فمن كفر ونقض العهد منهم بعد ذلك ، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم .

***

١٣ ـ فبسبب نقض بنى اسرائيل عهودهم ؛ استحقوا الطرد من رحمة الله ، وصارت قلوبهم صلبة لاتلين لقبول الحق ، وأخذوا يصرفون كلام الله فى التوراة عن معناه ، الى مايوافق أهواءهم ، وتركوا نصيبا وافيا مما أمروا به فى التوراة !! وستظل ـ أيها الرسول ـ ترى منهم ألوانا من الغدر ونقض العهد ، الا نفرا قليلا منهم آمنوا بك فلم يخونوا ولم يغدروا . فتجاوز ـ أيها الرسول ـ عما فرط من هؤلاء ، واصفح وأحسن اليهم ؛ ان الله يحب المحسنين .

***

١٤ ـ وكذلك أخذ الله العهد على النصارى ، الذين قالوا : انا نصارى ؛ بالايمان بالانجيل وبالوحدانية ، فتركوا نصيبا وافرا مما أمروا به فى

أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ
ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

الانجيل ؛ فعاقبهم الله على ذلك باثارة العداوة والخصومة بينهم ، فصـــــاروا فرقا متعادية الى يوم القيامة ، وسوف يخبرهم الله يومئذ بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه ٠

***

١٥ ـ يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ، محمد ؛ داعيا الى الحق ، يظهر لكم كثيرا مما كنتم تكتمونه من التوراة والانجيل ، ويدع كثيرا مما أخفيتموه لم تدع الحاجة الى اظهاره ، قد جاءكم من عند الله شريعة كاملة هى نور فى ذاتها ، ويبينها كتاب واضح ٠

***

١٦ ـ يهدى الله بهذا الكتاب الى سبيل النجاة من اتجـه الى مرضاته ، ويخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان بتوفيقه ؛ ويرشـــدهم الى طريق الحق ٠

***

١٧ ـ لقد كفر الذين زعموا ـ باطلا ـ أن الله هو المسيح ابن مريم !! فقل ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء المجترئين على مقام الألوهية : لايستطيع أحد أن يمنع مشيئة الله ان أراد أن يهلك عيسى وأمه ، ويهلك جميع من فى الأرض فان لله وحده ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق مايشاء على أى مثـال أراد ، والله عظيم القدرة لايعجزه شىء ٠

***

١٨ ـ وقالت اليهود والنصارى : اننا المفضلون ، لأننا أبنـــاء الله والمحببون لديه ؟ فقل لهم ـ أيها الرسول : فلماذا يعذبكم بذنوبكم ، ويصليكم



وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا

نار جهنم ؟؟ لقد كذبتم لأنكم كسائر البشر مخلوقون ومحاسبون على أعمالكم ، وبيد الله وحده المغفرة لمن يشاء أن يغفر له ؛ والعذاب لمن يشاء أن يعذبه ، لأن لله ملك السموات والأرض وما بينهما ، واليه المنتهى ٠

***

١٩ ـ يا أهل الكتاب قد جاءتكم رسالة رسولنا الذى يظهر لكم الحق ، بعد اذ توقفت الرسالات فترة من الزمن ، حتى لاتعتذروا عن كفركم بأن الله لم يبعث اليكم مبشرا ولا منذرا ! ها هو ذا قد أتاكم بشيرا ونذيرا ؛ والله هو القادر على كل أمر ـ ومنه انزال الرسـالات ـ ومحاسبتكم على ما كان منكم ٠

***

٢٠ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ حينما قال موسى لقـومه : ياقوم اذكروا بالشكر والطاعة نعم الله عليكم ، حيث اختار منكم أنبيـاء كثيرين ، وجعلكم أعزة كالملوك ، بعد أن كنتم أذلاء فى مملكة فرعون ؛ ومنحكم من النعم الأخرى مالم يؤت أحدا غيركم من العالمين ٠

***

٢١ ـ ياقوم أطيعوا أمر الله ، فادخلوا الأرض المقدسة التى قـدر الله عليكم دخولها ، ولا تتراجعوا أمام أهلها الجبارين ؛ فتعودوا خاسرين نصر الله ورضوانه ٠

***

٢٢ ـ قال بنو اسرائيل مخالفين أمر الله : ياموسى ، انّ فى هذه الأرض

حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟
عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ
فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن
نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ
إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ



ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ

جبابرة لاطاقة لنا بهم ؛ فلن ندخلها ماداموا فيهـــــا ، فاذا ماخرجوا منها دخلناها ٠

***

٢٣ ـ قال رجلان من نقبائهم الذين يخشون الله ، وأنعم الله عليهمـــا بالايمان والطاعة : ادخلوا ـ أيها القوم ـ على الجبارين باب المدينة مفاجئين ؛ فاذا فعلتم ذلك فانكم منتصرون عليهم ؛ وتوكلوا على الله وحده في كل أموركم ان كنتم صادقي الايمان ٠

***

٢٤ ـ فأصروا على المخالفة ، وقالوا : ياموسى ، انا معتـــزمون ألا ندخل هذه الأرض أبدا ، مادام فيها الجبارون ! فدعنا نحن ؛ فليس لك علينـــا من سلطان ، واذهب أنت وربك فقاتلا الجبارين ، فانا في هذا المكان مقيمون ٠

***

٢٥ ـ حين ذلك فزع موسى الى ربه قائلا : رب لاسلطان لى الا على نفسى وأخى ؛ فاقض بعدلك بيننا وبين هؤلاء المعاندين ٠

***

٢٦ ـ فاستجاب الله لموسى ، وحرم على أولئك المخالفين دخول هـــذه الأرض طيلة أربعين عاما ، يضلون فى الصحراء لايهتدون الى جهة ٠ قال الله لموسى يواسيه : لاتحزن على ما أصابهم ؛ فانهم فاســـقون خارجون عن أمر الله ٠

***

٢٧ ـ وان حب الاعتداء فى طبيعة بعض الناس ، فاقرأ ، أيها النبى ؛ على اليهود ـ وأنت صادق ـ خبر هابيل وقابيل ابنى آدم ؛ حين تقرب كل منهما الى الله بشىء ، فتقبل الله قربان أحدهما لاخلاصه ؛ ولم يتقبل من الآخر لعدم اخلاصه ؛ فحسد أخاه وتوعده بالقتل حقدا عليه ، فرد عليه أخوه مبينا له أن الله لايتقبل العمل الا من الأتقياء المخلصين فى تقربهم ٠



يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ
قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ
قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ
فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ
ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا
وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

٢٨ ـ وقال له : لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوى لتقتلنى ، فلن أعاملك بالمثل ، ولن أمد يدى اليك لأقتلك ؛ لأنى أخاف عذاب ربى ، وهو الله رب العالمين ٠

٢٩ ـ انى لن أقاومك حين تقتلنى ، لتحمل ذنب قتلك لى ؛ مع ذنبك فى عدم اخلاصك لله من قبل ، وبذلك تستحق أن تكون فى الآخرة من أهل النار ؛ وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم ٠

٣٠ ـ فسهلت له نفسه أن يخالف الفطرة ، وأن يقتل أخاه ، وقتله ؛ فصار فى حكم الله من الخاسرين ، اذ خسر ايمانه وخسر أخاه ٠

٣١ ـ بعد قتله أصابته حسرة وحيرة ، ولم يدر مايصنع بجثته ! فأرسل الله غرابا ينبش تراب الأرض ليدفن غرابا ميتا ، حتى يعلم ذلك القاتل كيف يستر جثة أخيه ! فقال القاتل محسا بوبال ما ارتكب ؛ متحسرا على جريمته . أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جثة أخى ؟! فصار من النادمين على جرمه ومخالفته دواعى الفطرة ٠ (١)

٣٢ ـ بسبب ذلك الطغيان وحب الاعتداء فى بعض النفوس ، أوجبنا قتل المعتدى ، لأنه من قتل نفسا بغير مايوجب القصاص ؛ أو بغير فساد منها فى الأرض ؛ فكأنه قتل الناس جميعا ، لأنه هتك حرمة دمائهم ، وجرأ عليها غيره ، وقتل النفس الواحدة كقتل الجميع فى استجلاب غضب الله وعذابه ! ومن أحياها بالقصاص لها ؛ فكأنما أحيا الناس كلهم ، لصيانته دماء البشر ، فيستحق عليها عظيم الثواب من ربه ٠ ولقد أرسلنا اليهم رسلنا مؤكدين حكمنا لهم بالأدلة والبراهين ، ثم ان كثيرا من بنى اسرائيل بعد ذلك البيان المؤكد أسرفوا فى افسادهم فى الأرض ٠ (٢)

---

(١) (تشير هذه الآية الي اول دفن فى الانسانية وكيف ان الدفن فى التراب كان روحيا من الله سبحانه وتعالى عن طريق عمل الغراب وحكمة ذلك ارشاد الانسان الى ان الدفن يمنع انتشار الامراض وبجانب ذلك فانه اكرام للميت) .

(٢) (فى هذه الآية الشريفة ما يدل على ان الاعتداء علي النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعوة عن حق المجتمع يباشرها عنه النائب العام ووكلاؤه او اية سلطة تقيمها الدولة لهذه الوظيفة فى التشريعات الحديثة وهذا هو المقابل لحق الله فى التشريع الاسلامى ، فالتشريع فى هذه المسألة له حق السبق . ومن أحسن الى فرد بانقاذ حياته من الهلاك فقد أحسن الى المجتمع فالآية بما اشتملت عليه من معنيين تؤكد أن الاسلام يرعى القواعد فى المجتمع الصالح وقواعد التعاون بين الأفراد والمجتمعات وفى هذا كله محافظة على الامن والسلام والتعاون بين الافراد والجماعات .



وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟
مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ

٣٣ ــ انما عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ، بخروجهم على نظام الحكم واحكام الشرع ، ويفسدون فى الأرض بقطع الطريق أو انتهاب الأموال؛أن يقتلوا اذا قتلوا ، وأن يصلبوا اذا قتلوا وغصبوا المال ، وأن تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف اذا قطعوا الطريق وغصبوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من بلد الى بلد ؛ أو يحبسوا اذا أخافوا فقط ! • ذلك العقاب ذل لهم واهانة فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار (١) •

٣٤ ــ الا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين للنظام وقطاع الطريق ؛ من قبل أن تقدروا عليهم وتتمكنوا منهم ، فان عقوبة الله المذكورة تسقط عنهم ؛ وتبقى عليهم حقوق العباد ، واعلموا أن الله واسع المغفرة والرحمة •

٣٥ ــ يأيها الذين آمنوا ، خافوا الله باجتناب نواهيه واطاعة أوامره ، واطلبوا مايقربكم الى ثوابه ؛ من فعل الطاعات والخيرات ، وجاهدوا فى سبيله باعلاء دينه ومحاربة أعدائه ، لعلكم تفوزون بكرامته وثوابه •

٣٦ ــ ان الذين كفروا لو كان عندهم مافى الأرض جميعا من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة ، وكان لهم مثل مافى الأرض فوق مافيها ؛ وأرادوا أن يجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة على كفرهم ، مانفعهم الافتداء بهذا كله ، ولا قبل الله منهم ذلك ، فلاسبيل الى خلاصهم من العقاب ؛ ولهم عذاب مؤلم شديد •

٣٧ ــ يتمنى هؤلاء الكافرون أن يخرجوا من النار ، وهم لن يخرجوا منها ؛ ولهم عذاب دائم مستمر •

٣٨ ــ والذى يسرق ؛ والتى تسرق ، أقطعوا أيديهما جزاء بما ارتكبا ، عقوبة لهما ، وزجرا وردعا لغيرهما • وذلك الحكم لهما من الله ؛ والله غالب على أمره ، حكيم فى تشريعه ؛ يضع لكل جريمة ماتستحق من عقاب رادع مانع من شيوعها (١) •

---

(١) (القرآن الكريم فى هذه الآية وفى الآية ٣٨ ــ ينص على عقوبات لم تراع فيها الا المصلحة ومنع الاجرام وأن هذه العقوبات من شانها لو طبقت على وجهها الصحيح ان تقطع الجرائم وتحيل المجتمع الى مجتمع ترفرف عليه السعادة والهناء والأمن والسلام . ويجب التنويه الى ان هذه العقوبات مانعة فمن شانها منع ارتكاب الجريمة والتخويف من الوقوف فى حماة الضلالة وهى بعد عقوبات تتناسب مع ما للنفوس والأحوال من حرمة فى المجتمع وعلى من يستفظع هذه العقوبات الا يرتكب ما يوجبها وقد نجحت فى محاربة الاجرام نجاحا لم تصل اليه التشريعات الوضعية وهى بعد متفقة مع روح العصر ومع كل قبيل فهى من وحى هذه الشريعة الابدية التى جاءت لتحقيق مصالح الناس وعلى كل من يستفظع العقوبة ان ينظر الى الجرم اولا والغرم بالغنم •



وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾
* يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا
فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ
فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ
فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ

٣٩ ـ فمن تاب من بعد اعتدائه وأصلح عمله واستقام ، فان الله يتقبل توبته ؛ ان الله واسع المغفرة والرحمة •

***

٤٠ ـ اعلم أيها المكلف علما يقينيا أن الله وحده له كل مافى السموات والأرض ؛ يعذب من يشاء تعذيبه بحكمته وقدرته ، ويغفر لمن يشاء أن يغفر له بحكمته ورحمته ؛ والله على كل شىء قدير •

***

٤١ ـ يأيها الرسول لايحزنك صنع الكافرين الذين ينتقلون فى مراتب الكفر من أدناها الى أعلاها ، مسارعين فيها ، من هؤلاء المخادعين الذين قالوا آمنا بألسنتهم ولم تذعن للحق قلوبهم ؛ ومن اليهود الذين يكثرون الاستماع الى مفتريات أحبارهم ويستجيبون لها ، ويكثرون الاستماع والاستجابة لطائفة منهم ولم يحضروا مجلسك تكبرا وبغضا ! وهؤلاء يبدلون ويحرفون ماجاء فى التوراة من بعد أن أقامه الله وأحكمه في مواضعه ! ويقولون لأتباعهم : ان أوتيتم هذا الكلام المحرف المبدل فاقبلوه وأطيعوه ، وان لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره ! فلا تحزن ؛ فمن يرد الله ضلاله لانغلاق قلبه ، فلن تستطيع أن تهديه أو أن تنفعه بشىء لم يرده الله له • وأولئك هم الذين أسرفوا فى الضلال والعناد ، لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الحقد والعناد والكفر ، ولهم فى الدنيا ذل ، بالفضيحة والهزيمة ، ولهم في الآخرة عذاب شديد عظيم •

***

٤٢ ـ هم كثيرو الاستماع للافتراء ، كثيرو الأكل للمال الحرام الذى لابركة فيه ؛ كالرشوة والربا وغيرهما ، فان جاءوك لتحكم بينهم فاحكم بينهم اذا رأيت المصلحة فى ذلك ، أو أعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضروك بأى

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم

بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ

وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ

وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا

هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟

وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟

عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟

بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ

بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ

وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ

كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ

قدر من الضرر ، لأن الله عاصمك من الناس ؛ وان حكمت بينهم فاحكم بالعدل الذى أمر الله به ، ان الله يحب العادلين فيحفظهم ويثيبهم ٠

***

٤٣ ــ عجبا لهم ! كيف يطلبون حكمك ، مع أن حكم الله منصوص عليه عندهم في التوراة ؟! والعجب من أمرهم أنهم يعرضون عن حكمك اذا لم يوافق هواهم ؛ مع أنه الموافق لما فى كتابهم ! وليس هؤلاء من المؤمنين الذين يذعنون للحق !

***

٤٤ ــ انا أنزلنا التوراة على موسى فيها هداية الى الحق ، وبيان منير للأحكام التى يحكم بها النبيون ، والذين أخلصوا نفوسهم لربهم ، والعلماء السالكون طريقة الأنبياء ؛ والذين عهد اليهم أن يحفظوا كتابهم من التبديل ، حراسا عليه ؛ شاهدين بأنه الحق ٠ فلا تخافوا الناس فى أحكامكم ، وخافونى أنا ، ربكم رب العالمين ، ولا تستبدلوا بآياتى التى أنزلتها ثمنا قليلا من متاع الدنيا ، كالرشوة والجاه ! ٠ ومن لم يحكم بما أنزل الله من شرائع مستهينين بها ؛ فهم من الكافرين ٠

***

٤٥ ــ وفرضنا على اليهود فى التوراة شرعة القصاص ، لنحفظ بها حياة الناس ، فحكمنا بأن تؤخذ النفس بالنفس ؛ والعين بالعين ! والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسن بالسن ؛ والجروح يقتص فيها اذا أمكن ٠ فمن عفا وتصدق بحقه فى القصاص على الجانى ، كان هذا التصدق كفارة له ؛ يمحو

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ
ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

الله بها قدرا من ذنوبه · ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره ، فأولئك هم الظالمون ·

***

٤٦ ــ وأرسلنا من بعد هؤلاء النبيين عيسى بن مريم ؛ متبعا طريقهم ، مصدقا لما سبقه من التوراة ، وأنزلنا عليه الانجيل فيه هداية الى الحق ، وبيان للأحكام ؛ وأنزلناه مصدقا لما سبقه وهى التوراة ، وفيها هداية الى الحق وموعظة للمتقين ·

***

٤٧ ــ وأمرنا أتباع عيسى وأصحاب الانجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون المتمردون على شريعة الله ·

***

٤٨ ــ وأنزلنا اليك ــ أيها النبى ــ الكتاب الكامل ، وهو القرآن ؛ ملازما الحق فى كل أحكامه وأنبائه ، موافقا ومصدقا لما سبقه من كتبنا ؛ وشاهدا عليها بالصحة ، ورقيبا عليها بسبب حفظه من التغيير · فاحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليك بما أنزله الله عليك ؛ ولا تتبع فى حكمك شهواتهم ورغباتهم ، فتنحرف عما جاءك منا من حق · لكل أمة منكم ــ أيها الناس ــ جعلنا منهاجا لبيان الحق ، وطريقا واضحا فى الدين يمشى عليه ، ولو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة ذات مشارب واحدة ؛ لاتختلف مناهج ارشادها فى جميع العصور ، ولكنه جعلكم هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع ، ليتبين المطيع والعاصى · فانتهزوا الفرص ؛ وسارعوا الى عمل الخيرات ، فان رجوعكم جميعا سيكون الى الله وحده ؛ فيخبركم بحقيقة ماكنتم تختلفون فيه ؛ ويجازى كلا منكم بعمله ·

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ



٤٩ ـ وأمرناك أيها الرسول بأن تحكم بينهم بما أنزل الله؛ ولاتتبع رغباتهم فى الحكم ، واحذرهم أن يصرفوك عن بعض ماأنزله الله اليك . فان أعرضوا عن حكم الله وأرادوا غيره ، فاعلم أن الله انما يريد أن يصيبهم بفساد أمورهم ؛ لفساد نفوسهم ، بسبب ذنوبهم التى ارتكبوها من مخالفة أحكامه وشريعته ؛ ثم يجازيهم على كل أعمالهم فى الآخرة (١) ، وان كثيرا من الناس لمتمردون على احكام الشريعة .

***

٥٠ ـ أيريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيـــه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التى لاعدل فيها ، بل الهوى هو الذى يحكم ، بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداهنة ؟ وهذه هى طريقة أهل الجاهلية ! وهل يوجد أحسن من الله حكما لقوم يوقنون بالشرع ويذعنون للحق ؟ انهـــم هم الذين يدركون حسن احكام الله .

***

٥١ ـ يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالونهم ، فهم سواء فى معاداتكم . ومن جعل لهم الولاية عليه فانه من جملتهم وأن الله لايهدى الذين يظلمون أنفسهم بجعل ولايتهم للكافرين .

***

٥٢ ـ واذا كانت ولايتهم لايتبعها الا الظالمون ، فانك ترى الذين يوالونهم فى قلوبهم مرض الضعف والنفاق ، اذ يقولون : نخاف أن تصيبنا كارثة عامة ولا يساعدونا ! فعسى الله أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم او يظهر نفاق اولئك المنافقين ، فيصبحوا نادمين آسفين على ماكتموه فى نفوسهم من كفر وشك !!

---

(١) (فى هذه الآية الدليل على ان القرآن الكريم يقرر مبدا اقليمية القانون بمعنى ان التشريع الاسلامى يطبق فى ديار الاسلام على جميع القاطنين بها ومبدا الاقليمية هذا لم يستقر فى عالم التشريع الوضعى الا حديثا) .

حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ
فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا
وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

٥٣ ـ وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون ؛ متعجبين من المنافقين : أهؤلاء الذين أقسموا وبالغوا فى القسم بالله على أنهم معكم فى الدين ، مؤمنون مثلكم ؟ كذبوا وبطلت أعمالهم ؛ فصاروا خاسرين الايمان ، ونصرة المؤمنين !!

***

٥٤ ـ يأيها الذين آمنوا : من يرجع منكم عن الايمان الى الكفر ؛ فلن يضروا الله بأى قدر من الضرر ! تعالى الله عن ذلك ، فسوف يأتى الله بدلهم بقـــوم خير منهم ، يحبهم الله فيوفقهم للهدى والطاعة ؛ ويحبون الله فيطيعونه ؛ وفيهم تواضع ورحمة باخوانهم المؤمنين ، وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين ؛ يجاهدون فى سبيل الله ولا يخشون فى الله لومة أى لائم ! ذلك فضل الله يمنحه لمن يشاء ممن يوفقهم للخير ، والله كثير الفضل عليم بمن يستحقونه ٠

***

٥٥ ـ انما ولايتكم ـ أيها المؤمنون ـ لله ورسوله وأنفسكم ؛ ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم خاضعون لله ٠

***

٥٦ ـ ومن يتخذ الله ورسوله والمؤمنين أوليـــاءه ونصراءه ، فانه يكون من حزب الله ، وحزب الله هم المنتصرون الفائزون ٠

***

٥٧ ـ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا أعداء الاسلام الذين اتخذوا دينـــكم سخرية ولهوا ؛ وهم اليهود والنصارى والمشركون ، نصراء ، ولا تجعلوا ولايتكم لهم ؛ وخافوا الله ان كنتم صادقين فى ايمانكم ٠

***

٥٨ ـ ومن استهزائهم بكم : انكم اذا دعوتم الى الصلاة بالأذان ، استهزأوا بالصلاة ، وتضاحكوا عليها ولعبوا فيها ؛ وذلك بسبب أنهم قوم لايعقلون ، ولا يدركون الفرق بين الضلال والهدى ! ٠

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟

٥٩ ـ قل أيها الرسول : يا أهل الكتاب ، هل تنقمون علينا الا ايماننا بالله وبما أنزل الينا ؛ وهو القرآن ، وبما أنزل من قبل على الأنبيـــــاء من الكتب الصحيحة : وايماننا بأن أكثركم خارجون على شريعة الله ؟!

***

٦٠ ـ قل لهم : ألا أخبركم بأعظم شر فى الجزاء عند الله ؟ انه عملكم أنتم يا من أبعدهم الله من رحمته ، وسخط عليهم بسبب كفرهم وعصيانهم ، وطمس على قلوبهم ؛ فكانوا كالقردة والخنازير ، وعبدوا الشيطان ، واتبعوا الضلال ! أولئك فى أكبر منزلة من الشر ، لأنهم أبعد الناس عن طريق الحق .

***

٦١ ـ واذا جاءكم المنافقون ، كذبوا عليكم بقولهم : آمنا ! وهم قد دخلوا اليكم كافرين كما خرجوا من عندكم كافرين ! والله أعلم بما يكتمون من النفاق ومعاقبهم عليه .

***

٦٢ ـ وترى كثيرا من هؤلاء يسارعون فى المعاصى والاعتداء على غيرهم،وفى أكل المال الحرام كالرشوة والربا ولبئس مايفعلونه من هذه القبائح ! .

***

٦٣ ـ أما كان ينبغى أن ينهاهم علماؤهم وأحبارهم عن قول الكذب وأكل الحرام ؟ ولبئس ماكانوا يصنعون من ترك النصيحة والنهى عن المعصية ! .

بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ



٦٤ ـ وقالت اليهود : يد الله مقبوضة لاتنبسط بالعطاء ! قبض الله أيديهم وأبعدهم من رحمته ! فالله غنى كريم ينفق كما يشاء ٠ وان كثيرا من هؤلاء ؛ لامعانهم فى الضلال ، ليزيدهم ما أنزل اليك من الله ظلما وكفرا ، لما فيهم من حقد وحسد ٠ وأثرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ؛ وكلما أشعلوا نارا لحرب الرسول والمؤمنين أطفأها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه وأتباعه ! وانهم يجتهدون فى نشر الفساد فى الأرض بالكيد والفتن واثارة الحروب ، والله لايحب المفسدين ٠

***

٦٥ ـ ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالاسلام ونبيه ، واجتنبوا الآثام التى ذكرناها ؛ لمحونا عنهم سيئاتهم ، وأدخلناهم فى جنات النعيم يتمتعون بها ٠

***

٦٦ ـ ولو أنهم حفظوا التوراة والانجيل كما نزلا ، وعملوا بما فيهما ، وآمنوا بما أنزل اليهم من ربهم ، وهو القرآن ؛ لوسع الله عليهم الرزق يأتيهم من كل جهة يلتمسونه منها ٠ وليسوا سواء فى الضلال ، ومن هؤلاء جماعة عادلة عاقلة ، وهم الذين آمنوا بمحمد وبالقرآن ؛ وكثير منهم لبئس مايعملونه ويقولونه معرضين عن الحق ٠

***

٦٧ ـ يأيها المرسل من الله ، أخبر الناس بكل ما أوحى اليك من ربك ، رادعهم اليه ، ولا تخش الأذى من أحد ، وان لم تفعل ذلك فما بلغت رسالة الله ، لأنك قد كلفت تبليغ الجميع ، والله يحفظك من أذى الكفار ، اذ جرت سننه الا ينصر الباطل على الحق ؛ ان الله لايهدى الكافرين الى الطريق السوى ٠



ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ

٦٨ ـ يأيها الرسول ، قل لأهل الكتاب : انكم لا تكونون على أى دين صحيح ، الا اذا أعلنتم جميع الأحكام التى أنزلت فى التوراة والانجيل ، وعملتم بها ، وآمنتم بالقرآن الموحى به من الله الى رسوله لهداية النـــاس ، ولتتيقن ـ أيها الرسول ـ أن معظم أهل الكتاب سيزدادون بالقـرآن الموحى به اليك ، ظلما وكفرا وعنادا ، لحسدهم وحقدهم ؛ فلا تحـــــزن على الذين طبعوا على الجحود ٠

***

٦٩ ـ ان المصدقين بالله ، وأتباع موسى من اليهود ، والخـارجين عن الأديان ، وأتباع عيسى من النصارى ، كل أولئك ، اذا أخلصــوا فى الايمان بالله ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأتوا بالأعمال الصالحة التى جاء بهـــا الاسلام ، فهم فى مأمن من العذاب وفى سرور بالنعيم يوم القيامة ٠

***

٧٠ ـ اننا عاهدنا اليهود من بنى اسرائيل عهدا مؤكدا فى التوراة على اتباع أحكامها ؛ وبعثنا اليهم أنبياء كثيرين ليبينوها لهم ، ويؤكدوا عهدنا ؛ ولكنهم نقضوا العهد ، فكانوا كلما أتاهم رسول بما يخالف أهواءهم ، كذبوا البعض وقتلوا البعض ٠

***

٧١ ـ وظن بنو اسرائيل أنه لاتنزل بهم شدائد تبين الثابتين من غيـر الثابتين ، ولذلك لم يصبروا فى الشدائد ، بل ضل كثيرون منهم ، وصاروا كالعميان الصم ، وأعرضوا عن الحق ، فسلط الله عليهم من أذاقهم الذل ٠ .وبعد حين رجعوا الى الله تائبين ، فتقبل توبتهم ، وأعاد اليهم عزهم ، ولكنهم من بعد ذلك ضلوا مرة أخرى ، وصاروا كالعمى الصم ! والله مطلع عليهم ، مشاهد لأعمالهم ، ومجازيهم عليها ٠

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

٧٢ ـ وانه لم يؤمن بالله من يزعم أن الله حل فى عيسى بن مريم حتى صار الها ، كما يقول النصارى الآن ! مع أن عيسى براء من هذه الدعوى ، فانه أمر بنى اسرائيل أن يخلصوا الايمان لله وحده ، قائلا لهم : ان الله هو خالقى وخالقكم ، ومالك أمرنا جميعـــا ، وان كل من يدعى لله شريكا فان جزاءه أن لايدخل الجنة أبدا ، وأن تكون النار مصيره ، لأنه تعدى حدود الله ؛ وليس لمن يتعدى حدوده ويظلم ناصر يدفع عنه العذاب ٠

***

٧٣ ـ وأنه لم يؤمن بالله كذلك كل من ادعى أن الله أحد آلهة ثلاثة ، كما يزعم النصارى الآن !! والحق الثابت أنه ليس هناك اله الا الله وحده ؛ واذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الفاسدة الى طـــاعة الله ، فلا بد أن يصيبهم عذاب شديد ٠

٧٤ ـ ألا ينتهى هؤلاء عن تلك العقائد الزائفة ، ويرجعوا الى الايمان بالله ، ويطلبوا منه التجاوز عما وقع منهـــم من الذنوب ؟ ان الله واســع المغفرة ، عظيم الرحمة ٠

***

٧٥ ـ ليس عيسى بن مريم الا عبدا من البشر ، أنعم الله عليه بالرسالة ، كما أنعم على كثير ممن سبقه ٠ وأم عيسى احدى النساء ، طبعت على الصدق فى قولها والتصديق بربها ، وكانت هى وابنها عيسى فى حاجة الى ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب ، وذلك علامة البشرية ٠ فتأمل أيها الســـامع حال هؤلاء الذين عموا عن دلالة الآيات الواضحة التى بينها الله لهم ، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه ؟!

***

٧٦ ـ قل أيها الرسول لهؤلاء الضالين : كيف تعبدون الها يعجز عن أن يضركم بشىء ان تركتم عبادته ، ويعجز عن أن ينفعكم بشىء ان عبدتموه !! كيف تتركون عبادة الله وهو الاله القادر على كل شىء ، وهو ذو الســـمع والعلم الشامل !!

***

٧٧ ـ قل يأيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى : ان الله ينهاكم أن تتجاوزوا فى معتقداتكم حدود الحق الى الباطل ، فتجعلوا بعض خلقـــه آلهة ، أو تنكروا رسالة بعض الرسل ، وينهاكم أن تسيروا وراء شهوات أناس سبقوكم ، قد تجنبوا طريق الهدى ؛ ومنعوا كثيرا من الناس أن يســـلكوها واستمروا على مجافاتهم طريق الحق الواضح ٠



مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا



٧٨ ـ طرد الله كفار بنى اسرائيل من رحمته ، وأنزل هذا فى الزبور على نبيه داود ، وفى الانجيل على نبيه عيسى بن مريم ، وذلك بسبب تمردهم عن طاعة الله ، وتماديهم فى الظلم والفساد ٠

***

٧٩ ـ كان دأبهم ألا يتناصحوا ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن قبيح يفعله ! وان اتيانهم المنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ما كانوا يفعلون ٠

***

٨٠ ـ ترى كثيرا من بنى اسرائيل يتحالفون مع المشركين ، ويتخذونهم أنصارا يتعاونون فيما بينهم على حرب الاسلام ! ان هذا الشر عمل ادخرته لهم أنفسهم ، ليجدوا جزاءه غضبا من الله ، وخلودا فى عذاب جهنم !

***

٨١ ـ ولو صحت عقيدة هؤلاء فى الايمان بالله ورسوله محمد ، وما أنزل اليه من القرآن ، لمنعهم ذلك الايمان عن موالاتهم للكفار ضد المؤمنين ، ولكن كثيرا من بنى اسرائيل عاصون خارجون عن الأديان ٠

***

٨٢ ـ نؤكد لك أيها النبى أنك تجد أشد الناس حقدا وكراهية لك ، ولمن آمن بك ؛ هم اليهود ، والذين أشركوا مع الله غيره فى العبادة ٠ وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك ، هم أتباع عيسى ، الذين سموا أنفسهم نصارى ، لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم ، ورهبانا يخشون ربهم ، ولأنهم لا يستكبرون عن سماع الحق ٠



مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾
فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن
يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ
مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ
تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ

٨٣ ـ ولأنهم اذا سمعوا القرآن الذى أنزل على الرسول يتأثرون به ، فتفيض عيونهم بالدمع ، لمعرفتهم أن الذى سمعوه حق ، فتميل اليه قلوبهم ، وتنطلق ألسنتهم بالدعاء لله قائلين : ربنا آمنا بك وبرسلك ، وبالحق الذى أنزلته عليهم ، فتقبل ايماننا ، واجعلنا من أمة محمد الذين جعلتهم شهداء وحجة على الناس يوم القيامة ٠

***

٨٤ ـ وأى مانع يمنعنا من أن نصدق بالله وحده ، وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد ؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ٠

***

٨٥ ـ فكتب الله لهم ثوابا لاعترافهم ، هو جنات تجرى الأنهار تحت أشجارها وقصورها ، وهم ماكثون فيها دائما ٠ وذلك الجزاء الذى نالوه هو جزاء كل محسن مثلهم ٠

***

٨٦ ـ والذين جحدوا بالله ورسله ، وأنكروا أدلته التى أنزلها عليهم هداية للحق ، هم وحدهم الملازمون للعذاب الشديد فى جهنم ٠

***

٨٧ ـ يأيها الذين آمنوا لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات ، ولا تتجاوزوا الحدود التى شرعها الله لكم من التوسط فى أموركم ٠ ان الله لا يحب المتجاوزين للحدود ٠

***

٨٨ ـ وكلوا مما أعطاكم الله ويسره لكم ؛ وجعله حلالا لكم تطيب به نفوسكم ، واخشوا الله دائما وأطيعوه مادمتم مؤمنين به ٠

***

٨٩ ـ لا يعاقبكم الله بسبب ما لم تقصدوه من أيمانكم ، وانما يعاقبكم بسبب الحنث فيما قصدتموه ووثقتموه من الأيمان، فان حنثم فيما حلفتم عليه، فعليكم أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين ، بأن تطعموا عشرة فقراء يوما، مما جرت العادة بأن تأكلوه أنتم وأقاربكم الذين هم فى رعايتكم ، من غير سرف ولا تقتير ٠ أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة ، أو بأن تحرروا انسانا من الرق ٠ فاذا لم يتمكن الحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام ٠ وكل واحد من هذه الأمور يغفر به ذنب الحلف الموثق بالنية اذا نقضه الحالف ٠ وصونوا أيمانكم فلا تضعوها فى غير موضعها ،



أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ

ولا تتركوا فعل ما يغفر ذنبكم اذا نقضتموها · على هذا النسق من البيان يشرح الله لكم أحكامه ، لتشكروا نعمه بمعرفتها والقيام بحقها(١) ·

٩٠ ـ يأيها المصدقون بالله وكتبه ورسله ، المذعنون للحق : ليس شرب المسكرات ، ولا لعب القمار ، ونصب الأحجار للذبح عندها تقربا الى الأصنام التى تعبدونها ، واتخاذ السهام والحصى والورق للتعرف بها على مغيبات القدر ··· ليس كل ذلك الا خبثا نفسيا باطلا ، هو من تزيين الشيطان لفاعليه · فاتركوه لكى تفوزوا فى الدنيا بحياة فاضلة ، وفى الآخرة بنعيم الجنة ·

٩١ ـ ان الشيطان لا يريد بتزيينه لكم شرب الخمر ولعب الميسر ، الا أن يوجد بينكم الخلاف والشقاق والكراهية ، ليضعف أمركم بذهاب الألفة بينكم ، وتفتيت وحدتكم ، بسبب ما يزينه لكم من شرب المسكرات ولعب القمار ؛ والا أن يصرفكم عن عبادة الله ، ويلهيكم عن أداء الصلاة ، لتسوء آخرتكم كما ساءت دنياكم · فبعد علمكم هذه المفاسد ابتعدوا عما نهيتكم عنه ، لتفوتوا على ابليس غرضه (٢) ·

٩٢ ـ وامتثلوا أمر الله وأمر رسوله فيما يبلغكم به عن ربه ، وابتعدوا عما يعرضم للعذاب ان خالفتم لأنكم أن أعرضتم عن الاستجابة لما أمركم به ، فتيقنوا أنه معاقبكم · وليس لكم عذر بعد أن بين لكم الرسول عاقبة المخالفين ، وانه ليس على رسولنا الا اخباركم بأحكامنا ، وتوضيحها توضيحا كاملا ·

٩٣ ـ ليس على الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأتوا بصالح الأعمال ، اثم فيما يطعمون من حلال طيب ، ولا فيما سبق أن طعموه من المحرمات قبل علمهم بتحريمها ، اذا خافوا الله وابتعدوا عنها بعد علمهم بتحريمها ، ثم استمروا على خوفهم من الله ، وتصديقهم بما شرعه لهم بعد من أحكام ، ثم داوموا على خوفهم من الله فى كل حال ، وأخلصوا فى أعمالهم وأدوها على وجه الكمال ، فان الله يثيب المخلصين فى عمالهم على قدر اخلاصهم وعملهم·

---

(١) (هذه آية من الآيات العديدة فى القرآن الكريم التى تؤدى الى تحرير الرقاب اذ توسع القرآن فى المسالك المؤدية الى تحرير الرقاب كما ضيق من مصادر الرق) .

(٢) (ذكر الله سبحانه وتعالى فى الخمر والميسر فى هذه الآية أمورا أربعة أوجبت تحريمها أولها ـ انها خبث وشر فى ذاته اذ لا يمكن أن توصف بالخير ، لان عنصر الضرر فيها واضح ففى الخمر فساد العقل ، وفى الميسر فساد المال ، وفيهما معا فساد القلب والشيطان هو الذى يحسنهما .

ثانيهما ـ انها تنشر العداوة والبغضاء ، فالميسر كثيرا ما ينتهى الى نزاع ، واذا لم ينته اليه فانه يثير الحقد والضغينة والخمر أم الكبائر ، وعلة تحريم الخمر تنحصر طبيا فى الآتى : ان الله كرم الانسان بالعقل بأن جعل له خلايا ارادية عليا فى المخ تهيمن على الارادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا فى الانسان والخمر خاصة والمخدرات عامة تعمل عملها فى هذه =



تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ
فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ
أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۚ عَفَا ٱللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ
ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ
وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ



٩٤ ـ يأيها الذين آمنوا : ان الله يختبركم فى الحج بتحريم بعض من الحيوان والطيور يسهل عليكم اصطياده بأيديكم ورماحكم ؛ ليظهر الذين يراقبونه منكم فى غيبة عن أعين الخلق . فالذين تجاوزوا حدود الله بعد بيانها يقع عليهم عذاب مؤلم شديد .

٩٥ ـ يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وقد نويتم الحج والعمرة وتقومون بأعمالهما ، ومن قتله منكم قاصدا ، فعليه أن يؤدى نظير الصيد الذى قتله، يخرجه من الابل والبقر والغنم . ويعرف النظير بتقدير رجلين عادلين منكم يحكمان به ، ويهديه الى الفقراء عند الكعبة ، أو يدفع بدله اليهم ، أو يخرج بقيمة المثل طعاما للفقراء ، لكل فقير ما يكفيه يومه ، ليكون ذلك مسقطا لذنب تعديه على الصيد ، أو يصوم أياما بعدد الفقراء الذين كانوا يستحقون الطعام لو أخرجه . وقد شرع ذلك ليحس المعتدى بنتائج جرمه وسوء عاقبته . عفا الله عما سبق لكم من المخالفة قبل تحريمها ، ومن رجع الى التعدى بعد العلم بتحريمه ، فان الله يعاقبه بما ارتكب، وهو غالب لا يغلب شديد العقاب لمن يصر على الذنب .

٩٦ ـ أحل الله لكم أن تصيدوا حيوان البحار ، وأن تأكلوا منه، وينتفع به المقيمون منكم والمسافرون ، وحرم عليكم أن تصيدوا حيوان البر غير المستأنس ؛ مما جرت العادة بعدم تربيته فى المنازل والبيوت ، مدة قيامكم بأعمال الحج أو العمرة بالحرم ، وراقبوا الله وخافوا عقابه ، فلا تخالفوه ؛ فانكم اليه ترجعون يوم القيامة ، فيجازيكم على ما تعملون .

٩٧ ـ جعل الله الكعبة ، وهى البيت الذى عظمه وحرم الاعتداء فيه على الانسان والحيوان غير المستأنس وفيما حوله ، جعله قائما معظما يأمن الناس فيه ، ويتجهون اليه فى صلاتهم ، ويحجون اليه ليكونوا فى ضيافة الله ، وليعملوا على جمع شملهم . وكذلك جعل شهر الحج وما يهدى الى الكعبة من الأنعام ، وخاصة ما يوضع فى عنقه القلائد لاشعار الناظرين بأنه مهدى الى البيت . ونتيجة القيام بذلك أن تستيقنوا أن علمه محيط بما فى السموات

= المراكز فتبطلها اما مؤقتا او دائما حسب التأثر بالمشروب أو غيره وعند تثبيط وتعويق هذه المراكز عن العمل تطغى المراكز التى هى دونها فينفعل الانسان بها ، فاما أن يطغى ويعتدى ، واما ان يفتر ويخمد ، وهذا معناه فقد التوازن العقلى ، وبالتالى تتأثر الاعمال وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا سيئا على الجهاز الهضمى والدورى وعلى الكلى والكبد وأخطر هذه جميعا التأثير على الكبد بتليفه .

ثالثها : انه اذا فقد الاتزان انصرف العبد عن ذكر الله الذى تحيا به القلوب .

رابعها : وبالتالى فهى تصد عن الصلاة لانها تنسى المؤمن الصلاة وكيفية ادائها على الوجه الأكمل وتحريم القليل ولو لم يسكر سببه الخوف من التعود والتمادى الذى ينتهى بالادمان .

وعين الخمر قد أجمعت المذاهب الاسلامية على أنها كل مشروب أو غير مشروب يسكر فى ذاته استنادا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : الذى يقول فيه : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » والى ما أخرجه أبو داود فى صحيحه انه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر .



وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ
وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

التى ينزل منها الوحى بالتشريع ، ومحيط بما فى الأرض ، فيشرع لمن فيها بما يقوم بمصالحهم . وان علمه بكل شىء محيط .

٩٨ ــ اعلموا أيها الناس ان عذاب الله شديد ينزل بمن يستبيح حرماته، وأنه كثير المغفرة لذنوب من يتوب ويحافظ على طاعاته ، واسع الرحمة بهم فلا يؤاخذهم حينئذ بما وقع منهم .

٩٩ ــ ليس على الرسول الا أن يبلغ للناس ما يوحى اليه ، لتقوم عليهم الحجة ، وينقطع عنهم العــذر . فلتعملوا بما بلغه اليــكم ، فان الله يعلم ما تظهرون وما تخفون .

١٠٠ ــ قل يأيها النبى للنــاس : لا يتســاوى ما أباحه الله لكم من الطيبات ، وما حرمه عليكم من الخبائث ، فان الفرق بينهما كبير عند الله ، ولو كثر الخبيث وأعجب كثيرا من الناس . فاجعلوا يا أصحاب العقول طاعة الله وقاية لكم من عذابه ، باختيار الطيبات واجتناب الخبائث ، لتكونوا من الفائزين فى الدنيا والآخرة .

١٠١ ــ يأيها الذين آمنوا : لا تسألوا النبى عن أمور أخفاها الله عنكم أن تظهر لكم ، وان تسألوا النبى عنها فى حياته ، اذ ينزل عليــه القرآن ، يبينها الله لكم ، عفا الله عنكم فى هذه الأشياء فلا يعاقبكم عليها ، والله كثير المغفرة واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة .

١٠٢ ــ قد سأل عن أمثال هذه الأمور الشاقة جماعة ممن سبقوكم ، ثم بعد أن كلفوها على ألسنة أنبيائهم ثقل عليهم تنفيذها ، فأعرضوا عنهــا ، وكانوا لها منكرين ، لأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر ، ويكلف النــاس ما يطيقــون .

١٠٣ ــ لم يأذن الله لكم أن تحرموا ما أحله لكم ، فتشقوا أذن الناقة ، وتمتنعوا عن الانتفاع بها ، وتسموها « بحيرة » ، وتتركوها بنــاء على نذر ، وتسموها « سائبة » ، وتحرموا الذكر من الشاة ، وتهبوه للاصنام ، حتى اذا أنتجت الشاة ذكرا وأنثى سميتموها « وصيلة » ، ولم تذبحوا الذكر منها. ولم يشرع لكم أن تحرموا الانتفاع بالذكر من الابل اذا ولد منه عشرة أبطن ، وتطلقوا عليه اسم « حام » !! لم يشرع الله لكم شيئا من ذلك ، ولكن الذين كفروا يختلقون الكذب وينسبونه الى الله ، وأكثرهم لا يعقلون (١) .

(كان عند الجاهلية عادات حرموا بها على انفسهم ما لم يحرمه الله منها :

١ ــ اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر . شقوا اذنها وحرموا ركوبها ولم يطردوها عن ماء ولا مرعى وسموها « بحيرة » اى مشقوقة الأذن .

٢ ــ كان الرجل منهم يقول : اذا قدمت من سفرى او برئت من مرضى فناقتى سائبة ثم يجعلها كالبحيرة =



وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ
أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ
إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾
فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ

١٠٤ ـ واذا قيل لهؤلاء الكافرين : تعالوا الى ما أنزل الله من القرآن ، والى ما بينه الرسول لنهتدى به ، قالوا : يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا ! أيصح أن يقولوا هذا ؟ ولو كان آباؤهم كالأنعام لا يعلمون شيئا من الحق، ولا يعرفون طريقا الى الصواب ؟

***

١٠٥ ـ يأيها الذين آمنوا احرصوا على اصلاح أنفسكم بطاعة الله ، انه لا يضركم ضلال غيركم ، اذا كنتم على الهدى ودعوتم الى الحـــق ، والى الله وحده مرجعكم جميعا يوم القيامة ، فيخبركم بأعمـــالكم ، ويجزى كلا منكم بما قدم ، فلا يؤاخذ أحدا بذنب غيره ٠

***

١٠٦ ـ يأيها الذين آمنوا : حينما تظهر على أحد منكم علامة المـوت ، ويريد أن يوصى بشىء ، فالشهادة بينكم على الوصية : أن يشهد اثنان عادلان من أقاربكم ، أو آخران من غيركم ، اذا كنتم فى سفر ، وظهـــرت أمارات الموت ، تحبسون هذين الشاهدين بعد أداء الصلاة التى يجتمع عليها الناس ، فيحلفان بالله قائلين : لا نستبدل بيمينه عوضا ، ولو كان فيه نفـــع لنا أو لأحد من أقاربنا ، ولا نخفى الشهادة التى أمرنا الله بأدائها صحيحة ٠ انا اذا أخفينا الشهادة أو قلنـــا غير الحق ، لنكونن من الظـــالمين المستحقين لعذاب الله ٠

***

١٠٧ ـ فاذا ظهر ان الشـــاهدين قد كذبا فى شهادتهما ، أو أخفيـــا شيئا ، فان اثنين من أقرب المستحقين لتركة الميت ، هما أحق أن يقفـــا

---

٣ ـ وكانوا اذا ولدت الشاة أنثى جعلوها لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وان ولدت ذكرا وأنثى لم يذبحوا الذكر لآلهتهم وقالوا عن الشاة وصلت أخاها وسموها « وصيلة » .

٤ ـ وكانوا اذا نتج من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولايحمل عليه ويعرف عندهم باسم « حام »



لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

نصف الحزب

مكان الشاهدين ، بعد الصلاة ليظهرا كذبهما فيحلفا بالله أن الشاهدين قد كذبا وأن يميننا أولى بالقبول من يمينهما ؛ ولم نتجاوز الحق فى أيماننا ، ولم نتهم الشاهدين زورا ، فاننا لو فعلنا ذلك نكون من الظالمين المستحقين عقاب من يظلم غيره .

***

١٠٨ ـ هذا التشريع أقرب الطرق الى أن يؤدى الشهداء شهادتهم صحيحة محافظة على حلفهم بالله ، أو خوفا من فضيحتهم بظهور كذبهم ، اذا حلف الورثة أيمانا لرد أيمانهم . وراقبوا الله فى أيمانكم وأماناتكم ، واطيعوا أحكامه راضين بها ، فان فيها مصالحكم ، ولا تخالفوها فتكونوا من الخارجين على الله ، فان الله لا ينفع بارشاده من خرج على طاعته ...

***

١٠٩ ـ وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كل الرسل ويسألهم قائلا لهم : ماذا أجابتكم به أممكم الذين أرسلتكم اليهم ؟ أبالايمان أم بالانكار ؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحجة بشهادة رسلهم ، بأننا لا نعلم ماكان بعدنا من أمر من أرسلنا اليهم ، وأنت وحدك الذى تعلم ذلك ، لانك الذى أحاط علمه بالخفايا كما أحاط بالظواهر .

***

١١٠ ـ وفى ذلك الوقت ينادى الله عيسى بن مريم من بين الرسل فيقول له : اذكر ما أنعمت به عليك وعلى أمك فى الدنيا ، حينما ثبتك بالوحى ، وأنطقتك وأنت رضيع بما يبرىء أمك مما اتهمت به ، كما أنطقتك وأنت كبير بما قد أوحيت اليك ، وحينما أنعمت عليك بتعليمك الكتابة ، ووفقتك للصواب من القول والعمل ، وعلمتك كتاب موسى والانجيل الذى أنزلته عليك ، وأقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر ، حيث تتخذ من الطين صورة الطير باذن الله ، فتنفخ فيها فتصبح طائرا حيا بقدرة الله لا بقدرتك ، وتشفى من العمى من ولد أعمى ، وتشفى الأبرص من برصه باذن الله وقدرته ، وحينما يجرى على يديك احياء الموتى باذن الله وقدرته ،

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

وحينما منعت اليهود من قتلك وصلبك عندما أتيتهم بالمعجزات ليؤمنوا . فأعرض فريق منهم ، وادعوا أن ما أظهرته من المعجزات ما هو الا من قبيل السحر الواضح ..

***

١١١ ــ وأذكر أيها الرسول لأمتك ماحدث حين ألهمنا جماعة ممن دعاهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى ، فاستجابوا له ، وصاروا من خاصة أصحابه ، وقالوا : آمنا ، واشهد يا ربنا بأننا مخلصون منقادون لأوامرك .

***

١١٢ ــ اذكر أيها النبى ما حدث حين قال أتباع عيسى المخلصون : يا عيسى بن مريم ، هل يجيبك ربك اذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاما من السماء ؟

قال لهم عيسى ردا عليهم : ان كنتم مؤمنين بالله ، فخافوه ، وأطيعوا اوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حججا غير التى قدمتها .

***

١١٣ ــ قالوا : اننا نريد أن نأكل من هذه المائدة لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله ، ونعلم عن معاينة أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها .

***

١١٤ ــ فاستجاب لهم عيسى وقال : يا ربنا ومالك أمرنا ، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيدا للمؤمنين منا ، المتقدمين والمتأخرين . ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك ، وارزقنا رزقا طيبا ، وأنت خير الرازقين .

***

١١٥ ــ قال الله له : انى سأنزل المائدة عليكم من السماء،فأى امرىء منكم يجحد هذه النعمة بعد انزالها ، فانى أعاقبه عقابا لا أعاقب بمثله أحدا من الناس ، لأنه كفر بعد ما شاهد دليل الايمان الذى اقترحه .

ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن
كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ
أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾
قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٦ - واذكر أيها النبى ما سيحدث يوم القيامة ، حين يقول الله لعيسى ابن مريم قولا يعلن الحق : أأنت الذى قلت لهم اجعلونى أنا وأمى الهين ؛ تاركين افراد الله بالعبودية ؟ قال عيسى : أنزهك تنزيها تاما عن أن يكون لك شريك ، ولا يصح لى أن أطلب طلبا ليس لى أدنى حق فيه . لو كنت قلت ذلك لعلمته ، لأنك تعلم خفايا نفسى ، فضلا عن مظاهر قولى ؛ ولا أعلم ما تخفيه عنى ! انك وحدك صاحب العلم المحيط بكل خفى وغائب .

***

١١٧ - ما قلت لهم الا ما أمرتنى بتبليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله وحده ، فانه مالك أمرى وأمركم . وكنت أعلم حالهم وأنا موجود بينهم ، فلما انتهى أجل اقامتى الذى قدرته بينهم ، كنت أنت وحدك المطلع عليهم ، وأنت مطلع على كل شىء .

***

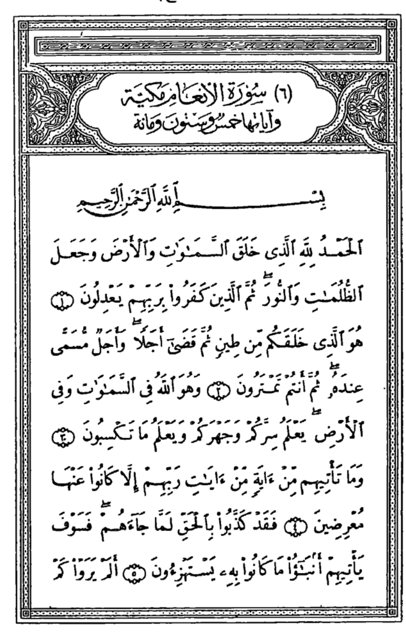
١١٨ - ان تعذبهم بما فعلوا ، فانهم عبادك تتصرف فيهم كما تريد ، وان تعف عنهم ، فانك وحدك القاهر الذى لايغلب ، ذو الحكمة البالغة فى كل مايصدر عنه .

***

١١٩ - يقول الله : هذا هو اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم، لهم حدائق تجرى تحت أشجارها الأنهار ، وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدا ، يتمتعون فيها برضوان الله عنهم ورضاهم بثوابه ، وذلك النعيم هو الفوز العظيم .

***

١٢٠ - لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهن، فهو وحده المستحق للعبادة ، وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل مايريد .



(٦) سُورَةُ الأَنعَامِ مَكِّيَّة
وآياتها خمس وستون ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ
ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى
ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ
يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ

سورة الأنعام

هى سورة مكية ، الا الآيات : ٢٠ ، ٢٣ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢، ١٥٣ . وآياتها ١٦٥ ، نزلت بعد سورة الحجر . وتتضمن هذه السورة الكريمة معانى قد فصلتها :

* نبهت الناس الى الكون وما فيـــه من دلالة على عظم المنشىء وجلاله ووحدانيته ، وانه لا يشاركه فى الخلق ولا فى العبادة ولا فى الذات أحد .

* وتضمنت قصص بعض النبيين،وابتدأت بقصة ابراهيم عليه السلام؛ وبيان أنه أخذ معنى العبادة والوحدانية من مطالعة الكون ، وتتبع مافيه ، وقد ابتدأ بتتبع النجوم ، ثم القمر ، ثم الشمس ، وانتهى بالتتبع الى عبادة الله وحده

* ووجهت الانظار الى عجائب الخلق والتكوين ، وبينت كيف ينبت الحى الرطب من الجامد اليابس وكيف يفلق الحب فيكون منه النبات .

* وقد ذكرت صفات الجاحدين ، وكيف يتعلقـــون بأوهام تبعدهم عن الحق ، وتضلهم .

* وفيها بيان الحلال الذى أحله الله تعالى فى الأطعمة ، وضلال المشركين فيما حرموه على أنفسهم من غير أن يعتمدوا على دليل ، وكيف ينسبون التحريم اليه سبحانه .

* وفيها بيان هذه الأوامر التى هى خلاصة الاسلام والأخلاق الحميدة ، وهى : تحريم الشرك ، والزنى ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، ووجوب ايفاء الكيل والميزان ، وتحقيق العدالة ، والوفاء بالعهد ، والاحســان الى الوالدين ، ومنع وأد البنات .

***

١ ــ الثناء والذكر الجميـــل لله ، الذى خلق الســموات والأرض ، وأوجد الظلمات والنور لمنفعة العباد بقدرته وعلى وفق حكمته ، ثم مع هـــذه النعم الجليلة يشرك به الكافرون ، ويجعلون له شريكا فى العبادة !!

٢ ــ هو الذى بدأ خلقكم من طين(١)، ثم قدر لحياة كل منكم زمنا ينتهى بموته والأجل عنده وحده المحـــدد للبعث من القبور ؛ ثم أنتم أيها الكافرون بعد هذا تجادلون فى قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة !!

٣ ــ وهو وحده المستحق للعبادة فى السموات وفى الأرض،يعلم ماأخفيتموه وما اظهرتموه ، ويعلم ما تفعلون فيجازيكم عليه .

٤ ــ ولا يؤتى المشركون بدليـــل من أدلة خالقهم ، التى تشـــهد بوحدانيته وصدق رسله ، الا كانوا منصرفين عنه ، لايتأملون فيه ولا يعتبرون به !

٥ ــ فقد كذبوا بالقرآن حين جاءهم ، وهو حق لايأتيه الباطل ! فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة ؛ ويتبين لهم صدق وعيده الذى كانوا يسخرون منه .

---

(١) تصلح هذه الآية لأن يكون المراد منها خلق آدم أبى البشر من طين كما جاء فى آيات أخرى وان يكون المراد منها أن جسم الانسان مكون بنسب خاصة من عناصر الطين نفسه ولكن قدرة الخالق سبحانه وتعالى خلقت فى هذه العناصر الحياة فصارت بشرا سويا .



أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ

٦ ـ ألم يعلموا أننا أهلكنا أمما كثيرة قبلهم ، أعطيناهم من أسباب القوة والبقاء فى الأرض مالم نعطكم اياه ، أيها الكافرون ، ووسعنا عليهم فى الرزق والنعيم ، فأنزلنا عليهم الأمطار غزيرة ينتفعون بها فى حياتهم ، وجعلنا مياه الأنهار تجرى من تحت قصورهم ، فلم يشكروا هذه النعم . فأهلكناهم بسبب شركهم وكثرة ذنوبهم ، وأوجدنا من بعدهم أناسا غيرهم خيرا منهم .

***

٧ ـ ولو أنزلنا عليك ، أيها النبى ، دليل رسالتك مكتوبا فى ورق ، فرأوه بأعينهم ، وتأكدوا منه بوضع أيديهم عليه ، لقالوا تعنتا : ما هذا الذى تلمسه الا سحر ظاهر !!

***

٨ ـ وقالوا : نطلب أن ينزل الله عليك ملكا يصدقه ! ولو استجبنا لهم ، وأرسلنا معه ملكا كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر باهلاكهم ، ثم لايمهلون لحظة .

***

٩ ـ ولو جعلنا المؤيد للرسول ملكا كما طلبوا ، لجعلناه على هيئة بشر ، حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه ، فانهم لايقدرون على رؤية الملك فى صورته الأصلية ، ولاشتبه عليهم الأمر واختلط بارساله فى صورة بشر ، وأوقعناهم فى نفس الخطأ الذى يتخبطون فيه .

***

١٠ ـ ولقد سخر الكفار كثيرا برسل من قبلك أيها النبى ، فأحاط بالساخرين العذاب الذى أنذرهم به رسلهم ، وقد جعلوه موضع سخريتهم من قبل .

***

١١ ـ قل أيها النبى لهؤلاء الكفار سيروا فى جوانب الأرض وتأملوا كيف كان الهلاك نهاية المكذبين لرسلهم فاعتبروا بهذه النهاية وذلك المصير .



يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ
أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ
وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ

١٢ ــ قل أيها النبى لهؤلاء الجاحدين : من مالك السموات والأرض ومن فيهن ؟ فان أحجموا ، فقل الجواب الذى لا جواب غيره : ان مالكها هو الله وحده لا شريك له ، وانه أوجب على نفسه الرحمة بعباده ، فلا يعجل عقوبتهم ، ويقبل توبتهم ، انه ليحشرنكم الى يوم القيامة الذى لا شك فيه . الذين ضيعوا انفسهم وعرضوها للعذاب فى هذا اليوم ، هم الذين لا يصدقون بالله ، ولا بيوم الحساب

***

١٣ ــ ولله ما فى كل زمان ، كما ان له ما فى كل مكان ، وهو السميع لكل ما يسمع ، العليم بكل ما يعلم .

***

١٤ ــ قل أيها النبى : لا أتخذ غير الله الها وناصرا ؛ وهو وحده المنشىء للسموات والأرض على نظام لم يسبق اليه ، وهو الرازق لعباده طعامهم ، ولا يحتاج منهم الى طعام . قل : انى أمرنى الله أن اكون أول من اسلم ، ونهانى ان أشرك معه غيره فى العبادة .

***

١٥ ــ قل : انى اخاف ، ان خالفت أمر ربى وعصيته ، عذاب يوم شديد .

***

١٦ ــ من يصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة ، فقد رحمه الله ، وذلك هو الفوز الثابت البين .

***

١٧ ــ وان يصبك الله بسوء فلا مزيل له الا هو ، وان يمنحك خيرا فلا راد لفضله ، لأنه على كل شىء قدير .

***

١٨ ــ وهو الغالب بقدرته ، المستعلى على عباده ، المتصف بالحكمة فى كل ما يفعل ، المحيط علمه بما ظهر واستتر .

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟
أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن
يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ

١٩ ــ قل أيها النبى لمن يكذبونك ويطلبون شهادة على رسالتك : اى شىء اعظم شهادة وأحق بالتصديق ؟ ثم قل : ان الله اعظم شاهد بينى وبينكم على صدق ما جئتكم به ، وقد أنزل على هذا القرآن ليكون حجة لصدقى ، لأحذركم به أنتم وكل من بلغه خبره ، وهو حجة قاطعة شاهدة بصدقى ، لأنكم لاتستطيعون ان تأتوا بمثله ! . سلهم : أأنتم الذين تقولون معتقدين أن مع الله آلهة غيره ؟ ثم قل لهم : لا أشهد بذلك ، ولا أقوله ، ولاأقركم عليه ، وانما المعبود بحق اله واحد ، وانني برىء مما تشركون به من أوثان .

***

٢٠ ــ الذين آتيناهم الكتب السماوية من اليهود والنصارى ، يعرفون محمدا وصدق رسالته ، من هذه الكتب ، كمعرفتهم أبناءهم . ان الذين ضيعوا انفسهم ، لا يقرون بما يعرفون ، فهم لا يؤمنون .

***

٢١ ــ وليس أحد أشد ظلما لنفسه وللحق ممن افترى على الله الكذب ؛ وادعى أن له ولدا او شريكا ، أو نسب اليه ما لا يليق ، أو انكر ادلته الدالة على وحدانيته وصدق رسله : ان الظالمين لا يفوزون بخير فى الدنيا والآخرة .

***

٢٢ ــ واذكر لهم ما سيحصل يوم نجمع الخلق كلهم الحساب ، ثم نقول توبيخا للذين عبدوا مع الله غيره : أين الذين جعلتموهم شركاء لله لينفعوكم ؟

***

٢٣ ــ ثم لم تكن نتيجة محنتهم الشديدة فى هذا الموقف الا محاولة التخلص من شركهم السابق بالكذب ، فقالوا كاذبين : والله ربنا ما أشركنا فى العبادة احدا غيرك .

***

٢٤ ــ انظر كيف غالطوا انفسهم بهذا الكذب ، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من عبادة الأحجار ويزعمونها شركاء لله !! .

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ
عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ
تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم
مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ
وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا
وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ
قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ
ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا
عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ
أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ

٢٥ ــ ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن ، لا ليتفهموه ، وليهتدوا به وانما ليتلمسوا سبيلا للطعن فيه والسخرية منه ٠

وقد حرمناهم بسبب ذلك من الانتفاع بعقولهم واسماعهم، كأن عقولهم فى أغطية تحجب عنهم الادراك الصحيح ، وكأن فى آذانهم صمما يحول دون سماع آيات القرآن . وان يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى اذا جاءوك ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفوعين بكفرهم : ما هذا الا أباطيل سطرها من قبلك الأولون ٠

٢٦ ــ وهم ينهون الناس عن الايمان بالقرآن ، ويبتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع ! ومايضرون بذلك الصنيع الا أنفسهم ، وما يشعرون بقبح ما يفعلون !!

٢٧ ــ ولو ترى ، أيها النبى ، هؤلاء الكفار وهم واقفون على النار يعانون اهوالها ، لرأيت أمرا غريبا رهيبا ، اذ يتمنون الرجوع الى الدنيا ، ويقولون : ياليتنا نرد اليها لنصلح ما أفسدنا ، ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين!

٢٨ ــ وليس قولهم هذا ، الا لأنه قد ظهر لهم ما لا يمكن اخفاؤه والمكابرة فيه ، مما كان يخبرهم به الرسول ! ولو ردوا الى الدنيا كما يتمنون ، لعادوا الى الكفر الذى نهاهم الله عنه ، لغرورهم بزخرفها واطاعة أهوائهم ! وانهم لكاذبون فى دعواهم الايمان اذا ردوا الى الدنيا !

٢٩ ــ ولو اعيدوا الى الدنيا لعادوا الى سيرتهم الأولى وقالوا : ليس لنا حياة الا هذه الحياة الدنيا ، وما نحن بعد ذلك بمبعوثين !!

٣٠ ــ لو تراهم حين يقفون للحساب امام ربهم ، ويعرفون صدق ما أنزله علىّ رسله ، لرأيت سوء حالهم اذ يقول الله لهم : أليس هذا الذى تشاهدونه الآن هو الحق الذى انكرتموه فى دنياكم ؟ فيقولون متذللين : بلى وربنا انه الحق ! فيقول الله لهم بعد ذلك : ادخلوا النار بسبب ماكنتم حريصين عليه من الكفر

٣١ ــ قد خسر الذين انكروا لقاء الله للحساب والجزاء يوم القيامة ، وظلوا على انكارهم ، حتى اذا فاجأتهم مشاهد يوم القيامة ندموا وقالوا : ياحسرتنا على اهمالنا اتباع الحق فى الدنيا ! وهم يومئذ يرزحون تحت أعباء ذنوبهم ! ألا قبح مايحملون من الذنوب !

وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾



٣٢ ــ وليست الحياة الدنيا التى حسب الكفار أنه لاحياة غيرها ؛ والتى لا يقصد بالعمل فيها مرضاة الله ، الا لعبا لا نفع فيه ، ولهوا يتلهى به !! . وان الدار الآخرة لهى الحياة الحقيقية ، وهى انفع للذين يخافون الله فيتمثلون أمره . أفلا تعقلون هذا الأمر الواضح ، أفلا تفهمون ما يضركم ولا ينفعكم ؟

٣٣ ــ اننا نعلم أنه ليحزنك ، ايها النبى ، ما يقوله الكفار تكذيبا لك ، فلا تحزن من ذلك . لأن الحقيقة انهم لا يتهمونك بالكذب ، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون ، فينكرون بألسنتهم دلائل صدقك ، وعلامات نبوتك .

٣٤ ــ ولقد قوبل رسل من قبلك بالتكذيب والايذاء من أقوامهم، كما فعل معك قومك ، فصبروا على التكذيب والايذاء ، حتى نصرناهم ؛ فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا ، ولا مغير لوعد الله بنصر الصابرين ، فلابد من تحققه . ولقد قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأييدنا لهم ، ما فيه تسلية لك ، وما توجبه الرسالة من تحمل الشدائد .

٣٥ ــ وان كان قد شق عليك انصرافهم عن دعوتك ، فان استطعت أن تتخذ طريقا فى باطن الأرض ، أو سلما تصعد به الى السماء ، فتأتيهم بدليل على صدقك ، فافعل ! وليس فى قدرتك ذلك . فأرح نفسك واصبر لحكم ربك ؛ ولو شاء الله هدايتهم لحملهم جميعا على الايمان بما جئت به قسرا وقهرا ، ولكنه تركهم لاختيارهم فلا تكونن من الذين لا يعلمون حكم الله وسننه فى الخلق .

٣٦ ــ انما يجيب دعوة الحق مقبلين عليه ؛ الذين يسمعون سماع فهم وتدبر . واما هؤلاء فلا ينتفعون بدعوتك ، لأنهم فى حكم الأموات . وسيبعثهم الله يوم القيامة من القبور ، ويرجعهم اليه ، فيحاسبهم على ما فعلوا .

٣٧ ــ وقال الكفار متعنتين: نطلب أن ينزل على محمد دليل مادى من ربه يشهد له بصدق دعوته : قل لهم ايها النبى : ان الله قادر على أن ينزل أى دليل تقترحونه . ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة الله فى انزال الآيات ، وانها ليست تابعة لأهوائهم ، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم ؛ ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم !!



وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ

٣٨ ــ وان أقوى دليل على قدرة الله وحكمته ورحمته ، انه خلق كل شيء ، وليس فى الأرض حيوان يدب فى ظاهر الارض وباطنها ، أو طائر يطير بجناحيه فى الهواء، الا خلقها الله جماعات تماثلكم ، وجعل لها خصائصها ومميزاتها ونظام حياتها . ماتركنا فى الكتاب المحفوظ عندنا شيئا من الأشياء الا أثبتناه . وان كانوا قد كذبوا ، فيحشرون مع كل الأمم للحساب يوم القيامة (١)

٣٩ ــ والذين لم يصدقوا بادلتنا الدالة على قدرتنا وصدق رسالتك ، لم ينتفعوا بحواسهم فى معرفة الحق ، فتخبطوا فى ضلال الشرك والعناد ، تخبط الأصم الأبكم فى ظلمات الليل ، لا نجاة له من الهلاك . ولو كان فى هؤلاء استعداد للخير لوفقهم الله اليه ، فانه سبحانه اذا أراد اضلال انسان لفساد قصده ، تركه وشأنه ، واذا أراد هدايته لسلامة قصده ، يسر له السير فى طريق الايمان الواضح المستقيم .

٤٠ ــ قل ايها النبى لهؤلاء الكفار : أخبرونى ان جاءكم عذاب من عند الله فى الدنيا او جاءكم القيامة بأهوالها ، هل تتجهون لغير الله تضرعون اليه فى هذا الوقت فينفعكم شيئا ، ان كنتم صادقين فى عبادتكم لغير الله ؟

٤١ ــ بل انكم لا تتجهون الا اليه ، اذ تدعونه فيكشف عنكم ما تطلبون كشفه ان شاء . وفى حال هذه الشدة ، تنسون ما تجعلونه لله شركاء !!

٤٢ ــ لا يشق عليك ، أيها النبى، ماتلاقيه من قومك . فلقد بعثنا قبلك رسلا الى أمم كثيرة قبل أمتك فكذبوهم، فعاقبناهم بالشدائد تنزل بهم ، وبما يضرهم فى ابدانهم ، لعلهم يخشعون ويرجعون الى الله .

٤٣ ــ وكان ينبغى لهم أن يرجعوا الى ربهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل استمرت قلوبهم على قسوتها ، وزين لهم الشيطان عملهم القبيح .

---

(١) (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) .

ونص التعليق هو :

(تنتظم الكائنات الحية فى مجموعات يختص كل منها بصفات تكوينية وطيفية وطبائع ممبزة، وفى الآية الكريمة تنبيه الى تباين صور المخلوقات وطرائق معيشتها فكما أن الانسان نوع له خصائصه فكذلك سائر انواع الاحياء . وهذا ما يكشفه علم التصنيف كلما تعمق دراسة نوع منها) .



بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٤ ــ فلما تركوا الاتعاظ بما ابتليناهم من الفقر والمرض ، ابتليناهم بعد ذلك بالرزق الواسع ، ففتحنا عليهم ابوابه فى كل شىء من أسباب الرزق ، حتى اذا فرحوا بما أنعمنا به عليهم ، ولم يشكروا الله عليه ، جاءهم العذاب فجأة ، فاذا هم متحيرون يائسون ، لا يجدون للنجاة سبيلا ! .

٤٥ ــ فأبيد هؤلاء القوم الظالمون عن آخرهم . والحمد لله مربى الخلق بالنقم والنعم ، ومطهر الأرض من فساد الظالمين .

٤٦ ــ قل لهم إيها النبى : أخبرونى ــ ان سلب الله سمعكم ، وغطى قلوبكم بما يحجبها عن الادراك ، فجعلكم صما عميا لا تفهمون شيئا ــ من تعبدون غير الله من اله يستطيع ان يرد اليكم ما سلبه الله منكم ؟ انظر ، أيها النبى ، كيف نوضح البراهين ونتوعها ، ثم هم مع هذا يعرضون عن تدبرها والانتفاع بها !! .

٤٧ ــ قل : أخبرونى ــ ان حل بكم عذاب الله فجأة دون توقع ، أو جاءكم عيانا على ترقب ، لسبق ما ينذركم بوقوعه ــ هل يصيب هذا العذاب الا القوم الذين ظلموا أنفسهم بالاصرار على الشرك والضلال ؟ أنه لا يصيب غيرهم .

٤٨ ــ وما نرسل الأنبياء الا ليبشروا من يؤمن بالخير والثواب ، وليحذروا من يكفر من العذاب . فمن آمن بدعوتهم وعمل صالحا ؛ فلا خوف عليهم من شر يصيبهم ، ولا يحزنون على خير يفوتهم .

٤٩ ــ والذين كذبوا بالأدلة الواضحة على صدق ما جاء به الرسل ، يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن الطاعة والايمان .

٥٠ ــ قل ، أيها الرسول ، لهؤلاء الكفار : لا أقول لكم انى أملك التصرف بما يملكه الله فأجيبكم الى ما تطلبون ، ولا أدعى علم الغيب الذى لم يطلعنى الله عليه ، ولا أقول انى ملك أستطيع الصعود الى السماء ! انما انا بشر لا اتبع الا ما يوحيه الله الى . قل أيها النبى : هل يستوى الضال والمهتدى فى معرفة هذه الحقائق ؟ هل يليق بكم أن تعرضوا عن هدى أسوقه لكم ، فلا تتأملون فيه بعقولكم حتى يتبين لكم الحق ؟



وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

٥١ ــ وحذر بمافى هذاالقرآن الذين يخافون من هول يوم تسوقهم فيــه الملائكة للحساب والجزاء ، حيث لا ناصر لهم ولا شفيع الا باذن الله ، ليبتعدوا عما يغضب الله .

***

٥٢ ــ ولا تستجب ، أيها النبى ، لدعوة المتكبرين من الكفار ، فتبعد عنك المستضعفين من المؤمنين ؛ الذين يعبدون ربهم دائما ، ولا يريدون الا رضـــاه . ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين ، فلست مسئولا امام الله عن شيء من أعمالهم ، كما أنهم ليسوا مسئولين عن شيء من أعمالك ، فان استجبت لهؤلاء الكفار المتعنتين ، وأبعدت المؤمنين ، كنت من الظالمين .

***

٥٣ ــ وبمثل هذا الابتلاء الذى جرت به سنتنا ، امتحنا المتكبرين بسبق الضعفاء الى الاسلام ، ليقول المتكبرون مستنكرين ساخرين : هل هؤلاء الفقراء هم الذين أنعم الله عليهم من بيننا بالخير الذى يعدهم به محمد ؟ ان هـــؤلاء الفقراء يعرفون نعمةالله عليهم بالتوفيق الى الايمان فيشكرونه . والله أعلم بمن يشكرون فضله ونعمه .

***

٥٤ ــ واذا جاءك الذين يصـــدقون بالقرآن فقل لهم تكريما لهم : ســـلام عليكم ، أبشركم برحمة الله الواسعة ، التى أوجبها على نفسه تفضلا منه ، والتى تقضى بأن من عمل منكم سيئة غير متدبر نتائجها ، ثم رجع الى الله نادما تائبا ، وأصلح اعماله ، غفر الله له ، لانه كثير المغفرة واسع الرحمة .

***

٥٥ ــ وبمثل ذلك البيان الواضح نوضح الدلائل المتنوعة ، ليظهر طريق الحق الذى يسلكه المؤمنون ، ويتبين طريق الباطل الذى يسلكه الكافرون .

قُلْ لَآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ



٥٦ ــ قل ، أيها النبى ، لهؤلاء الكفار : ان الله قد نهانى عن عبـادة الذين تعبدونهم من دون الله ، فلا اتبع أهواءكم ، فانى حين أتبعكم اكون قد انحرفت عن الحق ، ولم اكن من المهتدين !!

***

٥٧ ــ قل لهم : انى على شريعة واضــحة منــزلة من ربى وقد كذبتم القرآن الذى جاء بها ؛ وليس فى قدرتى أن أقدم ما تستعجلونه من العذاب ، بل هو فى قدرة الله ، ومرهون بارادته وحكمته ، وليس الأمر والسلطان الا لله ، ان شاء عجل لكم العذاب ، وان شاء أخره ، يتبع ســبحانه فى ذلك الحكمة ، وهو خير الفاصلين بينى وبينكم .

***

٥٨ ــ قل : لو أن فى قدرتى انزال العــذاب الذى تتعجلونه ، لأنزلتــه عليكم غضبا لربى ، وانتهى الأمر بينى وبينكم بذلك ، ولكن الأمر لله وهو أعلم بما يستحقه الكافرون من العذاب العاجل أو الآجل .

***

٥٩ ــ وعند الله علم جميع أبواب المغيبات ، لا يحيط بها علمـــا الا هو ومن يريد اعطاءه بعضها ، ويحيط علمه كذلك بجميع الموجودات فى البر والبحر ولا تسقط ورقة ، أية ورقة كانت ؛ الا يعلمها ، ولاتسقط حبة مافى باطن الأرض ولا شىء رطب ولا يابس ، الا وهو سبحانه محيط بعلمه احاطة تامة .

***

٦٠ ــ وهو الذى ينيمكم بالليل ، ويوقظكم بالنهار ، ويعلم ما كسبتم فيه حتى ينتهى اجل كل منكم فى الدنيا بموته ، ثم يوم القيامة ترجعون جميعا الى الله وحده ، يخبركم باعمالكم فى الدنيا من خير أو شر ؛ ويجازيكم عليها .

حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ
ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا
مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم
مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ
عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم
بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

٦١ ـ هو الغالب بقدرته ، المستعلى بسلطانه على عباده ، والذى يرسل عليكم ملائكة يحصون كل اعمالكم الى أن تجيء نهاية كل منكم ، فتقبض روحه ملائكتنا الذين نرسلهم لذلك ؛ وهم لا يقصرون فيما يوكل اليهم ٠

٦٢ ـ ثم يبعث هؤلاء الأموات يوم القيامة ، ويوقفون أمام ربهم الذى يتولى وحده أمورهم بحق ٠ اعلموا أن له وحده الفصل بين الخلائق وحسابهم فى ذلك اليوم ، وهو أسرع من يتولى الحساب والجزاء ٠

٦٣ ـ قل ، أيها النبى ، للمشركين : من الذى ينقذكم من أهوال البر والبحر ، اذا حلت بكم ، فلجأتم اليه تدعونه فى خضوع ظاهر وباطن ، قائلين : نقسم لئن انقذتنا من هذه الأهوال لنكونن من المقرين بفضلك ، القائمين بشكرك

٦٤ ـ قل : الله وحده هو الذى ينقذكم من هذه الأهوال ، ومن كل شدة اخرى ، ثم أنتم مع ذلك تشركون معه فى العبادة غيره مما لا يدفع شرا ولا يجلب خيرا !! ٠

٦٥ ـ قل : ان الله وحده هو الذى يقدر على أن يرسل عليكم عذابا يأتيكم من أعلاكم أو من أسفلكم . أو يجعل بعضكم لبعض عدوا ، وتكونون طوائف مختلفة الأهواء متناكرة ؛ يعذب بعضكم بعضا عذابا شديدا !! . انظر كيف دلت الدلائل على قدرتنا واستحقاقنا وحدنا للعبادة ، لعلهم يتأملونها ويفهمون الحق ! .

٦٦ ـ وكذب قومك بالقرآن ، وهو الحق الذى لا موضع فيه لتكذيب قل أيها النبى لهم : لست موكلا بحفظكم ، واحصاء اعمالكم ومجازاتكم عليها ، بل امركم فيها الى الله ٠

٦٧ ـ ولكل خبر جاء به القرآن وقت يتحقق فيه ، وسوف تعلمون صدق هذه الأخبار عند وقوعها ٠

حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن
تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا
كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا
وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ

٦٨ ــ واذا حضرت مجلس الكفار ، ووجدتهم يطعنون فى آيات القرآن ، أو يستهزئون بها ، فانصرف عنهم حتى ينتقلوا الى حديث آخــــر . وان نسيت وجالستهم فى اثناء حديثهم الباطل ، ثم تذكرت أمر الله بالبعد عنهم ، فلا تجلس بعد التذكر مع القوم الظالمين .

***

٦٩ ــ وليس على الذين يتقــون الله شىء من اثم هــؤلاء الظــالمين ، اذا استمروا على ضلالهم ، ولكن يجب أن يذكروهم ، لعلهم يخشـــــون عذاب الله ويكفون عن الباطل .

***

٧٠ ــ واترك أيهـــا النبى الذين اتخذوا شريعتهم اللهو واللعب، وخدعتهم الحياة الدنيا عن الآخرة ، وذكر دائما بالقرآن ، وحذرهم هول يوم تحبس فيه كل نفس بعملها ، حيث لا ناصر ولا معين غير الله ، وان كل فــــدية للنجاة من العذاب لا تقبل .. أولئك الكافرون الذين حبسوا فى العذاب بسبب ما عملوا من شر ، لهم فى جهنم شراب من ماء شديد الحرارة ، وعذاب شــديد الألم بسبب كفــرهم .

***

٧١ قل لهؤلاء الكفار توبيخا لهم ، هل يصح أن نعبد غير الله مما لا يملك جلب نفع ولا دفع ضر ! وننتكس فى الشرك بعد أن وفقنا الله الى الايمان ! ونكون كالذى غررت به الشياطين واضلته فى الأرض ، فصار فى حيرة لا يهتدى معهــا الى الطريق المستقيم ، وله رفقة مهتدون يحاولون تخليصه من الضلال ، قائلين



وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا



له : ارجع الى طريقنا السوى ، فلا يستجيب لهم !! قل أيها النبى : ان الاسلام هو الهدى والرشاد ، وما عداه ضلال ، وقد أمرنا الله بالانقياد له ، فهو خالق العالمين ورازقهم ومدبر أمورهم .

٧٢ ـ اعرضوا عن المشركين بعد أن تدعوهم الى الهدى ، واتصرفوا الى عبادة ربكم ،وادوا الصلاة على أكمل وجه من الخضوع ، وخافوا الله ، وادوا اوامره ، فانه هو الذى تجمعون عنده .

٧٣ ـ وهو الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، وأقام خلقهما على الحق والحكمة ، وفى أى وقت تتجه ارادته سبحانه الى ايجاد شيء يوجد فورا يوجد الأشياء بكلمة : « كن » ، وكل قول له هو الصدق والحق ، وله وحده التصرف المطلق يوم القيامة ، حين ينفخ فى البوق ايذانا بالبعث ، وهو سبحانه الذى يستوى فى عمله الغائب والحاضر ، وهو الذى يتصرف بالحكمة فى جميع أفعاله ، والذى يحيط علمه ببواطن الأمور وظواهرها .

٧٤ ـ واذكر أيها النبى ماكان ، حين قال ابراهيم لأبيه آزر ، منكرا عليه عبادة غير الله : ما كان لك أن تجعل الأصنام آلهة ، انى اراك وقومك الذين يشاركونك فى هذه العبادة فى بعد واضح عن طريق الحق .

٧٥ ـ وكما رأى ابراهيم ـ بتوفيقنا ـ ضلال أمته وقومه فى تأليه الأصنام نريه ملكنا العظيم للسموات والأرض وما فيهما ، ليقيم الحجة على قومه ، وليزداد ايمانا .

٧٦ ـ طلب ابراهيم ربه ، فهداه الله ، اذ ستر الليل وجه النهار بظلمته ، فرأى نجما متألقا ، قال : هذا ربى . فلما غاب ، قال مبطلا لربوبية النجم : لا اقبل عبادة الآلهة الزائلين المتغيرين !.

٧٧ ـ وحين رأى القمر طالعا بعدذلك قال محدثا نفسه : هذا ربى . فلما غاب هو الآخر ، وظهر بطلان ربوبيته ، قال ليوجه نفوسهم الى التماس الهداية : اقسم ان لم يهدنى ربى الى الحق لأكونن من القوم الحائرين .

رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ
قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ
مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي
كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ
مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ
ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ

٧٨ ــ ثم رأى الشمس طالعة بعد ذلك ، فقال محدثا نفسه : هذا ربى ، لأنه اكبر ما يرى من الكواكب ، فلما غابت قال : يا قوم انى برىء من الأصنام التى تشركونها مع الله فى العبادة .

٧٩ ــ بعد ان رأى ضعف المخلوقات اتجه الى خالقها قائلا : انى وجهت قصدى الى عبادة الله وحده الذى خلق السموات والارض ، مجانبا كل سبيل غير سبيله ــ وما أنا ــ بعدالذى رأيتمن دلائل التوحيد ــ ممن يرضى أنيكون من المشركين مثلهم .

٨٠ ــ ومع ذلك جادله قومه فى توحيد الله ، وخوفوه غضب آلهتهم،فقال لهم : ما كان لكم أن تجادلونى فى توحيد الله وقد هدانى الى الحق ، ولا اخاف غضب آلهتكم التى تشركونها مع الله ، لكن اذا شاء ربى شيئا من الضر وقع ذلك ، لأنه وحده القادر ، وقد أحاط علم ربى بالأشياء كلها ، ولا علم لآلهتكم بشىء منها !!. أتغفلون عن كل ذلك فلا تدركوا أن العاجز الجاهل لا يستحق أن يعبد ؟!

٨١ ــ وان من العجب أن أخاف آلهتكم الباطلة ، ولا تخافون انكم عبدتم مع الله ــ الذى قامت الحجة على وحدانيته آلهة لم يقم دليل على انها تستحق ان تعبد ! فأى فريق منا فى هذه الحال أحق بالطمانينة والأمان ، ان كنتم تعلمون الحق وتدركونه ؟

٨٢ ــ الذين آمنوا بالله ، ولم يخلطوا ايمانهم هذا بعبادة احد سواه ، هؤلاء وحدهم هم الأحق بالطمانينة ، وهم وحدهم المهتدون الى طريق الحق والخير

٨٣ ــ وتلك الحجة العظيمة على الوهيتنا ووحدانيتنا ، أعطيناها ابراهيم ليقيمها على قومه ، فارتفع بها عليهم . وسنتنا فى عبادنا ان نرفع بالعلم والحكمة من نريد منهم درجات . ان ربك ايها النبى حكيم يضع الشىء فى موضعه ، عليم بمن يستحق الرفعة ومن لا يستحق .



كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ
كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ
وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ
وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا
بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ
ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ

٨٤ ـ ووهبنا لابراهيم اسحق ويعقوب بن اسحق ، ووفقنا كلا منهما الى الحق والخير كأبيهما ، ووفقنا من قبلهم نوحا الى ذلك ، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكما جزينا هؤلاء نجزى المحسنين بما يستحقون .

***

٨٥ ـ وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل واحد من هؤلاء من عبادنا الصالحين .

***

٨٦ ـ وهدينا اسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وفضلنا كل واحد من هؤلاء جميعا على العالمين فى زمانه ، بالهداية والنبوة .

***

٨٧ ـ واصطفينا بعض آباء هؤلاء وذرياتهم واخوانهم ، واخترناهم ووفقناهم الى طريق لا اعوجاج فيه .

***

٨٨ ـ ذلك التوفيق العظيم الذى ناله هؤلاء ، هو توفيق من الله ، يوفق اليه من يشاء من عباده . ولو أشرك هؤلاء المختارون لضاعت كل أعمال الخير التى يعملونها ، فلا يكون عليها ثواب .

***

٨٩ ـ أولئك الذين آتيناهم الكتب المنزلة والعلم النافع وشرف النبوة ، فان يجحد بهذه الثلاثة مشركو مكة فقد عهد برعايتها والانتفاع بها الى قوم لا يكفرون بها .

***

٩٠ ـ أولئك الذين وفقهم الله الى طريق الحق والخير ، فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين وأمهات الفضائل ، ولا تسلك غير سبيلهم .. قل



لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى
جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ
تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ
ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ
إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ
أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ

أيها النبى لقومك كما قال هؤلاء لأقوامهم : لا أطلب منكم على تبليغ كلام الله اجرا ! ما هذا القرآن الا تذكير للعالمين ، ولا غاية لى الا أن تنتفعوا به .

***

٩١ ــ وماقدر هؤلاء الكفار الله ورحمته وحكمته حق التقدير، اذ أنكروا أن تنزل رسالته على أحد من البشر ! قل أيها النبى للمشركين ومن يشايعهم على ذلك من اليهود : من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا يضىء ، وهدى يرشد ؟ انكم أيها اليهود تجعلون كتابته فى اجزاء متفرقة تظهرون منها ما يتفق واهواءكم ، وتخفون كثيرا مما يلجئكم الى الايمان والتصديق بالقرآن ، وعلمتم منه ما لم تكونوا تعلمونه انتم ولا آباؤكم !!. وتول انت أيها النبى الجواب ، وقل لهم : الله هو الذى أنزل التوراة ، ثم اتركهم يمضون فى الضلال عابثين كالصبيان .

***

٩٢ ــ وهذا القرآن كتاب أنزلناه ــ كما أنزلنا التوراة ــ كثير الخير ؛ باق الى يوم القيامة ، مصدق لما تقدمه من الكتب المنزلة ، مخبر عن نزولها ، لتبشر به المؤمنين ، وتخوف الكفار من أهل مكة ومن حولها فى جميع انحاء الأرض من غضب الله ، اذا لم يذعنوا له . والذين يصدقون بيوم الجزاء يحملهم رجاء الثواب والخوف من العقاب على الايمان به ، وهم لذلك يحافظون على أداء صلاتهم كاملة مستوفاة .

***

٩٣ ــ لم يكذب النبى حين أعلن ان القرآن من عند الله ، وليس أحد أكثر ظلما ممن اختلق الكذب على الله ، أو قال : تلقيت وحيا من الله ، دون أن يكون قد تلقى شيئا من الوحى . وليس أحد كذلك اشد ظلما ممن قال : سآتى بكلام مثل ما انزله الله ! ولو تعلم حال الظالمين ، وهم فى شدائد الموت ، والملائكة ينزعون



بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾



* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾
فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ

أرواحهم من أجسادهم فى قسوة وعنف ، لرأيت هولا رهيبا ينـزل بهم ! ويقال لهم حينئذ : الآن تبدأ مجازاتكم بالعذاب المذل المهين ، جزاء ما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وجزاء استكباركم عن النظر والتـدبر فى آيات الله الكونية والقرآنية .

٩٤ ــ ويقول لهم الله يوم القيامة : لقد تأكدتم الآن بأنفسكم أنكم بعثتم أحياء من قبوركم كما خلقناكم أول مرة ، وجئتم الينا منفردين عن المال والولد والأصحاب ، وتركتم وراءكم فى الدنيا كل ماأعطيناكم اياه مماكنتم تغترون به، ولا نرى معكم اليوم الشفعاء الذين زعمتم أنهم ينصرونكم عند الله ، وأنهم شركاء لله فى العبادة ! لقد تقطعت بينكم وبينهـم كل الروابط ، وغاب عنـكم ما كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم !.

٩٥ ــ ان دلائل قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة ، وبعثه للناس من قبورهم ، متوافرة متنوعة ، فهو وحده الذى يشق الحب ، ويخرج منه النبات ، ويشق النـوى ويخرج منه الشجر ، ويخـرج الحى من الميت كالانسان من التراب ، ويخرج الميت من الحى كاللبن من الحيوان ، ذلك القادر العظيم هو الاله الحق ، فليس هناك صارف يصرفكم عن عبادته الى عبادة غيـره (١) .

٩٦ ــ هو الذى يشق غبش الصبح بضـوء النهـار ، ليسعى الأحيـاء الى تحصيل أسباب حياتهم ، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس ، وجعل سـير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعـاملاتهم . ذلك النظام المحكم ، تدبير القادر المسيطر على الكون ، المحيط بكل شىء علما (٢) .

٩٧ ــ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بمواقعها الى مقاصدكم ، وأنتم سائرون فى ظلمات الليل بالبر والبحر ، انا قد بينا دلائل رحمتنا وقدرتنا لقوم ينتفعون بالعلم ــ ٣ ــ

---

١ ــ (من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى خلق الحب والنوى والجنين فى كل مكان منها يشغل حيزا ضيقا منها

اما باقى جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية وعندما يتنبه الجنين ويبدأ فى الانبات تتحول هذه المواد المكتنزة الى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدأ فى النمو وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحبة الثانية من طور الانبات الى طور البادرة فيبدأ النبات فى الاعتماد على غذائه من الاملاح المذابة فى ماء التربة التى يمتصها الجذير مع تكونه الاوراق الخضراء من مواد كربوايدراتية كالسكريات والنشويات فى وجود ضوء الشمس وعندما تتم دورة حياة النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب والنوى من جديد « انظر التعليق العلمى على تفسير الآية (٢٧) من سورة آل عمران بملحق مجلة منبر الاسلام عدد شوال سنة ١٣٨٨ هـ »

٢ ــ (دورة الشمس هى التى علمت الناس حساب الايام والسنين ودورة القمر هى التى علمتهم حساب الشهور) .

(انظر أيضا التعليق العلمى على تفسير الآية (١٨٩) من سورة البقرة فى ملحق مجلة منبر الاسلام عدد شوال سنة ١٣٨٨ هـ التعليق تحت رقم ٢ ص ٧٥) .

٣ ــ (كانت الاجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر وما تزال هى المعالم التي يهتدى بها الإنسان فى سفره برا وبحرا ، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم الثوابت على الأخص=

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ
انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ
لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾
لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

٩٨ — هو الذى أنشأكم من أصل واحد ، هو أب البشر آدم ، وآدم من الأرض ، فالأرض مكان استقراركم مدة حياتكم ، ومستودع لكم بعد موتكم وتغيبكم فى بطنها . وقد بينا دلائل قدرتنا لقوم يدركون ويفهمون الأشياء على وجهها .

٩٩ — وهو الذى أنزل من السحاب ماء أخرج به نبات كل صنف ، فأخرج من النبات شيئا غضا طريا ، ونخرج منه حبا كثيرا بعضه فوق بعض ، ومن طلع النخل عراجين نخرجها محملة بالثمار سهلة التناول ، وأخرجنا كذلك بالماء جنات من الأعناب والزيتون والرمان ، ومنها ما هو متماثل الثمر فى الشكل وغير متماثل فى الطعم والرائحة ونوع الفائدة . انظروا فى تدبر واعتبار الى ثمره حين يثمر ، والى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة ؟ ان فى ذلك لدلائل لقوم ينشدون الحق ويؤمنون به ويذعنون له (1) .

١٠٠ — واتخذ الكافرون مع هذه الدلائل الملائكة والشياطين شركاء لله ، وقد خلقهم ، فلا يصح مع علمهم ذلك أن يعبدوا غيره ، وهو الذى خلق الملائكة والشياطين ، فلا ينبغى أن يعبدوهم وهم مخلوقون مثلهم !.. واختلق هؤلاء الكفار لله بنين : فزعم النصارى أن المسيح ابن الله ؛ وزعم مشركو بعض العرب أن الملائكة بنات الله ، وذلك جهل ومن غير علم ؟ تنزه الله تعالى عما يفترون فى أوصافه سبحانه !

١٠١ — الله الذى أنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق : كيف يكون له ولد كما يزعم هؤلاء ، مع أنه لم تكن له زوجة ، وقد خلق جميع الأشياء وفيها هؤلاء الذين اتخذوهم شركاء ! وهو عالم بكل شىء يحصى عليهم ما يقولون وما يفعلون ، وهو مجازيهم على قولهم وفعلهم .

١٠٢ — ذلك المتصف بصفات الكمال ، هو الله ربكم ، لا اله غيره ، خالق كل شىء مما كان وما سيكون ، فهو وحده المستحق للعبادة ، فاعبدوه ، وهو وحده المتولى كل أمر وكل شىء ، فاليه وحده المرجع والمآب .

=

فى تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاه غايته ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والجوية فنا دقيقا يعتمد عليه وذلك باستخدام آلات السدس وما اليها وبالرجوع الى الجداول الخاصة بذلك بل ان رجال الفضاء فى الاونة الاخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم فى تحديد اتجاهاتهم فى بعض مراحل اسفارهم وتستخدم بعض مجموعات النجوم كذلك فى تحديد الزمن مثل مجموعة الدب الاكبر وبذلك تم تعرف الانسان على المكان والزمان بالنجوم كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى) .

1 — (توضح هذه الآية الكريمة فى النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت ونمت فى أطوارها المختلفة حتى وصلت الى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت والبروتينات والمواد الكربوايدراتية والنشويات كل هذا يتكون فى وجود ضوء الشمس عن طريق المادة الخضراء مادة اليخضور التى توجد عادة فى المجموع الخضرى للنباتات وخاصة الاوراق فهى المصنع الذى يتكون فيه تلك المركبات ومنها توزع على باقى أجزاء النبات بما فيها

ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟
ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ

١٠٣ ـ لا تبصر ذاته العيون ، وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ، وهو اللطيف فلا يغيب عنه شيء ، الخبير فلا يخفى عليه شيء .

١٠٤ ـ قل ايها النبى للناس : قد جاءكم من خالقكم ومالك أمركم حجج وبينات فى القرآن ، تنير لكم طريق الحق ، فمن انتفع بها فانتفاعه لنفسه ومن أعرض عنها فقد جنى على نفسه ! ولست أنا بمحافظ عليكم؛بل أنا رسول أبلغكم ما ارسلت به اليكم .

١٠٥ ـ ومثل هذا التنويع البديع فى عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا فى القرآن منوعة مفصلة ، لنقيم الحجة بها على الجاحدين؛فلا يجدوا الا اختلاق الكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس لا من الله : ولتبيــن ما أنزل اليك من الحقائق من غير تأثر بهوى ؛ لقوم يدركون الحق ويذعنون له .

١٠٦ ـ اتبــــع أيها النبى ماجاءك به الوحى من الله ، مالك أمرك ومدبر شئونك ، انه وحده الاله المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين .

١٠٧ ـ ولو اراد الله أن يعبدوه وحده لقهرهم على ذلك بقوته وقدرته ، ولكنه تركه لاختيارهم ، وما جعلناك رقيبا على أعمالهم ، وما أنت بمكلف أن تقوم عنهم بتدبير شئونهم واصلاح أمرهم .

١٠٨ ـ لا تسبوا ، ايها المؤمنون ، أصنام المشركين التى يعبدونها من دون الله ، فيحملهم الغضب لها على اغاظتكم بسب الله تعديا وسفها . مثــل مازينــا لهؤلاء حب أصنامهم يكون لكل أمة عملها حسب استعدادها ؛ ثم يكون مصــير الجميع الى الله وحده يوم القيامة ، فيخبرهم بأعمالهم ويجازيهم عليها .

١٠٩ ـ وأقسم المشركــون بأقصى أيمانهم لئن جاءتهم آية مادية من الآيات التى اقترحوها ، ليكونن ذلك سببا فى ايمانهم !! قل ياأيها النبى:ان هذه الآيات من عند الله ، فهو وحده القادر عليها ، وليس لى يد فيهــا ، انكم أيها المؤمنون لا تدرون ماســبق به علمى من أنهم اذا جاءتهم هذه الآيات لا يؤمنون .

= البذور والثمار علاوة على أن الآية الكريمة تقطع بأن ماء المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض وطاقة الشمس هى مصدر طاقات الاحياء جميعا ، ولكن النباتات هي التي تستطيع اختزان طاقة الشمس بواسطة مادة اليخضور وتسلمها للانسان والحيوان فى المواد الغذائية العضوية التي كونتها وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخالق وهى أن مادة الهيموجلوبين اللازمة لتنفس الانسان وكثير من أنواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور فذرات الكربون والايدروجين والاكسوجين والنيتروجين تكتنف ذرة الحديد فى جزىء الهيموجلوبين بينما هى بنفسها تكتنف ذرة الماغنسيوم فى جزىء اليخضور كما انه اتضح من البحوث الطبية أن مادة اليخضور عنــدما يتمثلها جسم الانسان تندمج فى خلاياه فتقويها وتساعدها على القضاء على جراثيم الامراض فتتيح لأنسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الامراض .

وفى آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه » .

وفى هذه الاشارة سبق لعلم النبات الحديث فى ما وصل اليه من الاعتمــاد فى دراسته على مشاهدة الشكل الخارجى لاعضائه كافة فى أدواره المختلفة) .



يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾
۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا
عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ
زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ
وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ
أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ
رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

١١٠ – وانكم لا تدرون أيضا أننا نقلب قلوبهم عند مجيء الآيات بالخواطر والتأويلات ، ونقلب أبصارهم بتوهم التخيلات ، فيكونون بعد الآيات كحالهم قبلها ، وندعهم فى ظلمهم وعنادهم يتخبطون .

***

١١١ – ان أولئك الذين اقسموا : اذا جاءتهم آية ليؤمنن بها ، كاذبون . والله أعلم بايمانهم ، ولو أننا نزلنا الملائكة يرونهم رأى العين ، وكلمهم الموتى بعد احيائهم واخراجهم من قبورهم ؛ وجمعنا لهم كل شيء مقابلا لهم ومواجها يبين لهم الحق ، ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله تعالى أن يؤمنوا . والأكثرون لا يدركون الحق ولا يذعنون له ، لما أصاب قلوبهم من عمياء الجاهلية .

***

١١٢ – وكما أن هؤلاء عادوك وعاندوك وأنت تريد هدايتهم ، جعلنا لكل نبى يبلغ عنا أعداء من عتاة الانس ، وعتاة الجن الذين يخفون عنك ولا تراهم ، يوسوس بعضهم لبعض بكلام مزخرف مموه لا حقيقة له ، فيلقون بذلك فيهم الغرور بالباطل ! وذلك كله بتقدير الله ومشيئته ، ولو شاء ما فعلوه ، ولكنه لتمحيص قلوب المؤمنين . فاترك الضالين وكفرهم بأقوالهم التى يقترفونها .

***

١١٣ – وانهم يموهون القول الباطل ليغروا أنفسهم ويرضوه ، ولتميل اليه قلوب من على شاكلة أولئك العتاة الذين لا يذعنون للآخرة ، ويعتقدون أن الحياة هى الدنيا ، وليقعوا بسبب عدم اعتقادهم باليوم الآخر فيما يقترفون من آثام وفجور .

***

١١٤ – قل لهم أيها النبى : هذا حكم الله بالحق بينته الآيات الساطعة ، فلا يسوغ ان أطلب حكما غيره يفصل بينى وبينكم ، وقد حكم سبحانه فانزل الكتاب الكريم حجة لى عليكم ، وقد عجزتم ان تأتوا بمثله ، وهو مبين للحق والعدل ، وان الذين اوتوا الكتاب يعلمون أنه منزل من عند الله مشتملا على الحق ، كما بشرت كتبهم . وان حاولوا اخفاء ذلك وكتمانه ؛ فلا تكونن يأيها النبى ، انت ومن اتبعك ، من الذين يشكون فى الحق بعد بيانه .

ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

١١٥ ـ وان حكم الله قد صـــدر ، فتمت كلمات ربك الصـــادقة العادلة ، بانزال الكتاب الكريم مشتملا على صـــدق ، وفيه الميزان الصّـــادق بين الحق والباطل ، ولا يوجد من يغير كلمات الله وكتابه ؛ وهو سبحانه سميع لكل مايقال عليم بكل ما يقع منهم .

١١٦ ـ واذا كان سبحانه هو الحكم العدل الذى يرجع الى كتبـــه فى طلب الحق ومعرفته ، فلا تتبع أيها النبى أنت ومن معك أحدا يخالف قوله الحق ، ولو كانوا عددا كثيرا . فانك ان تتبع أكثر الناس الذين لايعتمدون على شرع منزل ؛ يبعدوك عن طريق الحق المستقيم وهو طـــريق الله تعـــالى ، لأنهـــم لا يسيرون الا وراء الظنون والأوهام ، وان هم الا يقولون عن تخمين لا يبنى على برهـــان .

١١٧ ـ وان ربك هو العليم علما ليس مثله علم بالذين بعدوا عن طريق الحق ، والذين اهتدوا اليه وصارت الهداية وصفا لهم .

١١٨ ـ واذا كان الله تعالى هو الذى يعلم المهتدين والضالين ، فلا تلتفتوا الى ضلال المشركين فى تحريم بعض الأنعام ، وكلوا منها ، فقد رزقكم الله تعالى اياها ، وجعلها حلالا وطيبة لا ضرر فى أكلها ، واذكروا اسم الله تعالى عليها عند ذبحها ، ما دمتم مؤمنين به ، مذعنين لأدلته .

١١٩ ـ وانه لايوجد أى مبرر أو دليل يمنعكم أن تأكلوا مما يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه من الأنعام ، وقد بين سبحانه وتعالى المحرم فى غيـــر حال الاضطرار ، كالميتة والدم . وان الكثيرين من الناس يبعدون عن الحق بمحض أهوائهم ؛ من غير علم أوتوه ، أو برهان قام عندهم ، كأولئك العرب الذين حرموا بعض النعم عليهم . ولستم معتدين فى أكلكم ما ولد ، بل هم المعتدون بتحـــريم الحلال ، والله وحده هو العليم علما ليس مثله علم بالمعتدين حقا .

١٢٠ ـ ليست التقوى فى تحريم ما أحل الله ، انما التقـــوى فى ترك الاثم ظاهره وباطنه فاتركوا الآثام فى أعمالكم ظاهرها وخفيها وان الذين يكسبون الاثم سيجزون مقـــدار ما اقترفوا من سيئات .

١٢١ ـ واذا كانت الأنعـــام حلالا لكم بذبحها ، فلا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه ، اذا تركت فيه التسمية عمدا ، أو ذكر فيه اسم غير الله تعالى ؛ فان هذا فسق وخروج عن حكم الله !.. وان العتـــاة المفسدين من ابليس وأعوانه ليوسوسون فى صدور من استولوا عليهم ، ليجادلوكم بالباطل . وليجروكم الى تحريم ما أحل الله ، وأن اتبعتموهم فانكم مثلهم فى الاشراك بالله!

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ
فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ
كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن
يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ

١٢٢ ـ وانكم بايمانكم لستم مثل المشركين فى شىء . فليس حال من كان كالميت فى ضلاله فأنار الله بصيرته با ـ ـاية التى هى كالحياة ، وجعل له نور الايمان والحجج البينات ، يهتدى به ويمشى على ضوئه : كحال الذى يعيش فى الظلام المتكاثف . وكما زين الله الايمان فى قلوب أهل الايمـان ، زين الشـيطان الشرك فى نفوس الظالمين الجاحدين .

***

١٢٣ ـ لا تعجب أيها النبى اذا رأيت اكابر المجرمين فى مكة يدبرون الشر ويتفننون فيه ! . فكذلك الشأن فى كل مدينة كبيـرة يدبر الشر فيها الأكابر من المجرمين ، وعاقبته عليهم ، وهم لا يشعرون ولا يحسون بذلك .

***

١٢٤ ـ وان هؤلاء الكبار من المجرمين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من علم ونبوة وهداية ، فاذا جاءتهم حجة قاطعة لا يذعنون لها ، ولكن يقولون : لن نذعن للحق حتى ينزل علينا الوحى كما ينزل على الرسل ، والله وحده هو يصطفى لرسالته من يشاء من خلقـه . ؤلاء المعاندين اذا كانوا يطلبـون الرياسة بهـذا العناد ، فسينالهم الصـغار والذل فى الدنيا بسببه ، وسينالهم العذاب الشديد فى الآخرة بسبب تدبيرهم السيىء .

***

١٢٥ ـ اذا كان أولئك قد ضلو ديتم ، فبارادة الله تعالى وقضائه : فمن يكتب له الهداية يتسع صدره لنور سلام ، ومن يكتب عليه الضلال يك صدره ضيقا شديد الضيق ، كأنه من الضيق كمن يصعد الى مكان مرتفع بعي الارتفاع كالسماء ، فتتصاعد أنفاسه ولا طيع شيئا ! وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الـذين ليس من شـأنهم الايمان .





قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ
ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ
ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا
عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ

١٢٦ ـ وهذا الذى بيناه هو طريق الحق المستقيم،قد فصلناه ووضحناه للناس ، ولا ينتفع به الا الذين من شأنهم التذكر وطلب الهداية .

***

١٢٧ ـ ولهؤلاء المتذكرين المؤمنـــين دار الأمن ، وهى الجنة ، وهم فى ولاية الله ومحبته ونصرته ، بسبب ما عملوا فى الدنيا من خير .

***

١٢٨ ـ واذا كان الذين سلكوا صراط الله المستقيم لهم الأمن وولاية الله، فالذين سلكوا طريق الشيطان لهم جزاء ما ارتكبوا ، حين يحشر الجميع يوم القيامة ، ويقول جل جلاله للآثمين من الجن والأنس : أيها المجتمعون من الجن قد أكثرتم من اغواء الانس حتى تبعكم منهم عدد كثير ! • فيقول الذين اتبعوهم من الانس : ياخالقنا والقائم علينا ، قد انتفع بعضنا ببعض ، واستمتعـــنا بالشهوات ، وبلغنا أجلنا الذى حددته لنا • فيقول جل جلاله : مقركم النـــار خالدين فيها الا من شاء الله أن ينقذهم ممن لم ينكروا رسالة الله • وان أفعال الله دائما على مقتضى الحكمة والعلم •

***

١٢٩ ـ وكما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض ، فجعل بعض الظالمين أولياء لبعض بسبب ما يكتسبون من كبائر •

***

١٣٠ ـ والله تعالى يقول لهم يوم القيامة : يأيها الانس والجن ، لقـــد جاءتكم الرسل يذكرون لكم الحجج والبينات ، ويتلون عليكـــم الآيـــات ، وينذرونكم لقاء الله فى يومكم هذا ، فكيف تكذبون ؟ فأجابوا : قد أقررنا على أنفسنا بما ارتكبنا ، ، وقد خدعتهم الحياة الدنيا بمتعها ، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين •

***

١٣١ ـ وان أرسال الرسل منذرين مبينين انما كان لأن ربك أيها النبى لايهلك القرى بظلمهم وأهلها غافلون عن الحق ، بل لابد أن يبين لهم وينذرهم

مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ
الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم
مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ
اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن
تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٢ ـ ولكل عامل خير أو عامل شر درجاته من جزاء مايعمله ، أن خيرا فخير ، وان شرا فشر ، والله سبحانه وهو الخالق البارىء غير غافل عمـــا يعملون ، بل ان عملهم فى كتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ٠

١٣٣ ـ والله ربك هو الغنى عن العباد والعبادة ، وهو وحـــده صاحب الرحمة الشاملة ، وبمقتضاها أمركم بالخير ونهاكم عن الشر ، وهو القادر ان يشأ يذهبكم ويجعل فى الأرض خلفاء من بعدكم على حسب مشيئته ، وليس ذلك يصعب عليه سبحانه ، فقد خلقكم من ذرية آخرين سبقوكم ، وكنتموارثين الأرض من بعدهم ٠

١٣٤ ـ وان الذى ينذركم به من عقاب ، ويبشركم به من ثواب بعد البعث والجمع والحساب ، آت لا محالة ، وما أنتم بمعجزين من يطلبكم يومئذ ، فـلا قدرة لكم على الامتناع عن الجمع والحساب ٠

١٣٥ ـ قل أيها النبى لهم مهددا : اعملوا على النحو الذى اخترتمـــوه بكل ما فى قدرتكم ، وانى عامل فى ناحية الحق ، وستعلمون حتما من تكـون له العاقبة الحسنة فى الدار الآخرة ، وهى لأهل الحق لا محالة ، لأنكم ظالمون والله تعالى لم يكتب الفوز للظالمين ٠

١٣٦ ـ المشركون الذين يعبدون الأوثان فى أوهام مستمرة ، فهميجعلون مما حلق الله تعالى وأنشأه ، من الزرع ومن الأبل والبقر والغنم ، جزءا لله تعالى ينفقونه على الضيفان والمحتاجين ، وجزءا آخر ينفقونه على خـــدمة الأوثان التى جعلوها شركاء لله تعالى بزعمهم ! فما يجعلونه للاوثان يصل الى أوثانهم فينفقونه عليها ، وما يجعلونه لله تعالى بزعمهم لا يصل شىء منه الى الضيفـان والفقراء ! وما أسوأ حكمهم الظالم ! لأنهم جعلوا الأوثان نظراء لخالق الحـرث والنسل ، ولأنهم لاينفقون ما جعلوه لله فى مصارفه ٠

١٣٧ ـ وكما زينت لهم أوهامهم تلك القسمة الظالمة لما خلق الله منحرث وابل وبقر وغنم ، قد زينت لهم أوهامهم فى الأوثان التى زعموها شركاء لله قتل أولادهم عند الولادة ، وأن ينذروا لآلهتهم ذبح أولادهم ! وان تلك الأوهام ترديهم وتخلط عليهم أمر الدين ، فلا يدركونه على وجهه ! واذا كانت الأوهام لها ذلك السلطان على عقولهم ؛ فاتركهم وما يفترونه على الله تعـــالى ، وعليك وسينالون عقاب ما يفترون ، وتلك مشيئة الله ، فلو شاء ما فعلوا ٠

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ
ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ
وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ
أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً
عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِيٓ



أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ
مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ
كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ

١٣٨ ــ ومن أوهامهم أنهم يقولون : هذه ابل وبقر وغنم وزرع ممنوعة، لا يأكلها أحد الا من يشاءون من خدمة الأوثان ، وذلك من زعمهم الباطل ، لامن عند الله • وقالوا أيضا : هذه ابل حرمت ظهورها فلا يركبها أحد ، وهم مع ذلك لا يذكرون اسم الله تعالى عند ذبح ما يذبحون من ابل وبقر وغنم، وذلك لكذبهم على الله تعالى بشركهم ، والله تعالى سيجزيهم بالعذاب فى الآخرة ،بسبب افترائهم وتحريمهم ما يحرمون من غير تحريم الله تعالى •

***

١٣٩ ــ ومن أوهام هؤلاء المشركين أنهم يقولون : ما فى بطون الأنعام التى جعلوها محجورة ممنوعة لا تذبح ولا تركب ــ ما فى بطونها من أجنة خالص للذكور من الرجال ، ويحرم منه النساء ، ومع ذلك اذا نزل ميتا فهم شركاء فيه ، يأكلون منه ! سيجزيهم الله تعالى على كذبهم الذى وصفوا به فعلهم ، اذ ادعوا أن هذا التحريم من عند الله تعالى ! وان الله عليم بكل شىء، حكيم ، كل أفعاله على مقتضى الحكمة وهو يجزى الآثمين باثمهم •

***

١٤٠ ــ وقد خسر أولئك الذين قتلوا أولادهم حمقاووهما ، غير عالمين مغبة عملهم وداعيه ، وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله من زرع وحيوان ، مفترين على الله بادعاء أنه هو الذى حرم ، وقد بعدوا عن الحق بسبب ذلك، وما كانوا بسبب هذا الافتراء ممن يتصفون بالهداية •

***

١٤١ ــ الله وحده هو الذى خلق حدائق من الكرم ، منها ما يغرس ويرفع على دعائم ، ومنها مالا يقوم على دعائم وخلق النخل والزرع الذى يخرج ثمرا مختلفا فى اللون والطعم والشكل والرائحة وغير ذلك ، وخلق الزيتون والرمان متشابها فى بعض الصفات وغير متشابه فى بعضها الآخر ، مع أن التربة قد تكون واحدة وتسقى جميعها بماء واحد • فكلوا من ثمرها اذا طاب لكم، وأخرجوا منها الصدقة عند نضجها وجمعها ، ولا تسرفوا فى الأكل فتضروا أنفسكم وتضروا الفقراء فى حقهم ، ان الله لايرضى عن المسرفين فى تصرفاتهم وأعمالهم •

حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ
ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى
بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ
ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

١٤٢ ــ وخلق الله من الأنعام ، وهى الابل والبقر والضأن والماعز ، مـا يحمل أثقالكم ، وما تتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها فراشا ، وهى رزق الله لكم ، فكلوا ما أحل الله منها ولا تتبعوا الشيطان وأولياءه فى افتراءالتحليل والتحريم ، كما كان يفعل أهل الجاهلية ! ٠ ان الشيطان لايريد لكم الخير ؛ لأنه عدو ظاهر العداوة ٠

***

١٤٣ ــ خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكرا وأنثى ، فهى ثمانية أزواج خلق من الضأن زوجين ، ومن الماعز زوجين ، وقل يامحمد للمشركين منكـرا عليهم تحريم ما حرموا من هذا : ما علة تحريم هذه الأزواج كما تزعمون ؟أهى كونها ذكورا ؟ ليس كذلك ، لأنكم تحلون الذكور أحيانا ! أم هى كونها اناثا ؟ ليس كذلك ، لأنكم تحلون الأناث أحيانا ! أم هى اشتمال الارحام عليها ! ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام ! أخبـرونى بمستند صحيح يعتمـد عليه ، ان كنتم صادقين فيما تزعمون من التحليل والتحريم ٠

***

١٤٤ ــ وخلق الله من الابل زوجين ، ومن البقر زوجين ٠ قل لهـم يامحمد منكرا عليهم : ما علة التحريم لما حرمتم من هذه الأزواج كما تزعمون؟ أهى كونها ذكورا ؟ ليس كذلك ، لأنكم تحلون الذكور أحيـانا أهى كونهـا اناثا ؟ ليس كذلك ، لانكم تحلون الاناث أحيانا ! أم هى اشتمال الارحـام عليها ؟ ليس كذلك ؟ لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام ، وتزعمون أن هـذا التحريم من عند الله ! أكنتم حاضرين حين وجه اليكم الله هذا التحريم فسمعتم نهيه ؟ لم يكن ذلك قطعا ٠ انتهوا عما أنتم فيه ، فهو ظلم ، وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فنسب اليه مالم يصدر عنه ، ولا سند له من علم يعتمـد عليه ؛ وانما يريد بذلك اضلال الناس ! ان الله لايوفق الظالمين اذا اختاروا طريق الباطل ٠

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ
وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم
بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ
ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ
شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا
فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

١٤٥ ــ قل ، أيها النبى . لا أجد الآن فى مصدر التحليل والتحريم الذى أوحى به الىطعاما محرما على آكل يأكله ، الا أن يكون هذا الشىء ميتة لم تذك ذكاة شرعية ، أو دما سائلا ، أو لحم خنزير ، فان ذلك المذكور ضار خبيث لايجوز أكله والا أن يكون هذا الشيء المحرم فيه خروج من العقيدة الصحيحة ، بأن ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، كصنم أو معبود آخر ! على أن من دعته الضرورة الى أكل شيء من هذه المحرمات ، غير طالب اللذة بالأكل ،وغير متجاوز قدر الضرورة ، فلاحرج عليه لأن ربك غفور رحيم » .

١٤٦ ــ فهذا ما حرمناه عليكم . ولقد حرمنا على اليهود أكل اللحم والشحم وغيرهما من كل ماله ظفر من الحيوانات كالابل والسباع ، وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما فقط ، الا الشحوم التى حملتها ظهورهما ، أو التى توجد على الأمعاء ، أو التى اختلطت بعظم . وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم ، وفطم لنفوسهم من اندفاعها فى الشهوات ، وانا لصادقون فى جميع أخبارنا التى منها هذا الخبر .

١٤٧ ــ فان كذبك المكذبون فيما أوحيت بك اليك ، فقل لهم محذرا :ان ربكم الذى يجب أن تؤمنوا به وحده وتلتزموا أحكامه ذو رحمة واسعة لمنأطاعه ولمن عصاه أيضا ، حيث لم يعجل بعقوبتهم ، ولكن لاينبغى أن يغتروا بسعة رحمته ، فان عذابه لابد واقع بالمجرمين .

١٤٨ ــ سيقول المشركون اعتذارا عن شركهم ، وتحريم ما أحل الله من المطاعم . وتكذيبا لما ابلغتهم من مقت الله لما هم عليه : ان الاشراك منا وتحريم الحلال كانا بمشيئة الله ورضاه ! ولو شاء عدم ذلك وكره منا ما نحن عليه، ما أشركنا نحن ولا اسلافنا ، ولا حرمنا شيئا مما أحله لنا . وقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، كما كذبك هؤلاء واستمروا فى تكذيبهم حتى نزل بهم عذابنا! قل لهؤلاء المكذبين ، هل عندكم من مستند صحيح على أن الله رضى لكم الشرك والتحليل ، فتظهروه لنا ؟ ما تتبعون فيما تقولون الا الظن الذى لايغنى من الحق شيئا ، وما أنتم الا كاذبون فيما تزعمون !

١٤٩ ــ قل يأيها النبى : لله الحجة الواضحة فى كذبكم وادعائكم أن الله رضى بعملكم ! ولا حجة لكم فيما تزعمون من الشرك والتحليل والتحريم وغيرها ، فلو شاء الله أن يوفقكم الى الهداية لهداكم أجمعين الىطريق الحق ، ولكنه لم يشأ ذلك لاختياركم سبيل الضلال .

---

(١) (انظر التعليق على تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة) .

(وفى هذه الآية الكريمة نص على علة تحريم أكل لحم الخنزير بانه رجس والرجس هو النجس وقد جاء فى القاموس المحيط ان الرجس هو القذر والمأثم وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدى الي العذاب .

فالرجس اذن كلمة جامعة لمعانى القبح والقذر والعذر وهي تلصق بالخنزير حتى عند الشعوب التى تأكله والخنزير حيوان قارت او رمام اى أنه يأكل ما يجده من القمامة والنفايات وفضول الانسان والحيوان ، وهذا هو السبب الرئيسى فى قيامه بدوره فى انتقال بعض الامراض الوبيلة للانسان على نحو ما هو مفصل فى التعليق السابق المشار اليه .



وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

* قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

١٥٠ ـ قل لهم يأيها النبى: هاتوا أنصاركم الذين يشهدون لكم أن الله حرم هذا الذى زعمتم أنه حرام ، فان حضروا ، وشهدوا ، فلا تصدقهم لأنهم كاذبون . ولا تتبع أهواء هؤلاء الذين كذبوا بالأدلة الكونية والقرآن المتلو : الذين لايؤمنون بالآخرة وهم مشركون بالله ، يساوون به غيره من المعبودات الباطلة .

***

١٥١ ـ قل لهم يأيها النبى : تعالوا أبين لكم المحرمات التى ينبغى ان تهتموا بها وتبتعدوا عنها : لاتجعلوا لله شريكا ما ، بأى نوع كان من أنواع الشرك ولا تسيئوا الى الوالدين ، بل أحسنوا اليهما احسانا بالغا ، ولا تقتلوا أولادكم بسبب فقر نزل بكم ، أو تخشون نزوله فى المستقبل ، فلستم أنتم الرازقين، بل نحن الذين نرزقكم ونرزقهم ولا تقربوا الزنا فهو من الأمور المتناهية فى القبح ؛ سواء منها ما ظهر للناس حين اتيانه ، وما لم يطلع أحد عليه الا الله، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها لعدم موجبه ، الا اذا كان القتل بحق تنفيذا لحكم القضاء، أمركم الله أمرا مؤكدا باجتناب هذه المنهيات التى تقضى بديهة العقل بالبعد عنها ، لتعقلوا ذلك .

***

١٥٢ ـ ولا تتصرفوا فى مال اليتيم الا بأحسن تصرف يحفظه وينميه، واستمروا على ذلك حتى يصل اليتيم الى حالة من الرشد يستطيع معها ان يستقل بالتصرف السليم ، وحينئذ ادفعوا اليه ماله . ولا تمسوا الكيل والميزان بالنقص اذا أعطيتم ، أو بالزيادة اذا أخذتم ، بل أوفوهما بالعدل ما وسعكم ذلك ، فالله لايكلف نفسا الا ما تستطيعه دون حرج . واذا قلتم قولا فى حكم أو شهادة أو خبر أو نحو ذلك ، فلا تميلوا عن العدل والصدق، بل تحروا ذلك دون مراعاة لصلة من صلات الجنس أو اللون أو القرابة أو المصاهرة ولا تنقضوا عهد الله الذى أخذه عليكم بالتكاليف ، ولا العهود التى تاخذونها بينكم ، فيما يتعلق بالمصالح المشروعة ، بل أوفوا بهذه العهود .أمركم الله أمرا مؤكدا باجتناب هذه المنهيات ، لتتذكروا أن التشريع لمصلحتكم .

***

١٥٣ ـ ولاتحيدوا عن النهج الذى رسمته لكم ، لأنه هو الطريق المستقيم الموصل الى سعادة الدارين ، بل اتبعوه ، ولا تتبعوا الطرق الباطلة التى نهاكم

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ
طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى
ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ
أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى
بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

الله عنها حتى لا تتفرقوا شيعا وأحزابا ، وتبعدوا عن صراط الله السوى . أمركم الله أمرا مؤكدا بذلك لتتجنبوا مخالفته .

***

١٥٤ ـ وقد أنزلنا التوراة على موسى اتماما للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين ، وأنزلناها تفصيلا لكل شيء من التعاليم المناسبة لهم ، وهدى الى الطريق السوى ، ورحمة لهم باتباعه وذلك ليؤمن بنو اسرائيل بلقاء ربهم يوم القيامة ومحاسبتهم على هذه التكاليف .

***

١٥٥ ـ وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك ، مشتمل على الخير الالهى والمنافع الدينية والدنيوية ، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم .

***

١٥٦ ـ أنزلناه حتى لاتعتذروا عن عصيانكم وتقولوا : ان الوحى لم ينزل الا على طائفتين من قبلنا ، هم أهل التوراة وأهل الانجيل ، ولا علم لنا مطلقا بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من أرشاد .

***

١٥٧ ـ وأنزلناه حتى لاتقولوا أيضا : لو أنا أنزل علينا الوحى الذى نزل عليهم ، لكنا اكثر منهم هداية وأحسن حالا ، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا لاحجة لكم بعد اليوم على عصيانكم ، ولا محل لقولكم هذا ، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد ، ومبينا لكم جميع ما تحتاجون اليه فى دينكم ودنياكم ، وهاديا الى الطريق السوى ، ورحمة لكم باتباعه . ولا يكون أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التى أنزلها فى كتبه ، وآياته التى خلقها فى الكون ، وأعرض عنها فلم يؤمن ولم يعمل بها ! وسنعاقب الذين يعرضون عن آياتنا ، ولا يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته فى الايلام ، بسبب اعراضهم وعدم تدبرهم .

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

١٥٨ ـ لقد قامت الحجة على وجوب الايمان ، ولم يؤمن هؤلاء ، فماذا ينتظرون لكى يؤمنوا ؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلا بدل البشر ، أو شاهدين على صدقك ؟ أو أن يأتيهم ربك ليروه ، أو يشهد بصدقك ؟ او أن تأتيهم بعض علامات ربك لتشهد على صدقك ؟!! وعندما تأتى علامات ربك مما يلجئهم الى الايمان لاينفعهم ايمانهم ، لأنه ايمان اضطرار ، ولا ينفع العاصى أن يتوب ويطيع الآن ، فقد انتهت مرحلة التكليف!! قل لهؤلاء المعرضين المكذبين انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة ، واستمروا على تكذيبكم ، أنا منتظرون حكم الله فيكم ٠

١٥٩ ـ ان الذين فرقوا الدين الحق الواحد بالعقائد الزائفة والتشريعات الباطلة ، وصاروا بسبب ذلك أحزابا ، تحسبهم جميعا وقلوبهم مختلفة ، لست مؤاخذا بتفرقهم وعصيانهم ولا تملك هدايتهم ، فما عليك الا البلاغ ، والله وحده هو الذى يملك أمرهم بالهداية والجزاء ، ثم يخبرهم يوم القيامه بما كانوا يفعلونه فى الدنيا ويجازيهم عليه ٠

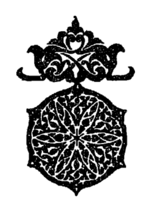
١٦٠ ـ من عمل صالحا يضاعف له ثوابه الى عشرة أمثاله فضلا وكرما، ومن عمل عملا سيئا لايعاقب الا بمقدار عصيانه ، عدلا منه تعالى ، وليس هناك ظلم بنقص ثواب أو زيادة عقاب ٠

١٦١ ـ قل يأيها النبى مبينا ما أنت عليه من الدين الحق : ان ربى أرشدنى ووفقنى الى طريق مستقيم ، بلغ نهاية الكمال فى الاستقامة ، وكان هو الدين الذى اتبعه ابراهيم مائلا به عن العقائد الباطلة ، وما كان ابراهيم يعبد مع الله الها آخر كما يزعم المشركون ٠

١٦٢ ـ قل : ان صلاتى وجميع عباداتى ، وما آتيه فى حال حياتى من الطاعة ، وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح ، كله خالص لوجه الله الذى خلق جميع الموجودات ، فاستحق أن يعبد وحده وأن يطاع وحده ٠

١٦٣ ـ لا شريك له فى الخلق ، ولا فى استحقاق العبادة ، وقد أمرنى ربى بذلك الاخلاص فى التوحيد والعمل ، وأنا أول المذعنين الممتثلين ، وأكملهم اذعانا وتسليما ٠

١٦٤ ـ قل يامحمد ، منكرا على المشركين دعوتهم اياك لموافقتهم فى شركهم : أأطلب بالعبادة ربا غير الله ، مع انه خالق كل شىء ؟ وقل لهم ، منكرا



وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾



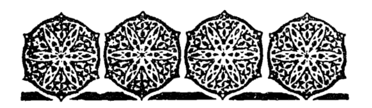
عليهم انهم لا يحملون عنك خطاياك اذا وافقتهم : لا تعمل أى نفس عملا الاوقع جزاؤه عليها وحدها ، ولا تؤاخذ نفس بحمل ذنب نفس أخرى ، ثم تبعثون بعد الموت الى ربكم . فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا من العقائد ، ويجازيكم عليه ، فكيف أعصى الله اعتمادا على وعودكم الكاذبة ؟

***

١٦٥ ــ وهو الذى جعلكم خلفاء للامم السابقة فى عمارة الكون ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الكمال المادى والمعنوى لأخذكم فى أسبابه ؛ ليختبركم فيما أعطاكم من النعم كيف تشكرونها ، وفيما آتاكم من الشرائع كيف تعملون بها . ان ربك سريع العقاب للمخالفين ؛ لأن عقابه آت لا ريب فيه وكل آت قريب ؛ وانه لعظيم المغفرة لمخالفات التائبين المحسنين ،واسع الرحمة بهم .



(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)



تفسير سورتى
الأعراف والأنفال



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .. استجابة لرغبة الآلاف العديدة من قراء مجلة منبر الاسلام فى جميع انحاء العالم الاسلامى .. قرر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية متابعة اهداء السادة قراء المجلة تفسير القرآن الكريم على أن يكتمل لدى القارىء فى شهر رمضان المقبل باذن الله التفسير الكامل لكتاب الله العزيز ، وهو التفسير الذى توافر على تأليفه السادة أعضاء لجنة القرآن والسنة بأسلوب عصرى مبسط متكامل وقام بالتعليق العلمى على آياته الكريمة وبيان ماتضمنته من أسرار الحياة التى تكشفت فى العصر الحديث السادة أعضاء لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خير أمتنا الاسلامية فهو نعم المولى ونعم النصير .



(٧) سورة الأعراف مكية وآياتها ست ومائتان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

هذه السورة مكية الا ثمانى آيات من رقم ١٦٣ الى رقم ١٧٠ ، وعدد آياتها ٢٠٦

وأول هذه السورة فيه امتداد لآخر سورة الأنعام ، وقد اشتملت من بعد ذلك على بدء الخليقة الانسانية ، فذكرت قصة خلق آدم وحواء ، وخروجهما من الجنة بوسوسة الشيطان ، وبيان شيء من الوسوسة المستمرة للانسان فى اللباس والطعام . ثم تعرضت آيات هذه السورة الكريمة ، كغيرها من سور القرآن ، الى النظر فى السموات والأرض وما فيهما من نظام بديع

كما تعرضت بعد ذلك لقصص النبيين : نوح وهود مع قومه عاد ، ثم لقصة صالح مع قومه ثمود الذين كانوا يتسمون بالقوة واعطوا الثروة ، ولقصة لوط مع قومه ، وذكر ماكانوا يجرءون عليه من منكرات ، ولقصة شعيب مع أهل مدين وتضمنت بعد ذلك القصص الصادق بما فيه من عبر وعظات . وقد سماق ، سبحانه وتعالى ، بعد ذلك قصة موسى ، وما كان من أمر فرعون .

وختمت السورة بتصوير من يعطى الهداية ثم ينسلخ منها بتضليل الشيطان ، وما يكون منه ، ثم ببيان الدعوة الى الحق التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم .

***

١ ـ المص ، هذه الحروف الصوتية تذكر فى أوائل بعض السور المكية ، لتنبيه المشركين الى ان القرآن الكريم مكون من الحروف التى ينطقون بها، ومع ذلك يعجزون عن الاتيان بمثله ، كما أن فى هذه الحروف اذا تليت حملا لهم على السماع اذا تواصوا بألا يسمعوا القرآن .

٢ ـ أنزل اليك القرآن لتنذر به المكذبين ليؤمنوا ، وتذكر به المؤمنين ليزدادوا ايمانا ، فلا يكن فى صدرك ضيق عند تبليغه خوفا من التكذيب .

٣ ـ اتبعوا ما أوحاه اليكم ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء تستجيبون لهم وتستعينون بهم ! انكم قلما تتعظون حين تتركون دين الله وتتبعون غيره مع ان العبر فى ذلك كثيرة .

٤ ـ فقد أهلكنا قرى عدة ، بسبب عبادة أهلها غير الله وسلوكهم غير طريقه ، بأن جاءهم عذابنا فى وقت غفلتهم واطمئنانهم ليلا وهم نائمون ، كما حدث لقوم لوط ، أو نهارا وهم مستريحون وقت القيلولة كقوم شعيب .

إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾
فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ
ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم
بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ
خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ
مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ

٥ ـ فاعترفوا بذنبهم الذى كان سبب نكبتهم ، فما كان منهـم عندما رأوا عذابنا الا أن قالوا ـ حيث لاينفعهم ذلك ـ انا كنا ظالمين لأنفسنا بالمعصية ولم يظلمنا الله بعذابه .

***

٦ ـ وسيكون حساب الله يوم القيامة دقيقا عادلا ، فلنسألن النـاس الذين أرسلت اليهم الرسل : هل بلغتهم الرسالة ؟ وبماذا اجابوا المرسلين ؟ ولنسألن الرسل أيضا : هل بلغتم ماأنزل اليـكم من ربكم ؟ وبماذا أجابكم أقوامكم ؟

***

٧ ـ ولنخبرن الجميع اخبارا صادقا بجميع ما كان منهم ؛ لأننا أحصينا عليهم كل شيء ، فما كنا غائبين عنهم ، ولا جاهلين لما كانوا يعملون

***

٨ ـ ويوم نسألهم ونخبرهم ، سيكون تقدير الأعمال للجـزاء عليهـا تقديرا عادلا ، فالذين كثرت حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين نصونهم عن النار ويدخلون الجنة .

***

٩ ـ والذين كثرت سيئاتهم ورجحت على حسناتهم هم الخاسرون ، لأنهم باعوا أنفسهم للشيطان ، فتركوا التدبر فى آياتنا كفرا وعنادا .

***

١٠ ـ ولقد مكناكم فى الأرض فمنحناكم القوة لاستغلالها ، والانتفـاع بها ، وهيأنا لكم وسائل العيش ، فكان شكركم لله على هذه النعم قليلا جدا ، وستلقون جزاء ذلك !

***

١١ ـ وفى أخبار الأولين عبر ومواعيظ ، يتضح فيها أن الشيطان يحاول أن يزيل عنكم النعم بنسيانكم أوامر الله ، فقد خلقنا أباكم ، آدم ، ثم صورناه، ثم قلنا للملائكة : عظموه فعظموه طاعة لأمر ربهم ، الا ابليس فانه لم يمتثل.

***

١٢ ـ قال الله منكرا عليه عصيانه : ما منعك عن تعظيم آدم وقدأمرتك به ؟ أجاب ابليس فى عناد وكبر : أنا خير من آدم لأنك خلقتنى من نار وخلقته منطين ، والنار أشرف من الطين .

مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ
لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾
وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾
فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن
تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ
إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا

١٣ ـ فجزاه الله على عناده وكبره بطرده من دار كرامته ، وقال له :اهبط منها ، بعد ان كنت فى منزلة عالية ، فما ينبغى لك ان تتكبر وتعصى فيها !اخرج منها محكوما عليك بالصغار والهوان !

***

١٤ ـ قال ابليس لله : أمهلنى ولا تمتنى الى يوم القيامة ·

***

١٥ ـ فأجابه الله بقوله : انك من المهلين المؤخرين ·

***

١٦ ـ ولحقده على آدم وحسده له قال : بسبب حكمك على بالغواية والضلال ، اقسم لأضلن بنى آدم وأصرفنهم عن طريقك المستقيم ، متخذا فى ذلك كل وسيلة ممكنة ·

***

١٧ ـ وأقسم لآتينهم من أمامهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن كل جهة استطيعها ، ملتمسا كل غفلة منهم أو ضعف فيهم ، لأصل الى اغرائهم ، حتى لا يكون أكثرهم مؤمنين بك ، لعدم شكرهم لنعمتك ·

***

١٨ ـ فزاده الله نكاية وقال له : أخرج من دار كرامتى مذموما بكبرك وعصيانك ، وهالكا فى نهايتك ، وأقسم أن من اتبعك من بنى آدم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين ·

***

١٩ ـ ويا آدم اسكن انت وزوجك دار كرامتى ، وهى الجنة ، وتنعما بما فيها ، فكلا من أى طعام أردتما ، الا هذه الشجرة ، فلا تقرباها حتى لاتكونا من الظالمين لأنفسهم بالعقاب المترتب على المخالفة ·

***

٢٠ ـ فزين لهما الشيطان مخالفة أمر الله ، ليزيل عنهما الملابس ، فتنكشف عوراتهما ، وقال لهما : مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة ان تكونا ملكين ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لاينقطع نعيمهم فى هذه الدار !

***

٢١ ـ واقسم لهما انه من الناصحين لهما ، وكرر قسمه ·



ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

٢٢ ـ فساقهما الى الأكل من الشجرة بهذه الخدعة ، فلما ذاقا طعمهما وانكشف لهما عوراتهما ، جعلا يجمعان بعض أوراق الشجر ليسترا بهما عوراتهما وعاتبهما ربهما ، ونبههما الى خطئهما قائلا : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأخبركما أن الشيطان لكما عدو مبين لا يريد لكما الخير ؟

***

٢٣ ـ قال آدم وزوجته نادمين متضرعين : ياربنا ظلمنا انفسنا بمخالفة أمرك التى استوجبت زوال النعيم ، وان لم تغفر لنا مخالفتنا وترحمنا بفضلك لنكونن من الخاسرين ٠

***

٢٤ ـ قال الله لهما وللشيطان : اهبطوا جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض استقرار وتمتع الى حين انقضاء آجالكم ٠

***

٢٥ ـ فى الأرض تولدون وتعيشون ، وفيها تموتون وتدفنون ، ومنها عند البعث تخرجون ٠

***

٢٦ ـ يابنى آدم : قد انعمنا عليكم ، فخلقنا لكم ملابس تستر عوراتكم، ومواد تتزينون بها ، ولكن الطاعة خير لباس يقيكم العذاب ٠ تلك النعم من الآيات الدالة على قدرة الله وعلى رحمته ، ليتذكر الناس بها عظمته واستحقاقه وحده الألوهية ٠ وتلك القصة من سنن الله الكونية التى تبين جزاء مخالفة أمر الله ، فيتذكر بها الناس ويحرصون على طاعة الله وعلى شكر نعمه ٠

***

٢٧ ـ يا بنى آدم : لاتستجيبوا للشيطان واضلاله ، فتخرجوا من هذه النعم التى لاتدوم الا بالشكر والطاعة ، كما استجاب أبواكم آدم وزوجه ، فأخرجهما الشيطان من النعيم والكرامة ، ونزع عنهما لباسهما وأظهر لهما عوراتهما ٠ انه يأتيكم هو وأعوانه من حيث لاتشعرون بهم ، ولا تحسون

أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟
وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ
رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ
وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾



۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ
مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

بأساليبهم ومكرهم ! وليس للشيطان سلطان على المؤمنين ، انا جعلناه وأعوانه أولياء للذين لايؤمنون ايمانا صادقا يستلزم الطاعة التامة .

٢٨ — واذا فعل المكذبون أمرا بالغ النكر ، كالشرك ، والطواف بالبيت عراة ، وغيرهما ، اعتذروا وقالوا : وجدنا آباءنا يسيرون على هذا المنهاج ونحن بهم مقتدون ، والله أمرنا به ورضى عنه حيث أقرنا عليه ! قل لهم يأيها النبى منكرا عليهم افتراءهم : ان الله لا يأمر بهذه الأمور المنكرة ! تنسبون الى الله مالا تجدون له مستندا ولا تعلمون عنه دليل صحة النسب اليه سبحانه .

٢٩ — بين لهم ما أمر به الله وقل : أمر ربى بالعدل وما لافحش فيه ، وأمركم أن تخصوه بالعبادة فى كل زمان وكل مكان ، وأن تكونوا مخلصين له فيها ، وكلكم بعد الموت راجعون اليه ، وكمابدأ خلقكم بيسر وكنتم لاتمنكون اذ ذاك شيئا ، ستعودون اليه بيسر تاركين ما حولكم من النعم وراء ظهوركم .

٣٠ — وسيكون الناس يوم القيامة فريقين : فريقا وفقه الله لأنه اختار طريق الحق فآمن وعمل عملا صالحا . وفريقا حكم عليه بالضلالة لأنه اختار طريق الباطل وهو الكفر والعصيان ! وهؤلاء الضالون قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فاتبعوهم ، وهم يظنون أنهم موفقون لاغترارهم بخداع الشياطين !

٣١ — يابنى آدم : خذوا زينتكم من اللباس المادى الذى يستر العورة ، ومن اللباس الأدبى وهو التقوى ، عند كل مكان للصلاة ، وفى كل وقت تؤدون فيه العبادة ، وتمتعوا بالأكل والشرب . غير مسرفين فى ذلك ، فلا تتناولوا المحرم ، ولا تتجاوزوا الحد المعقول من المتعة ، ان الله لايرضى عن المسرفين(١)

---

(١) : يحث الاسلام على وجوب المحافظة على حسن المظهر وما يتبعه من النظافة لاسيما فى كل اجتماع وهذا ما تقرره أساليب الصحة الوقائية .

وأما عدم الاسراف فقد قرر العلم ان الجسم لا يستفيد بكل ما يلقى فيه من الطعام وانما ياخذ مجرد كفايته منه ثم يبذل بعد ذلك مجهودا كبيرا للتخلص مما زاد منه عن حاجته وبجانب هذا تصاب المعدة وسائر الجهاز الهضمى بارهاق شديد ويسلم المرء الى أمراض معينة خاصة بذلك الجهاز ومن الاسراف كذلك تناول مادة معينة من مواد الطعام بنسبة كبيرة تطغى على النسب اللازمة من المواد الأخرى كالاسراف فى تناول الدهنيات بحيث تطغى علي مقدار ما يحتاجه الجسم من زلاليات وهكذا ، والآية الكريمة تحثنا بجانب هذا على الأكل من الطيبات لتصح ابداننا ولتقوى على العمل وكذلك فان الاسراف فى الأكل يؤدى الى البدانة الامر الذى يرهق الجسم وقد يؤدى ذلك الى ارتفاع ضغط الدم والسكر والذبحة الصدرية »

يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟
عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟

٣٢ ـ قل لهم يامحمد ، منكرا عليهم افتراء التحليل والتحريم على الله: من الذى حرم زينة الله التى خلقها لعباده ؟ ومن الذى حرم الحلال الطيب من الرزق ؟ قل لهم : هذه الطيبات نعمة من الله ، ماكان ينبغى ان يتمتع بها الا الذين آمنوا فى الدنيا ، لأنهم يؤدون حقها بالشكر والطاعة ، ولكن رحمة الله الواسعة شملت الكافرين والمخالفين فى الدنيا ، وستكون هذه النعم خالصة يوم القيامة للمؤمنين ، لا يشاركهم فيها غيرهم ، ونحن نفصل الآيات الدالة على الأحكام على هذا المنوال الواضح ، لقوم يدركون أن الله وحده مالك الملك بيده التحليل والتحريم ٠

***

٣٣ ـ قل يامحمد : انما حرم ربى الامور المتزايدة فى القبح كالزنى ،سواء منها ما يرتكب سرا وما يرتكب علانية ، والمعصية أيا كان نوعها ، والظلم الذى ليس له وجه من الحق،وحرم أن تشركوا به دون حجة صحيحة أو دليل قاطع وأن تفتروا عليه سبحانه بالكذب فى التحليل والتحريم وغيرهما ٠

***

٣٤ ـ ولكل أمة نهاية معلومة ، لايمكن لأية قوة ان تقدم هذه النهاية أو تؤخرها أية مدة مهما قلت ٠

***

٣٥ ـ يابنى آدم : ان جاءتكم رسل من جنسكم الآدمى ليبلغوكم آياتى الموحى بها كنتم فريقين : فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات مخلصين ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى دنياهم أو أخراهم ٠

***

٣٦ ـ والذين يكذبون بالآيات ويستكبرون عن اتباعها والاهتداء بها ، فأولئك أهل النار هم فيها معذبون ، خالدون أبدا فى العذاب

***

٣٧ ـ فليس هناك أظلم من الذين يفترون الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد اليه ، وادعاء التحليل والتحريم وغيرهما من غير حجة أو يكذبون بآيات الله الموحى بها فى كتبه والموجودة فى كونه ، أولئك ينالون فى الدنيا

كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم
مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ
ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ
فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ
تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا
لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ

نصيبا مما كتب الله لهم من الرزق أو الحياة أو العذاب ، حتى اذا جاءتهم ملائكة الموت ليقبضوا أرواحهم ، قالوا لهم موبخين : أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله لتدرأ عنكم الموت ؟ فيجيبون : تبرأوا منا ، وتركونا وغابوا عنا ، وشهدوا على انفسهم مقرين بأنهم كانوا كافرين ٠

***

٣٨ ـ يقول الله يوم القيامة لهؤلاء الكافرين : ادخلوا النار فى ضمن أمم من كفار الانس والجن ، قد مضت من قبلكم ، كلما دخلت أمة النار لعنت الأمة التى كفرت مثلها والتى اتخذتها قدوة ، حتى اذا تتابعوا فيها مجتمعين قال التابعون يذمون المتبوعين : ربنا هؤلاء اضلونا بتقليدنا لهم ، بحكم تقدمهم علينا أو بحكم سلطانهم فينا ، فصرفونا عن طريق الحق ، فعاقبهم عقابا مضاعفا يحملون فيه جزاء عصيانهم وعصياننا ؟ فيرد الله عليهم : لكل منكم عذاب مضاعف لا ينجو منه احد من الفريقين : يضاعف عقاب التابعين لكفرهم وضلالهم ، ولاقتدائهم بغيرهم دون تدبر وتفكر ، ويضاعف عقاب المتبوعين لكفرهم وضلالهم وتكفيرهم غيرهم واضلالهم ، ولكن لاتعلمون مدى ما لكل منكم من العذاب

***

٣٩ ـ وهنا يقول المتبوعون للتابعين : انكم بانقيادكم لنا فى الكفر والعصيان لاتفضلون علينا بما يخفف عنكم من العذاب ! فيقول الله لهم جميعا :ذوقوا العذاب الذى استوجبتموه بما كنتم تقترفون من كفر وعصيان ٠

***

٤٠ ـ ان الذين كذبوا بآياتنا المنزلة فى الكتب ، الموجودة فى الكون : واستكبروا عن الاهتداء بها ، ولم يتوبوا ، ميئوس من قبول أعمالهم ورحمة الله بهم ، ومن دخولهم الجنة ، كما ان دخول الجمل فى ثقب الابرة ميئوس منه ، وعلى هذا النحو من العقاب نعاقب المكذبين المستكبرين من كل أمة ٠

***

٤١ ـ لهم فى جهنم فراش من نار وأغطية من نار ، وعلى هذا النحو نعاقب الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال ٠

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ



٤٢ ــ والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة التى لم نكلفهم الا ما يطيقونه منها ، أولئك هم أهل الجنة يتنعمون فيها ، خالدين فيها أبدا .

***

٤٣ ــ وأخرجنا ما فى قلوبهم مما كان فيها من غل ، فهم فى الجنة اخوان متحابون ، تجرى من تحتهم الأنهار بمائها العذب ، ويقولون سرورا بما نالوا من النعيم : الحمد لله الذى دلنا على طريق هذا النعيم ، ووفقنا الى سلوكه ، ولولا أن هدانا الله اليه بارسال الرسل وتوفيقه لنا ، ماكان فى استطاعتنا أن نوفق الى الهداية . لقد جاءت رسل ربنا بالوحى الحق ، وهنا يقول الله لهم : ان هذه الجنة هبة من الله ، أعطيتموها فضلا منى دون عوض منكم كالميراث ، وهذا التكريم بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا .

***

٤٤ ــ ونادى أهل الجنة أهل النار قائلين : قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا ؟ فأجابوهم : نعم فنادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار : الحرمان أو الطرد من رحمة الله جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال .

***

٤٥ ــ هؤلاء الظالمون هم الذين يمنعون الناس عن السير فى طريق الله الحق ، وهو الايمان والعمل الصالح ، ويضعون العراقيل والشكوك حتى يبدو الطريق معوجا للناس فلا يتبعوه ، وهؤلاء كافرون بالدار الآخرة لا يخشون عقاب الله .

***

٤٦ ــ وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يسبق الى احتلال أعرافه ــ وهى أماكنه الرفيعة العالية ــ رجال من خيار المؤمنين وأفاضلهم ، يشرفون منها على جميع الخلائق ، ويعرفون كلا من السعداء والأشقياء بعلامات تدل عليهم من أثر الطاعة والعصيان ، فينادون السعداء قبل دخولهم الجنة وهم يرجون دخولها ، فيبشرونهم بالأمان والاطمئنان ودخول الجنة .

أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ
قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ
لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ
فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن

٤٧ ـ واذا تحولت أبصار المؤمنين الى جهة اصحاب النار بعد هذا النداء، قالوا من هول مارأوا من نيران : ربنا لا تدخلنا مع هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم والحق والناس ٠

***

٤٨ ـ ونادى أهل الدرجات العالية فى الجنة ، من الأنبياء والصديقين، من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار ، قائلين لهم لائمين : ما افادكم جمعكم الكثير العدد ولا استكباركم على أهل الحق بسبب عصبيتكم وغناكم، وها أنتم أولاء ترون حالهم وحالكم !

***

٤٩ ـ هؤلاء الضعفاء الذين استكبرتم عليهم ، واقسمتم انه لا يمكن ان ينزل الله عليهم رحمة ، كأنكم تمسكون رحمته ، قد دخلوا الجنة ! ٠ وقال لهم ربهم : ادخلوها آمنين ، فلا خوف عليكم من أمر يستقبلكم ، ولا انتم تحزنون على أمر فاتكم ٠

***

٥٠ ـ وان أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة قائلين : اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا ، أو اعطونا شيئا مما اعطاكم الله تعالى من طيبات المآكل والملبس وسائر متع أهل الجنة ٠ فيجيبهم أهل الجنة : اننا لانستطيع ، لأن الله منع ذلك كله عن القوم الجاحدين ، الذين كفروا به وبنعمه فى الدنيا ٠

***

٥١ ـ هؤلاء الجاحدون الذين لم يسعوا فى طلب الدين الحق ، بل كان دينهم اتباع الهوى والشهوات ! فكان لهوا يتلهون به وعبثا يعبثونه وخدعتهم الحياة الدنيا بزخرفها فظنوها وحدها الحياة ، ونسوا لقاءنا فيوم القيامة ننساهم ، فلا يتمتعون بالجنة ، ويذوقون النار ، بسبب نسيانهم يوم القيامة وجحودهم بالآيات البينات الواضحات المثبتات للحق ٠

***

٥٢ ـ ولقد آتيناهم بيانا للحق كتابا بيناه وفصلناه ، مشتملا على علم كثير ، فيه أدلة التوحيد وآيات الله فى الكون ، وفيه شرعه ، وفيه بيان الطريق المستقيم والهداية اليه ، وفيه مالو اتبعه الناس لكان رحمة بهم ، ولا ينتفع به الا القوى الذين من شأنهم الأذعان للحق والايمان به ٠

قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن
شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ
حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ
أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

٥٣ ـ انهم لايؤمنون به، ولاينتظرون الا المآل الذى بينه الله لمن يكفر به ! ويوم يأتى هذا المآل ، وهو يوم القيامة ، يقول الذين تركوا أوامره وبيناته وغفلوا عن وجوب الايمان به ، معترفين بذنوبهم : قد جاءت الرسل من عند خالقنا ومربينا ، داعين الى الحق الذى أرسلوا به ، فكفرنا به ! ويسألون هل لهم شفعاء يشفعون لهم ؟ فلا يجدون أو هل يردون الى الدنيا ليعملوا صالحا ؟ فلا يجابون ! قد خسروا عمل انفسهم بغرورهم فى الدنيا ، وغاب عنهم ماكانوا يكذبونه من ادعاء اله غير الله

***

٥٤ ـ ان ربكم الذى يدعوكم رسله الى الحق والى الايمان باليوم الآخر والجزاء فيه ، هو خالق الكون ومبدعه ، خلق السموات والأرض فى ست أحوال تشبه ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استولى على السلطان الكامل فيها ، وهو الذى يجعل الليل يستر النهار بظلامه ، ويعقب الليل النهار سريعا بانتظام وتعاقب مستمر ، كأنه يطلبه . وخلق الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم ، وهى خاضعة لله تعالى مسيرات بأمره ، وانه له وحده الخلق والأمر المطاع فيها ، تعالت بركات منشىء الكون ومافيه ومن فيه .

***

٥٥ ـ اذا كان الله ربكم قد أنشأ الكون وحده ، فادعوه بالعبادة وغيرها ، معلنين الدعاء متذللين خاضعين ، جاهرين أو غير جاهرين ، ولا تعتدوا باشراك غيره أو بظلم أحد ، فان الله تعالى لا يحب المعتدين .

***

٥٦ ـ ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة باشاعة المعاصى والظلم والاعتداء وادعوه سبحانه خائفين من عقابه ، طامعين فى ثوابه ، وان رحمته قريبة من كل محسن ، وهى محققة .

***

٥٧ ـ والله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يطلق الرياح مبشرة برحمته ، فى الأمطار التى تنبت الزرع وتسقى الغرس ، فتحمل هذه الرياح سحابا (١)

---

(١) تقرر هذه الآية «حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول القرآن الكريم وهى ان الرياح تحمل ثمار الماء وعند ارسالها أى اطلاقها تتجمع فى صعيد واحد فتكون السحب وتثيرها وهى السحب الثقيلة التى ينهمر منها الماء » .

ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ
قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ

محملا بالماء ، نسوقه لبلد لا نبات فيه ، فيكون بعدها كالميت فقد الحياة ، فينزل الماء ، فينبت الله به أنواعا من كل الثمرات ، وبمثل ذلك الاحياء للأرض بالانبات نخرج الموتى فنجعلهم أحياء ، لعلكم تتذكرون بهذا قدرة الله وتؤمنون بالبعث

***

٥٨ ـ والأرض الطيبة الجيدة التربة يخرج نباتها ناميا حيا باذن ربه ، والأرض الخبيثة لا تخرج الا نباتا قليلا عديم الفائدة يكون سبب نكد لصاحبها

***

٥٩ ـ لقد عـــاند المشركون ، وكذبوا بالحق اذ جاءهم مؤيــدا بالحجج القاطعة ، وذلك شأن الكافرين مع أنبيائهم فى المــاضى · لقد أرسلنا نوحا الى قومه الذين بعث فيهم ، وقال لهم مذكرا لهم بأنه منهم : يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده ، فليس لكم أى الــه غيره ، وانه سيكون البعث والحســـاب فى يوم القيامة ، وهو يوم عظيم ، أخاف عليكم فيه عذابه الشديد

***

٦٠ ـ قال أهل الصــــدارة والزعامة منهم ، مجيبين تلك الدعـــوة الى الوحدانية واليوم الآخر : انا لنراك فى بعد بين عن الحق ·

***

٦١ ـ قال نوح لهم نافيا ما رمـــوه به : ليس بى ضلالة كما تزعمون ، ولكنى رسول من خالق العالمين ومنشئهم ، فلا يمكن أن يكون بعيدا عن الحق

***

٦٢ ـ وانى فى هذه الدعوة الحق الى الوحدانية والايمان باليوم الآخر ، أبلغكم ما أرسلنى الله به من الاحكام الالهية التى يصلح بها الانسان ، وانى أمحضكم النصح وأخلصه لكم ، وقد علمنى الله تعالى مالا تعلمون ·

***

٦٣ ـ أترموننى بالضلالة والبعد عن الحق ؟! وتعجبون أن يجىء اليكم تذكير من الله خالقكم ، على لسان رجل جاء اليكم لينذركم بالعقاب ان كذبتم، وليدعوكم الى الهداية واصلاح القلوب ، وتجنب غضب الله تعالى ، رجاء أن تكونوا فى رحمة الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، فلا يصح أن تعجبوا وتكذبوا مع قيام البينات المثبتة للرسالة ·





كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ

٦٤ ــ ولكنهم مع تلك البينات لم يؤمن أكثرهم ، فكذبوه ؛ فأنزلنا عليهم عذابا بالاغراق فى الماء ، وأنجينا الذين آمنوا به بالفلك الذى صنعه بهداية منا ؛ وغرق الذين كذبوا مع قيام الدلائل البينة الواضحة ، فعاندونا وكانوا بذلك غير مبصرين الحق وقد عموا عنه .

٦٥ ــ وكما أرسلنا نوحا الى قومه داعيا الى التوحيد ، أرسلنا الى (١)عاد هودا ، واحد منهم علاقته بهم كعلاقة الأخ بأخيه ؛ فقال لهم : ياقوم أعبدوا الله وحده ، وليس لكم اله غيره ؛ وان ذلك سبيل الاتقاء من الشر والعذاب وهو الطريق المستقيم ، فهلا سلكتموه لتتقوا الشر والفساد !!

٦٦ ــ قال ذوو الزعامة والصدارة فى قومه : انا لنراك فى خفة عقل ؛ حيث دعوتنا هذه الدعوة ، وانا لنعتقد أنك من الكاذبين !

٦٧ ــ قال : ياقوم ليس بى فى هذه الدعوة أى قدر من خفة العقل ، ولست بكاذب ، ولكنى جئت بالهداية ، وأنا رسول الله اليكم ؛ وهو رب العالمين .

٦٨ ــ انى فيما أقول لكم أبلغكم أوامر ربى ونواهيه ؛ وهى رسالاته اليكم ، وانى أمحضكم نصحا واخلاصا لكم ، وأنا أمين فيما أخبركم به ؛ ولست من الكاذبين .

٦٩ ــ ثم قال لهم هود : هل اثار عجبكم ، واستغربتم أن يجىء ، اليكم تذكير بالحق على لسان رجل منكم لينذركم بسوء العقبى ، فيما أنتم عليه ؟ انه لا عجب فى الأمر . ثم أشار الى ما أصاب المكذبين الذين سبقوهم ، والى نعمه عليهم ، فقال : واذكروا اذ جعلكم وارثين للارض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله تعالى لتكذيبهم نوحا ، وزادكم قوة فى الأبدان وقوة فى السلطان ، وتلك نعمة تقتضى الايمان ؛ فاذكروا نعمه لعلكم تفوزون .

٧٠ ــ ولكنهم مع هذه الدعوة بالحسنى قالوا مستغربين : أجئتنا لتدعونا الى عبادة الله وحده ، وترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام ؟ وانا لانفعل ، فأتنا بالعذاب الذى تهددنا به أن كنت من الصادقين !؟

---

(١) عاد هى أقوى بطون الشعوب السامية ، ويشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة ، واما منازلهم فكانت بوادى الاحقاف التى ورد ذكرها فى الكتاب العزيز بسورة الاحقاف آية ٢١ . »

وقد اتفق الثقاة من اعلام المسلمين على أن الاحقاف بأرض اليمن وان آختلفوا فى تحديد مكانها اختلافا طفيفا ، فهى عند ياقوت الحموى واد بين عمان وأرض مهره وعند ابن اسحاق نقلا عن ابن عباس وعند ابن خلدون انها رمل بين عمان وحضر موت وعند قتادة رمل مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن ويجدر بالذكر أن منازل عاد عند بعض الغربيين القدامى تقع فى أعالى الحجاز فى منطقة حسمى وعلى مقربة من منازل ثمود وأيا كان هذا الرأى فلا يستبعد أن يكون قوم عاد قد رحلوا فى وقت ما من الاحقاف الى هذه المنطقة » .



رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم
مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ
نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا
فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ

٧١ ـ انكم لعنادكم قد حق عليكم عذاب الله ينزل بكم ، وغضبه يحل عليكم ! أتجادلون فى أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة ؟! وما هى من الحقائق الا أسماء لا مؤدى لها ، وما جعل الله من حجة تدل على الوهيتها ، فما كان لها من قوة خالقة منشئة تسوغ عبادتكم لها ! واذ لججتم هذه اللجاجة فانتظروا عقاب الله ، وأنا معكم ، ننتظر ماينزل بكم ٠

***

٧٢ ـ فأنجينا عادا والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأنزلنا بالكافرين ما أبادهم ولم يبق لهم من بقية وأثر ، وما كانوا داخلين فى زمرة المؤمنين ٠

***

٧٣ ـ وأرسلنا الى ثمود (١) أخاهم صالحا الذى يشاركهم فى النسب والوطن ، وكانت دعوته كدعوة الرسل قبله وبعده ٠ قال لهم : أخلصوا العبادة لله وحده ، مالكم أى اله غيره ، وقد جاءكم حجة على رسالتى من ربكم ، هى ناقة ذات خلق اختصت به ، فيها الحجة ؛ وهى ناقة الله ، فاتركوها تأكل فى أرض الله من عشبها ، ولا تنالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الايلام ٠

***

٧٤ ـ وتذكروا أن الله جعلكم وارثين لأرض عاد ، وأنزلكم فى الأرض منازل طيبة تتخذون من السهول قصورا فخمة ، وتنحتون الجبال فتجعلون منها بيوتا ، فاذكروا نعم الله تعالى اذ مكنكم من الأرض ذلك التمكين ، ولا تعيثوا فى الأرض فتكونوا مفسدين بعدهذا التمكين ٠

---

(١) : ثمود قوم يشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة شأنهم فى ذلك شأن عاد ، وقد ورد اسمهم فى نقوش الملك سرجون الاشورى سنة ٧١٥ ق .م وقد جاء ذكرهم بين الشعوب التى أخضعها هذا الملك فى شمال شبه جزيرة العرب . أما مساكنهم فالمشهور فى كتب العرب انها كانت بالحجر المعروفة بمدائن صالح فى وادى القرى ، وقد زارها الاصطخرى وذكر أن بها بئرا تسمى بئر ثمود . اما المسعودى « مروج الذهب » المجلد الأول صفحة ٢٥٩ ـ فقد ذكر أن منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى ، وديارهم بفج الناقة ، وأما بيوتهم فمنحوتة فى الجبال ، وأما رممهم فكانت فى ايامه باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج القادم من الشام بالقرب من وادى القرى ..



لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ
قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً
مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ
إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ

٧٥ ـ قال المتكبرون من أهل الصدارة والزعامة ، مخاطبين الذين آمنوا من المستضعفين ، لائمين لهم ومستعلين عليهم : اتعتقدون أن صالحا مرسل من ربه ؟ فأجابهم أهل الحق : انا بما أرسل معتقدون مذعنون له .

***

٧٦ ـ قال أولئك المستكبرون : انا جاحدون منكرون للذى آمنتم به ؛ وهو مايدعو اليه صالح من الوحدانية !

***

٧٧ ـ ولج العناد بأولئك المستكبرين ، فتحدوا الله ورسوله ، وذبحوا الناقة ، وتجاوزوا الحد فى استكبارهم ،وأعرضوا عن أمر ربهم ، وقالوامتحدين ياصالح ، ائتنا بالعذاب الذى وعدتنا ان كنت ممن أرسلهم الله حقا .

***

٧٨ ـ فأخذتهم الزلازل الشديدة ، فأصبحوا فى دارهم ميتين خامدين .

***

٧٩ ـ وقبل أن تنزل بهم النازلة أعرض عنهم أخوهم صالح ، وقال : ياقوم قد أبلغتكم أوامر ربى ونواهيه ، ومحضت لكم النصح ، ولكنكم بلجاجتكم واصراركم صرتم لا تحبون من ينصحكم !

***

٨٠ ـ ولقد أرسلنا لوطا نبى الله الى قومه ، يدعوهم الى التوحيد ،وينبههم الى وجوب التخلى عن أقبح جريمة يفعلونها : أتأتون الأمر الذى يتجاوز الحد فى القبح والخروج على الفطرة ؟ وقد ابتدعتم تلك الفاحشة بشذوذكم ، فلم يسبقكم بها أحد من الناس !

***

٨١ ـ وهى أنكم تأتون الرجال مشتهين ذلك ، وتتركون النساء ! أنتم شأنكم الاسراف ، ولهذا خرجتم على الفطرة وفعلتم ما لم يفعله الحيوان .

***

٨٢ ـ وما كان جواب قومه على هذا الاستنكار لأقبح الأفعال الا أن قالوا: أخرجوا لوطا وآله واتباعه من قريتكم ، لأنهم يتطهرون وينأون عن هذا الفعل الذى يستقبحه العقل والفطرة ويستحسنونههم !!

كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾
وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ



٨٣ ـ ولقد حقت عليهم كلمة العذاب ، فأنجينا لوطا وأهله ؛ الا امرأته فانها كانت من هؤلاء الضالين ٠

***

٨٤ ـ وأمطرنا عليهم حجارة مخربة ، ومادت الأرض بالزلازل من تحتهم فانظر يأيها النبى الى عاقبة المجرمين وكيف كانت ٠

***

٨٥ ـ ولقد أرسلنا الى مدين أخاهم شعيبا قال : ياقوم ، اعبدوا اللهوحده فليس لكملى أى اله غيره ، قد جاءتكم الحجج المبينة للحق من ربكم مثبتة رسالتى اليكم وجاءتكم رسالة ربكم بالاصلاح بينكم والمعاملة العادلة ؛ فأوفوا الكيل والميزان فى مبادلاتكم ، ولا تنقصوا حقـوق النـاس ، ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة ، بافساد الزرع ونحوه، وقطع الأرحام والمـودة ، فان ذلك خير لكم ان كنتم تؤمنون بالله تعالى وبالحق المبين ٠

***

٨٦ ـ ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الحق والهداية والعمل الصالح ؛ تهددون سالكه ، وبذلك تمنعون طالبى الخير من الوصول ، وهم أهل الايمان الذين يؤمنون بالله ، وتريدون انتم الطريق المعوج ! واذكروا اذ كنتم عددا قليلا ، فصيركم الله عددا كثيرا بالاستقامة فى طلب النسل والمال ، واعتبروا بعاقبة المفسدين قبلكم ٠

***

٨٧ ـ واذا كانت طائفة منكم آمنوا بالحق الذى ارسـلت به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين ٠

مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن
قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ
نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ
أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى
ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا
كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ

٨٨ - هذا شأن شعيب فى دعوته قومه ، أما القوم فقد تمالأوا على الباطل وتولى أكابرهم الذين استكبروا عن الدعوة ، واستنكفوا أن يتبعوا الحق ، وواجهوا شعيبا بما يضمرون ، فقالوا له : انا لا محالة سنخرجك ومن آمن معك من قريتنا ، ونطردكم ، ولا ننجيكم من هذا العذاب ، الا أن تصيروا فى ديننا الذى هجرتموه • فرد عليهم شعيب عليه السلام قائلا : أنصير فى ملتكم ونحن كارهون لها لفسادها ؟ لا يكون ذلك أبدا ! •

***

٨٩ - وبالغ فى قطع طمعهم من العود الى ملتهم كما يطلبون ، فقال . نكون كاذبين على الله ان صرنا فى ملتكم بعد إذ هدانا الله الى الصراط المستقيم ولا ينبغى لنا أن نصير فى ملتكم بمحض اختيارنا ورغبتنا • الا أن يشاء الله عودتنا الى ملتكم ؛ وهيهات ذلك لانه ربنا العليم بنا ، فلا يشاء رجوعنا الى باطلكم ، فهو جل شأنه وسع كل شىء علما ، يهدينا بلطفه وحكمته الى ما يحفظ علينا ايماننا ، اليه وحده سلمنا أمرنا ، مع قيامنا بما أوجبه علينا • ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق الذى مضت به سنتك فى الفصل بين المحقين المصلحين ، والمبطلين المفسدين ، وأنت لاحاطة علمك وقدرتك أعدل الحاكمين وأقدرهم •

***

٩٠ - هنا يئس القوم من مطاوعة شعيب ومن معه لهم ، وعلموا أنهم ثابتون على دينهم ، كذلك خافوا أن يكثر المهتدون مع شعيب بظهور قوته وثباته على دعوته ، فاتجه كبراؤهم الكافرون الى متبوعيهم ، يهددونهم قائلين : والله ان طاوعتم شعيبا فى قبول دعوته ، انكم لخاسرون شرفكم وثروتكم فى اتباعكم دينا باطلا لم يكن عليه سلفكم •

***

٩١ - هنا حقت عليهم كلمة العذاب ، فأصابهم الله بزلزلة اضطربت لها قلوبهم ، فصاروا فى دارهم منكبين على وجوههم لا حياة فيهم •

***

٩٢ - هذا شأن الله مع الذين كذبوا شعيبا ، وهددوه وأنذروه بالاخراج من قريتهم ، وعملوا على رد دعوته ، قد هلكوا وهلكت قريتهم ، كأن لم يعش فيها الذين كذبوا شعيبا وزعموا أن من يتبعه يكون خاسرا ، وأكدوا هذا الزعم وكانوا هم الخاسرين لسعادتهم فى الدنيا والآخرة •



عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ
مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن
كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ
ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾
أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ
مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ

٩٣ ـ فلما رأى شعيب ما نزل بهم من الهلاك المدمر ، أعرض عنهم ، وقال معبرا نفسه من التقصير معهم : لقد أبلغتكم رسالات ربكم المفضية الى الاحسان اليكم لو عملتم بها ، وبالغت فى اسداء النصح لكم ، والعظة بما به تنجون من عقوبة الله ، فكيف أحزن الحزن الشديد على قوم كافرين ؟! لا يكون ذلك بعد ما أعذرت اليهم ، وبذلت جهدى فى سبيل هدايتهم ونجاتهم ، فاختاروا ما فيه هلاكهم ! ٠

٩٤ ـ وما بعثنا نبيا من الانبياء فى قرية من القرى ، يدعو أهلها الى دين الله القويم ، وأعرضوا عن قبول تلك الدعوة ، الا أصبناهم بالفقر والمرض ، كى يتذللوا ويبتهلوا الى الله مخلصين له فى كشف ما نزل بهم ، ويستجيبوا لرسوله

٩٥ ـ ثم لما لم يفعلوا ذلك ، واستمروا فى كفرهم وعنادهم ، امتحناهم بالعافية مكان البلاء استدراجا ، فأعطيناهم رخاء وسعة وصحة وعافية ، حتى كثروا ونموا فى أموالهم وأنفسهم ، وقالوا لجهلهم : ان ما أصاب آباءنا من المحن والبلايا والرفاهية والنعيم ، فذلك شأن الدهر ، يداول الضراء والسراء بين الناس ، من غير أن ينتبهوا الى أن هذا جزاء كفرهم فيرتدعوا ! وبهذا جهلوا سنته جل شأنه فى أسباب الصلاح والفساد فى البشر ، وما يترتب عليهما من السعادة والشقاء ! فكانت عاقبة ذلك أن أصابهم الله بالعذاب المدمر فجأة ، وهم فاقدون للشعور بما سيحل بهم ٠

٩٦ ـ ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به الرسل ، وعملوا بوصاياهم وابتعدوا عما حرمه الله لأعطيناهم بركات من السماء والأرض ، كالمطر والنبات والثمار والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات ، ولكن جحدوا وكذبوا الرسل ، فأصبناهم بالعقوبات وهم نائمون ، بسبب ما كانوا يقترفون من الشرك والمعاصى ٠ فأخذهم بالعقوبة أمر لازم لكسبهم القبيح ، وعبرة لأمثالهم ان كانوا يعقلون ! ٠

٩٧ ـ أآمن أهل هذه القرى ، الذين بلغتهم دعوة أنبيائهم ولم يؤمنوا ، أن يأتيهم عذابنا وقت بياتهم وهم غارقون فى نومهم ؟ ٠

٩٨ ـ أغفل هؤلاء وأمنوا أن يأتيهم العذاب فى ضحى النهار وانبساط الشمس وهم منهمكون فيما لا نفع فيه لهم !؟ ٠

٩٩ ـ أجهلوا سنة الله فى المكذبين ، فأمنوا عذابه ليلا أو نهارا ، يسوقه بتدبيره الذى يخفى على الناس أمره ؟ انه لا يجهل تدبير الله وسنته فى عقوبة المكذبين الا الذين خسروا أنفسهم بعدم اليقظة الى ما فيه سعادتهم ٠

عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا
كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ
عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ
بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ
فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ
أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن
رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا

١٠٠ ـ أغاب عن الذين يخلفون من قبلهم من الأمم سنة الله فيمن قبلهم ، وأن شأننا فيهم كشأننا فيمن سبقوهم ؟ وهو أنهم خاضعون لمشيئتنا ، لو نشاء أن نعذبهم بسبب ذنوبهم أصبناهم كما أصبنا أمثالهم ، ونحن نختم على قلوبهم لفرط فسادها ، حتى وصلت الى حالة لا تقبل معها شيئا من الهدى ، فهم بهذا الطبع والختم لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه واتعاظ ! .

١٠١ ـ تلك القرى التى بعد عهدها ، وطال الأمد على تاريخها ، نقص عليك الآن بعض أخبارها مما فيه عبرة . ولقد جاء أهل تلك القرى رسلهم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم ، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد مجىء البينات ، لتمرسهم بالتكذيب للصادقين ، فكذبوا رسلهم ولم يهتدوا ! وهكذا يجعل الله حجابا على قلوب الكافرين وعقولهم ، فيخفى عليهم طريق الحق وينأون عنه ! .

١٠٢ ـ وما وجدنا لأكثر أولئك الأقوام وفاء بميثاق مما أوصيناهم به من الايمان ، على لسان الرسل ، وعلى ما يوحى به العقل والنظر السليم . وأن الشأن المطرد فيهم تمكن أكثرهم من الفسوق والخروج عن كل عهد .

١٠٣ ـ ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى عليه السلام ، ومعه دلائلنا التى تدل على صدقه فيما يبلغه عنا الى فرعون وقومه ، فبلغهم موسى دعوة ربه ، وأراهم آية الله ، فظلموا أنفسهم وقومهم بالكفر بها ، كبرا وجحودا ! فاستحقوا من الله عقوبة صارمة كانت بها نهاية أمرهم ! فانظر أيها النبى نهاية المفسدين فى الأرض ! .

١٠٤ ـ وقال موسى : يا فرعون انى مرسل من الله رب العالمين ومالك أمرهم ، لأبلغكم دعوته ، وأدعوكم الى شريعته .

١٠٥ ـ وانى حريص على قول الصدق عن الله تعالى ، وقد جئتكم بآية عظيمة الشأن ظاهرة الحجة فى بيان الحق الذى جئت به ، فأطلق معى بنى اسرائيل ، وأخرجهم من رق قهرك ، ليذهبوا معى الى دار غير دارك ، يعبدون فيها ربهم وربك .

١٠٦ ـ قال فرعون لموسى : ان كنت جئت مؤيدا بآية من عند من أرسلك فأظهرها لدى ان كنت من أهل الصدق الملتزمين لقول الحق .

١٠٧ ـ فلم يلبث موسى أن ألقى عصاه التى كانت بيمينه أمام فرعون وقومه ، فاذا هذه العصا ثعبان ظاهر بين ؛ يسعى من مكان الى آخر ، فى قوة تدل على تمام حياته .



هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ
أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ
فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ



عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ
صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا

١٠٨ ــ وأخرج يده من جيبه ، فاذا هى ناصعة البياض تتلألأ للناظرين !

١٠٩ ــ فلما أظهر موسى آية الله تعالى ، ثارت نفوس بطانة فرعون وعظماء قومه ، فقالوا تزلفا ومشايعة لفرعون : ان هذا لماهر فى علم السحر ، وليس ذلك بآية من الله ! .

١١٠ ــ وقد وجه ارادته لسلب ملككم ، واخراجكم من أرضكم بسحره . وما ينشأ عنه من استمالة أفراد الشعب ليتبعوه ، وانظروا ماذا تأمرون بما يكون سبيلا للتخلص منه .

١١١ ــ وقالوا : أخر البت فى أمره وأمر أخيه الذى يعاونه فى دعوته . وأرسل فى مدائن ملكك رجالا من جندك يجمعون الناس أولى العلم بالسحر .

١١٢ ــ فيأتوك بكل عليم بفنون السحر ، وهم يكشفون لك حقيقة ما جاء به موسى . فلا يفتتن به أحد .

١١٣ ــ وجاء الى فرعون السحرة الذين جمعهم له جنده ، وقالوا له : ان لنا لجزاء عظيما يكافىء ما يطلب منا ان كانت الغلبة لنا على موسى .

١١٤ ــ فسارع فرعون مجيبا لهم الى ما طلبوا : نعم ان لكم لجزاء عظيما . وانكم مع ذلك لمن أهل الحظوة عندنا .

١١٥ ــ ثم توجه السحرة الى موسى ، بعد أن وعدهم فرعون بما وعدهم . وأظهروا الثقة بأنفسهم واعتدادهم بسحرهم فى ميدان المباراة ، وقالوا له : اما أن تلقى ما عندك أولا ، واما أن نكون نحن الملقين بما عندنا من دونك .

١١٦ ــ فأجابهم موسى اجابة الواثق بالغلبة والظفر ، مظهرا عدم مبالاته بهم : ألقوا ما أنتم ملقون أولا . فلما ألقى كل واحد منهم ما كان معه من حبال وعصى ، خيلوا الى أبصار الناس وموهوا عليهم أن ما فعلوه هو حقيقة ، وما هو الا خيال ، فهال الأمر الناس وأوقع فى قلوبهم الرهب والرعب ، وقد جاء السحرة الناس بسحر مظهره كبير وتأثيره فى أعينهم عظيم ! .

١١٧ ــ وأصدر الله أمره الى موسى أن ألق بعصاك ، فقد جاء وقتها . فألقاها كما أمر ، فاذا عصاه تبتلع بسرعة ما يكذبون ويموهون ! ..

١١٨ ــ فثبت الحق وظهر فى جانب موسى عليه السلام ، وبطل تخييل السحرة .

١١٩ ــ فهزم فرعون وملؤه فى ذلك المجمع العظيم ، وعادوا من ذلك المجمع أذلة بما رزئوا به من الخذلان والخيبة ! .

١٢٠ ــ هذا ما كان من شأن فرعون وملئه . وأما السحرة فقد بهرهم الحق ، فاندفعوا ساجدين لله مذعنين للحق .

بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا

١٢١ ــ قائلين : آمنا بخالق العالمين ومالك أمرهم المتصرف فيهم ٠

١٢٢ ــ انه الاله الذى يعتقده ويؤمن به موسى وهارون ٠

١٢٣ ــ فهال هذا الأمر فرعون ، وأثار حميته فقال : هل آمنتم وصدقتم برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم ؟! ان هذا الصنيع الذى صنعتموه أنتم وموسى وهارون كان بالاتفاق ، وليس الا مكرا مكرتموه فى المدينة (مصر) لأجل أن تخرجوا منها أهلها بمكركم ، فسوف ترون ما يحل بكم من العذاب جزاء اتباعكم موسى وهارون ، وعقابا على هذا المكر والخداع ! ٠

١٢٤ ــ وأقسم لأنكلن بكم ، وأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، فاقطع اليد من جانب والرجل من جانب آخر ، ثم لأصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة ، لتكونوا عبرة لمن تحدثه نفسه بالكيد لنا أو بالخروج على سلطاننا ! ٠

١٢٥ ــ فلم يأبهوا لقوله وتهديداته ، لتمكن الايمان من شغاف قلوبهم ، وقالوا له : انا الى ربنا راجعون ، فنتقلب فى رحمته ونعيم جزائه ٠

١٢٦ ــ وما تنكر منا وتعاقبنا عليه إلا أن صدقنا موسى ، وأذعنا لآيات ربنا الواضحة الدالة على الحق لما جاءتنا ! ٠ ثم توجهوا الى الله ضارعين اليه قائلين : يا ربنا أفض علينا صبرا عظيما نقوى معه على احتمال الشدائد ، وتوفنا على الاسلام غير مفتونين من وعيد فرعون ٠

١٢٧ ــ وبعد أن شاهد فرعون وقومه ما شاهدوا ، من ظهور أمر موسى وقوة غلبته وايمان السحرة به ، قال الكبراء من قومه : أتترك موسى وقومه أحرارا آمنين ، ليكون مآلهم أن يفسدوا قومك عليك فى أرض مصربادخالهم فى دينهم ، ويتركك مع آلهتك فى غير مبالاة ، فيظهر للمصريين عجزك وعجزهم ؟! قال فرعون مجيبا لهم : سنقتل أبناء قومه تقتيلا ما تناسلوا ، ونستبقى نساءهم أحياء ، حتى لا يكون لهم قوة ، كما فعلنا من قبل ، وانا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم ٠

١٢٨ ــ وهنا رأى موسى أثر الجزع فى نفوس قومه ، فشد من عزمهم ، وقال لهم : اطلبوا معونة الله وتأييده ، واثبتوا ولا تجزعوا ، ان الأرض فى قبضة قدرة الله وملكه ، يجعلها ميراثا لمن يشاء من عباده لا لفرعون ، والعاقبة الحسنة للذين يتقون الله بالاعتصام به والاستمساك بأحكامه ٠

١٢٩ ــ فقال القوم فى حزن وضعف : نحن نالنا الأذى قديما من فرعون قبل مجيئك الينا ، وحديثا من بعد مجيئك ٠ ففتح موسى لهم باب الأمل وقال لهم : ان المرجو من فضل ربكم أن يهلك عدوكم الذى سخركم وآذاكم بظلمه ، ويجعلكم خلفاء الأرض التى وعدكم اياها ، فيعلم سبحانه ما أنتم عاملون بعد



مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾

هذا التمكين : أتشكرون النعمة أم تكفرون ؟ وتصلحون فى الأرض أم تفسدون ؟ ليجزيكم فى الدنيا والآخرة بما تعملون .

١٣٠ ـ ولقد عاقبنا فرعون وقومه بالجدب والقحط وضيق المعيشة ، بنقص ثمرات الزروع والأشجار ، رجاء أن ينتبهوا الى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله ، فيتعظوا ويرجعوا عن ظلمهم لبنى اسرائيل ، ويستجيبوا لدعوة موسى عليه السلام ؛ فان شأن الشدائد أن تمنع الغرور وتهذب الطباع وتوجه الأنفس الى قبول الحق ، وارضاء رب العالمين ، والتضرع اليه دون غيره .

١٣١ ـ ولكن دأب فرعون وأعوانه عدم الثبات على الحق ، فسرعان ما يعودون الى الغدر والمعصية ، فهم منقلبون ! فاذا جاءهم الخصب والرخاء ـ وكثيرا ما يكون ذلك ـ قالوا : نحن المستحقون له لما لنا من الامتياز على الناس وان اصابهم ما يسوءهم ، كجدب أو جائحة أو مصيبة فى الأبدان والارزاق، يرون أنهم أصيبوا بشؤم موسى ومن معه ؛ ويغفلون عن أن ظلمهم وفجورهم هو الذى أدى بهم الى ما نالهم ! ألا فليعلموا أن علم شؤمهم عند الله ، فهو الذى أصابهم بسبب أعمالهم القبيحة ، فهى التى ساقت اليهم ما يسوؤهم ، وليس موسى ومن معه ، ولكن أكثرهم لا يدرى هذه الحقيقة التى لا شك فيها .

١٣٢ ـ ولهذه الفكرة السيئة عندهم أصروا على الجحود ، وقالوا عند رؤيتهم لآيات موسى : انك مهما جئتنا بكل نوع من أنواع الايات التى تستدل بها على حقيقة دعوتك ، لاجل أن تصرفنا بها عما نحن عليه من ديننا ، ومن استعباد قومك ، فما نحن لك بمصدقين ولا مذعنين .

١٣٣ ـ فأنزل الله عليهم مزيدا من المصائب والنكبات : بالطوفان الذى يغشى أماكنهم ، وبالجراد الذى يأكل ما بقى من نبات أوشجر ، وبالقمل ، وهو حشرة تفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات ، وبالضفادع التى تنتشر فتنغص عليهم حياتهم وتذهب بصفائها ، وبالدم الذى يسبب الأمراض الكثيرة كالنزيف من أى جسم ، والدم الذى ينحبس فيسبب ضغطا أو ينفجر فيسبب شللا ، ويشمل البول الدموى بسبب البلهارسيا ونحوها ، أو الذى تحول اليه ماؤهم الذى يستخدمونه فى حاجات معاشهم .. أصابهم الله بهذه الآيات المميزات الواضحات ! فلم يتأثروا بها ، وجمدت قرائحهم وفسد ضميرهم، فعتوا عن الايمان والرجوع الى الحق من حيث هو حق ، وكانوا قوما موغلين فى الاجرام كما هو شأنهم ! .

١٣٤ ـ ولفرط تقلبهم حسب الدواعى ، كانوا كلما وقع عليهم نوع من العذاب قالوا لشدة تأثيره فيهم وتألمهم به : ياموسى ، سل ربك لنا بالذى عهد به اليك أن تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء ، أن يكشف عنا هذا العذاب ، ونحن نقسم لك لئن أزلته عنا لنخضعن لك ، ولنطلقن معك بنى اسرائيل كما أردت ! .



فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

١٢٥ ـ فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد أخرى الى وقت هم منتهون اليه فى كل مرة ، اذا هم ينقضون عهدهم ، ويحنثون فى قسمهم ، ويعودون الى ما كانوا عليه ، ولم تجد فيهم هذه المحن الزاجرة ! •

***

١٣٦ ـ فأنزلنا عليهم نقمتنا ، فأغرقناهم فى البحر بسبب استمرارهم على التكذيب بآياتنا ، وتمام غفلتهم عما تقتضيه هذه الآيات من الايمان والاذعان

***

١٣٧ ـ وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مصر ، وهم بنو اسرائيل ، جميع الأرض التى حباها الله بالخصب والخير الكثير ؛ فى مشارقها ومغاربها ، ونفذت كلمة الله الحسنى تامة ، ووعده بالنصر شاملا لبنى اسرائيل بسبب صبرهم على الشدائد ؛ ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه من الصروح والقصور المشيدة ، وماكانوا يعرشونه من السقائف للنبات والشجر المتسلق كعرائس العنب ! هذا شأن الله ، وصدق وعده الجميل لبنى اسرائيل •

***

١٣٨ ـ وتجاوز بنو اسرائيل البحر بعنايتنا وتأييدنا وتيسير الأمر لهم فلما تجاوزوه مروا على قوم ملازمين لعبادة أصنام لهم ، فلما شاهدوا هذه الحالة غلب عليهم ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما ان لهؤلاء القوم أصناما يعبدونها ! فسارع موسى عليه السلام موبخا لهم رادعا وقال : انكم قوم سفهاء لا عقول لكم ، لا تعرفون العبادة الحقة ، ولا من هو الاله الذى يستحق أن يعبد ! •

***

١٣٩ ـ ان هؤلاء الذين ترونهم يعبدون الأصنام ، هالك ما هم فيه من الدين الباطل ، وزائل عملهم لا بقاء له •

***

١٤٠ ـ أأطلب لكم معبودا غير الله رب العالمين ، وهو قد منحكم الفضل فاعطاكم نعما لم يعطها غيركم من أهل زمانكم ؟! •



سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ



وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ
ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ
لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ
وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ
لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ
لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ
فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا
وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ
وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ
عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ

١٤١ ــ واذكروا اذ أنجاكم الله تعالى بعنايته من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ، ويسخرونكم لخدمتهم فى منشاق الأعمال ، ولا يرون لكم حرمة كالبهائم . فيقتلون مايولد لكم من الذكور ، ويستبقون الاناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهن ! وفيما نزل بكم من تعذيب فرعون لكم وانجائكم منه اختبار عظيم من ربكم ليس وراءه بلاء واختبار ! .

***

١٤٢ ــ وعدنا موسى بالمناجاة واعطاء التوراة عند تمام ثلاثين ليله يتعبد فيها ، واتممنا مدة الوعد بعشر ليال يستكمل فيها عبادته ، فصارت المدة أربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون حين توجه للمناجاة : كن خليفتى فى قومى ، وأصلح ما يحتاج الى الاصلاح من أمورهم ، واحذر أن تتبع طريق المفسدين .

***

١٤٣ ــ ولما جاء موسى لمناجاتنا ، وكلمه ربه تكليما ليس كتكليمنا . قال : رب أرنى ذاتك ، وتجل لى ، أنظر اليك فأزداد شرفا . قال : لن تطيق رؤيتى ثم أراد سبحانه أن يقنعه بأنه لا يطيقها فقال : ولكن انظر الى الجبل الذى أقوى منك ، فان ثبت مكانه عند التجلى فسوف ترانى اذا تجليت لك . فلما ظهر ربه للجبل على الوجه اللائق به تعالى ، جعله مفتتا مستويا بالأرض . وسقط موسى مغشيا عليه لهول ما رأى ، فلما افاق من صعقته قال : أنزهك يارب تنزيها عظيما عن أن ترى فى الدنيا انى تبت اليك من الاقدام على السؤال بغير اذن ، وأنا أول المؤمنين فى زمانى بجلالك وعظمتك .

***

١٤٤ ــ لما منع الله موسى من رؤيته ، عدد عليه نعمه ليتسلى بها عن المنع فقال : يا موسى ، انى فضلتك واخترتك على أهل زمانك ، بتبليغ أسفار التوراة وبتكليمى اياك من غير واسطة ، فخذ ما فضلتك به ، واشكرنى كما يفعل الشاكرون المقدرون للنعم .

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ
يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ
ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ
بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ
لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٥ ـ وبينا لموسى فى ألواح التوراة كل شىء من المواعظ والأحكام المفصلة التى يحتاج الناس اليها فى المعاش والمعاد ، وقلنا له : خذ الألواح بجد وحزم ، وأمر قومك أن يأخذوا بأفضل ما فيها ، كالعفو بدل القصاص ، والابراء بدل الانتظار ، واليسر بدل العسر · سأريكم يا قوم موسى فى أسفاركم دار الخارجين على أوامر الله ، وما صارت إليه من الخراب ، لتعتبروا ، فلا تخالفوا حتى لا يصيبكم ما أصابهم ··

***

١٤٦ ـ سأمنع من التفكير فى دلائل قدرتى القائمة فى الأنفس والآفاق ؛ أولئك الذين يتطاولون فى الأرض ، ويتكبرون عن قبول الصواب غير محقين ، وان يروا كل آية تدل على صدق رسلنا لا يصدقوها ، وان يشاهدوا طريق الهدى لا يسلكوه ، وان يشاهدوا طريق الضلال يسلكوه ! يحدث ذلك منهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا المنزلة ، وغفلوا عن الاهتداء بها !

***

١٤٧ ـ والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا للهداية ، وكذبوا بلقائنا يوم القيامة ، فأنكروا البعث والجزاء ، بطلت أعمالهم التى كانوا يرجون نفعها ، فلا يلقون الا جزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصى ·

***

١٤٨ ـ وبعد ان ذهب موسى الى الجبل لمناجاة ربه ، اتخذ قومه من حليهم المخصصة للزينة جسما على صورة العجل الذى لايعقل ولا يميز ، له صوت يشبه صوت البقر ، مما أودع فيه من الصناعة ومرور الريح بداخله · وقد صنعه لهم السامرى وأمرهم بعبادته ! يالسفاهة عقولهم · ألم يروا حين اتخذوه الها وعبدوه أنه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم الى طريق الصواب ؟! انهم ظلموا أنفسهم بهذا العمل الشنيع ·

***

١٤٩ ـ ولما شعروا بزلتهم وخطئهم ، تحيروا وندموا أشد الندم على اتخاذ العجل الها · وتبينوا ضلالهم تبينا ظاهرا ، وقالوا : والله لئن لم يتب علينا ربنا ويتجاوز عنا لنكونن من الذين خسروا خسرانا بينا ، بوضعهم العبادة فى غير موضعها ·

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ
ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ
وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن
مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ

١٥٠ ـ ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه ، غضبان عليهم لعبادتهم العجل ٠ حزينا لأن الله فتنهم ـ وكان الله قد أخبره بذلك قبل رجـوعه ـ قال لهم : ماأقبح ما فعلتم بعد غيبتى . أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم من انتظارى وحفظ عهدى حتى آتيكم بالتوراة ؟! ووضع الألواح ، واتجه الى أخيه ، لشدة حزنه حين رأى ما رأى من قومه ، واخذ يشد أخاه من رأسه ويجره نحوه من شدة الغضب ، ظنا منه انه قصر فى كفهم عما فعلوا ، فقال هارون لموسى : يا ابن أمى ان القوم حين فعلوا ما فعلوا قد استضعفونى وقهـرونى ٠وقاربوا قتلى لما نهيتهم عن عبادة العجل ، فلا تسر الأعداء بايذائـك لى ، ولا تعتقدنى واحدا من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم ٠

***

١٥١ ـ قال موسى : رب اغفر لى ما صنعت بأخى قبل جلية الأمر ، واغفر لأخى ان كان فرط فى حسن الخلافة ، وأدخلنا فى سـعة رحمتك لأنك أكثر الراحمين رحمة ٠

***

١٥٢ ـ ان الذين استمروا على اتخاذ العجل الها ، كالسامرى وأشياعه ، سينالهم غضب عظيم من ربهم فى الدار الآخرة ، ومهانة شـديدة فى الحياة الدنيا ، وبمثل ذلك الجزاء نجزى كل من اختلق الكذب على الله وعبد غيره ٠

***

١٥٣ ـ والذين عملوا الأعمال القبيحة من الكفر وعبادة العجل والمعاصى ، ثم رجعوا الى الله من بعد عملها ، وصدقوا به ، ان ربك من بعد توبتهم سـتار عليهم ، غفار لما كان منهم ٠

***

١٥٤ ـ ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه ، عاد الى الألـواح التى ألقاها وأخذها ، وفيما نسخ فيها هدى وارشاد واسباب رحمة ،للذين يخافون غضب ربهم ٠





سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ
لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ
وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ
مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾
ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا
عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ

١٥٥ ـ ثم أمر الله أن يأتيه فى جماعة من قومه يعتذرون عمن عبدوا العجل ، ووعدهم موعدا ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ، وهم يمثلون قومه ، وذهب بهم الى الطور ، وهنالك سألوا الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويتوب على من عبد العجل منهم ، فأخذتهم فى ذلك المكان زلزلة شديدة غشى عليهم بسببها ، وهذا لأنهم لم يفارقوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمروهم بالمعروف ، ولم ينهوهم عن المنكر ! فلما رأى موسى ذلك قال : يارب لو شئت أهلاكهم أهلكتهم من قبل خروجهم الى الميقات ، وأهلكتنى معهم ، ليرى ذلك بنو اسرائيل فلا يتهمونى بقتلهم فلا تهلكنا يارب بما فعل الجهال منا ؛ فما محنة عبدة العجل الا فتنة منك ، أضللت بها من شئت اضلاله ممن سلكوا سبيل الشر ، وهديت بها من شئت هدايته . أنت القائم وساكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصى من قومك ، ويؤدى الزكاة المفروضة ؛ يتجاوز عن السيئات .

***

١٥٦ ـ وقدر لنا فى هذه الدنيا حياة طيبة ، وتوفيقا للطاعة ، وفى الآخرة مثوبة حسنة ، ومغفرة ورحمة ؛ لأننا رجعنا اليك وتبنا اليك ، فقال له ربه : عذابى أصيب به من أشاء ممن لم يتب ، ورحمتى وسعت كل شىء ، وساكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصى من قومك ، ويؤدون الزكاة المفروضة ؛ والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة .

***

١٥٧ ـ واخص بها الذين يتبعون الرسول محمدا ، الذى لا يكتب ولا يقرأ ، وهو الذى يجدون وصفه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بكل خير وينهاهم عن كل شر ، ويحل لهم الأشياء التى يستطيبها الطبع ، ويحرم عليهم الاشياء التى يستخبثها الطبع كالدم والميتة ، ويزيل عنهم الأثقال والشدائد التى كانت عليهم . فالذين صدقوا برسالته وآزروه وأيدوه ونصروه

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

على أعدائه ، واتبعوا القرآن الذى أنزل معه كالنور الهادى ، أولئك هم الفائزون دون غيرهم ممن لم يؤمنوا به .

***

١٥٨ ــ قل يأيها النبى للناس : انى مرسل من الله اليكم جميعا ؛ لا فرق بين عربى وعجمى وأسود وأبيض . والله الذى أرسلنى له وحده ملك السموات والأرض يدبر أمرهما حسب حكمته ؛ ويتصرف فيهما كيف يشاء ؛ ولا معبود بحق الا هو ، وهو الذى يقدر على الأحيــاء والاماتة دون غيره . فآمنــوا به وبرســوله النبى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وهو يؤمن بالله الذى يدعــوكم الى الايمان به ؛ ويؤمن بكتبه المنزلة ؛ واتبعــوه فى كل ما يفعل ويقول لتهتدوا وترشدوا .

***

١٥٩ ــ ومن قوم موسى جماعة بقوا على الدين الصــحيح يهدون الناس بالحق الذى جاء به موسى من عند ربه ، ويعدلون فى تنفيذه اذا حكموا .

***

١٦٠ ــ عدد الله نعمه على قوم موسى ؛ فأفاد أنه صيرهم اثنتى عشرة فرقة وجعلهم جماعات ؛ وميز كل جماعة بنظامها ، منعا للتحاسد والخلاف . وأوحى الى موسى ، حين طلب منه قومــه الماء فى التيه ، بأن يضرب الحجر بعصــاه ، فضربه فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط ، وقد عرف كل جمــاعة منهم مكان شربهم الخاص بهم ، فلا يزاحمهم فيه غيرهم ، وجعل لهم الســحاب يلقى عليهم ظله فى التيه ، ليقيهم حر الشمس ؛ وأنزل عليهم المن ، وهو طعام يشبه البرد فى منظره ، ويشبه الشهد فى مطعمه ؛ وأنزل الســلوى ، وهو الطير السمانى ، وقال لهم : كلوا من مستلذات ما رزقناكم مما أنزلناه عليكم . فظلموا أنفسهم وكفروا بتلك النعــم ؛ وطلبوا غيرها ، وما رجع الينا ضرر ظلمهم ولكنه كان مقصورا عليهم .

لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ
حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ
سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ
نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ
مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا

١٦١ ـ واذكر يأيها النبى لمن وجد منهم فى زمانك ، تقريعا لهم بما فعل اسلافهم ، اذكر لهم قولنا لأسلافهم على لسان موسى : اسكنوا مدينة بيت المقدس بعد الخروج من التيه ، وكلوا من خيراتها فى أية ناحية من نواحيها شــئتم ، وقولوا نسألك ياربنا أن تحط عنا خطايانا ، وادخلوا باب القرية مع انحنــاء الرءوس كهيئة الركوع تواضعا لله · اذا فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم، وسنزيد ثواب من أحسنوا الأعمال ·

***

١٦٢ ـ فخالفوا أمر ربهم ، فقالوا بسبب ظلمهم قولاً غير الذى قيل لهم ، قصد الاستهزاء بموسى فأنزلنا عليهم عذابا من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد ·

***

١٦٣ ـ واسأل اليهود ، استنكارا لما فعل أسلافهم ، عن خبر أهل القرية (أيلة) التى كانت قريبة من البحر ، حين كانوا يتجاوزون حدود الله بصيد السمك فى يوم السبت ، وحين كانت تأتيهم حيتان الأسماك وتظهر على وجـه الماء يوم السبت لا تأتيهم ، ابتلاء من الله ! بمثل ذلك البلاء المذكور نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر ، ليظهر منهم المحسن من المسىء ·

***

١٦٤ ـ واذكر أيضا لهؤلاء اليهود اذ قالت جماعة من صلحاء أسلافهم ـ لم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم ـ لمن يعظون أولئك الأشرار : لأى سبب تنصحون قوما الله مهلكهم بسبب ما يرتكبون أو معذبهم فى الآخرة عذابا شــديدا ؟! قالوا : وعظناهم اعتذارا الى ربكم ، لئلا ننسب الى التقصير ، ورجاء أن يتقوا

***

١٦٥ ـ فلما تركوا ما وعظوا به ، أنجينا الذين ينهون عن العمل السىء من العذاب وأخذنا الذين ظلموا فاعتدوا وخالفوا بعذاب شديد ، هو البــؤس والشقاء · بسبب استمرارهم على الخروج عن طاعة الله ربهم ·



عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ
مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ
أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا



١٦٦ ـ فلما قسوا واستمروا على ترك ما نهوا عنه ، ولم يردعهم العذاب الشديد ، جعلناهم كالقردة فى مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق ، مبعدين عن كل خير ٠

* * *

١٦٧ ـ وأذكر أيضا لهؤلاء اليهود حين أعلم ربك أسـلافهم على السنة أنبيائهم : ليسلطن الله على جماعة اليهود الى يوم القيامة من يوقع بهم أسـوأ أنواع العذاب على ظلمهم وفسـقهم ، لأن ربك سريع العقاب لأهل الكفر ، لأن عقابه واقع لامحالة ، وكل آت قريب ، وانه غفور رحيم لمن رجع اليه وتاب

* * *

١٦٨ ـ وقد فرقناهم فى الأرض جماعات : منهم الصالحون ؛ وهم الذين آمنوا واستقاموا ، ومنهم أناس منحطون عن وصف الصـلاح ، وقد اختبرناهم جميعا بالنعم والنقم ليتوبوا عما نهوا عنه ٠

* * *

١٦٩ ـ فجاء من بعد الذين ذكرناهم وقسمناهم الى القسـمين ، خلف سوء ورثوا التوراة عن أسلافهم ولكنهم لم يعملـوا بها ٠ لأنهم يأخذون متـاع الدنيا عوضا عن قول الحق ، ويقولون فى أنفسهم : سيغفر الله لنا ما فعلناه ! يرجون المغفرة ! والحال انهم ان يأتيهم شىء مثل ما أخذوه يأخذوه فهم مصرون على الذنب مع طلب المغفرة ثم وبخهم الله على طلبهم المغفرة مع اصرارهم على ماهم عليه ، فقال : انا أخذنا عليهم العهد فى التوراة ، وقد درسوا ما فيهـا ، ان يقولوا الحق ، فقالوا الباطل ! وان نعيم الدار الآخرة للذين يتقون المعاصى خير من متاع الدنيا ! أتستمرون على عصيانكم فلا تعقلون أن ذلك النعيم خير لكم، وتؤثرون عليه متاع الدنيا ؟! ٠

* * *

١٧٠ ـ والذين يتمسكون بالتوراة ، وأقاموا الصلاة المفروضة عليهم ، انا لا نضيع أجرهم ، لاصلاحهم واحسانهم الأعمال ٠

ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

١٧١ ـ رد الله على اليهود فى قولهم : ان بنى اسرائيل لم تصدر منهم مخالفة فى الحق ، فقال : واذكر لهم أيها النبى حين رفعنا الجبل فوق رءوس بنى اسرائيل كأنه غمامة ، وفزعوا لظنهم أنه واقع عليهم ، وقلنا لهم فى حالة الرفع ورهبتهم : خذوا ما أعطيناكم من هدى فى التوراة بجد وعزم على الطاعة وتذكروا ما فيه لعلكم تعتبرون وتتهذب نفوسكم بالتقوى ٠

١٧٢ ـ بين الله هنا هداية بنى آدم بنصب الأدلة فى الكائنات ، بعد أن بينها عن طريق الرسل والكتب ، فقال : واذكر أيها النبى للناس حين أخرج ربك من أصلاب بنى آدم ونسلهم وما يتوالدون قرنا بعد قرن ، ثم نصب لهم دلائل ربوبيته فى الموجودات ، وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها من معرفتها ، والاستدلال بها على التوحيد والربوبية ، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألست بربكم ؟ قالوا بلى أنت ربنا شهدنا بذلك على أنفسنا ٠٠ لأن تمكينهم من العلم بالأدلة وتمكنهم منه فى منزلة الاقرار والاعتراف ٠ وانما فعلنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا التوحيد غافلين لانعرفه (١)

١٧٣ ـ أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبلنا ، وكنا ذرية لهم فاقتدينا بهم ، أفتؤاخذنا يارب فتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا ، بتأسيس الشرك الذى جرونا اليه ٠٠ فلا حجة لكم ٠

١٧٤ ـ ومثل ذلك البيان الحكيم نبين لبنى آدم الدلائل على وجود الله ، ليرجعوا عن مخالفتهم وتقليد المبطلين ٠

١٧٥ ـ ضرب الله مثلا للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله ، فقال : واقرأ أيها النبى على قومك خبر رجل من بنى اسرائيل ، آتيناه علما بآياتنا المنزلة على رسلنا ، فأهملها ولم يلتفت اليها ، فأتبعه الشيطان خطواته ، وسلط عليه باغوائه فصار فى زمرة الضالين ٠

١٧٦ ـ ولو شئنا رفعه الى منازل الأبرار لرفعناه اليها ، بتوفيقه للعمل بتلك الآيات ، ولكنه تعلق بالأرض ولم يرتفع الى سماء الهداية ، واتبع هواه ، فصار حاله فى قلقه الدائم ، وانشغاله بالدنيا ، وتفكيره المتواصل فى تحصيلها كحال الكلب فى اسوأ أحواله عندما يلهث دائما ، ان زجرته أو تركته ، اذ يندلع لسانه من التنفس الشديد ! وكذلك طالب الدنيا يلهج وراء متعة

---

(١) اوردت هذه الاية ظاهرة مشاهدة وهى ان الكلب يلهث سواء حملت عليه او لم تحمل وقد اثبت العلم أن الكلب لا توجد فيه غدد عرقية الا القليل فى باطن اقدامه والتى لا تفرز من العرق ما يكفى لتنظيم درجة حرارة جسمه ولذلك فانه يستعين عن نقص وسائل تنظيم الحرارة باللهث وهو ازدياد عدد مرات تنفسه زيادة كبيرة عن الحالة العادية مع تعريض مساحة اكبر من داخل الجهاز التنفسى كاللسان والسطح الخارجى من فمه)) ٠

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

وشهواته دائما ! ان ذلك الوصف الذى اتصف به المنسلخ من آياتنا ، هو وصف جميع الذين كذبوا بآتنا المنزلة . فاقصص عليهم قصصه ليتفكروا فيؤمنوا .

١٧٧ ـ قبحت حال هؤلاء الذين جحدوا آياتنا ، وما ظلموا بهذا الانحراف عن الحق الا أنفسهم .

١٧٨ ـ من يوفقه الله لسلوك ســـبيل الحق فهو المهتدى حقا ، الفائز بســعادة الدارين ومن يحـرم من هذا التوفيق بسبب سيطرة هواه ، فهـــذا الفريق هم الخاسرون .

١٧٩ ـ ولقـد خلقنـا كثيرا من الجن والانس مآلهم النار يوم القيامة ، لأن لهم قلوبا لا ينفذون بها الى الحق ، ولهم أعين لا ينظرون بها دلائل القـدرة ، ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ! أولئك كالبهائم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر ، بل هم أضل منها ، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها ، وهؤلاء لا يدركون ذلك ، وأولئك هم الكاملون فى الغفلة ! .

١٨٠ ـ ولله ، دون غيره الأسماء الدالة على أكمل الصفات فأجروها عليه دعاء ونداء وتسمية ؛ وابتعدوا عن الذين يميلون فيهـا الى ما لايليق بذاته العلية وانهم سيجزون جزاء أعمالهم .

١٨١ ـ وممن خلقنا للجنة طائفة يدعون غيرهم للحق بسبب حبهم الحق وبالحق وحده يعدلون فى أحكامهم .

١٨٢ ـ والذين كذبوا بآياتنا المنزلة سنستدرجهم ونتركهم حتى يصلوا الى أقصى غاياتهم ؛ وذلك بادرار النعم عليهم ، مع انهمـــاكهم فى الغى ، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون يرتعون .

١٨٣ ـ وسأمد لهم فى الحياة غير مهمل لسيئاتهم وتدبيرى لهم شـديد عليهم يكافىء سيئاتهم التى كثرت بتماديهم .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

١٨٤ ـ لقد بادروا بالتكذيب ؛ ولم يتدبروا مايدعوهم الرسول اليه ، وما يقدمه من حجج بل رموه بالجنون وليس به من جنون ، فما هو الا منذر لهم من عاقبة شركهم ، وانذاره بين واضح ٠

* * *

١٨٥ ـ لقد كذبوا محمدا فيما يدعوهم اليه من التوحيد ، ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال فى ملك الله العظيم للسموات والأرض وما فيهما ؛ مما يدل على كمال قدرة الصانع ووحدانيته ، ولم يفكروا فى أنه قد اقترب أجلهم : أو عسى أن يكون قد اقترب ، فيسارعوا الى النظر وطلب الحق قبل مفاجأة الأجل ، فاذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأى كلام يؤمنون بعده ؟

* * *

١٨٦ ـ من يكتب الله عليه الضلالة لسوء اختياره فلا يهديه أحد ، ويتركهم سبحانه فى ضلالهم يتحيرون لا يهتدون سبيلا ! ٠

* * *

١٨٧ ـ يسألك اليهود ، يا محمد ، عن الساعة التى تنتهى فيها هذه الدنيا ، فى أى وقت تكون ويستقر العلم بها ؟ قل لهم : علم وقتها عند ربى وحده ، لايظهرها فى وقتها أحد سواه قد عظم هولها عندما تقع على أهل السموات والأرض ! يسألونك هذا السؤال ، كأنك حريص على العلم بها ٠ فكرر الجواب ، فقل لهم مؤكدا : ان علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يدركون الحقائق التى تغيب عنهم ، أو التى تظهر لهم !

* * *

١٨٨ ـ قل لهم : لا أملك لنفسى جلب نفع ولا دفع ضر الا الذى شاء الله من ذلك فيملكنى اياه ٠ ولو كنت أعلم ماغاب عنى كما تظنون ؛ لاستكثرت





يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ
حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا
صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ
أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ

من كل خير ، لعلمى بأسبابه ، ولدفعت عن نفسى كل سوء باجتناب موجباته : ماأنا الا نذير بالعذاب ومبشر بالثواب لقوم يؤمنون بالحق ويذعنون له ٠

***

١٨٩ ـ هو الله الذى أنشأكم من نفس واحدة ، وجعل من جنسها زوجها : واستمرت سلالتهما فى الوجود ، وكنتم زوجا وزوجة ، فاذا تغشاها حملت محمولا خفيفا هو الجنين عند كونه علقة ومضغة ، فلما ثقل الحمل فى بطنها دعا الزوج والزوجة ربهما قائلين : والله لئن اعطيتنا ولدا سليما من فساد الخلقة ، لنكونن من الشاكرين لنعمائك ٠

***

١٩٠ ـ فلما أعطاهما ماطلبا جعلا الأصنام شركاء لله تعالى فى عطيته الكريمة ؛ وتقربا اليها ، كأنهما يشكرانها والله وحده هو المستحق للشكر يتعالى ويتسامى عن أن يكون كشركائهم ٠

***

١٩١ ـ هل يصح أن يشركوا مع الله أصناما لا تقدر ان تخلق شيئا من الأشياء وهم مخلوقون لله ؟! ٠

***

١٩٢ ـ ولا يقدرون على نصر لمن يعبدونهم ، ولا ينصرون أنفسهم اذا تعدى الغير عليهم ٠

***

١٩٣ ـ وان تدعوا أيها العابدون الأصنام ليرشدوكم الى ما تحبون ، لا يجيبوكم الى مرادكم ! فمستو عندكم فى عدم الفائدة دعاؤكم اياهم ، وسكوتكم فانه لايتغير حالهم فى الحالين ٠

***

١٩٤ ـ ان الذين تعبدونهم غير الله ، وترجون النفع منهم ، خاضعون لله بحكم تكوينهم ، من حيث كونهم مسخرين لأمره مثلكم ، فان كنتم صادقين فى زعمكم أنهم يقدرون على شىء ، فاطلبوه منهم ، فليحققوه لكم ٠

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ
فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ
وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن
تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ
نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ

١٩٥ ـ بل ان هذه الأصنام أقل منكم فى الخلق والتكوين ! ألهم أرجل يمشون بها ؟ أو أيد يدفعون بهـــا الضر عنكم وعنهم ؟ أو أعين يبصرون بها ؟ أو آذان يسمعون بها ماتطلبون فيحققوه لكم ؟ ليس لهم شىء من ذلك ! فكيف تشركونهم مع الله واذا كنتم تتوهمون أنها تنــزل الضر بى أو بأحد ، فنادوها ودبروا لى معها ما تشاءون من غير امهال ولا انتظار ، فانها لن تستطيع شيئا ! فلا تمهلونى فانى لا أبالى بها ٠

***

١٩٦ ـ ان ناصرى عليـــكم هو الله الذى له ولايتى ، وهو الذى أنزل على القرآن ، وهو وحده الذى ينصر الصالحين من عباده ٠

***

١٩٧ ـ والأصنام الذين تطلبون منهم النصر دون الله ، لا يستطيعـــون نصركم ولا نصر أنفســـهم ٠

***

١٩٨ ـ وان تسألوهم الهداية الى مافيه خيركم لا يسمعوا سؤالكم فضـــلا عن ارشادكم ! وانك لتراهم فى مقابلك كأنما ينظرون اليك ، وهم فى الحقيقة لا يرون شــــيئا ! ٠

***

١٩٩ ـ أعرض أيها النبى عن الجاهلين ، وسر فى ســبيل الدعوة ، وخذ الناس بما يسهل عليهم ، وأمرهم بكل أمر مستحسن تعرفه العقول وتدركه ،

***

٢٠٠ ـ وان تعرض لك من الشيطان وسوسة لصرفك عمـا أمرت كأن تغضب من لجاجتهم بالشر ، فاستجر بالله يصرفه عنك ، لأنه سميع لكل ما يقع عليم به ٠

***

٢٠١ ـ ان الذين خافوا ربهم ، وجعلوا بينهم وبين المعاصى وقاية من الشيطان بوســـوسة منه طافت بهم لصرفهم عما يجب عليهم ، تذكروا عـداوة الشيطان وكيده ، فاذا هم مبصرون الحق فيرجعون ٠

***

٢٠٢ ـ واخوان الشياطين من الكفار ، تزيدهم الشياطين بالوسوســة ضلالا ثم هؤلاء الكفار لا يكفون عن ضلالهم بالتبصر ٠



مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ۩



٢٠٣ ـ واذا لم تأت الكفار بآية مما يطلبون عنادا وكفرا ، قالوا : هلا طلبتها ؟ ـ قل لهم : ما أتبع الا القرآن الذى يوحى الى من ربى ، وقل لهم : هذا القرآن حجج من ربكم تبصركم وجوه الحق ، وهو ذو هداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم العاملون به ٠

* * *

٢٠٤ ـ واذا تلى عليكم أيها المؤمنون القرآن فاصغوا اليه باسماعكم ٠ لتتدبروا مواعظه ، وأحسنوا الاستماع لتفوزوا بالرحمة ٠

* * *

٢٠٥ ـ واذكر ربك ذكرا نفسيا ، تحس فيه بالتقرب الى الله والخضوع له والخوف منه ، من غير صياح ، بل فوق السر دون الجهر من القول ٠ وليكن ذكرك فى طرفى النهار لتفتتح نهارك بالذكر لربك وتختمه به ، ولا تكن فى عامة اوقاتك من الغافلين عن ذكر الله ٠

* * *

٢٠٦ ـ ان الذين هم قريبون من ربك بالتشريف والتكريم ، لا يستكبرون عن عبادته ، وينزهونه عما لا يليق به ، وله يخضعون ٠





(٨) سُورَةُ الأنفَالِ مَدَنيَّة
وآياتها خمس وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ



سورة الأنفـــال

سورة الأنفال نزلت بالمدينة ، وهى تشتمل على خمس وســـبعين آية ٠ وقد بين الله سبحانه وتعالى فى هذه الصورة بعض أحكام القتال ، والبواعث عليه ؛ وأسباب النصر ، ومقام القوة المعنوية فى الانتصار ، وأحكام غنائم الحرب ومتى يكون الأسر ، واجتمع فيها الحكم الشرعى بحكمته ٠ وهى تذكر قصـــة غزوة بدر ، وبعض ماكان قبلها ، وماجاء فى أعقابها من الاشارة الى سببها ٠ وهو اخراج المشركين للنبى من مكة ٠ ويذكر سبحانه فيها الاستعداد للحرب ، ووجوب الجنوح للسلم ، ان جنحوا لها ٠ وتختتم السورة الكريمة ببيان ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، ووجـوب هجرة المؤمنين من أرض يســـتذلون فيها ، ليجاهدوا مع أوليائهم من المؤمنين فى سبيل عزة الاسلام وعزتهم ٠

***

١ ـ أخرج النبى من مكة مهاجراً بسبب مكر المشركين وتدبيرهم أمر قتله ؛ وليكون للمسلمين دولة ، واستقر بالمدينة حيث النصرة ، وكان لابد من الجهاد لدفع الاعتداء ، لكيلا يفتن أهل الايمـان ، فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها النصر المبين والغنائم ، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل فى توزيعها ٠ يسألونك عن الغنائم : ما مآلها ولمن تكون ؟ وكيف تقسم ؟ فقل لهم أيها النبى : انها لله والرسول ابتداء ، والرسول بأمر ربه يتـــولى تقسيمها ، فاتركوا الاختلاف بشأنها واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم،

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ
إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾
وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ
وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

وأصلحوا مابينكم ، فاجعلوا الصلات بينكم محبة وعدلا . فان هذه صفة أهل الايمان .

٢ ـ ان المؤمنين حقا وصدقا يستشعرون دائما خوف الله وطاعته ، فاذا ذكر سبحانه فزعت قلوبهم ، وامتلأت هيبة ، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد ايمانهم رسوخا ، وازدادوا اذعانا وعلما ، ولا يعتمدون الا على الله الذى خلقهم ويحميهم وينميهم .

٣ ـ وأولئك المؤمنون الصادقون فى الايمان ، يؤدون الصلاة مستوفية الأركان ، كاملة الخشوع والخضوع ؛ ليكونوا على تذكر الله دائما ، وينفقون مقادير من المال الذى رزقهم الله سبحانه وتعالى فى الجهاد والبر ومعاونة الضعفاء .

٤ ـ ان هؤلاء المتصفين بتلك الصفات ، هم الذين يوصفون بالايمان حقا وصدقا ، ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله ، وهو الذى يمنحهم سبحانه رضاه ، ويغفر لهم هفواتهم ويرزقهم سبحانه رزقا طيبا فى الدنيا ، ونعيما دائما فى الآخرة .

٥ ـ وان النصر بيد الله، ومقاليد الأمور اليه ؛ وان حال المؤمنين فى خلافهم حول الغنائم كحالهم عندما أمرك الله بالخروج لقتال المشركين ببدر ، وهو حق ثابت ، فان فريقا من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين كراهيتهم .

٦ ـ يناظرك أولئك الفريق ، ويحاولون أن ينصروا قولهم فى الأمر الحق وهو الخروج للجهاد ، اذ كانوا مع اخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة الى الشام ، فلم يدركوها ، فآثر هذا الفريق العودة من بعد ما تبين أنهم منصورون ؛ لاعلام النبى لهم ، ولذعر المشركين منهم ، ولشدة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه ، وكانوا فى ذهابهم اليه كالذى يساق الى الموت وهو ينظر أسبابه ويعانيها .

٧ ـ واذكروا أيها المؤمنون وعد الله تعالى لكم ان ينصركم على احدى الطائفتين التى فيها الشوكة والقوة ، وأنتم تودون أن تدركوا الطائفة الأخرى التى فيها المال والرجال ، وهى قافلة أبى سفيان ، فاخترتم المال ولا شوكة فيه ! ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بارادته وقدرته وكلماته المعلنة للارادة والقدرة ، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين (١)

٨ ـ ليثبت الحق ويزيل الباطل ؛ لو كره ذلك الكافرون الذين أجرموا فى حق الله ، وفى حق المؤمنين وفى حق أنفسهم (١)

---

(١) تتناول الآيات الكريمة ما يجيش فى النفوس أثناء القتال من تمني ملاقاة قلة من العدو وكره ملاقاة العدد الكثير والرغبة فى اصابة المال والغنائم دون ملاقاة المكاره بينما يريد الله تعالى اعلاء الدين واظهار الحق واستئصال الكافرين .



رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ
قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟
فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ

٩ ــ اذكروا أيها المؤمنون ؛ وأنتم تتقاسمون الغنائم وتختلفون ، الوقت الذى كنتم تتهجون فيه الى الله تعالى ، طالبين منه الغوث والمعونة ، اذ كتب عليكم أنه لا خلاص من القتال ، فأجاب الله دعاءكم ؛ وأمدكم بالأرواح الطاهرة الكثيرة التى تبلغ الألف متتابعة ، يجىء بعضها وراء بعض (١) ٠

١٠ ــ وما جعل الله تعالى ذلك الامداد بالأرواح الطاهرة الا بشارة لكم بالنصر ، لتطمئنوا وتقدموا ، والله يعينكم والنصر لايجىء الا بمعونة الله القوى الغالب ، الذى يضع الأمور فى مواضعها بمقتضى علمه الذى لايغيب عنه شىء (١)

١١ ــ اذكروا أيها المؤمنون ، وقت أن خفتم من قلة الماء ، ومن الأعداء ، فوهبكم الله الأمن ، وأصابكم النعاس فنمتم آمنين ، وأنزل الماء من السماء لتطهروا به، ولتذهبوا وساوس الشيطان عنكم ؛ وثبت قلوبكم واثقة بعون الرحمن ٠ ولتتماسك به الأرض فتثبت الأقدام (٢) ٠

١٢ ــ اذكروا أيها المؤمنون أن الله أوحى للأرواح الطاهرة أن تودع فى نفوسكم أنى معكم بالتأييد والنصر ، قائلا لهم : قووا قلوب الذين آمنوا وأذعنوا للحق وجاهدوا فى سبيل الله ، وسأجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين ، فيفزعون هم دونكم ، فأضربوا أيها المؤمنون رءوسهم التى فوق أعناقهم ، وقطعوا أصابعهم التى يحملون بها السيوف) (٢) ٠

١٣ ــ كان ذلك النصر والتأييد لكم ، والرعب والفزع لهم ، لأنهم تحدوا الله ورسوله ؛ فكانوا فى جانب والله ورسوله فى جانب آخر ، ومن يحاد الله ورسوله فانه ينزل به العذاب الأليم لأن عقاب الله شديد ٠

١٤ ــ ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فذوقوه ، مع اليقين بالنصر والتأييد وأن للجاحدين بآياته عقابا آخر يوم القيامة ، هو عذاب النار ٠

---

(١) لما علم مقاتلو المؤمنين ان لامحيص عن القتال أخذوا يستغيثون بالله تعالى للنصر فاستجاب الله تعالى لهم وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين أى بدأ الامر بارسال مقدمة تليها باقي القوات وهو ما يعمل به حاليا عند ارسال قوات التعزيز لجنود المقاتلين فى ميادين القتال اذ تنص المبادىء الحديثة على ارسال الامدادات أفواجا متتابعة حتي يسهل توجيه كل فريق الى مكانه فى المعركة دون تعطل أو ازدحام وعندما تصل المعززات للقوات المقاتلة تبتهج النفوس وتعلو الروح المعنوية وهو ما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله : (وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن قلوبكم) والنصر دائما من عند الله .

(٢) تتناول الآية الاولى فضل الله تعالي على المقاتلين المؤمنين من الحصول على الأمن فى راحة النوم ونزول المطر للطهارة والاغتسال وتلبد الرمل نتيجة وجود الماء فتثبت عليه الاقدام ومن المعروف أن الرمال الناعمة تسبب تعبا للمقاتلين وتعتبر عائقا يحول دون خفة الحركة التي هى من مبادىء الحرب الرئيسية وتتناول الآية الثانية خطاب الله تعالى للملائكة بتثبيت المؤمنين والقاء الرعب فى قلوب الكافرين ، والمعروف أن الرعب اذا استولي على الجنود فى الميدان أصابهم الفشل ، وفى الآية الكريمة اشارة الى مكان الاصابة المهلكة وهى فى أعلي الرقبة وقطع الاطراف حتى يسقط السلاح من اليد .



كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن
تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ



١٥ ـ أيها الذين صـدقوا بالحق وأذعنوا له ، اذا التقيتم بالذين كفروا فى الميدان ، وهم زاحفون عليكم بكثرتهم، فلا تفروا منهـم وتجعلوا ظهـوركم أمام سيوفهم .

* * *

١٦ ـ ومن لا يلاقيهم وجها لوجه فارا منهـم ، فان الله يغضب عليه ، ومصيره الى النار ، وهى أسوأ مصير لكم ، ومن لا يلاقيهم بوجهه كيدا ومهـارة حربية ، أو يترك طائفة لينحاز الى طائفة أخرى من المؤمنين ، لتكون قـوة للقـاء فانه لا اثم عليه .

***

١٧ ـ اذا كنتم أيها المؤمنون قد انتصرتم عليهم ، وقتلتم من قتلتم منهم، فانكم لم تقتلوهم بقـوتكم ، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم ، بتأييده لكم والقاء الرعب فى قلوبهم ؛ وما رميت أيها الرسول اذ كنت ترمى التـراب والحصـا فى وجوههم افزاعا لهم ، ولكن الله تعـالى هو الذى رمى فأفزعهم الرمى ، وكان ذلك لينعم الله على المؤمنين نعما حسنة ؛ منها الابتـلاء بالشدة ، ليظهر اخلاصهم ، وأن الله عليم بأمورهم ، بـسميع لأقوالهم ، وكذلك هو عليم بأمور أعدائهم وأقوالهم .

***

١٨ ـ ذلك هو النصر العظيم ، مع أن الله تعالى مضعف لكل تدابيـر الكافرين .

***

١٩ ـ ان كنتم أيها المشركون تتعلقون بأستار الكعبة ، طالبين الفصـل بينكم وبين المؤمنين ، فقد جاءكم الأمر الفاصل ؛ ولبس نصرا لكم ، بل هـو نصر للمؤمنين ، وان تعودوا الى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة ، ولن تغنى عنـكم جماعتكم المؤتلفة على الاثم شـيئا ! ولو كان العدد عندكم كثيرا ! فان الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له .

***

٢٠ ـ يأيها الذين صـدقتم بالحق وأذعنتم له ، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله ، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول ، ولا تعرضـوا عن دعوة الرسـول الى الحق وأنتـم تسمعون وتعون مايقول .

***

٢١ ـ ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا : سـمعنا الحق ووعينـاه ، لكنهم لا يذعنـون له ولا يؤمنون به ، فكانوا كغير السامعين .



ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ
خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا
يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ
إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ
وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

٢٢ ـ ان أولئك المشركين ، والمنـــافقون معهم ، هم كشر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسـمع ، وبالبكم فلا تتكلم ، فهم صـــموا عن الحق ، فلم يســــمعوه ولم ينطقوا به ولم يعقلوه !! .

٢٣ ـ ولو علم الله بعلمه الأزلى أن فيهم ، وهم بهذه الحال ، ما يكون خيرا لأنفســهم وللناس وللحق ، لأسمعهم ســـماع هداية يوصل الحق الى عقولهم ، ولو ســـمعوه وفهموه لانصرفوا عن الاهتداء ، وحال الاعراض الآن لا تفـارقهم لغلبـــة الهوى .

٢٤ ـ يأيها الذين صـــدقوا بالحق وأذعنوا له ، أجيبوا الله فى اتجـاه قلبى الى ما يأمركم به ، وأجيبوا الرسول فى تبليغه ما يأمر به الله ، اذا دعاكم الرسول الى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكـم وقلـوبكم ، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى قائم على قلوبكم ؛ يوجهها كما يشاء نيحول بينكم وبين قلوبكم اذا أقبل عليها الهوى ؛ فهو منقذكم منه ان اتجهتم الى الطريق المستقيم ، وانكم جميعا ستجمعون يوم القيامة فيكون الجزاء

٢٥ ـ واجعلوا وقاية بينكم وبين الـذنب العظيم الذى يفسد جماعتكم ، كالامتناع عن الجهاد ، وكالشـقاق ، وكالامتناع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فان ذلك الـذنب لا يصيب الذين ظلموا وحدهم ، بل يصيب الجميع؛ واعلموا علما جازما أن عقاب الله شديد فى الدنيا والآخرة .

٢٦ ـ وتذكروا أيها المؤمنون فى حال قوتكم ، وقت أن كنتم عددا قليلا ، وضعفاء يستغل أعداؤكم ضعفكم ، وقد أستولى عليكم الخـــوف من أن يتخطفكم أعداؤكم ؛ فهاجرتم بأمر الله وجعل من يثرب مأوى لكم ، وكان لكم النصر بتأييده وتوفيقه ، ورزقكم الغنائم الطيبة رجاء أن تشـكروا هذه النعم ، فتســيروا فى طريق الجهـاد لاعلاء كلمة الحق .

٢٧ يأيها الذين صـــدقوا بالحق وأذعنوا له ، لا يصـح أن تكون منكم خيانة لله ورسوله بموالاة أعداء الحق ، أو بالخيـانة فى الغنائم ، أو بالقعود عن الجهاد ، ولا تخونوا فى الأمانات التى تكون بينكم ، وأنتم تعلمـون أوامره ونواهيه .

٢٨ ـ واعلموا أيها المؤمنون الصـــادقون أن فتنة نفوســكم تجىء من فرط محبتـكم لأولادكم ولأموالكم ، فلاتغلبوا محبة المال والـولد على محبة الله تعالى ، فان ذلك يفســد أموركم . واعلموا أن ثواب الله عظيم يجـزيكم عن المال والولد .

إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ
إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا
كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا

٢٩ ـ يأيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له : ان تخضعوا لأوامر الله فى السر والعلن ، يجعل الله تعالى فى أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل . ويهبكم نصرا ليفصل بينكم وبين أعدائكم ، ويستر سيئاتكم فتذهب ويغفرها لكم ، وهو سبحانه صاحب الفضل الكبير دائما .

***

٣٠ ـ واذكر أيها النبى نعمة الله عليك ، اذ يمكن المشركون للايقاع بك : اما بأن يحبسوك ، واما بأن يقتلوك ، واما بأن يخرجوك ! انهم يدبرون لك التدبير السيىء ! والله تعالى يدبر لك الخروج من شرهم ، وتدبير الله هو الخير وهو الأقوى والغالب .

***

٣١ ـ واذكر ، أيها النبى ، معاندة المشركين عندما كنت تقرأ عليهم آيات القرآن الكريم ، وهى آياتنا ، فيذهب بهم فرط الجهل والغرور الى أن يقولوا : لو أردنا أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا ، فما هو الا ما سطره الأولون من قصص ! .

***

٣٢ ـ واذكر أيها النبى كيف ذهبوا فى محادتك ومحادة الله أن قالوا معاندين موجهين النداء لله ربهم : ان كان ما تجىء به هو الأمر الثابت ، فاجعل السماء تمطر حجارة ، أو أنزل عذابا شديدا أليما .

***

٣٣ ـ وما كان من حكمة الله تعالى أن يعذبهم فى الدنيا بعذاب شديد وأنت فيهم تدعو الى الحق راجيا اجابتهم ؛ وماكان من شأن الله أن يعذب العصاة وهم يستغفرونه ويقلعون عما هم فيه .

* * *

٣٤ ـ وان حالهم القائمة الآن تسوغ تعذيبهم ، لأنهم يمنعون الناس من المسجد الذى حرم الله القتال حوله ، ولكن يؤخرهم الله لما قدره فى علمه من ايمان الكثيرين منهم ؛ وانهم فى حالهم هذه ليسوا نصراء ذلك المسجد المكرم ، لأنهم دنسوه بالوثنية ، وانما نصراؤه الحقيقيون هم المؤمنون الطائعون لله ، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون الدين ، ولا مقام ذلك البيت الكريم .

مُكَآءً وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ
فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ
جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾
قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن
يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي



٣٥ ــ وماكان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم الا صفيرا وصفقا بالايدى ، واذا كانت تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه فى ميدان القتال ،لينزاح الشرك عن البيت ، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم ٠

***

٣٦ ــ ان هؤلاء الذين جحدوا بالآيات وأشركوا بالله : ينفقـــون اموالهم ليمنعوا الناس عن الايمان بالحق، وهم سينفقونها . ثم تكون الاموال بسبب ضـــياعها عليهم من غير جدوى موجبة للندم والألم ، وســـيغلبون فى ميدان القتال فى الدنيا ، ثم يجمعوا الى جهنم فى الآخرة ان استمروا على كفرهم ٠

***

٣٧ ــ وان الهزيمة فى الدنيا ، والعذاب بالنار فى الآخرة ، ليفصل الله الخبيث النفس والفعـــل والقول عن الطيب فى نفســـه وقلبه وقوله وفعله ، وليجعل الخبيث بعضـــه فوق بعض ، فيجمعه ويضم أجزاءه ويجعله فى النار يوم القيامة ، وأولئك المشركون المفسدون هم الخاسرون وحدهم فى الدنيـا والآخـــرة ٠

***

٣٨ ــ وان باب الرجاء مفتوح مع هذا الترهيب ، فقل ، يا نبى الرحمة ، لهؤلاء الجاحدين انهم ان ينتهوا من العناد والاشراك فان الله يغفر لهم ما ســبق من أعمالهم ٠ وان استمروا على ضلالهم وعادوا الى قتالكم : فقد تقررت الطريقة الحق فى الأولين ، وهى نصر الحق على الباطل ، ان التزم أهل الحق الطاعـــة وســـــبيل النصر ٠

***

٣٩ ــ واستمروا فى قتـــال المشركين حتى يمتنعوا عن افسادهم لعقائـد المؤمنين بالاضـــطهاد والأذى ، فان انتهوا عن الكفر وايذاء المؤمنين ، وخلص الدين لله ، فان الله تعالى عليم بأعمالهم ومجازيهم عليها (١) ٠

* * *

٤٠ ــ وان استمروا على اعراضهم وايذائهم للمؤمنين، فاعلموا أيها المؤمنون أنكم فى ولاية الله ، وهى أحب ولاية وأقواها ، وهو ناصركم ، ونصرته أقوى نصرة واعظمها ٠

---

(١) يراجع التعليق العلمى على آيات القتال من سورة البقرة ١٩٠ ــ ١٩٤



ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ
ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ
وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ
حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ
فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ
فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

٤١ ـ واعلموا ، أيها المسلمون ؛ أن ماظفرتم به من مال الكفار فحكمه أن يقسم خمسة اخماس ، خمس منها لله وللرسول ولقرابة النبى واليتامى ،وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء ، والمساكين ، وهم ذووالحاجة من المسلمين ، وابن السبيل ، وهو المنقطع فى سفره المباح • والمخصص من خمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التى يقررها الرسول فى حياته ، والامام بعد وفاته ، وباقى الخمس يصرف للمذكورين • واما الأخماس الأربعة الباقية من الغنيمة ، وسكتت عنها الآية ، فهى للمقاتلين ، فاعلموا ذلك ، واعملوا به ان كنتم آمنتم بالله حقا ، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد ؛ يوم الفرقان الذى فرقنا فيه بين الكفر والايمان ، وهو اليوم الذى التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر ، والله عظيم القدرة على كل شىء ،وقد نصر المؤمنين مع قلتهم وخذل الكافرين مع كثرتهم •

***

٤٢ ـ واذكروا حين كنتم فى الوادى بأقرب الجانبين من المدينة ، وهم بأبعد الجانبين ، وركب التجارة الذى تطلبونه أقرب اليكم مما يلى البحر ، ولو تواعدتم أنتم على التلاقى للقتال لما اتفقتم عليه ، ولكن الله دبر تلاقيكم على غير موعد ولا رغبة منهم • لينفذ امرا كان ثابتا فى علمه أنه واقع لا محالة ، وهو القتال المؤدى الى نصركم وهزيمتهم ، لتنقطع الشبهات ، فيهلك الهالكون عن حجة بينة بالمشاهدة ، وهى هزيمة الكثرة الكافرة ، ويحيا المؤمنون عن حجة بينة ، وهى نصر الله للقلة المؤمنة • ان الله لسميع عليم لا يخفى عليه شىء من أقوال الفريقين ولا نياتهم •

* * *

٤٣ ـ واذكر ، أيها الرسول ، حين تفضل الله عليك ، قصور لك فى منامك جيش الأعداء فى قلة ليطمئنكم على أنكم ستغلبونهم ، فتثبتوا أمام جمعهم ولو تركهم تروْنهم كثيرا ، دون ان يثبتكم بهذه الرؤيا ، لهبتموهم ، ولترددتم فى قتالهم ، ولعجزتم ، وكان التنازع فى الاقدام وعدمه ، ولكن الله سلم من ذلك ونجى من عواقبه ، انه عليم بما فى القلوب التى فى الصدور •

* * *

٤٤ ـ واذكر ، أيها الرسول ، حينما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقى قلة فى اعينكم ، كما يظهركم الله فى اعين أعدائكم قله ، ولما فى أنفسهم من الغرور بالكثرة ، ليقدم كل منكم على قتال الآخر ، فيتم تنفيذ أمر علمه الله ، وكان لابد أن يتم ، والى الله ترجع أمور العالم كله ، فلا ينفذ الا ما قضاه وهيأ أسبابه •



فَاثْبُتُوا۟ وَاذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

٤٥ ــ يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم جماعة مقـــاتلة من أعدائكم فاثبتوا ولا تفروا منهم واذكروا الله متمثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين ، مكثرين فى ذلك الذكر مع الثبات والصبر ، فانكم ان فعلتم ذلك كان رجاؤكم للفـلاح محققا (١)

٤٦ ــ وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيتم عنه ، ودعوا التنازع والاختلاف ؛ فانهما مدعاة الى ضياع القوة والى العجز ، واصبروا على ماتلقـون من مكاره الحرب ، فان الله مع الصـابرين بالعـــون والتأييـد والتثبيت وحســن الجزاء .

٤٧ ــ ولا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم ، مغرورين بما لهم من قوة ونعمة ، مفاخرين ومتظاهرين بهما أمام الناس ، يريدون الثناء عليهـم بالشجاعة والغلبة ، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والاسلام ، والله محيط بأعمالهم علما وقدرة ، وسوف يجازيهم عليها فى الدنيا والاخرة (١)

٤٨ ــ واذكروا ، أيها المسلمون ، حينما حسن الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته ، قائلا لهم : انه لا يســـتطيع أحد من الناس أن يغلبهم ، ويؤكد لهم أنه مجير لهم ! فلما تقابل الفريقان فى الحرب بطل كيده ووسوسته ورجـع مدبرا ، وتبرأ منهم ، وخاف أن يهلكه الله ، والله شـــديد العقاب على الذنوب .

٤٩ ــ واذكر ، أيها الرسول ، حينما يقول المنافقون من الكفار وضـعفاء الايمان عند رؤيتكم فى اقدامكم وثباتكم : غر هؤلاء المسلمين دينهم !! وان من وكل الى الله أمره مؤمنا به معتمدا عليه ، فان الله يكفيه ما أهمه ، وينصره على أعـدائه ؛ لأن الله قوى السلطان حكيم فى تدبيره .

٥٠ ــ ولو ترى ، أيها الرسول ، ذلك الهول الخطير ، الذى ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوفاهم الملائكة فينزعون أرواحهم ، وهم يضربونهم من امام ومن خلف ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة !!

---

(١) فى الآيات الكريمة تنبيه لضرورة الثبات فى وجه العدو وان العبد ينبغى الا يشغله شىء عن ذكر الله وان يلتجىء الي الله عند الشدائد ، وفى ذلك أيضا تنبيه الى اهمية التدين والايمان فى رفع الروح المعنوية والثبات وفى الآيات أيضــا ايضاح لاهمية الطاعة وتنفيذ ما أمر الله ورسوله به حتى لا يدب الفشل نتيجة الفرقة كما ينبغى عدم التفاخر والتباهى بالعظمـة والانصراف الي التظاهر بالشجاعة والسماحة والرياء .



وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥١ ـ وان الله ليس ظالما لعبيده فى تعذيبهم على ما ارتكبوه ، بل ذلك هو العدل ، لأنه لا يستوى المسىء والمحسن، فعقابه على مااقترفوا من أعمال سيئة ٠

٥٢ ـ ان عادة هؤلاء المشركين وشأنهم فى الكفر ، كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم ٠ جحودا منهم بآيات الله ، فعذبهم الله على ذنوبهم ، وهو غير ظالم لهم ٠ ان الله قوى فى تنفيذ حكمه ، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه ٠

٥٣ ـ وهذا عدل فى الجزاء ، بسبب ان الله لا يغير نعمة أنعم بها على قوم ، كنعمة الأمن والرخاء والعافية ، حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال والأسباب ! وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون ٠

٥٤ ـ وكما أن دأب هؤلاء فى الانكار لآيات الله ونعمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فان دأبهم وشأنهم فى الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فالشبه بينهم فى الكفر بالآيات ؛ وجحود رسالة الرسل ، وتكذيبهم ، وفى الاستمرار على ذلك ٠فكلا أخذ اللهبذنبه أولئك بالصواعق والرياح ونحوها ، وآل فرعون بالغرق ، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم ، واستحقوا ما نزل بهم من العقاب ٠

٥٥ ـ ان شر ما يدب على وجه الأرض عند الله فى حكمه وعدله ، هم الكفار المصرون على كفرهم ٠

٥٦ ـ الذين عقدت معهم العهود والمواثيق ، ولا يزالون ينقضونها مرةبعد مرة ، وهم اليهودالذين لايردعهم عنذلك تعظيم لله ،ولاخوف من نقمته وعذابه(١)

٥٧ ـ فان تدرك ، أيها الرسول ؛ هؤلاء الناقضين لعهدهم ، وتصادفهم فى الحرب ظافرا بهم ، فنكل بهم تنكيلا يسوؤهم ويخيف من وراءهم ، فتفرق جموعهم من خلفهم ٠ فذلك التنكيل أرجى لتزكيرهم بنقض العهود ، ولدفع غيرهم عن الوقوع فى مثل ما وقع فيه هؤلاء (١)

---

(١) فى الآيات الكريمة تحذير من الذين يعاهدون ثم ينقضون العهد هؤلاء يجب التنكيل بهم وبمن وراءهم وفى الآية بيان لاهمية تدميرمؤخرة العدو وهو اسلوب من اساليب القتال الحديثة لان ايقاع الاضطراب فى مؤخرة العدوكفيل بارباكه ودفعه الى توزيع جنوده لحماية مؤخرته وفى هذا تفكيك لقوته .

يضاف الى ذلك ان فى المناطق الخلفية منميادين القتال توجد المنشآت الادارية التى تعتمد عليها القوات فى الاعاشة ووقوع الاضطراب فى هذه الانحاء يؤدى الى عدم انتظام اعانة القوات وبالتالي الى ايقاع الهزيمة بالعدو .

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم
مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟
مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾



* وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ
أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

٥٨ ـ وان تتوقع من قوم خيانة بأمارات تنبىء بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد ، فاقطع عليهم طريق الخيانة لك ؛ بأن تعلن فسخك لعهدهم ، حتى يكونوا على علم بأمرك ، وحتى لايستطيعوا خيانتك ، ان الله لا يحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم ٠

٥٩ ـ ولايظن الذين كفروا أنهم قد سبقوا ونجوا من عاقبة خيانتهم وغدرهم ! انهم لايعجزون الله عن الاحاطة بهم ، بل هو القادر وحده ، وسيجزيهم بقوته وعدله ٠

٦٠ ـ وأعدوا يامعشر المسلمين لمواجهة أعدائكم مااستطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال ، ومن المرابطين فى الثغور وأطراف البلاد بخيلهم، لتخيفوا بهذا الاعداد والرباط عدو الله وعدوكم ،من الكفار المتربصين بكم الدوائر وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم ٠ لأنه لا يخفى عليه شىء ٠ وكل ما انفقتم من شىء فى سبيل اعداد القوة قاصدين به وجه الله ، فان الله يجزيكم عليه جزاء وافيا ، دون أن ينقصكم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم (١)

٦١ ـ وان مال الاعداء عن جانب الحرب الى جانب السلم ، فاجنح لها أيها الرسول ، فليست الحرب غرضا مقصودا لذاته عندك انما أنت قاصد بها الدفاع ، لعدوانهم ، وتحديهم لدعوتك ٠ فاقبل السلم منهم ، وتوكل على الله ؛ ولا تخف كيدهم ومكرهم ! انه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به ، العليم بما يدبرون ويأتمرون ؛ فلا يخفى عليه شىء (٢)

٦٢ ـ وان أرادوا من تظاهرهم بالجنوح الى السلم خدعة ومكرا بك ، فان الله يكفيك أمرهم من كل وجه ، وقد سبق له ان أيدك بنصره ، حين هيأ لك من الأسباب الظاهرة والخفية ما ثبت به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار ٠

٦٣ ـ وجمع بينهم على المحبة بعد التفرق والتعادى ، فأصبحوا ملتفين حولك ، باذلين أرواحهم وأموالهم فى سبيل دعوتك ، وانك لو انفقت جميع ما فى الأرض من الأموال والمنافع ، فى سبيل هذا التأليف ، لما أمكنك أن تصل اليه ، لأن القلوب بيد الله ، ولكن الله ألف بينهم ، بهدايتهم الى الايمان والمحبة والإخاء ، انه تعالى قوى غالب ، يدبر أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم ٠

---

(١) فى الآية الكريمة حث صريح وأمر على الاستعداد لملاقاة العدو فالحرب قديما وحديثا امر خطير جلل تتوقف عليه مصائر الامم لذلك فهي جديرة بالتحضير والتجهيزات والاعداد فى مختلف نواحى العدد والقوة والعتاد ودخول الحرب دون تجهيز واعداد يسبب الفشل ونحن نرى الدول الان تستعد فى وقت السلم للحرب وتبنى سياستها واستراتيجيتها وتعبىء جميع مواردها للحصول علي النصر فى الحرب . والحرب الان شاملة يشترك فيها الشعب والجيش وهى بذلك أولي باعداد كل منهما اعدادا شاملا يضمن النصر .

(٢) مبدأ عظيم من مبادىء الاسلام دين السلام ونحن الان نسمع كل دول العالم تنادى بالسلام ولهذا انشئت هيئة الامم المتحدة .

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ

٦٤ ــ يأيها النبى ، ان الله تعالى متكفل بك وبمن اتبعك من المؤمنين ؛ فى كل ما يهمكم من أمر (١)

٦٥ ــ يأيها النبى حث المؤمنين على القتـــال لاعلاء كلمة الله ورغبهم فيما وراءه من خير الدنيا والآخرة ، لتقوى بذلك نفوسهم وانه آن يوجد منكم عشرون معتصمون بالايمان والصبر والطاعة ، يغلبوا مائتين من الذين كفروا . ذلك بانهم قوم لا يدركون حقـائق الأمور ، فليس لهم ايمان ولا صبر ولا مطمع فى ثواب ..

٦٦ ــ واذا كان واجبكم أيها المؤمنون أن تصبروا على ملاقاة أعدائكم فى حال قوتكم ، ولو كانوا عشرة أمثالكم ، فقد رخص الله لكم فى غير حال القوة ان نصبروا أمام مثيلكم فقط من الأعداء لعلمه أن فيكم ضعفـا يقتضى التيسير عليكم والترخيص لكم ، بعد أن تثبت هيبة الاسلام فى نفوس الكفار ، فان يكن منكم مائة مجاهد صابر يغلبوا مائتين من الكفار ، وان يكن منكم ألف يغلبوا الفين بارادة الله ومعـونته ، والله مع الصابرين بنصره وتأييده (١)

٦٧ ــ لا يسوغ لأحد من الأنبياء أن يكون له أسرى يحتجزهم ، أو يأخذ منهم الفداء أو يمن عليهم بالعفو عنهم ، حتى يتغلب ، ويظهر على أعدائه ،ويثقلهم بالجراح ، فلا يستطيعوا قتالا فى الأرض ،ولكنكم ، ياجماعة المسلمين ،سارعتم فى غزوة بدر الى اتخاذ الأسرى قبل التمكن فى الأرض ، تريدون منافع الدنيا والله يريد لكم الآخرة ، باعلاء كلمة الحق ، وعدم الالتفات الى ما يشغلكم عن الدنيا والله قوى قادر غالب ، يدبر الأمور لكم على وجه المنفعة

٦٨ ــ لولا حكم سابق من الله بالعفو عن المجتهد المخطىء لأصابكم فيما اخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به .

٦٩ ــ فكلوا مما غنمتم من الفداء حلالا لكم غيـر خبيث الكسب ؛ واتقوا الله فى كل أموركم ، ان الله عظيم الغفران والرحمـة لمن شـاء من عباده اذا اناب الى ربه .

---

(١) فى الآيات الكريمة بيان لاهميـــة العقيدة الراسخة والايمان فى الحرب فليس المهم العدد وانما القوة قوة الروح المقاتلة وايمان القلب ،وهو امر واضح فى جميع الحـــروب على مـر الزمان . وكم من فئة قليلـــة قوية الايمـان بقضيتها غلبت فئة كبيرة واهية ولا تؤمـــن بقضيتها الخاسرة ، وفى الآيات ايضا بيان لوضع القائد فى المعركة فمن واجباته تنظيم ودفـــع جنوده وتحريضهم للقتال ويدخـــل فى ذلك أن يكون اسوة لهم وان يوضح لهم اساليب النصر وهذا وذاك من واجب كل قائد فى كل زمان .



ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ

خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن

وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى

ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ

ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ

٧٠ ـ يأيها النبى ؛ قل للذين وقعوا فى أيديكم من الأسرى : ان يكن فى قلوبكم خير يعلمه الله ، يخلف لكم خيرا مما أخذه المؤمنون منكم . ويغفر لكم ماكان من الشرك والسيئات ، والله كثير المغفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه .

***

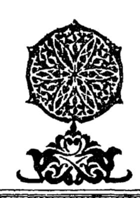
٧١ ـ وان يريدوا خيانتك بما يظهر بعضهم من الميل الى الاسلام مع انطواء صدورهم على قصد مخادعتك ، فلا تبتئس ، فسيمكنك الله منهم ، كما خانوا الله من قبل باتخاذ الانداد والشركاء والكفر بنعمته ، فأمكن منهم اذ نصرك عليهم فى بدر ، مع التفاوت بين قوتك فى القلة ، وقوتهم فى الكثرة . والله قوى غالب متصرف بحكمته فأمكن من نصره عباده المؤمنين .

***

٧٢ ـ ان الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه ، وهاجروا من مكة ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والذين آووهم فى غربتهم ، ونصروا رسول الله يقاتلون من قاتله ؛ ويعادون من عاداه ، بعضهم نصراء بعض فى تأييد الحق واعلاء كلمة الله على الحق . والذين لم يهاجروا ، لا يثبت لهم شىء من ولاية المؤمنين ونصرتهم ، اذ لاسبيل الى ولايتهم حتى يهاجروا ؛ وان طلبوا منكم النصر على من اضطهدوهم فى الدين ، فانصروهم . فان طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم ، لم ينقضوا الميثاق معكم ، فلا تجيبوهم ، والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شىء ، فقفوا عند حدوده لئلا تقعوا فى عذابه .

***

٧٣ ـ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، فهم متناصرون على الباطل ، متعاونون فى عداوتكم ، فلا توالوهم ؛ فان خالفتم وواليتموهم ، تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض .



لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ
بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟
ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾



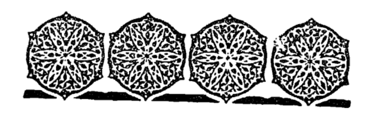
٧٤ ــ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة الله ، هم الصادقو الايمان ؛ والله تعالى يغفر لهم ، ولهم رزق كبير فى الدنيا والآخرة ٠

***

٧٥ ــ والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا اخيرا وجاهدوا مع السابقين، فأولئك منكم ياجماعة المهاجرين والأنصار ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض ٠ وذوو الأرحام من المؤمنين لهم ــ فضلا عن ولاية الايمان ــ ولاية القرابة ، فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد ، وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شئ ٠

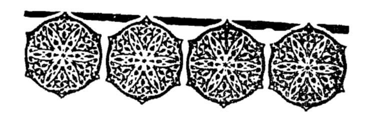


مطابع شركة الاعلانات الشرقية)



تفسير سورتي

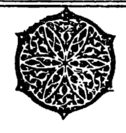
التوبة و يونس





(٩) سورة التوبة مدنية
وآياتها تسع وعشرون ومائة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾
وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ
أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ



سورة التوبة

سورة التوبة مدنية ، نزلت بالمدينة فى العام التاسع ، وحملها على بن أبى طالب الى المسلمين فى الحج ، وقرأها عليهم ، وأمير الحج فى هذا العامأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وآياتها تسع وعشرون ومائة ، وقد ابتدأت ببراءة الله تعالى من المشركين ، ولذلك سميت سورة براءة ، وذكرت بعد ذلك حرمة الأشهر الحرم ، وعهد المشركين ، ووجوب الوفاء مالم ينكثوا ، ومن ينكث فى العهد فانه يجب حربه ، وبينت بعد ذلك ان لب التقرب الى الله تعالى هو الايمان به ، وانه لايكمل الايمان الا اذا كان الله ورسوله أحب الى المؤمنين من كل شىء ، وذكر سبحانه أن الاعتزاز بالقوة ، يبعد النصر ، وأشـار الى حال المسلمين فى غزوة حنين • وفى هذه السورة حرم على المشركين دخول المسجد الحرام ، لأنهم نجس !

وفيها النص على وجوب قتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد ، وبين فيها عدد الأشهر الحرم ، وفيها بينت ضرورة النفرة الى القتال عند كل نداء من غير تلكؤ ، وفيها من بعد ذلك اشارات الى المخلفين والمعوقين عن الخروج للقتال ، وبيان أحوال المنافقين الذين يبتغون الفتنة فى كل وقت تكون الدعوة فيه الى القتال ! وذكر الله تعالى المنافقين فى معاملتهم للمؤمنين فى السلم وفى الحرب •

وفى هذه السورة الأمر القاطع المعلن لعقوبة النفاق ، وهو الا يصـلى النبى صلى الله عليه وسلم على أحد منهم ، وذكر سبحانه بعد ذلك الأعذار التى تسوغ التخلف ، وبين سبحانه حال الذين أظهروا الدخول فى الاسلام من الاعراب ، أو خضعوا لأحكامه بعد ان صارت له قوة ، وبين أن هؤلاء الأعراب مقيمون حول المدينة وقريبا منها •

وذكرمن بعد ذلك أحوال الناس بالنسبة للايمان ، وذكر خبر مسجد الضرار الذى بناه المنافقون ليغضبوا من المسجد الذى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين الصادقين فى ايمانهم ،وتوبة الذين كانوا قد خلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبول الله تعالى لهذه التوبة ، كما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الناس فى تلقى آيات القرآن عند نزولها ، وختم سبحانه وتعالى السورة بأنالله تعالى اختار محمدا للرسالة وهو لايريد عنت من أرسل اليهم ، وانه بهم رءوف رحيم ، وان الله حسبه اذا تولوا عنه •

١ ــ الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدتموهم فنقضوا العهد

٢ ــ فلكم الأمان أيها المشركون ــ مدة أربعة أشهر ــ من حين البراءة تتنقلون فيها حيث شئتم ، واعلموا أنكم حينما كنتم خاضعون لسلطان الله ؛ وأنتم لا تعجزونه ، وان الله كاتب الخزى على الذين يجحدونه •

خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم
مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟
ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟

٣ ـ وبلاغ من الله ورسوله الى النـــاس عامة ، فى مجتمعهم يوم الحج الأكبر . ان الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين . فيآيهـــا المشركون الناقضون للعهد ، اذا رجعتم عن شرككم بالله ، فان ذلك خير لكم فى الدنيا والآخرة ، أما ان أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه ؛ فاعلمـــوا أنكم خاضعون لسلطان الله .أيها الرسول أنذر جميع الكافرين بعذاب شديد الايلام

* * *

٤ ـ أما من عاهدتم من المشركين ، فحافظوا على عهودكم ولم يخـلوا بشيء منها ولم يعينوا عليكم احدا ، فاوفوا لهم عهدهم الى نهايته واحترموه .. ان الله يحب المتقين المحافظين على عهودهم .

* * *

٥ ـ فاذا انقضت مدة الأمان ـ الأشهر الاربعـــة ـ فاقتلـــوا المشركين الناقضين للعهد فى كل مكان ، وخذوهم بالشدة ، واضربوا الحصار عليهـم بسد الطرق ، واقعدوا لهم فى كل سبيل ، فان تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الاسلام باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم فى دين الله ، والله عظيم المغفرة لمن تاب ، واسع الرحمة بعباده .

* * *

٦ ـ وان طلب منك الأمان ، أيها الرسول ، احد من المشركين الـذين امرتم بقتالهم ليسمع دعوتك ، فأمنه حتى يسمع كلام الله ، فان دخـل فى الاسلام فهو منكم ، وان لم يدخل فأبلغه مكانا يكون فيه آمنا . وهذا الأمـر بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله بسبب ما ظهر من جهلة للاســلام ، ورغبته فى العلم به .

* * *

٧ ـ كيف يكون لهؤلاء المشركين ، الناقضين للعهود مرارا ، عهـــد محترم عند الله وعند رسوله ؟ فلا تأخذوا بعهودهم ، الا الذين عاهدتمـــوهم



لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ
يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾
ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ
ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ
إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا
نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم ، فاستقيموا انتم لهم على عهدكم ماداموا مستقيمين ، ان الله يحب الطائعين له الموفين بعهودهم

* * *

٨ ـ كيف تحافظون على عهودهم ، وهم قوم ـ ان يتمكنوا منكم ويكونوا ظاهرين عليكم ـ فلن يدخروا جهدا فى القضاء عليكم ، غير مراعين فيكم قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء يخدعونكم بكلامهم المعسول ، وقلوبهم منطوية على كراهيتكم ، واكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد ·

* * *

٩ ـ أعرضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عرضا قليلا من أعراض الدنيا ، ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله ! ان هؤلاء قبح ما كانوا يعملون

* * *

١٠ ـ تلك حال جحودهم ، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء ، فهو مرض لازم لهم !

* * *

١١ ـ فان تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الاسلام باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، فهم اخوانكم فى الدين ، لهم ما لكم وعليهما ما عليكم ، ويبين الله الآيات لقوم ينتفعون بالعلم ·

* * *

١٢ ـ وان نقضوا عهودهم من بعد توكيدها ، واستمروا على الطعن فى دينكم ، فقاتلوا رؤساء الضلال ومن معهم ، لأنهم لاعهد لهم ولا ذمة ، لينتهوا عن كفرهم ·

* * *

١٣ ـ هلا تسارعون ، ايها المؤمنون ، الى قتال جماعة من المشركين ، نقضوا عهودكم مرارا ، وقد سبق أن هموا باخراج الرسول من مكة وبقتله ، وهم الذين بدأوكم بالايذاء والعدوان من أول الأمر ! اتخافونهم ؟ لاتخافوهم ، فالله وحده أحق بأن تخافوه ، ان كنتم صادقين فى ايمانكم ·



قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ

وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ

وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمۡ

حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ

وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ

أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ

أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾

إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ

أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ

ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ



١٤ ـ قاتلوهم أيها المؤمنون ، يذقهم الله العذاب على أيديكم ، ويذلهم وينصركم عليهم ، ويشف بهزيمتهم واعلاء عزة الاسلام ماكان من ألم كامن وظاهر بصدور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار

***

١٥ ـ ويملأ الله قلوب المؤمنين فرحا بالنصر بعد الهم والخوف ، ويذهب عنهم الغيظ ، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم ، والله واسع العلم بشئون عباده ، عظيم الحكمة فيما يشرع لهم ٠

***

١٦ ـ لاتظنوا أيها المؤمنون أن يترككم الله تعالى دون اختبار لكم بالجهاد ونحوه ٠ ان من سنته تعالى الاختبار ، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين ، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء ، والله عليم بجميع أعمالكم ، ومجازيكم عليها ٠

***

١٧ ـ ليس المشركون أهلا لأن يعمروا مساجد الله ، وهم مستمرون على كفرهم ، معلنون له ! أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ، ولا ثواب لهم عليها ! وهم خالدون فى النار يوم القيامة !

***

١٨ ـ ولكن الذين يعمرون مساجد الله ، انما هم الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأدوا الصلاة على وجهها ، وأخرجوا زكاة أموالهم ، ولم يخشوا الا الله وحده ، وهؤلاء يرجى لهم ان يكونوا عندالله من المهتدين الى الصراط المستقيم ٠

***

١٩ ـ لاينبغى أن تجعلوا القائمين بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام من المشركين ، فى منزلة الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وجاهدوا فى سبيل الله ٠٠ ذلك أنهم ليسوا بمنزلة واحدة عند



وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

الله . والله لايهدى الى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم انفسهم بالكفر وظلم غيرهم بالأذى المستمر .

***

٢٠ ــ الذين صدقوا بوحدانية الله ، وهاجروا من دار الكفر الى دار الاسلام ، وتحملوا مشاق الجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات ، وهؤلاء هم الظافرون بمثوبة الله وكرامته .

***

٢١ ــ هؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التى تشملهم ، ويخصهم برضاه ، وهو أكبر جزاء ، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم .

***

٢٢ ــ وهم خالدون فى الجنة لا يتحولون عنها ، وان الله عنده أجرعظيم وثواب جزيل .

***

٢٣ ــ يأيها المؤمنون لاتتخذوا من آبائكم وابنائكم واخوانكم وعشيرتكم وازواجكم ، نصراء لكم ، مادامو يحبون الكفر ويفضلونه على الايمان ومن يستنصر بالكافرين ، فأولئك هم الذين تجاوزوا الطريق المستقيم .

***

٢٤ ــ قل يأيها الرسول للمؤمنين : ان كنتم تحبون آباءكم وأبناءكم واخوانكم وازواجكم، وأقرباءكم ؛ وأموالا اكتسبتموها ، وتجارة تخافون بوارها ، ومساكن تستريحون للاقامة فيها .. أكثر من حبكم لله ورسوله والجهاد



وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

فى سبيله ، حتى شغلتكم عن مناصرة الرسول ، فانتظروا حتى يأتى الله بحكمة فيكم وعقوبته لكم • والله لايهدى الخارجين على حدود دينه

***

٢٥ ـ لقد نصركم الله ايها المؤمنون على اعدائكم فى كثير من المواقع بقوة ايمانكم ، وحين غرتكم كثرتكم فى معركة حنين تركم الله لأنفسكم أول الأمر ، فلم تنفعكم كثرتكم شيئا ، وظهر عليكم عدوكم ، ولشدة الفزع ضاقت عليكم الأرض ، فلم تجدوا سبيلا للقتال أو النجاة الشريفة ، ولم يجد اكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب ، ففررتم منهزمين ، وتركتم رسول الله مع قلة من المؤمنين (١)

***

٢٦ ـ ثم أدركتم عناية الله ؛ فأنزل الطمأنينة على رسوله ، وملأ بها قلوب المؤمنين ، وأمدكم بالملائكة جنوده التى ثبتت أقدامكم ، ولم تروها ، فانتصرتم •• وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة وذلك جزاء الكافرين فىالدنيا

***

٢٧ ـ ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه ، اذا رجع عنه مخلصا ، والله عظيم المغفرة واسع الرحمة •

***

٢٨ ـ يأيها المؤمنون ، انما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم وهم ضالون فى العقيدة ، فلا تمكنوهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام (التاسع من الهجرة) • وان خفتم فقرا بسبب انقطاع تجارتهم عنكم ، فان الله سوف يعوضكم عن هذا ، ويغنيكم من فضله ان شاء ، ان الله عليم بشئونكم ، حكيم فى تدبيره لها

---

(١) « كانت موقعة حنين بين المسلمين وقبيلتي ثقيف وهوازن وكان جيش المسلمين فيها يبلغ نحو اثنى عشر الفا وعدد الكفار نحو اربعة آلاف وقد شددوا فى القتال ، لان القضاء عليهم قضاء على آخر نفوذ للوثنية فى العرب ، لان مكة فتحت قبل ذلك بقليل وقد التقى الفريقان المؤمنون بكثرتهم وقد أعجبتهم وأولئك بقلتهم العنيفة وكانت الجولة للشرك لغرور المسلمين ولكن انتهت المعركة بنصر المؤمنين ، والعبرة فى هذه الغزوة ان الكثرة العددية ليست هى عامل النصر انما عامل النصر هو القوة المعنوية » •

مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ
صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ
ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ
إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ



٢٩ ـ يأيها الذين آمنوا ، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لايؤمنون إيمانا صحيحا بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء اقرارا صحيحا ، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الاسلام قاتلوهم حتى يؤمنوا ، أو يؤدوا اليكم الجزية (١) خاضعين طائعين غير متمردين ، ليسهموا فى بناء الميزانية الاسلامية ٠

٣٠ ـ ترك اليهود الوحدانية فى عقيدتهم ، وقالوا : عزير (٢) بن الله وترك النصارى الوحدانية كذلك فقالوا : المسيح بن الله ! ٠ وقولهم هذا مبتدع من عندهم ، يرددونه بأفواههم ، ولم يأتهم به كتاب ولا رسول ، وليس عليه حجة ولا برهان ، وهم فى هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم ! لعن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم ! عجبا لهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ، ويعدلون الى الباطل !

٣١ ـ اتخذوا رجال دينهم أربابا ، يشرعون لهم ، ويكون كلامهم دينا ، ولو كان يخالف قول رسولهم ، فاتبعوهم فى باطلهم ، وعبدوا المسيح بن مريم ! وقد أمرهم الله فى كتبه على لسان رسله ألا يعبدوا الا الها واحدا ، لأنه لايستحق العبادة فى حكم الشرع والعقل الا الاله الواحد ، تنزه الله عن الاشراك فى العبادة والخلق والصفات

٣٢ ـ يريد الكافرون بمزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الاسلام ، ولا يريد الله الا اتمام نوره ، باظهار دينه ونصر رسوله ، ولو كانوا كارهين لذلك ٠

٣٣ ـ هو الله الذى كفل اتمام نوره بارسال رسوله (محمد) صلى الله عليه وسلم ؛ بالحجج البينات ، ودين الحق (الاسلام) ليعلى هذا الدين

---

(١) الجزية من الموارد الهامة فى ميزانية الدولة الاسلامية وكانت هذه الضريبة تتراوح مابين ثمانية واربعين درهما ، واثنى عشر درهما للفرد الواحد تؤخذ من اليهود والنصارى ومن فى حكمهم وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط أن يكون له مال يدفع منه فرض عليه واعفى منها النساء والاطفال والشيوخ لان الحرب لا تعلن عليهم ولا يدفعها العمى والمقعدون الا اذا كانوا أغنياء وكذلك الفقراء والمساكين والارقاء ولم يكن يطالب بها الرهبان اذا كانوا فى عزلة عن الناس ٠

وكان الاساس فى فرض ضريبة الجزية حماية أهل الذمة ودفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن فى حكمهم لم يكلفوا الحرب او الدفاع عن انفسهم او غيرهم فكان من العدالة ان يدفعوا هذه الضريبة نظير الحماية والمنفعة ونظير تمتعهم بمرافق الدولة العامة وانها فى مقابل ما يؤخذ من المسلم فان المسلم يؤخذ منه خمس الغنائم والزكاة وصدقه الفطر والكفارات المختلفة للذنوب فكان لابد ان يؤخذ من غير المسلم ما يقابل القدر الذى يؤخذ من المسلم وهى تنفق فى المصالح العامة وعلى فقراء اهل الذمة الذين يدفعونها ولا يقصد بهذه الضريبة الاذلال أو العقوبة لان هذا لا يتفق وعدالة الاسلام ولا يتمشى مع غايته السامية ٠

(٢) عزير هو عزر الكاهن من نسل هارون خرج من بابل مع رجوع اليهود الثانى بعد وفاة رسول الله موسى بنحو ألف عام ، وكان عزرا يلقب بالكاتب لانه كان يكتب فى شريعة موسى ٠

ملحوظة : خرج عزرا ومن معه من اليهود الى أورشليم سنة ٤٥٦ ق٠م فى السنة السابقة من حكم اريخشستا ملك فارس بعد خراب أورشليم وحرق بيت المقدس ونهبه بزمن طويل أما وفاة موسى فكانت نحو عام ٥١ ٤ق٠م٠

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ
ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ
عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ
فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

على جميع الأديان السابقة عليه ، وان كرهه المشركون فان الله يظهره رغما عنهم ·

***

٣٤ ــ يأيها المؤمنون : اعلموا أن كثيرا من علماء اليهود ورهبان النصارى يستحلون أكل أموال الناس بغير حق ، ويستغلون ثقة الناس فيهم واتباعهم لهم فى كل ما يقولون ، ويمنعون الناس عن الدخول فى الاسلام ! والذين يستحوذون على الأموال من ذهب وفضة ، حابسين لها ، ولا يؤدون زكاتها ، فأنذرهم أيها الرسول بعذاب موجع ·

***

٣٥ ــ فى يوم القيامة ، يوقد على هذه الأموال فى نار جهنم ، ثم تحرق بتلك الأموال المحماة جباه اصحابها ، وجنوبهم وظهورهم ، ويقال توبيخا لهم : هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ، ولم تؤدوا منه حق الله ! فذوقوا اليوم عذابا شديدا !

***

٣٦ ــ ان عدة شهور السنة القمرية اثنا عشر شهرا ، فى حكم الله وتقديره ، وفيما بينه فى كتبه منذ بدء العالم · ومن هذه الاثنى عشر شهرا اربعة اشهر يحرم القتال فيها ، وهى : رجب والقعدة والحجة والمحرم · وهذا التحريم للاشهر الأربعة المذكورة هو دين الله المستقيم ، الذى لاتبديل فيه ولا تغيير · فلا تظلموا فى هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال ؛ أو امتناعكم عنه اذا أغار عليكم الأعداء فيها · وقاتلوا أيها المؤمنون جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم ، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعا ، وكونوا على يقين من ان الله ناصر للذين يخافون فيلتزمون أوامره ويجتنبون نواهيه ·

***

٣٧ ــ وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتبها الله عليه ــ كما كان يفعله أهل الجاهلية ــ الا امعان فى الكفر ، يزداد به الذين كفروا ضلالا فوق ضلالهم ! وكان العرب فى الجاهلية يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا الى القتال فيه ، ويجعلون الشهر الحلال حراما ، ويقولون : شهر



فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ
إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ
أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ
سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ

بشهر ، ليوافقوا عدد الأشهر التى حرمها الله ! وقد حسنت لهم أهواؤهم اعمالهم السيئة ! والله لايهدى القوم المصرين على كفرهم الى طريق الخير .

* * *

٣٨ ـ يأيها المؤمنون مالكم حينما قال لكم الرسول : اخرجوا للجهاد فى سبيل الله ، تباطأ بعضكم عن الخروج للجهاد ؟ لاينبغى ذلك ! عجبا لكم اآثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم ، فما التمتع بالدنيا ولذائذها فى جنب متاع الآخرة الا قليل تافه .

* * *

٣٩ ـ ان لم تستجيبوا للرسول ، فتخرجوا للجهاد فى سبيل الله ، يعذبكم الله عذابا موجعا ، ويستبدل ربكم بكم قوما آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد ، ولا تضرون الله بهذا التخلف شيئا ، والله عظيم القدرة على كل شىء .

* * *

٤٠ ـ يأيها المؤمنون ، ان لم تنصروا رسول الله فان الله كفيل بنصره ؛ كما أيده ونصره حينما اضطره الذين كفروا الى الخروج من مكة . وليس معه الا رفيقه أبو بكر ، وكان ثانى اثنين ، وبينما هما فى الغار مختفيين من المشركين الذين يتعقبونهما ، خشى أبو بكر على حياة الرسول . فقال له الرسول مطمئنا : لاتحزن فان الله معنا بالنصر والمعونة . عند ذلك أنزل الله الطمأنينة فى قلب صاحبه ، وأيد الرسول بجنود من عنده . لايعلمها الا هو سبحانه . وانتهى الأمر (١) بأن جعل شوكة الكافرين مغلولة ودين الله هو الغالب ، والله متصف بالعزة فلا يقهر ، وبالحكمة فلا يختل تدبيره .

---

(١) « الغار الذى اختفى فيه النبى وصاحبه كان بجبل ثور ، وهو جبل قريب من مكة وقد اقاما به ثلاثة أيام وخرجا منه بليل بعد أن علما أن الطلب لهما قد سكن ووصلا الى المدينة لثمان خلت من ربيع الاول من السنة الاولى للهجرة » .

وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾
لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾



* وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

٤١ ـ أيها المؤمنون ، اذا دعا داعى الجهاد فلبوا النداء أفرادا وجماعات ـ كل على قدر حاله ، ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح وجاهدوا بالمال والنفس فى سبيل اعلاء كلمة الله ففى ذلك العز والخير لكم .. ان كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحقة (١) .

***

٤٢ ـ ندد القرآن بالمنافقين فى تخلفهم عن متابعة الرسول فى الجهاد، فقال : لو كان مادعا اليه هؤلاء المنافقون عرضا من اعراض الدنيا قريب المنال، أو لو كان كذلك سفرا سهلا ، لاتبعوك ـ أيها الرسول ـ ولكن شق عليهم السفر وسيحلفون انهم لو استطاعوا لخرجوا معك ! وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم ، والله لايخفى عليه حالهم ، فهو يعلم كذبهم وسيجزيهم على ذلك .

***

٤٣ ـ لقد عفا الله عنك أيها الرسول فى اذنك لهؤلاء المنافقين فى التخلف عن الجهاد ، قبل أن تتبين أمرهم ، وتعلم الصادق من اعذارهم ان كان ، كما تعرف الكاذبين منهم فى ادعائهم الايمان ، وفى انتحال الأعذار الصادقة .

***

٤٤ ـ ليس من شأن المؤمنين حقا بالله ، وحسابه فى اليوم الآخر ، ان يستأذنوك فى الجهاد بالمال والنفس ، أو فى التخلف عنك ، لأن صدق ايمانهم يحبب اليهم الجهاد فى سبيل الله . والله يعلم صدق نيات المؤمنين .

***

٤٥ ـ انما يستأذنك الذين لايؤمنون ايمانا صادقا بالله وحسابه فى اليوم الآخر ، فان قلوبهم دائما فى شك وريبة ، وهم يعيشون فى حيرة ، وسينالون جزاء ذلك .

***

٤٦ ـ ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين ، فى الخروج مع الرسول للجهاد، لأخذوا اهبة الحرب واستعدوا لها . ولكن الله كره خروجهم ، لعلمه أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم ، فعوقهم عن الخروج بما امتلأت به قلوبهم من النفاق ! وقال قائلهم : اقعدوا مع القاعدين من أصحاب المعاذير !

---

(١) « من المعانى المقصودة قوموا للقتال ركبانا ومشاة مسلحين بعتاد خفيف وآخر ثقيل وهذا من الاساليب المعروفة الان فالاسلحة الخفيفة كالسيوف لها غرضها فى قتال الجنود اما الاسلحة الثقيلة فهى لدك معاقل العدو وحصونه ».

لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ
ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن
قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ
فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا

٤٧ ـ ولو خرجوا معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم قـوة ، ولكن يشيعون الاضطراب أو يسرعون الى الفتنة ، ويشيعونها فيما بينكم ، وفيكم من يجهل خبث نياتهم ، ويمكن أن يخدع بكلامهم ، أو لضعفه يسمع دعوتهم الى الفتنة ، والله عليم بهؤلاء المنافقين الذين يظلمون أنفسهم بما أضمـروه من الفساد •

***

٤٨ ـ وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم ، ودبروا لك ـ أيها الرسول ـ المكايد ، فأحبط الله تدبيرهم ، وحقق نصرك ، واظهر دينه على الرغم منهم •

***

٤٩ ـ وبعض المنافقين كان يقول للرسول : ائذن لى فى القعـود عن الجهاد ، ولا توقعنى فى شدة وضيق • انهم بهذا الموقف قد أوقعوا أنفسهـم فى معصية الله ، وان نار جهنم لمحيطة بهم فى اليوم الآخر •

***

٥٠ ـ هؤلاء المنافقون لا يريدون بك ؛ أيها الرسول ، وبأصحابك ، الا المكاره ، فيتألمون اذا نالكم خير من نصر أو غنيمة ، ويفرحون اذا أصـابكم شر من جراح أو قتل ؟ ويقولون حينئذ شامتين : قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد ! وينصرفون مسرورين •

***

٥١ ـ قل لهم أيها الرسول : لن ينالنا فى دنيانا من الخير أو الشر الا ماقدره الله علينا فنحن راضون بقضاء الله لا نغتـر بالخير نناله ، ولا نجزع بالشر يصيبنا ، فان الله ـ وحده ـ المتولى لجميع أمورنا ، وعليه وحده يعتمد المؤمنون الصادقون •

***

٥٢ ـ قل لهم أيها الرسول : ليس لكم أن تتوقعوا شيئا ينالنـا الا احدى العاقبتين الحميدتين اما النصر والغنيمة فى الدنيا ، واما الاستشهـاد فى سبيل الله والجنة فى الآخرة • ونحن ننتظر لكم أن يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به ، أو يعذبكم بالذلة على أيدينا ، فانتظروا أمر الله ، ونحن معكم منتظرون أمره •

أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم
مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا
أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾
وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟
وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

٥٣ ـ قل أيها الرسول للمنافقين ، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بانفاق المال فى الجهاد وغيره : أنفقوا ماشئتم طائعين أو مكرهين ، فلن يتقبل الله عملكم الذى احبطه نفاقكم ! انكم دائما متمردون على دين الله ، خارجون على أمره ٠

٥٤ ـ وما منع الله من قبول نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ـ والكفر يحبط الأعمال ـ والا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذى أمروا أن يؤدوها عليه ، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها سترا لنفاقهم ، ولا ينفقون شيئا الا وهم كارهون لهذا الانفاق فى سرائرهم ٠

٥٥ ـ ولا يرقك ، أيها السامع ، ويأخذ بقلبك ، ما ترى المنافقين فيه من مال وبنين ، فان الله ما أعطاهم هذا الا ليكابدوا فى سبيله المتاعب والمشقات ، لحفظه فى الحياة الدنيا ، دون أن يؤجروا على ذلك ، ويدركهم الموت وهم كافرون فيعذبون بسببها فى الآخرة ٠

٥٦ ـ ويقسم هؤلاء المنافقون كذبا لكم ـ ياجماعةالمؤمنين ـ انهممؤمنون مثلكم ، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله ، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف ، وان ذلك يدفعهم الى النفاق والخوف الدائم ؛ فهم يؤكدونه بالأيمان الفاجرة !

٥٧ ـ وهم يضيقون بكم ، ويكرهون معاشرتكم ، ولو يجدون حصنا أو سراديب فى الجبال أو جحورا فى الأرض يدخلون فيها ، لانصرفوا اليها مسرعين !

٥٨ ـ وبعض هؤلاء المنافقين يعيبك أيها الرسول ، ويطعن عليك فى قسمة الصدقات والغنائم ، اذ لاهم لهم الا حطام الدنيا ، فان أعطيتهم مايرغبون منها رضوا عن عملك ، وان لم تعطهم تعجلوا بالسخط عليك !

٥٩ ـ ولو أن هؤلاء المنافقين ، الذين عابوك فى قسم الصدقات والغنائم رضوا بما قسم الله لهم ، وهو ما اعطاهم رسوله وطابت نفوسهم به ـ وان قل ـ وقالوا : كفانا حكم الله ، وسيرزقنا الله من فضله ، ويعطينا رسوله أكثر مما أعطانا فى هذه المرة ، وانا الى طاعة الله وافضاله واحسانه لراغبون ٠٠ لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرا لهم ٠



* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

٦٠ ــ لاتصرف الزكاة المفروضة الا للذين لايجدون ما يكفيهم ، والمرضى الذين لايستطيعون كسبا ولا مال لهم ، والذين يجمعونها ويعملون فيها ، والذين تؤلف قلوبهم ، لأنهم يرجى منهم الاسلام والانتفاع بهم فى خدمته ونصرته ، والذين يدعون الى الاسلام ويبشرون به ، وفى عتق رقاب الأرقاء والأسرى من ربقة العبوديه وذل الأسر ، وفى قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الاداء . اذا لم تكن ناشئة عن اثم أو ظلم أو سفه ، وفى امداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد فى سبيل الله وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر وفى عون المسافرين اذا انقطعت اسباب اتصالهم باموالهم وأهليهم . شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه ، حكيم فيما يشرع (١)

٦١ ــ ومن الناس منافقون يتعمدون ايذاء النبى ، وتناوله بما يكره ؛ فيتهمونه بأنه محب لسماع كل مايقال له من صدق وكذب ، وأنه يخدع بما يسمع ، فقل لهم أيها الرسول : ان من تتناولونه فى غيبته بهذه التهمة، ليس كما زعمتم ، بل هو أذن خير لا يسمع الا الصدق ، ولا يخدع بالباطل ؛ يصدق بالله ووحيه ، ويصدق المؤمنين ، لأن ايمانهم يمنعهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وان الله أعد لمن يؤذيه عذابا مؤلما دائما شديدا

٦٢ ــ يتخلفون عنكم فى قتال أعدائكم دون تردد ، ثم يعتذرون عن تخلفهم كذبا ، ويحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم ، والله والرسول أحق بحرصهم على رضائه ان كانوا مؤمنين حقا .

٦٣ ــ الم يعلم هؤلاء المنافقون ان من يكفر ويحاد الله ورسوله ، جزاؤه العذاب الدائم فى نار جهنم ، وذلك هو العار الفاضح والذل الشديد .

٦٤ ــ المنافقون يستهزئون فيما بينهم بالرسول . ويخشون أن يفتضح أمرهم ، فتنزل فيهم على النبى آيات من القرآن تظهر ما يخفون فى قلوبهم، ويسرونه فيما بينهم ! فقل لهم أيها الرسول : استهزئوا ما شئتم ، فان الله مظهر ما تخشون ظهوره .

---

(١) الزكاة نظام وضع لتجمع أموال من الغنى وترد على الفقير فهى حق الفقير فى مال الغنى ويجمعها ولى الأمر .

وينفقها فى مصارفها التى يعد اهمها وأجلها محاربة آثار الفقر فى الفقير فهى تعطى للفقراء والمساكين وابناء السبيل ومنها يسدد دين من عجز عن سداده وكان قد اقترضه فى أمر لافساد فيه ، وفيها باب للقرض الحسن وتطبيقها فى صدر الاسلام لم يجعل فى المجتمع الاسلامى جائعا يبيت على الطوى ولا شحاذا تذله الحاجة حتى أنها لكثرتها كان يشكو عاملها من انه لا يجد من ينفق عليه منها .

ولقد شكا عامل الصدقات على افريقية الي عمر بن عبدالعزيز انه لا يجد فقيرا ينفق عليه فقال له سدد الدين عن المدينين فسدد ، ثم شكا ثانية .

قال : اشتر عبيدا واعتقهم وذلك مصرف من مصارفها والحقيقة انها لو جمعت من وجوهها وصرفت فى مصارف لتبين من تطبيقها انها أعظم نظام للتكافل الاجتماعى »

وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾
لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ
مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا
وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا
ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى
خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ

٦٥ ـ تأكد أيها الرسول أنك ان سألت المنافقين ، بعد افتضاح أمرهم، عن سبب طعنهم فى الدين واستهزائهم بالله وآياته ، اعتذروا بقولهم : كنا نخوض فى الحديث ونلهو ! فقل لهم : كيف ساغ لكم أن تخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله !

***

٦٦ ـ لاتعتذروا بهذه المعاذير الباطلة . قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الايمان ؛ فان نعف عن طائفة منكم تابت وآمنت بسبب ايمانهم وصدق توبتهم ، فانا نعذب طائفة أخرى منكم بسبب اصرارهم على الكفر والنفاق ؛ واجرامهم فى حق الرسول والمؤمنين .

***

٦٧ ـ المنافقون والمنافقات يتشابهون فى أنهم يفعلون القبيح ويامرون به ، ويتركون الحق وينهون عنه ، ويبخلون ببذل المال فى وجوه الخير ، فهم كأجزاء من شىء واحد ، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدهم ، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله .

***

٦٨ ـ كتب الله للمنافقين وللكافرين نار جهنم يعذبون فيها ولايخرجون منها ، وهى حسبهم عقابا ، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة .

***

٦٩ ـ ان حالكم أيها المنافقون كحال أمثالكم ممن سبقوكم الى النفاق والكفر ، فانهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالا وأولادا ، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه ، وقابلوا انبياءهم بالاستخفاف ، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا ، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر



وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ

والباطل ، انهم قد بطلت أعمالهم ، فلم تنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ،وكانوا هم الخاسرين ، وأنتم مثلهم فى سوء الحال والمآل .

***

٧٠ ــ أفلا يعتبر المنافقون والكافرون بحال الذين سبقوهم ، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم شعيب وقوم لوط ، جاءتهم رسل الله بالحجج البينات من عند الله ، فكذبوا وكفروا ، فأخذ الله كلا بذنبه ،وأهلكهم جميعا ، وما ظلمهم الله بهذا ، ولكنهم ظلموا انفسهم بكفرهم وتمردهم على الله واستحقاقهم العذاب وحدهم ، فهم الذين يظلمون أنفسهم .

***

٧١ ــ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض بمقتضى الايمان ، يأمرون بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره الدين ، يؤدون الصلاة فى أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقيها فى ابانها ويمتثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويجتنبون ما ينهى عنه الله ورسوله ، وهؤلاء هم الذين سيظلون فى رحمة الله ، فان الله قادر على رعايتهم بالرحمة ، حكيم فى عطائه

***

٧٢ ــ وقد وعدهم الله الجنة خالدين فى نعيمها ، وأعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم فى دار الاقامة والخلود ، ولهم مع ذلك رضاء الله عنهم يستشعرون به ، وهو النعيم الأكبر ، وذلك هو الفوز العظيم .

***

٧٣ ــ يأيها النبى ، ثابر على جهادك فى ردع الكفار عن كفرهم والمنافقين

ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾



* وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

عن نفاقهم ، واشتد عليهم فى جهـادك ، وان مآلهم الذى أعده الله لهم فى الآخـرة هو جهنم ، وما أسوأ هذا المصير !

***

٧٤ ـ ان المنافقين يحلفون أمامك أيها الرسول بالله أنهم ما قالوا منكرا مما بلغك عنهم ، وهم كاذبون فى الانكار ، حانثون فى اليمين ! وانهم قد قالوا كلمة الكفر ، وظهر كفرهم بعد ان كان باطنا ! وما كان سبب نقمتهم عليك الا بطرا بالنعمة ، بعد أن أغناهم الله ورسـوله بما حصلوا عليه من الغنائم التى شاركوا فيهـا المسلمين ، فان يرجعوا الى الله بترك النفاق والندم على ماكان منهم يقبل الله توبتهم ويكون ذلك خيرا لهم وان يعرضوا عن الايمان يعذبهم الله فى الدنيا بمختلف ألوان البلاء ، وفى الآخرة بنار جهنم ، وليس لهم فى الارض من يدافع عنهم أو يشفع لهم أو ينصرهم ٠

***

٧٥ ـ ومن المنافقين من أقسم بالله وعاهده : لئن آتاهم الله مـالا ، وأغناهم من فضله ، ليتصدقن وليكونن من الصالحين فى اعمالهم ٠

***

٧٦ ـ فلما استجاب الله لهم ، واعطاهم من فضله ، بخلوا بما أوتوا فلم ينفقوا ، ولم يوفوا بالعهد ، وانصرفوا عن الخير ، وهم معرضون عنه وعن الله

***

٧٧ ـ فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق فى قلوبهم الى أن يموتـوا ويلقوا الله ، بسبب نقضهم لعهدهم وكذبهم فى يمينهم ٠

***

٧٨ ـ كيف يتجاهلون ان الله مطلع عليهم ٠ لا يخفى عليه ما يضمرونه فى السر من نقض العهـد ، وما يتناجـون به فى الخفاء من الطعن فى الدين وتدبير المكايد للمسلمين ، وهو جل شأنه العليم الذى لايغيب عنه شىء ٠

إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾
فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟
أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا
تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟
يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا
وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم

٧٩ ـ ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيبون على الموسرين من المؤمنين تصدقهم على المحتاجين ، ويسخرون بغير الموسرين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم • وقد جازاهم الله على سخريتهم بما كشف من فضائحهم ، وجعلهم سخرية للناس اجمعين ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد •

***

٨٠ ـ لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم ، وتطلب المغفرة من الله لهم فسواء أن تستغفر لهم أيها النبى أم لا تستغفر لهم • ومهما أكثرت من طلب المغفرة لهم ، فلن يعفو الله عنهم ، لأنه لا أمل فى العفو والمغفرة مع الكفر والاصرار عليه ؛ وقد كفر هؤلاء بالله ورسوله ، والله لايهدى الخارجين عليه وعلى رسوله ، لتمردهم على شرعه ودينه •

* * *

٨١ ـ ان المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسـول الله والمسلمين ، وفرحوا بقعودهم فى المدينة بعد خروج النبى منها ، وبمخالفتهم أمره بالجهاد معه ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، ويضحوا بأرواحهم ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ونصر دينه ، واخذوا يثبطون غيرهم ، ويغرونهم بالقعود معهم ويخوفونهم من النفور الى الحرب فى الحر ! فقل أيها الرسول لهؤلاء : لو كنتم تعقلون ، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون

* * *

٨٢ ـ فليضحكوا فرحا بالقعود ، وسخرية من المؤمنين ، فان ضحكهم زمنه قليل ، لانتهائه بانتهاء حياتهم فى الدنيا ، وسيعقبه بكاء كثير لانهاية له فى الآخرة ، جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من سيئات

* * *

٨٣ ـ فان أعادك الله من الغزو الى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو ، فاستأذنوك فى أن يخرجوا معك للجهاد فى غزوة أخرى ، فلا تأذن لهم ، وقل لهم : لن تخرجوا معى فى أية غزوة ، ولن تشتركوا معى فى قتال أى عدو ؛ لأن قعودكم عن الخروج فى أول مرة لم يسبق بعذر يبرره ؛ ولم يلحق بتوبة تغفره ! فاقعدوا كما ارتضيتم أن تقعدوا ، مع المتخلفين من العجزة والكهول والنساء والأطفال •



مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟
ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ
ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ
ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ

٨٤ ـ واذا مات أحد منهم ، فلا تصل عليه ، ولا تقف على قبره عند دفنه لأنهم عاشوا حياتهم كافرين بالله ورسوله ، وماتوا وهم خارجون عن دين الله

***

٨٥ ـ ولا يثير عجبك ايها الرسول ما اعطيناهم من الأموال والأولاد مع سخطنا عليهم ، فلم يكن ذلك عن ايثارهم بالخير ، بل لتنفيذ ما أراد الله من شقائهم فى الدنيا بالانهماك فى جمع المال ، وما يلحقهم فى ذلك من الهموم والمصائب ، ولتنفيذ ما أراد الله من مفارقتهم للدنيا كافرين ، وقد خسروا الأولى والآخرة !!

***

٨٦ ـ وهؤلاء المنافقون ، اذا سمعوا شيئا مما أنزل عليك فى القرآن ، يدعوهم الى اخلاص الايمان بالله ، والى الجهاد مع رسول الله ، طلب الاغنياء والأقوياء منهم أن تأذن لهم فى التخلف عن الجهاد معك ، وقالوا لك : أتركنا مع المعذورين القاعدين فى المدينة ٠

***

٨٧ ـ انهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا فى عداد المتخلفين من النساء والعجزة والأطفال الذين لا ينهضون لقتال ، وختم الله على قلوبهم بالخوف والنفاق ، فهم لايفهمون فهما حقيقيا ما فى الجهاد ومتابعة الرسول فيه من عز فى الدنيا ورضوان فى الآخرة ٠

***

٨٨ ـ ذلك شأن المنافقين ، لكن الرسول والذين صدقوا معه بالله ، قد بذلوا أموالهم وأرواحهم ارضاء لله واعلاء لكلمته وأولئك لهم وحدهم كل خير فى الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح ، وهم وحدهم الفائزون

***

٨٩ ـ وقد هيأ الله لهم فى الآخرة النعيم المقيم ، فى جنات تتخللها الأنهار ، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح الكبير ٠

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ
وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ
لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾



* إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ
رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ
قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ
وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ

٩٠ ـ وكما تخلف بعض المنافقين فى المدينة عن الخروج للجهاد ؛ جاء فريق من الأعراب ، وهم أهل البادية ، ينتحلون الأعذار ليؤذن لهم فى التخلف وبذلك قعد الذين كذبوا الله ورسوله فيما يظهرونه من الايمان ، فلم يحضروا ولم يعتذروا لله ورسوله ؛ وذلك دليل كفرهم ، وسينزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم ٠

***

٩١ ـ أن الذين يقبل عذرهم فى التخلف ، هم الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء الذين لا يجدون ماينفقون ٠ اذا أخلص هؤلاء لله ورسوله فى دينهم فانهم بذلك محسنون ، ولا حرج على المحسنين ، والله كثير الغفران واسع الرحمة ٠

***

٩٢ ـ وكذلك لاحرج على من جاء من المؤمنين يلتمسون أن تحملهم الى الجهاد فقلت لهم ، لاأجد ما أحملكم عليه ، فانصرفوا عنك وعيونهم تفيض الدمع حزنا أن فاتهم شرف الجهاد فى سبيل الله لانهم ، لايجدون ما ينفقون ٠

***

٩٣ ـ انما اللوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنونك ـ أيها الرسول ـ فى تخلفهم عن الجهاد ، وهم واجدون المال والعتاد ، قادرون على الخروج معك ، لأنهم ، مع قدرتهم واستطاعتهم ، رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات ، والشيوخ العاجزين ، والمرضى غير القادرين ، ولان قلوبهم أغلقت عن الحق ، فهم لايعلمون العاقبة الوخيمة التى تترتب على تخلفهم فى الدنيا وفى الآخرة ٠

***

٩٤ ـ سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون اليكم ، أيها المؤمنون المجاهدون اذا رجعتم من ميدان الجهاد والتقيتم بهم ! فقل لهم ايها الرسول لاتعتذروا فانا لن نصدقكم ، لأن الله قد كشف حقيقة نفوسكم ؛ وأوحى الى نبيه بشىء من أكاذيبكم ، وسيعلم الله ورسوله ما يكون منكم بعد ذلك من عمل ؛ ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا الى الله الذى يعلم السر والعلانية ، فيخبركم بما كنتم تعملون ، ويجازيكم بما تستحقون ٠



بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟
عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾
ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ
سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

٩٥ ـ سيحلفون لكم بالله ، حينما ترجعون اليهم ، أنهم صادقون فى معاذيرهم ، لكى يرضوكم فتغفلوا عن عملهم ، فلا تحققوا لهم هذا الغرض ،بل اجتنبوهم وامقتوهم ، لأنهم فى أشد درجات الخبث النفسى والكفر ، ومصيرهم الى جهنم ، عقابا على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار !

***

٩٦ ـ يقسمون لكم طمعا فى رضائكم عنهم ، فان خدعتم بأيمانهم ورضيتم عنهم ، فان رضاكم وحدكم لاينفعهم ، ذلك لأن الله ساخط عليهم لفسقهم وخروجهم على الدين !

***

٩٧ ـ الأعراب من أهل البادية أشد جحودا ونفاقا ، وقد بلغوا فى ذلك غاية الشدة ، وذلك لبعدهم عن أهل الحكمة ومنابع العلم ، وهم حقيقون بأن يجهلوا حدود الله ، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام ، والله عليم بأحوال الفريقين ، حكيم فيما يقدره من جزاء .

***

٩٨ ـ وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية ، يعتبرون الانفاق فى سبيل الله غرامة وخسرانا ، لعدم اعتقادهم فى ثوابه تعالى ! ويتوقعون وينتظرون أن تدور عليكم الحرب أيها المؤمنون ، الا رد الله تلك المصائب عليهم وجعل الشر الذى ينتظرونه لكم محيطا بهم ، والله سميع بأقوالهم ، عليم بأفعالهم ونياتهم ، وبما يقترفون من آثام .

***

٩٩ ـ وليس كل الأعراب كذلك ، فمنهم مؤمنون بالله مصدقون بيوم القيامة ، يتخذون الانفاق فى سبيل الله وسيلة يتقربون بها الى الله ،وسببا لدعاء الرسول لهم ، اذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ، وهى لاشك قربة عظيمة توصلهم الى ما يبتغون ، فان الله سيغمرهم برحمته ، لأنه الغفور للذنوب ، الرحيم بخلقه .



ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

١٠٠ ــ والمؤمنون الذين سبقوا الى الاسلام ، من المهاجرين والأنصار ، الذين ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا ، يرضى الله عنهم ، فيقبل منهم ويجزيهم خيرا ، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد الله لهم من جنات تجرى الأنهار تحت أشـجارها ، فينعمون فيها نعيما أبديا ؛ وذلك هو الفوز العظيم ٠

***

١٠١ ــ وممن يجاور المدينة من أهل البادية من يضمر الكفر ويظهـر الايمان ؛ ومن سكان المدينة قوم مرنوا على النفاق ، حتى برعوا فيه وستروه عن الناس ! حتى لقد خفى أمرهم عليك ــ ايها الرسول ــ ولكن الله هو الذى يعلم حقيقتهم ، وسيعذبهم فى الدنيا مرتين : مرة ينصركم على اعدائكم الذين يغيظهم ، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم ، ثم يردون فى الآخرة الى عـذاب النار وهولها الشديد ٠

***

١٠٢ ــ وهناك ناس آخرون آذوكم ، ثم من بعد ذلك اعترفوا بمـا أذنبوا ، وسلكوا طريق الحق ، فهؤلاء قد أتوا عملا صالحا وعملا سيئا ، وانهم لهذا يرجى لهم أن تقبـل توبتهم ؛ وأن الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويغفر لهـم ٠

***

١٠٣ ــ خذ أيها الرسول من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهـم بها من الذنوب والشح ، وترفع درجاتهم عند الله ، وادع لهم بالخير والهداية فان دعاءك تسكن به نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ؛ والله سميع للدعاء عليم بالمخلصين فى توبتهم ٠

***

١٠٤ ــ ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن الله وحده هو الذى يقبل التـوبة الخالصة والصدقة الطيبة ، وأنه سبحانه ، هو الواسع الفضل فى قبـول التوبة ، العظيم الرحمة بعباده ٠



وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٥ ـ وقل ـ أيها الرسول ـ : للنـاس : اعملوا ولا تقصروا فى عمل الخير وأداء الواجب ، فان الله يعلم كل أعمالكم ، وسيراها الرســول والمؤمنون فيزنونها بميزان الايمان ويشهدون بمقتضاها ، ثم تردون بعد الموت الى من يعــلم سركم وجهركم ، فيجازيكم باعمالكم ، بعد ان ينبئكم بها صغيرها وكبيرها .

١٠٦ ـ وهناك ناس آخرون وقعوا فى الذنوب ، ومنها التخـلف عن الجهاد ، وليس فيهم نفاق ، وهؤلاء مرجأون لأمر الله : أما أن يعذبهــم ، واما ان يتوب عليهم ويغفر لهم ، والله عليم بأحــوالهم وما تنطوى عليــه قلوبهم ، حكيم فيما يفعله بعباده من ثواب أو عقاب .

١٠٧ ـ ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لايبتغون به وجه الله ، وانما يبتغون به الضرار والـكفر والتفـريق بـين جماعة المؤمنـين وأنهم سـيحلفون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد الا الخير والعمل الأحسن ، والله يشهد عليهم أنهم كاذبون فى ايمانهم (١)

١٠٨ ـ لاتصل ـ أيها الرسول ـ فى هذا المسجد أبدا ، وان مسجدا أقيم ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته من أول أمره كمسجد قباء لجـدير بأن تؤدى فيه شعائر الله ، وفى هذا المسجد رجال يحبون ان يطهروا اجسادهـم وقلوبهم بأداء العبادة الصحيحة فيه ، والله يحب ويثيب الذين يتقربون اليه بالطهارة الجسمية والمعنوية .

١٠٩ ـ لايستوى فى عقيدته ولا فى عمله من أقام بنيانه على الاخـلاص فى تقوى الله وابتغاء مرضاته ، ومن أقام بنيانه على النفاق والكفر ، فان عمل المتقى مستقيم ثابت على أصل متين ، وعمل المنافق كالبناء على حافة هاوية فهو واه ساقط ، يقع بصاحبه فى نار جهنم . والله لايهدى الى طريق الرشاد من أصر على ظلم نفسه بالكفر .

---

(١) « المسجد المذكور فى الآية قد اقامته طائفة من المنافقين بالمدينة يريدون الشر فقد أزعجهم بناء مسجد قباء الذى شيده بنو عمرو بن عوف وباركه النبى صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيه فحرض ابن عامر الراهب هؤلاء المنافقين ليبنوا مسجدا يفاخرون به من بنوا مسجد قباء فتكون العصبية الجاهلية موضوعها التفاخر بالمساجد وليتخذوه وكرا لاجتماعهم وتبييت الشر للمؤمنين، وبعد تمام بنائه دعوا الرسول صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ليتخذوا من صـلاته فيه مادة للعصبية والتفريق وهم أن يجيب غير عالم بما يبيتون ولكن الله تعالى أعلمه بذلك عند عودته من غزوة تبوك واعتزامه أن يجيب دعوتهم فنهاه سبحانه وتعالى عن أن يقوم فيه فضلا عن أن يصلى فيه.





لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

١١٠ ــ وسيظل هذا البناء الذى بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف فى قلوبهم لا ينتهى حتى تتقطع قلوبهم بالندم والتــوبة أو بالموت ! والله عليم بكل شىء ، حكيم فى أفعاله وجزائه ٠

***

١١١ ــ يؤكد وعده للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم فى سبيله؛ بأنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال بالجنة ثمنا لما بذلوا ، فانهم يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون فى سبيله ، وقد أثبت الله هذا الوعد الحق فى التوراة والانجيل ، كما اثبته فى القرآن ، وليس احــد أبر ولا أوفى بعهــده من الله ؛ فافرحوا ؛ أيها المؤمنون المجاهدون ، بهـــذه المبايعة التى بذلتم فيها أنفســكم وأموالكم الفانيــة ؛ وعوضـــتم عنها بالجنة الباقية ، وهذا الشراء والبيع هو الظفر الكبير لكم ٠

***

١١٢ ــ ان أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة انهم يكثرون التوبة من هفواتهم الى الله ، ويحمدونه على كل حال ، ويسعون فى سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم ، ويحافظون على صلواتهم ، ويؤدونهـا كاملة فى خشوع ، ويأمرون بكل خير يوافق ماجاء به الشرع ، وينهون عن كل شر يأباه الدين ويلتزمون بشريعة الله ، وبشر أيها الرسول المؤمنين ٠

***

١١٣ ــ ليس للنبى وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كانوا أقرب الناس اليهم ، من بعد ان يعلم المؤمنون من أمر هؤلاء المشركين بموتهم على الكفر ، أنهم مستحقون للخلود فى النار ٠

***

١١٤ ــ لم يكن ما فعله ابراهيم عليه السلام من الاستغفار لأبيه ، الا تحقيقا لوعد من ابراهيم لأبيه ، رجاء ايمانه ، فلما تبين لابراهيم أن أباه عدو



إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

لله ، باصراره على الشرك حتى مات عليه ، تبرأ منه وترك الاستغفار له ولقد كان ابراهيم كثير الدعاء والتضرع لله صبورا على الأذى .

***

١١٥ ــ وما كان من سنن الله ولطفه بعباده أن يصف قوما بالضلال ؛ ويجرى عليهم أحكامه بالذم والعقاب ، بعد أن أرشدهم الى الاسلام ، حتى يتبين لهم عن طريق الوحى الى رسوله ما يجب عليهم اجتنابه ، ان الله محيط علمه بكل شئ .

***

١١٦ ــ ان الله وحده مالك السموات والأرض وما فيهما ، وهو المتصرف فيهما بالاحياء والاماتة ، وليس لكم سوى الله من ولى يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم .

***

١١٧ ــ لقد تفضل الله سبحانه على نبيه ، وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا معه الى الجهاد فى وقت الشدة ، (فى غزوة تبوك) (١) فثبتهم وصانهم عن التخلف ، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم ، حتى كادت قلوبهم تميل الى التخلف عن الجهاد ، ثم غفر الله لهم هذا الهم الذى خطر بنفوسهم ، انه سبحانه كثير الرأفة بهم عظيم الرحمة .

***

١١٨ ــ وتفضل سبحانه بالعفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد فى غزوة تبوك ، لا عن نفاق منهم ، وكان أمرهم مرجأ الى أن يبين الله حكمه فيهم ، فلما كانت توبتهم خالصة ، وندمهم شديدا حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها ، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحزنا وعلموا انه لا ملجأ من غضب الله الا باستغفاره والرجوع اليه ، حينئذ هداهم الله الى التوبة ، وعفا عنهم ، ليظلوا عليها ؛ ان الله كثير القبول لتوبة التائبين ، عظيم الرحمة بعباده .

---

(١) « كانت غزوة تبوك فى رجب من السنة التاسعة للهجرة بين المسلمين والروم ــ والجيش الاسلامى الذى خرج فى هذه الغزوة يسمى جيش العسرة لأن التأهب لهـا كان فى زمن عسرة من الناس وشدة من الحرمان ــ ولما وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى تبوك جاء يوحنا وصالح الرسول على الجزية واقام الرسول بتبوك بضع عشرة ليال ثم خرج الرسول بعدها قافلا الى المدينة وهذه آخر غزوة خرج بها الرسول عليه الصلاة والسلام غازيا » .



ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن
رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ
نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ



١١٩ ـ يأيها الذين آمنوا اثبتوا على التقوى والايمان ، وكونوا مع الذين صدقوا فى أقوالهم وأفعالهم ·

***

١٢٠ ـ ماكان يحل لاهل المدينة ، ومن يجاورونهم من سكان البوادى، أن يتخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ان يضنوا بأنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه ، اذ أنهم لا يصيبهم فى سبيل الله ظمأ أو تعب أو جوع ، ولا ينزلون مكانا يثير وجودهم فيه غيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو غرضا كالهزيمة أو الغنيمة الا حسب لهم بذلك عمل طيب يجزون عليه أحسن الجزاء ، وان الله لا يضيع أجر الذين أحسنوا فى أعمالهم ·

***

١٢١ ـ وكذلك لايبذل المجاهدون أى مال ، صغيرا أو كبيرا ، ولا يسافرون أى سفر فى سبيل الله ، الا كتبه الله لهم فى صحائف أعمالهم الصالحة ، لينالوا به أحسن ما يستحقه العاملون من جزاء

***

١٢٢ ـ ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعا الى النبى صلى الله عليه وسلم اذا لم يقتض الأمر ذلك ، فليكن الأمر أن تخرج الى الرسول طائفة ليتفقوا فى دينهم ؛ وليدعوا قومهم بالانذار والتبشير حينما يرجعون اليهم ليثبتوا دائما على الحق ؛ وليحذروا الباطل والضلال (١) ·

---

(١) « فى الآية الكريمة بيان لقاعدة هامة فى الكتاب وهى ما كان للمؤمنين أن ينفروا جميعا نحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يثبطوا جميعا فان ذلك يخل بأمر المعاش ولذلك يعين من كل فرقة طائفة تطلب العلم والتفقه وتحصل على المراد وتعود لترشد باقى القوم » .

وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

١٢٣ ـ يايها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم ، حتى لايكونوا مصدر خطر عليكم ، وكونوا اشداء عليهم فى القتال ، ولا تأخذكم بهم رأفة ، واعلموا أن الله بعونه ونصره مع الذين يتقونه ٠

***

١٢٤ ـ واذا ما أنزلت سورة من سور القرآن ، وسمعها المنافقـــون ، سخروا واستهزءوا ، وقال بعضهم لبعض : أيكم زادتههذه السورة ايمانا ؟ ولقد رد الله عليهم بان هناك فرقا بين المنافقين والمؤمنين : فأما المـــؤمنون الذين أبصروا النور وعرفوا الحق ، فقد زادتهم آيات الله ايمانا ، وهـم عند نزولها يفرحون ويستبشرون ٠

***

١٢٥ ـ وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا الى كفرهم ، وماتوا وهم كافرون ٠

***

١٢٦ ـ أولا يعتبر المنافقون بما يبتليهم الله به فى كل عام مرة أو مرات من الوان البـــلاء بكشف اســتارهم وظهـــور أحوالهم ونصر المؤمنين ، وظهـــور باطلهم ، ثم لايتوبون عما هم فيه ولا هم يذكرون ما وقع لهم ؟

***

١٢٧ ـ وكذلك اذا ما أنزلت سورة ، وهم فى مجلس الرسول ،تغامزوا وقال بعضهم لبعض : هل يراكم أحد ؟ ثم انصرفت قلوبهم عن متابعته والايمان به ! زادهم الله ضلالا بسبب تماديهم فى الباطل واعراضهم عن الحق ، لأنهم قوم لايفقهون !

***

١٢٨ ـ لقد جاءكم ، أيها الناس ، رسول من البشر مثلكم فى تكوينه، يشق عليه ما يصيبكم من الضرر ، وهو حريص على هدايتكم ، وبالمؤمنين عظيم العطف والرحمة ٠

***

١٢٩ ـ فان أعرضوا عن الايمان بك أيها الرسول ، فلا تحزن لاعراضهم واعتز بربك ؛ وقل : يكفينى الله الذى لا اله غيره ، عليه وحده توكلت وهو مالك الملك ورب الكون وصاحب السلطان العظيم ٠



(١٠) سورة يونس مكية
وآياتها تسع ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ

سورة يونس

هذه السورة مكية نزلت فى مكة ، وتشتمل على ١٠٩ آية ، وقد ابتدأت بالاشارة الى مكانة الكتاب الكريم ، وما يقوله المشركون فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر الكون وآيات الله تعالى فيه ، والجزاء يوم القيامة وسنة الله تعالى بالنسبة للكافرين ، والتنديد عليهم فى عقائدهم ، وحال الناس فى الضراء والسراء ، وقدرة الله تعالى على كل شىء ، وعجز الأوثان عن أى شىء . وفيها الاشارة الى التحدى بأن يأتوا بسورة ولو مفتراة ، وفيها التهديد الشديد بعذاب الله تعالى ، وأحوال نفوس الناس ، ومراقبة الله تعالى لأعمالهم ، وانتقل بعد ذلك الى التسرية عن النبى صلى الله عليه وسلم لألمه من كفرهم ، مع قيام الحجة القاطعة عليهم ، وسرى عنه بذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم ، فجاءت قصة نوح ، وقصة موسى وهرون وفرعون وبنى اسرائيل ، ثم اشارة الى قصة يونس ، وبها سميت السورة واتجه البيان فى السورة من بعد ذلك الى النبى لتمام العظة والاعتبار .

١ ـ هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة ، وهو أعلم بمراده منها ، وهى مع ذلك تشير الى أن القرآن مكون من مثل هذه الحروف ، ومع ذلك عجزتم عن أن تأتوا بمثله ! وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون اليه ، وان اتفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة ونحوها التى هى آيات القرآن المحكم فى أسلوبه ومعانيه ، والذى اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس فى أمور دينهم ودنياهم .

٢ ـ ماكان للناس أن يعجبوا وينكروا وحينا الى رجل منهم (محمد) ؛ ليحذر الناس من عذاب الله ، ويبشر الذين آمنوا منهم بأن لهم منزلة عالية عند ربهم ، لايتخلف وعد الله بها ، وما كان لهؤلاء المنكرين ان يقولوا عن محمد رسولنا انه ساحر واضح أمره !

٣ ـ أن ربكم ، أيها الناس ، هو الله الذى خلق السموات والارض وما فيهما فى ستة أيام (١) لايعلم الا الله مداها .. ثم هيمن بعظيم سلطانه ـ وحده ـ ودبر أمور مخلوقاته ، فليس لأحد سلطان مع الله فى شىء ، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يشفع لأحد الا باذنه .. ذلكم الله الخالق ، هو ربكم وولى نعمتكم فاعبدوه وحده ؛ وصدقوا رسوله ؛ وآمنوا بكتابه . فعليكم أن تذكروا نعمة الله وتتدبروا آياته الدالة على وحدانيته .

---

(١) « خلق الله الكون بأسره فى ست مراحل ، وتتضمن المرحلة أحقابا برمتها ، وتلك المراحل التى عبر عنها بالايام الستة تسخير للشمس والقمر والنجوم لفائدة البشر وكذلك تعاقب الليل والنهار ، وان النهار طارىء على ظلام السماء وذكر الليل أولا لأن الظلام هو الاصل فأما النهار، فقد نشأ بسبب تناثر ضوء الشمس فى جو الارض التى تدور حول نفسها وتعرضه للاشعاع الشمسى » .

إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ
عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ
يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ

٤ ـ وكما بدأ الله الخلق فاليه وحده مرجعكم ، ومرجع المخلوقات كلها ، وقد وعد الله بذلك وعدا صادقا لا يتخلف . وانه سبحانه بدأالخلق بقدرته . وبعد فنائه سيعيده بقدرته ، ليثيب المؤمنين المطيعين بعدله التام، وأما الكافرون فلهم شراب فى جهنم شديد الغليان ، ولهم عذاب موجع جزاء كفرهم .

٥ ـ وربكم الذى خلق السموات والأرض والذى جعل الشمس تشع الضياء ، والقمر يرسل النور ؛ وجعل للقمر منازل ينتقل فيها ،فيختلف نوره تبعا لهذه المنازل ، لتستعينوا بهذا فى تقدير مواقيتكم ، وتعلموا عدد السنين والحساب (١) ، وما خلق الله ذلك الا بالحكمة ، وهو سبحانه يبسط فى كتابه الآيات الدالة على الوهيته وكمال قدرته لكى تتدبروها بعقولكم وتستجيبوا لما يقتضيه العلم .

٦ ـ ان فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما بالزيادة والنقصان ، وفى خلق السموات والأرض وما فيهما من الكائنات ، لأدلة واضحة وحججا بينة على ألوهية الخالق وقدرته لمن يتجنبون غضبه ويخافون عذابه (٢) .

٧ ـ ان الذين لايؤمنون بالبعث ولقاء الله فى اليوم الآخر ، واعتقدوا ـ واهمين ـ ان الحياة الدنيا هى منتهاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .

٨ ـ هؤلاء مأواهم الذى يستقرون فيه هو النار ، جزاء ما كسبوا من الكفر وقبيح الأعمال .

٩ ـ ان الذين آمنوا ايمانا صحيحا ، وعملوا الأعمال الصالحة فى دنياهم يثبتهم ربهم على الهداية بسبب ايمانهم ، ويدخلهم يوم القيامة جنات تجرى الأنهار خلالها ، وينعمون فيها نعيما خالدا .

---

(١) « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا » : « الشمس جرم سماوى ملتهب مضىء بذاته ، وهو مصدر الطاقات على الارض ومنها الضوء والحرارة بينما القمر جرم غير مضىء بذاته بل يعكس أو يرد ما يقع عليه من ضوء الشمس فيبدو منيرا »

« وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » « منازل القمر أوضاعه المختلفة بالنسبة للارض والشمس وهى التى تنتج عنها أوجه القمر ومن ثم يمكن تحديد الشهر القمرى وهو العلامة الفلكية الظاهرة لتحديد الشهر ، ويتم القمر دورته حول الارض فى (٢٩) ـ تسعة وعشرين يوما ، (١٢) واثنتا عشر ساعة (٤٤) وأربع وأربعين دقيقة ، (٢ر٨) واثنتان وثمانية من عشرة ثانية » .

(٢) « قد يكون معني الاختلاف التباين أو التعاقب ، فاما الاختلاف بمعنى التباين : فالليل والنهار ضوءان متميزان وتباينهما يطبع الظواهر الطبيعية ، وجميع الاحياء فى هذا الكوكب بطابعه ، كما هو وارد فى مواضع أخرى من القرآن الكريم ، والتباين قد يعنى أيضا التفاوت فى أطوال النهار وأطوال الليل على مدار العام فى أى مكان على الارض فهو مرتبط بظاهرة الفصول والتباين بهذا المعنى ناتج من دوران الارض حول الشمس كل عام مرة وعن ميل محورها .

أما الاختلاف بمعنى التعاقب فهو نتيجة لدوران الارض حول محورها .

انظر ايضا التعليق العلمى على الآية ٨٠ من سورة (المؤمنون)



فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ

١٠ ــ دعاء المؤمنين فى هذه الجنات تسبيح وتنزيه لله عما كان يقوله الكافرون فى الدنيا ، وتحية الله لهم ، وتحية بعضهم لبعض تقرير للأمن والاطمئنان وخاتم دعائهم دائما حمد الله على توفيقه اياهم بالايمان ، وظفرهم برضوانه عليهم.

***

١١ ــ ولو أجاب الله ما يستعجل به الناس على أنفسهم من الشر مثل استعجالهم لطلب الخير ، لأهلكهم وأبادهم جميعا ، ولكنه يتلطف بهم ،فيرجىء هلاكهم ، انتظارا لما يظهر منهم حسب ما علمه فيهم ، فتتضح عدالته فى جزائهم ، اذ يتركون والأدلة قائمة عليهم ، يتعمدون الانحراف والاتجاه الى طريق الضلال والظلم !

***

١٢ ــ واذا أصاب الانسان ضر فى نفسه أو ماله أو نحو ذلك ، أحس بضعفه ودعا ربه على أى حال من حالاته ، مضطجعا أو قاعدا أو قائما ، ان يكشف ما نزل به من محنته ! فلما استجاب الله له ، فكشف عنه ضره ،انصرف عن جانب الله ، واستمر على عصيانه ، ونسى فضل الله عليه ، كأنه لم يصبه ضر ، ولم يدع الله الى كشفه وكمثل هذا المسلك زين الشيطان للكافرين ما عملوا من سوء وما اقترفوا من باطل !

***

١٣ ــ ولقد أهلكنا الأمم السابقة عليكم بسبب كفرهم حين جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدق دعوتهم الى الايمان ، وما كان فى علم الله ان يحصل منهم ايمان ، بسبب تشبثهم بالكفر والعصيان ! فاعتبروا ياكفار قريش ، فكما أهلكنا من قبلكم ، سنجزى المجرمين باهلاكهم .

***

١٤ ــ ثم جعلناكم ، ياأمة محمد خلفاء فى الأرض ، تعمرونها من بعد هؤلاء السابقين ، لنختبركم ونظهر ما تختارونه لأنفسكم من طاعة أو عصيان ، بعد ان عرفتم ما جرى على اسلافكم :

غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ
نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ
أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ
إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ

١٥ ــ وحينما تجلت آيات القرآن من رسولنا محمد على المشركين ، قال له الكافرون الذين لايخافون عذاب الله ولا يرجون ثوابه : آتنا كتابا غير هذا القرآن ، أو بدل مافيه مما لايعجبنا ، قل لهم أيها الرسول لايمكننى ولا يجوز ان أغير أو ابدل فيه من عندى ما أنا الا متبع ومبلغ ما يوحى الى من ربى انى أخاف ان خالفت وحى ربى عذاب يوم عظيم خطره ، شديد هوله !

١٦ــ قل لهم ، يايها الرسول : لو شاء الله الا ينزل على قرآنا من عنده، والا أبلغكم به ، ما أنزله ، وماتلوته عليكم ، ولا اعلمكم الله به ٠ لكنه نزل ، وارسلنى به ، وتلوته عليكم كما أمرنى ٠ وقد مكثت بينكم زمنا طويلا قبل البعث لم أدع فيه الرسالة ، ولم أتل عليكم شيئا ، وانتم تشهدون لى بالصدق والأمانة ؛ ولكن جاء الوحى به فأمرت بتلاوته ، الا فاعقلوا الامور وادركوها ، واربطوا بين الماضى والحاضر ٠

١٧ ــ ليس هناك أشد ظلما لنفسه ممن كفر وافترى الكذب على الله ، أوكذب بآيات الله التى جاء بها رسوله : انه لا ينجح الكافر فى عمله ، وقد خسر خسرانا مبينا بكفره ، ومغاضبته لله تعالى !

١٨ ــ ويعبد هؤلاء المشركون ، المفترون على الله بالشرك ، أصناما باطلة، لاتضرهم ولاتنفعهم ، ويقولون : هؤلاء الأصنام يشفعون لنا عند الله فى الآخرة قل لهم أيها الرسول : هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا فى السموات ولا فى الأرض ؟! تنزه الله عن الشريك وعما تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء !

١٩ ــ وما كان الناس فى تكوينهم الا أمة واحدة بمقتضى الفطرة ، ثم بعثنا اليهم الرسل لارشادهم وهدايتهم بمقتضى وحى الله تعالى ، فكانت تلك الطبيعة الانسانية التى استعدت للخير والشر سببا فى أن يغلب الشر على بعضهم ، وتحكم الأهواء ونزعات الشيطان ، فاختلفوا بسبب ذلك . ولولا حكم سابق من ربك بامهال الكافرين بك أيها النبى ، وارجاء هلاكهم الى موعد محدود عنده ، لعجل لهم الهلاك والعذاب ، بسبب الخلاف الذى وقعوا فيه ، كما وقع لأمم سابقة ٠

عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى

مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ

بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ

مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى

يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ

وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ

دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ

فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ

أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ

٢٠ ـ ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد معجزة من عند الله غير القرآن ؛ تقنعنا بصدق رسالته ! فقل لهم ؛ أيها الرسول : ان نزول الايات غيب ، ولا أحد يعلم الغيب الا الله ، وان كان القرآن لا يقنعكم فانتظروا قضاء الله بينى وبينكم فيما تجحدونه ، انى معكم من المنتظرين ٠

***

٢١ ـ ومن شأن الناس اننا اذا انعمنا عليهم ، من بعد شدة أصابتهم فى أنفسهم أو اهليهم أو أموالهم ، لم يشكروا الله على ما انعم به عليهم بعد صرف الضر عنهم ، بل هم يقابلون ذلك بالامعان فى التكذيب والكفر بالآيات ! قل ايها الرسول : ان الله قادر على اهلاككم والاسراع بتعذيبكم ، لولا حكم سابق منه بامهالكم الى موعد اختص وحده بعلمه ٠ ان رسلنا من الملائكة الموكلين بكم يكتبون ما تمكرون وسيحاسبكم ويجازيكم ٠

***

٢٢ ـ الله الذى تكفرون بنعمه ، وتكذبون بآياته ، هو الذى يمكنكم من السير والسعى فى البر مشاة وركبانا ، وفى البحر ، بما سخر لكم من السفن التى تجرى على الماء ، بما يهيىء الله لها من ريح طيبة تدفعها فى أمان الى غايتها ، حتى اذا اطمأننتم اليها وفرحتم بها هبت ريح عاصفة اثارت عليكم الموج من كل جانب ، وأيقنتم أن الهلاك واقع لا محالة ! فى هذه الشدة لاتجدون ملجأ غير الله فتدعونه مخلصين فى الدعاء ، وموقنين أنه لا منقذ لكم سواه ، متعهدين له لئن انجاكم من هذه الكربة لتؤمنن به ولتكونن من الشاكرين ٠

***

٢٣ ـ فلما انجاهم مما تعرضوا له من الهلاك ، نقضوا عهدهم ، وعادوا مسرعين الى الفساد الذى كانوا من قبل ! يأيها الناس الناقضون للعهد ان عاقبة اعتدائكم وظلمكم سترجع عليكم وحدكم ، وان ما تتمتعون به فى دنياكم متاع دنيوى زائل ؛ ثم الى الله مصيركم فى النهاية فيجزيكم بأعمالكم التى أسلفتموها فى دنياكم ٠



أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا



٢٤ ـ ماحالة الحياة الدنيا في روعتها وبهجتها ، ثم فى فنائها بعد ذلك، الا كحالة الماء ينزل من السماء ، فيختلط به نبات الأرض ، مما يأكله النـــاس والحيوان ، فيزدهر وينمر وتزدان به الأرض نضارة وبهجة ، حتىاذا بلغت هذه الزينة تمامها ، وأيقن اهلها انهم مالكون زمامها ومنتفعون بثمـــــارها وخيراتها ؛ فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئا محصودا ، كأن لم تكن آهلة بسكانها وآخذة بهجتها منقبل ! ففى كلتا الحالنين نضارة وازدهار يبتهج بهما الناس ، ثم يعقبهما زوال ودمار وكما بين الله ذلك بالأمثال الواضحة ؛ يبين الآيات ويفصل مافيها من أحكام وآيات لقوم يتفكرون ويعقلون (١)

***

٢٥ ـ والله يدعو عباده بالايمان والعمل الصالح الى الجنة دار الأمن والاطمئنان وهو سبحانه يهدى من يشاء هدايته ـ لحسن استعداده وميله الى الخير ـ الى الطريق الحق وهو السلام ٠

***

٢٦ ـ للذين أحسنوا بالاستجابة لدعوة الله ، فآمنوا وعملوا الخير لدينهم ودنياهم لهم المنزلة الحسنى فى الآخرة وهى الجنة ، ولهم زيادة على ذلك فضلا من الله وتكريما ، ولا يغشى وجوههم كآبة من هم وهوان : وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبدا ٠

***

٢٧ ـ والذين لم يستجيبوا لدعوة الله ، فكفروا واقترفوا المعـــاصى فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء ، ويغشاهم الهوان، وليس لهم واق يمنعهم من عذاب الله ، ووجوههم مسودة من الغم والكآبة كأنما أســـدل عليها سواد من ظلمة الليل ! وهم أهل النار يشقون فيها ابدا ٠

***

٢٨ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ هول الموقف ، يوم نجمع الخلائق كافة، ثم نقول للذين اشركوا فى عبادتهم مع الله غيره : قفوا مكـــانكم أنتم ومن

---

(١) « تشير هذه الآية الى حقيقة بدأت تتكشف بوادرها وهى تسخير الانسان للعلم لخدمته واستطاعته به أن يسيطر على ما يحقق أهدافه حتى اذا ما قاربت هذه الحقيقة الاكتمال وظـــن الانسان انه قد بلغ أوج المعرفة أتى أمر الله » ٠



ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ

اتخذتموهم شركاء من دون الله ، حتى تنظروا ما يفعل بكم ، فوقعت الفرقة بين المشركين والشركاء ، وتبرأ الشركاء من عابديهم ، قائلين لهم : لم ندعكم الى عبادتنا ، وما كنتم تعبدوننا !! وانما كنتم تعبدون أهواءكم ٠

***

٢٩ ــ ويكفينا الله بعلمه وحكمه شهيدا وفاصلا بيننا وبينكم ٠٠ انا كنا بمعزل عنكم لانشعر بعبادتكم لنا ٠

***

٣٠ ــ فى ذلك الموقف تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر ، وتلقى جزاءه ٠ وفى هذا الموقف أيقن المشركون بوحدانية الله الحق ، وبطل كل ما كانوا يفترونه على الله ٠

***

٣١ ــ ادع ــ أيها الرسول ــ الى التوحيد الخالص ؛ وقل : من الذى يأتيكم بالرزق من السماء بانزال المطر ،ومن الأرض باخراج النبات والثمر ؟ ومن الذى يمنحكم السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت كالنبات ، هو حى من الأرض وهى موات ؟ ومن يخرج الميت من الحى كالانسان يسلب عنه الحياة ؟ ومن الذى يدبر ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته ؟ فسيعترفون ، لامناص ، بأن الله وحده فاعل هذا كله ٠ فقل لهم ، أيها الرسول ، عند اعترافهم بذلك : أليس الواجب المؤكد أن تذعنوا للحق وتخافوا الله مالك الملك ؟

***

٣٢ ــ فذلكم الله الذى أقررتم به ؛ هو وحده ربكم الذى تحققت ربوبيته ووجبت عبادته دون سواه وليس بعد الحق من توحيد الله وعبادته الا الوقوع فى الضلال ، وهو الاشراك بالله وعبادة غيره ! فكيف تنصرفون عن الحق الى الباطل ٠

***

٣٣ ــ كما تحققت ألوهية الله ووجبت عبادته ، حق قضاؤه على الذين خرجوا عن أمر الله متمردين بأنهم لا يذعنون للحق ، لأن الله تعالى لايهدى الى الحق الا من سلك طريقه ، لا من تمرد عليه ٠



قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾
قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ
يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن
لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ
شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي
بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ
مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ
تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ

٣٤ ـ قل ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء المشركين ٠ هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع أن ينشىء الخلق ابتداء ، ثم يعيده بعد فنائه ؟ انهم سيعجزون عن الجواب ! فقل لهم حينئذ : الله وحده هو الذى ينشىء الخلق من عدم ثم يعيده بعد فنائه ؛ فكيف تنصرفون عن الايمان به ٠

***

٣٥ ـ قل ـ أيها الرسول ـ لهؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع التمييز بين الهدى والضلال ، فيرشد سواه الى السبيل الحق ؟ فسيعجزون ! فهل القادر على الهداية الى الحق أولى بالاتباع والعبادة ؟ أم الذى لايستطيع ان يهتدى فى نفسه ، وهو بالأولى لا يهدي غيره، اللهم الا اذا هداه غيره ؟ كرؤوس الكفر ، والاحبار والرهبان الذين اتخذتموهم أربابا من دون الله ! فما الذى جعلكم تنحرفون حتى اشركتم هؤلاء بالله ؟ وما هذه الحال العجيبة التى تجركم الى تلك الأحكام الغريبة ٠

***

٣٦ ـ وما يتبع اكثر المشركين فى معتقداتهم الا ظنونا باطلة لا دليل عليها! والظن ـ على وجه العموم ـ لايفيد ، ولا يغنى عن العلم الحق أى غناء ، ولا سيما اذا كان ظنا وهميا كظن هؤلاء المشركين ٠ وان الله عليم بما يفعله رؤساء الكفر وأتباعهم الذين يقلدونهم ؛ وسيجازيهم على ذلك ٠

***

٣٧ ـ وما كان يتأتى فى هذا القرآن أن يفتريه أحد ، لأنه فى اعجازه وهدايته وأحكامه لايمكن ان يكون من عند غير الله ٠ وليس هو الا مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية ، فيما جاءت به من الحق ، وموضحا لما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع ٠ لا شك فى أن هذا القرآن منزل من عند الله ، وانه معجز لا يقدر أحد على مثله ٠

***

٣٨ ـ بل يقول هؤلاء المشركون : اختلق محمد هذا القرآن من عنده !فقل لهم ، ايها الرسول : ان كان هذا القرآن من عمل البشر ، فأتوا أنتم بسورة واحدة مماثلة له ، واستعينوا على ذلك بمن تشاءون من دون الله ، ان كنتم صادقين فى زعمكم ان القرآن من عندى ٠

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ

٣٩ ـ بل سارع هؤلاء المشركون الى تكذيب القرآن من غير ان يتدبروا ، ويعلموا مافيه ! فلم ينظروا فيه بأنفسهم ، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع الى غيرهم ! وبمثل هذه الطريقة فى التكذيب من غير علم ، كـذب الكافرون من الأمم السابقة رسلهم وكتبهم ! فانظر ايهـا الانسان ما آل اليـه أمر المكذبين السابقين ، من خذلانهم وهلاكهم بالعذاب ! وهذه سنة الله فى أمثالهم ٠

٤٠ ـ ومن هؤلاء المكذبين من سيؤمن بالقرآن بعد ان يفطن الى مافيه ، ويتنبه لمعانيه ، ومنهم فريق لا يؤمن به ولا يتحول عن ضلاله ! والله سبحانه وتعالى أعلم بالمكذبين المفسدين ، وسيجازيهم على مافعلوه ٠

٤١ ـ وان أصروا على تكذيبك أيها الرسول ـ بعد وضوح الأدلة عـلى نبوتك ـ فقل لهم : ان لى جزاء عملى ، ولكم جزاء عملكم كيفما كان ، وانى مستمر فى دعوتى ؛ وأنتم لاتؤخذون بعملى ؛ وأنا لا أؤاخذ بعملكم ، فافعلوا ما شئتم وسيجازى الله كلا بما كسب ٠

٤٢ ـ ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك ـ أيها الرسول ـ حين تدعوهم الى دين الله ، وقد اغلقت قلوبهم دون قبول دعوتك ، فأنت لا تقدر على اسمـاع هؤلاء الصم وهدايتهم ، وخاصة اذا أضيف الى صممهم عدم تفهمهم لما تقول ٠

٤٣ ـ ومنهم من ينظر اليك ويفكر فى شأنك ، فيرى دلائل نبـوتك الواضحة ، ولكن لا يهتدى بها ٠ فمثله فى ذلك مثل الأعمى ؛ ولست بقادر على هداية هؤلاء العمى ، فعمى البصر كعمى البصيرة ، كلاهما لا هداية ! فالأعمى لايهتدى حسا ، والضال لايهتدى معنى ٠

٤٤ ـ ان الله سبحانه سيجازى الناس بأعمالهم بالعدل والقسطاس، ولا يظلم احدا منهم شيئا ، ولكن الناس الذين يظلمون أنفسهـم باختيارهم الكفر على الايمان !

٤٥ ـ وأنذرهم ـ أيها الرسول ـ يوم نجمعهم للحساب ، فيتحققـون مجىء اليوم الآخر بعد أن كانوا يكذبون به ، ويتذكرون حياتهم فى الدنيا ،كأنها ساعة من النهار لم تتسع لما كان ينبغى من عمل الخير ؛ ويعرف بعضهم بعضا يتلاومون على ماكانوا عليه من الكفر والضلال ! ٠ قد خسر المكذبون باليـوم الآخر فلم يقدموا فى دنياهم عملا صالحا ولم يظفروا بنعيم الآخرة بكفرهم ٠

٤٦ ـ وان ارينال ـ أيها الرسول ـ بعض الذى نعدهم به ، من نصرتك عليهم ، والحاق العذاب بهم ؛ أو نتوفينك قبل أن ترى كل ذلك ؛ فلا مناص من عودتهم الينا للحساب والجزاء ٠ والله سبحانه رقيب وعالم بكل مـا يفعلونه ، ومجازيهم به

أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ
كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟
عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾



* وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ
وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟

٤٧ ـ ولقد جاء رسول لكل أمة فبلغها دعوة الله ، فآمن من آمن ، وكذب من كذب ، فاذا كان يوم الحشر ، جاء رسولهم وشهد على مكذبيه بالكفر ، وللمؤمنين بالايمان ، فيحكم الله بينهم بالعدل التام ، فلا يظلم أحدا فيما يستحقه من جزاء

***

٤٨ ـ ويمعن الكافرون فى التكذيب باليوم الآخر ، فيستعجلونه متهكمين ويقولون : متى يكون هذا الذى تعدنا به من العذاب ، ان كنت ، ايها الرسول ومن معك ، صادقين فيما تؤمنون به وتدعوننا اليه ؟

***

٤٩ ـ قل لهم أيهاالرسول : اننى لا أملك لنفسى خيرا ولاشرا ، الا ماأقدرنى الله عليه . فكيف أملك تقديم العقوبة ؟ . ان لكل أمة نهاية حددها الله أزلا فاذا حانت هذه النهاية فلا يستطيعون التأخر عنها وقتا ما ؛ كما لايستطيعون سبقها !

* * *

٥٠ ـ قل لهؤلاء المكذبين المستعجلين وقوع العذاب : اخبرونى ان وقع بكم عذاب الله ليلا أو نهارا ، فأى فائدة يحصل عليها من استعجاله المجرمون الآثمون ؟ والعذاب كله مكروه .

***

٥١ ـ أتنكرون العذاب الآن ، ثم اذا حل بكم يقال لكم توبيخا : هل آمنتم به حين عاينتموه ، وقد كنتم تستعجلونه فى الدنيا مستهينين جاحدين .

***

٥٢ ـ ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا انفسهم بالكفر والتكذيب : ذوقوا العذاب الدائم .. لاتجزون الآن الا على اعمالكم التى كسبتموها فى الدنيا .

***

٥٣ ـ ويطلب الكفار منك أيها الرسول ـ على سبيل الاستهزاء والانكار ـ أن تخبرهم أحق ما جئت به من القرآن وما تعدهم به من البعث والعذاب ؟ قل لهم : نعم وحق خالقى الذى أنشأنى أنه حاصل لاشك فيه وماأنتم بغالبين ولا مانعين ما يريده الله بكم من العذاب .

ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾
أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟
هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم
مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ
أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ
وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

٥٤ ـ ولو ان كل ما فى الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود ، لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعاين هوله ، وحينئذ يتردد الندم والحسرة فى سرائرهم لعجزهم عن النطق به ! ولشدة مادهاهم من الفزع لرؤية العذاب ! ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين فى هذا الجزاء • لأنه نتيجة ما قدموا فى الدنيا •

٥٥ ـ ليعلم الناس أن الله مالك ومهيمن على جميع ما فى السموات والأرض ؛ وليعلموا أن وعده حق ، فلا يعجزه شىء ، ولا يفلت من جزائه أحد ؛ ولكنهم قد غرتهم الحياة الدنيا لا يعلمون ذلك علم اليقين •

٥٦ ـ والله سبحانه ، يهب الحياة بعد عدم ، ويسلبها بعد وجود واليه المرجع فى الآخرة ، ومن كان كذلك لا يعظم عليه شىء •

٥٧ ـ يأيها الناس : قد جاءكم على لسان الرسول محمد كتاب من الله ، فيه تذكير بالايمان والطاعة وعظة بالترغيب فى الخير ، والترهيب من عمل السوء ، وسوق العبر بأخبار من سبقوكم وتوجيه نظركم الى عظمة الخلق لتدركوا عظمة الخالق ، وفيه دواء لأمراض قلوبكم من الشرك والنفاق ،وهداية الى الطريق المستقيم • وذلك كله رحمة للمؤمنين الذين يستجيبون •

***

٥٨ ـ قل لهم ايها الرسول : افرحوا بفضل الله عليكم ورحمته بكم ، بانزال القرآن ، وبيان شريعة الاسلام ، وهذا خير من كل ما يجمعه الناس من متاع الدنيا ، لأنه غذاء القلوب وشفاء اسقامها •

٥٩ ـ قل ـ أيها الرسول ـ للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا : أخبرونى عما منحكم الله من رزق حلال طيب ، فأقمتم من أنفسكم مشرعين ، تجعلون بعضه حلالا ، وبعضه حراما دون ان تأخذوا بشرع الله ؟ ان الله لم يأذن لكم فى هذا ، بل أنتم تكذبون فى ذلك على الله !

٦٠ ـ ما الذى يظنه يوم القيامة أولئك الذين كانوا يفترون الكذب على الله ، فيدعون الحل والتحريم ، من غير ان يكون عندهم دليل ؟ ان الله انعم عليهم نعما كثيرة ، واحلها لهم بفضله ، وشرع لهم مافيه خيرهم ،ولكن الاكثرين لايشكرون الله عليها ، بل يفترون على الله الكذب !

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ
مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

٦١ ــ وانك أيها الرسول قد بلغت وهو معلوم لله ، وماتكون فى أمر من أمورك ، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل انت وأمتـــك من عمــل ، الا ونحـــن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين ، ولا يغيب عن علم ربك شئ فى وزن الذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا اصغر من هذا ولا اكبر منه ٠ان ذلك كله يسجل فى كتاب عند الله بين واضح ٠

***

٦٢ ــ تنبهوا أيها الناس ، واعلموا ان الموالين لله بالايمان والطاعة يحبهم ويحبونه ، لاخوف عليهم من الخزى فى الدنيا ، ولا من العذاب فى الآخرة وهم لايحزنون على مافاتهم منعرض الدنيا لأن لهم عندالله ماهو أعظممن ذلكوأكثر٠

***

٦٣ ــ وهم الذين صدقوا بكل ماجاء من عند الله ، وأذعنـــوا للحق ، واجتنبوا المعاصى ، وخافوا الله فى كل أعمالهم ٠

***

٦٤ ــ لهؤلاء الاولياء البشرى بالخير فى الدنيا ، وعدهم الله به من نصر وعز ، وفى الآخرة يتحقق وعـــد الله ، ولا خلف لـــا وعد الله به وهذا الذى بشروا به فى الدنيا ، وظفروا به فى الآخرة هو الفوز العظيم ٠

***

٦٥ ــ ولا تحزن ــ أيها الرسول ــ لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن ان حالهم ستدوم ، بل ان النتيجة لك وسيعتز الاســلام ، فان العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحـــانه السميع لما يفترون عليك ، العليم بما يضمرونه ، وسيجازيهم على ذلك ٠

* * *

٦٦ ــ لتعلموا ــ أيها الناس ان لله وحده كل من فى السموات والأرض خلقا وملكا وتدبيرا ٠ وان الذيناشركوا بالله لايتبعون شركاءلله فى الحقيقةوهم لا يتبعون الا أوهاما باطلة لا حقيقة لها ، وليسوا الا واهمين يظنون القوة فيما لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ٠





يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن
سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ
إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ
الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي
وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ

٦٧ ـ ان الذى يملك من فى السموات والأرض ، هو الذى خلق لكم الليل لتستريحوا فيه من عناء السعى فى النهار ، وخلق لكم النهار مضيئا لتسعوا فيه وتجلبوا مصالحكم • ان فى خلق الليل والنهار لدلائل بينة لمن يسمعون ويتدبرون •

***

٦٨ ـ واذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا فى العبادة حجارة ، ولم ينزهوا الله حق التنزيه ، وقالوا ان لله ولدا •• فالله منزه عن ذلك • انه غنى عن أن يتخذ ولدا ؛ لأن الولد مظهر الحاجة الى البقاء ؛ والله باق خالد ، وكل ما فى السموات وما فى الأرض مخلوق ومملوك له ، وليس عندكم ايها المفترون حجة ولا دليل على مازعمتم ! فلا تختلقوا على الله أمرا لا أساس له من الحقيقة•

***

٦٩ ـ قل لهم أيها الرسول : ان الذين يختلقون على الله الكذب ويزعمون أن له ولدا ، لن يفلحوا ابدا !

***

٧٠ ـ لهم متاع فى الدنيا يغترون به ، وهو قليل ، طال أو قصر ، بجوار مايستقبلهم ! ثم الينا مرجعهم ، فنحاسبهم ونذيقهم العـــذاب المـؤلم بسبب كفرهم •

***

٧١ ـ وان ما ينزل بك من قومك قد نزل بمن سبقك من الأنبياء • واقرأ ايها الرسول على الناس ، فيما ينزله عليك ربك من القرآن ، قصة نوح رسول الله لما احس كراهية قومه وعداءهم لرسالته ، فقال لهم : ياقوم ان كان وجودى فيكم لتبليغ الرسالة قد اصبح شديدا عليكم ، فانى مستمر مثابر على دعوتى متوكل على الله فى أمرى ، فاحزموا أمركم ومعكم شركاؤكم فى التدبير ، ولا يكن فى عدائكم لى أى خفاء ، ولا تمهلونى بما تريدون لى من سوء ، ان كنتم تقدرون على ايذائى ، فان ربى يرعانى •

* * *

٧٢ ـ وان بقيتم على الأعراض عن دعوتى ، فان ذلك لن يضيرنى ، لأنى لم أقم بها لاتقاضاكم عليها أجرا أخشى عليه الضياع بسبب اعراضـــكم ! انما أطلب اجرى عليها من الله وحده ، وقد أمرنى أن أكون مسلما اليه جميع أمرى •

وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟
بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ
هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ
سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ

٧٣ ـ ومع هذه المجهود وتلك المثابرة التى بذلها من أجل هدايتهم ، أصروا على أن يستمروا فى تكذيبه وعدائه ، فنجاه الله ومن معه من المؤمنين به ، الراكبين معه فى الفلك وجعلهم عمارا للارض بعد هلاك الكافرين الذين اغرقهم الطوفان ، فانظر يامحمد كيف لقى المستخفون بالنذر مصيرهم السىء.

***

٧٤ ـ ثم أرسلنا من بعد نوح رسلا آخرين ، داعين الى التوحيد، ومبشرين ومنذرين ، ومؤيدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح ، فما كان من شأن الجاحدين منهم أن يذعنوا ، لأن التكذيب سبق التبصر والاعتبار ، وبذلك طبع الله الباطل على قلوب الذين من شأنهم الاعتداء على الحقائق وعلى البينات .

***

٧٥ ـ ثم أرسلنا من بعدهم موسى وأخاه هارون الى فرعون ملك مصر والى خاصته ، داعين الى عبادة الله وحده ، ومؤيدين بالحجج الباهرة ، فاستكبر فرعون وقومه عن متابعة موسى وهارون فى دعوتهما ، وكانوا بهذا الرفض مرتكبين جرما عظيما آثمين به .

* * *

٧٦ ـ فلما ظهر لهم الحق من عندنا على يد موسى ، قالوا فى معجزة موسى وهى العصا التى انقلبت حية أمام أعينهم : ان هذا سحر مؤكد واضح!

***

٧٧ ـ قال لهم موسى مستنكرا : أتصفون الحق الذى جئتكم به من عندالله بأنه سحر ؟ أتكون هذه الحقيقة التى عاينتموها سحرا ؟! وهأنذا اتحداكم ان تثبتوا انها سحر ، فأتوا بالساحرين ليثبتوا ما تدعون ، ولن يفوز الساحرون فى هذا ابدا !

* * *

٧٨ ـ قال فرعون وقومه لموسى : انما جئت الينا قاصدا ان تصرفنا عن دين آبائنا وتقاليد قومنا لكى نصير لكما أتباعا ويكون لك ولأخيك الملك والعظمة والرياسة المسيطرة المتحكمة ؟ واذن فلن نؤمن بكما ولا برسالتكما .

***

٧٩ ـ وزعم فرعون وقومه أن موسى وأخاه ساحران لا رسولان ! فأمر رجاله بأن يحضروا له من مملكته كل من له مهارة فى فنون السحر .

أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ

٨٠ ــ ولما حضر السحرة ووقفوا أمام موسى ، لمنازلته بسحرهم على رؤوس الأشهاد ، قال لهم موسى : هاتوا ما عندكم من فنون السحر

***

٨١ ــ فلما القوا حبالهم وعصيهم ، قال لهم موسى : ان الذى فعلتموه هو السحر حقا ؛ والله سبحانه سيبطله على يدى ! ان الله لايهيىء أعمال المفسدين لأن تكون صالحة ونافعة

***

٨٢ ــ أما الحق فان الله ناصره ومؤيده بقدرته وحكمته ، مهما أظهر الكافرون من بغضهم له ومحاربتهم اياه .

***

٨٣ ــ ومع ظهور الآيات الدالة على صدق الرسالة ، فان الذين آمنوا بموسى لم يكونوا الا فئة قليلة من قوم فرعون ، آمنوا على خوف من فرعون ومن معه أن يردوهم عما آمنوا به ، وما أعظم طغيان فرعون فى أرض مصر وانه لمن المغالين الذين اسرفوا فى استكبارهم واستعلائهم .

***

٨٤ ــ أما موسى فقد قال للمؤمنين مواسيا لهم ومشجعا : ياقوم ، ان كان الايمان قد دخل قلوبكم فى اخلاص لله فلا تخشوا سواه ، وأسلموا أموركم اليه . وتوكلوا عليه ، وثقوا فى النهاية ان كنتم ثابتين على الاسلام .

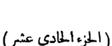
٨٥ ــ فقال المؤمنون : على الله وحده توكلنا ، ثم دعوا ربهم الا يجعلهم اداة فتنة وتعذيب فى يد الكافرين .

***

٨٦ ــ ودعوا ربهم قائلين : نجنا بما أسبغت علينا من نعمة ورحمة ، وبفيض رحمتك التى اتصفت بها ، من القوم الجاحدين الظالمين .

***

٨٧ ــ وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن يتخذا لقومهما بيوتا يسكنونها بأرض مصر ، وان يجعلا هذه البيوت قبلة يتجه اليها أهل الايمان الذين يتبعون دعوة الله ، وان يؤدون الصلاة على وجهها الكامل . والبشرى بالخير للمؤمنين



فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ



فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟
إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ
لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ

٨٨ ـ ولما تمادى الكفار فى تعنتهم مع موسى ، دعا الله عليهم ، فقال : يارب انك أعطيت فرعون وخاصته بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان فكانت عاقبة هذه النعم اسرافهم فى الضلال والاضلال عن سبيل الحق اللهم اسحق أموالهم . واتركهم فى ظلمة قلوبهم ، فلا يوفقوا للايمان حتى يروا رأى العين العذاب الاليم ، الذى هو العاقبة التى تنتظرهم ليكونوا عبرة لغيرهم

***

٨٩ ـ قال الله تعالى : قد اجيب دعاؤكما ، فاستمرا على السير فى الطريق المستقيم ، واتركا سبيل أولئك الذين لايعلمون الأمـور على وجهها ولا يذعنون للحق الذى وضح .

***

٩٠ ـ ولما جاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، تعقبهم فرعون وجنوده للاعتداء عليهم فأطبقنـا عليهم البحـر ! فلما أدرك الغرق فرعون قال : صدقت بالله الذى صدقت به بنو اسرائيل ، واذعنت له ، وانا من الطائعين الخاضعين

***

٩١ ـ لم يقبل الله من فرعون هذا الايمان الذى اضطر اليه ، وتلك التوبة التى كانت وقد حضره الموت ، بعد ان عاش عاصيا لله مفسدا فى الأرض فمات كافرا مهانا .

***

٩٢ ـ واليوم الذى هلكت فيه نخرج جثتك من البحر ، ونبعثها لتكـون عظة وعبرة لمن كانوا يعبدونك ولا ينتظرون لك مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن البينات الباهرة فى الكون التى تثبت قدرتنا (١)

***

٩٣ ـ ولقد مكنا لبنى اسرائيل بعد ذلك فعاشوا فى أرض طيبة، محافظين على دينهم ! بعيدين عن الظلم الذين كانوا فيه ، موفورة لهم الأرزاق والنعم ؛

---

(١) « يظهر ان الاية الكريمة تشير الى ان جسم فرعون سيبقى محفوظا ليراه الناس ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم لمن كان يعتبر نفسه الها ، ويقول لقومه الخانعين ليس لكم من اله غيرى

هذا ويلاحظ ان خروج بنى اسرائيل من مصر وقد وقع فى اواخر القرن الثالث عشر قبـل الميلاد فى عهد احد فراعنة الاسرة التاسعة عشرة وهو منفتاح بن رمسيس الثانى الذى سـخر بنى اسرائيل فى بناء عاصمة ملكه .

وقد دلت الكشوف التاريخية الحديثة على ان اسم هذه المدينة المطمورة « بورعمسس » وكان خروج بنى اسرائيل مع موسى للدعوة الى الوحدانية ولخلع ربقة فرعون الذى يسخرهـم ويذيقهـم سوء العذاب : اليس هذا دليلا على انه من عند الله؟

جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ

ولكنهم ما أن ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان،حتى اصابهم داء الفرقة فاختلفوا مع أنه قد تبين لهم الحق والباطل ! وسيقضى الله بينهم يوم القيامة ، ويجزى كلا منهم بما عمل .

٩٤ ــ فان ساورك أو ساور احدا غيرك شك فيما أنزلنا اليك من وحى ، فاسأل أهل الكتب السابقة المنزلة على انبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق لما أنزلنا عليك . وذلك تأكيد للصدق ببيان الدليل عند احتمال أى شك فليس هناك مجال للشك ،فقد أنزلنا عليك الحق الذى لاريب فيه ، فلا تجار غيرك فى الشك والتردد .

٩٥ ــ ولا تكن أنت ولا أحد من الذين اتبعوك ، من الذين يكذبون بالحجج والبينات ، لئلا يحل عليك الخسران والغضب ، كما هو شأن الكفار الذين لايؤمنون . والخطاب للنبى خطاب لكل من اتبعه

٩٦ ــ ان الذين سبق عليهم قضاء الله بالكفر ، لما علم من عنادهم وتعصبهم ، لن يؤمنوا مهما اجهدت نفسك فى اقناعهم .

٩٧ ــ ولو جئتهم بكل حجة مهما يكن وضوحها فلن يقتنعوا وسيستمرون على ضلالهم الى ان ينتهى بهم الأمر الى العذاب الأليم !

٩٨ ــ لو ان كل قرية من القرى تؤمن لنفعها ايمانها ، لكنها لم تؤمن ، فلم يكن النفع الا لقوم يونس ، فانهم لما آمنوا وجدوا النفع لهم ، فكشفنا عنهم الخزى وما يترتب عليه من آلام ، وجعلناهم فى متعة الدنيا الفانية حتى كان يوم القيامة !

٩٩ ــ ولو أراد الله ايمان من فى الارض جميعا لآمنوا ، فلا تحزن على كفر المشركين ، ولا ايمان الا مع الرغبة فلا تستطيع ان تكره الناس حتى يذعنوا للحق ويستجيبوا له فليس لك أن تحاول اكراههم على الايمان ولن تستطيع ذلك مهما حاولت .



إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾
قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى
ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى
مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

١٠٠ ـ لا يمكن لانسان أن يؤمن الا اذا اتجهت نفسه الى ذلك ، وهيأ الله بها الأسباب والوسائل أما من لم يتجه الى الايمان فهو مستحق لسخط الله وعذابه ، وسنة الله ان يجعل العذاب والغضب على الذين ينصرفون عن الحجج الواضحة ولا يتدبرونها .

* * *

١٠١ ـ قل يأيها النبى لهؤلاءالمعاندين : انظروا الى مافى السموات والارض من بينات ترشد الى الوهيته ووحدانيته ، ففيها ما يقنعكم بالايمان . ولكن الآيات على كثرتها والنذر على قوتها لا تغنى عن قوم جاحدين لايتعقلون ، اذا لم يؤمن هؤلاء الجاحدون فلن ينتظروا (١)

***

١٠٢ ـ فهل ينتظر أولئك الجاحدون الا أن ينالهم من الأيام الشداد مثل ما أصاب الذين مضوا من قوم نوح وقوم موسى وغيرهم ؟! قل لهم أيها النبى: اذا كنتم تنتظرون غير ذلك ، فانتظروا انى منتظر معكم ، وستصيبكم الهزيمة القريبة والعذاب يوم القيامة .

***

١٠٣ ـ ثم ننجى رسلنا والمؤمنين من ذلك العذاب ، لانه وعد بنجاتهم، ووعده حق لايتخلف .

* * *

١٠٤ ـ قل لهم أيها الرسول : ان كنتم تشكون فى صحة الدين الذى بعثت به ، فاعلموا أنه مهما تشككتم فيه فلن اعبد الاصنام التى تعبدونها من دون الله ، ولكنى اعبد الله الذى بيده مصيركم ، وهو الذى يتوفاكم ، وقد أمرنى أن أكون من المؤمنين به .

* * *

١٠٥ ـ يأيها النبى قم حق القيام بالاتجاه الى الله منصرفا اليه ، ولاتدخل فى غمار الذين أشركوا بالله ، فجانبهم وابتعد عنهم أنت ومن اتبعك من المؤمنين

* * *

١٠٦ ـ ولا تلجأ بالدعاء والعبادة الى غير الله مما لايجلب لك نفعا ، ولا ينزل بك ضررا فانك ان فعلت ذلك كنت داخلا فى غمار المشركين الظالمين والنهى الموجه للنبى هو موجه لأمته ، وهو تأكيد للنهى ، لأن النهى حيث لايمكن وقوع المنهى عنه مبالغة فى النهى .

---

(١) « هذه الآية وكثير غيرها تدعو الى العلم بالمشاهدة والتأمل وتدعو الى العلم بالكون وما فيه اذ قد سخر للانسان لانه السبيل الى المعرفة بالمشاهدة المحسوسة » .



لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾



١٠٧ – وأن يصسبك الله بضر ايهـا النبى فلن يكشـفه عنك الا هـو ، وان يقدر لك الخير فلن يمنعه عنك أحد لأنه يهب الخير من فضله لمن يشاء من عباده ، وهو سبحانه الواسع المغفرة العظيم الرحمة

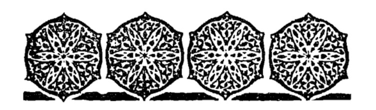
***

١٠٨ – بلغ أيها الرسول دعوة الله الى الناس كافة ، وقل لهم : ايهـا الناس قد انزل الله عليكم الشريعة الحقة من عنده فمن شاء ان يهتدى بهـا فليسـارع ، فان فائدة هـداه ستكون لنفسـه ، ومن أصر على ضـلاله فان ضلاله سيقع عليه وحده ، وأنا لست موكلا بارغامكم على الايمان ، ولا مسيطرا عليكم .

***

١٠٩ – واثبت أيها الرسول على دين الحق ، واتبع ما انزل عليـك من الوحى ، صابرا على ما ينالك في سبيل الدعوة من مكاره ، حتى يقضى الله بينك وبينهم ، بما وعدك به من نصر المؤمنين ، وخذلان الكافرين ، وهو خير الحاكمين

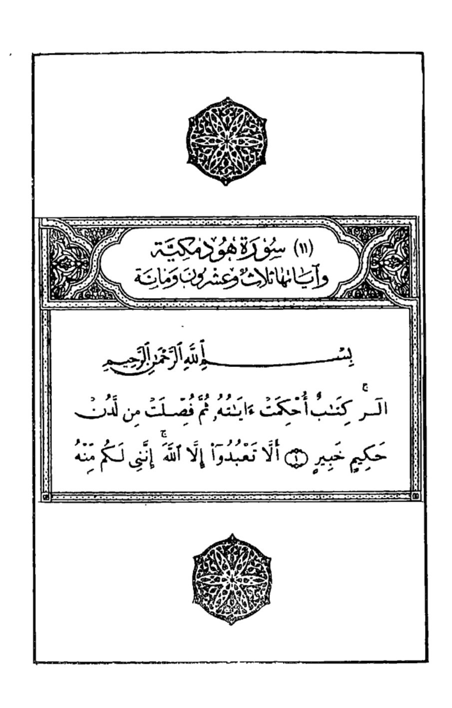

مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)



تفسير سورتي

هود، يوسف





(11) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّة
وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ

سورة هود

سورة هود : هى سورة مكية تتكون من ١٢٣ آية ابتدأت بالتنويه بالقرآن الكريم ، وعبادة الله وحده ؛ والانذار ، والتبشير ؛ ثم بيان قدرة الله وربوبيته ؛ وأحوال الناس في تلقيهم لنعمه ونقمه ؛ ثم مقام القرآن ؛ والتحدى به ؛ وكفر الكافرين به من غير عذر فى كفرهم ، وبيان ثواب المؤمنين ٠

ولقد قص سبحانه بعد ذلك قصص النبيين ، ومجادلة أقوامهم لهم ؛ وانزال العذاب الدنيوى بالكافرين ونجاة المؤمنين ؛ فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح بتفصيل أكثر مما كان فى سورة يونس ، ففيها بيان لعقلية الكافر وعناده ؛ وبيان لانزال المقت به ، ومن بعد قصة نوح ذكر سبحانه قصة عاد مع نبى الله هود ، ببيان يوضح عقلية الكفر ؛ وما نزل بالكافرين مع قوة بأسهم وشدتهم ٠

ثم ذكر بمثل ذلك من البيان قصة نبى الله صالح مع ثمود ، ثم قصة نبى الله وخليله ابراهيم ثم قصة نبى الله لوط ، ثم قصة نبى الله شعيب ٠

ثم ذكر سبحانه وتعالى العبر فى هذا القصص الحق ، وختمها سبحانه بدعوة المؤمنين الى العمل وانتظار الثواب ، ثم ذكر علم الله سبحانه وتعالى الكامل ووجوب التوكل عليه ٠

****

١ ـ الر ٠٠٠ حروف ابتدأت بها السورة للاشارة الى أن القرآن معجز ؛ مع أنه مكون من الحروف التى ينطقون بها ؛ وللتنبيه الى الاصغاء عند تلاوة القرآن الكريم الى أنه كتاب ذو شأن عظيم ، أنزلت آياته محكمة لاباطل فيها ولا شبهة : ونظمت بأسلوب لا خلل فيه ، واضحة بينة ، ثم فصلت أحكامها ٠ وللكتاب مع شرفه فى ذاته شرف أنه من عند الله الذى يعلم كل شىء ، ويضع الأمور فى مواضعها سبحانه ٠

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى
فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا
حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ
فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ
ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾



٢ ـ أرشد به الناس ، أيها النبى ؛ وقل لهم : لاتعبدوا الا الله ؛ اننى مرسل منه لأنذركم بعذابه ان كفرتم ؛ وأبشركم بثوابه ان آمنتم وأطعتم ٠

٣ ـ وتضرعوا الى الله داعين أن يغفر لكم ذنوبكم ، ثم ارجعوا اليه باخلاص العبادة وعمل الصالحات ، فيمتعكم متاعا حسنا فى الدنيا الى أن تنتهى آجالكم المقدرة لكم فيها ؛ ويعطى فى الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله ٠ وان تنصرفوا عما أدعوكم اليه ؛ تعرضتم للعذاب ، فانى أخاف عليكم هذا العذاب فى يوم كبير يحشر فيه الناس جميعا ويكون فيه الهول الأكبر ٠

٤ ـ الى الله وحده مرجعكم فى الدنيا ويوم القيامة ، حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم ؛ وهو قادر على كل شىء ، لأنه كامل القدرة لايعجز عن شىء من الأشياء ٠

٥ ـ ان الناس يطوون صدورهم كاتمين لما يجول فيها ؛ مجتهدين فى كتمانهم، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخفى خلجات صدورهم عن الله ؟ الا فليعلم هؤلاء أنهم ان آووا الى فراشهم لابسين لباس النوم ؛ فاستتروا بظلام الليل والنوم وطى مافى الصدور ، فان الله عليم بهم ، فى سرهم وعلنهم ؛ لأنه يعلم مايصاحب الصدور ويطوى فيها ٠

٦ ـ وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شىء ؛ فلا توجد دابة تتحرك فى الأرض الا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها فى مختلف البيئات تفضلا منه ، ويعلم مكان استقرارها فى حال حياتها ؛ والمكان الذى تودع فيه بعد موتها ؟٠٠ كل شىء من ذلك مسجل عنده سبحانه فى كتاب موضح لأحوال مافيه ٠

٧ ـ والله خلق السموات والأرض وما فيهما فى ستة أيام ؛ ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه عرش الله ٠ وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختبار أحوالكم أيها الناس ، ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة ، ومن يعرض عن ذلك ٠٠ ومع هذه القدرة الخالقة ان قلت لهم مؤكدا : أنهم سيبعثون من قبورهم ؛ وانهم خلقوا ليموتوا ويبعثوا ، سارعوا الى الرد عليك مؤكدين أن هذا الذى جئتهم به لاحقيقة له ! وما هو الا كالسحر الواضح الذى يلعب بالعقول ٠

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ
مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ
أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ
أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟
مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

٨ ــ ولئن اقتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم فى الدنيــــا ؛ الى وقت محدد عندنا هو يوم القيامة ؛ ليقولون مستهزئين : ما الذى يمنعه عنا الآن ؟ فليأت به ان كان صادقا فى وعيده . ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب آت حتما ، وأنه لاخلاص لهم منه حين يأتيهم ؛ وأنه سيحيط بهم بسبب اســــــتهزائهم واستهتارهم ٠

٩ ــ وان من طبيعة الانسان أن تستغرق نفسه الحال التى يكون عليها ؛ فاذا أعطيناه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة فى الرزق ، ثم نزعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا ، أسرف فى يأسه من عودة هذه النعمة اليه ؛ وأسرف فى كفره بالنعم الأخرى التى لايزال يتمتع بها ٠

١٠ ــ واننا لو أعطيناه نعمة بعد ضر لحق به ؛ فانه يقول : ذهب ماكان يسوءنى ولن يعود ! ويحمله ذلك على شدة الفرح بمتاع الدنيا ، وعلى المبالغة فى التفاخر على الغيــر ، فينشــغل قلبه عن شكر ربه ؛ هذا هو شــأن غالب بنى الانسان : مضطرب بين اليأس والتفاخر !

١١ ــ ولا يخلو من هذا العيب الا الذين صبروا عند الشدائد ، وعملوا الصالحات فى السراء والضراء ٠ هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجــــر كبير على اعمالهم الصالحة ٠

١٢ ــ لاتحاول أيها النبى ارضاء المشركين لأنهم لايؤمنون ؛ وعساك ان حاولت ارضاءهم أن تترك تلاوة بعض مايوحى اليك مما يشق سماعه عليهم ، كاحتقار بعض آلهتهم ، خوفا من قبح ردهم واســــتهزائهم ! وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلوه ، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كنزا تنعم به كالملوك ؛ أو يجىء معك ملك يخبرنا بصدقه ! فلا تبال أيها النبى بعنادهم ، فما أنت الا منذر ومحذر من عقاب الله من يخالف أمره ؛ وقد فعلت فأرح نفسك منهم ٠ واعلم أن الله على كل شىء رقيب ومهيمن ؛ وسيفعل بهم ما يستحقون ٠

١٣ ــ ان القرآن فيه الآية الدالة على صدقك فان قالوا : انه ألفه من عنده أو افتراه على الله ! فقل لهم : ان كان هذا القرآن من عنـــد بشر ، أمكن للبشر أن يأتوا بمثله ؛ وأنتم فصحاء البشر ٠ فأتوا بعشر سور مثله مختلفات ، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الانس والجن ، ان كنتم صادقين فى دعواكم انه كـلام بشر !



فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا
ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن
قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ
فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾

١٤ ـ فان عجزتم ؛ وعجز من استعنتم بهم فأتوا بمثله ولو مفتـــرى ؛ فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل الا مقترنا بعلم الله ؛ فلا يعلم علمه أحـد ، واعلموا أنه لا اله الا الله فلا يعمل عمله أحد • فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم ؛ ان كنتم طالبين للحق •

* * *

١٥ ـ من كان يطلب الحياة الدنيا ؛ والتمتع بلذاتها وزينتهـــا نعطهم ثمرات أعمالهم وافية لاينقص منها شيء •

* * *

١٦ ـ هؤلاء الذين قصروا همهم على الدنيا ، ليس لهم فى الآخرة الا عذاب النار ، وبطل نفع ماصنعوه فى الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب ؛ وهو فى نفسه باطل أيضا ؛ لأن العمل الذى لايفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن •

* * *

١٧ ـ أفمن كان يسير فى حياته على بصيرة وهداية من ربه ، ويطـــلب الحق مخلصا ؛ معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن ، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذى أنزله الله قدوة يتبع ماجاء به ؛ ورحمته لمتبعيه ، كمن يسير فى حياته على ضلال وعماية ، فلا يهتم الا بمتاع الدنيا وزينتها ؟! أولئـــــك الأولون هم الـذين أنار الله بصائرهم ؛ يؤمنون بالنبى والكتاب الذى أنزل عليه • ومن يكفر به ممن تألبوا على الحق وتحزبوا ضده ، فالنار موعده يوم القيامة . فلا تكن ايها النبى فى شك من هذا القرآن انه الحق النازل من عند ربك ؛ لايأتيه باطل ، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات ؛ فلا يؤمنون بما يجب الايمان به •

* * *

١٨ ـ وليس أحد أكثر ظلما لنفسه وبعدا عن الحق من الذين يختلقون الكذب وينسبونه الى الله • ان هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ماعملوا من سوء ، فيقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء وغيرهم : هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفظع الجرم والظلم بالنسبة لخالقهم ! ان لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون •

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم
بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا
كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ
هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ



١٩ ـ هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمنعونهم ؛ وهـــو سبيله المستقيم ، ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم وأهوائهم ؛ فتكون معوجة ، وهم بالآخرة ـ وما فيهـا من ثواب المؤمن وعقاب الكافر ـ كافرون ٠

٢٠ ـ أولئك الكافرون ؛ لم تكن لهم قوة تعجز الله عن أخذهم بالعذاب فى الدنيا ؛ ولم يكن لهم نصراء يمنعون عنهم عذابه لو شاء أن يعجل لهم العذاب وان العذاب سيقع عليهم فى الآخرة أضعاف ماكان سيقع عليهم فى الدنيا ، لو أراد الله أن يقع ، لأنهم كرهوا أن يسمعوا القـــرآن ؛ ويبصروا آيات الله فى الكون ؛ كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا ٠

٢١ ـ أولئك الكافرون لم يربحوا بعبادة غير الله شـــيئا ! بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم فى الآخرة ماكانوا يفترون من أكاذيب ودعاوى باطـــلة ، وما كانوا يختلقون من الآلهة الباطلة ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفعون لهم ؛ فان يوم القيامة هو يوم الحقائق التى لازيف فيها ولا افتراء ٠

٢٢ ـ حقا ، انهم فى الآخرة أشد الناس خسرانا ٠

٢٣ ـ ان الذين آمنوا بالله ورسله ؛ وعملوا الأعمال الصالحة ، وخضعت قلوبهم واطمأنت الى قضاء ربها ، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخـــلد فيها ٠

٢٤ ـ مثل الفريقين : المؤمنين والكافرين ، كالاعمى الذى يسير على غير هدى؛ والأصم الذى لايسمع مايرشده الى النجاة ، وكقوى البصر الذى يرى طريق الخير والنجاة ؛ وقوى السمع الذى يسمع كل ماينفعه ، هذان الفريقـــان لايستويان فى الحال والمآل ! أفلا تتفكرون أيها الناس فيما بينكم من التبـــاين والكفر ؛ وفيما بين الباطل والحق من خلاف ، فتبتعدوا عن طريق الضـــلال ، وتسيروا فى الطريق المستقيم ؟!

٢٥ ـ وكما أرسلناك الى قومك لتنذرهم وتبشرهم ؛ فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود ، أرسلنا نوحا الى قومه فقال لهم : انى محذر لكم من عذاب الله ، مبين لكم طريق النجاة ٠



أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ
إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا
بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ
كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن
رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا
وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ
إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم
مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ
مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾
وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ
أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن
يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ

٢٦ ـ قائلا لهم : انى أطلب منكم ألا تعبدوا الا الله ؛ لأنى أخاف عليكم ان عبدتم غيره أو أشركتم معه سواه فى العبادة ؛ أن يحل عليكم يوم عذابه ذو ألم شديد .

* * *

٢٧ ـ قال الكبار من قومه : مانرى الا أنك بشر مثلنا ، فليس فيك مايجعل لك ميزة خاصة ، وفضلا يحملنا على الايمان بأنك رسول من عند الله ! وما نرى الذين اتبعوك من بيننا الا الطبقة الدنيا منا ! وما نرى لكم من فضل علينا ! بل انا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون ! .

* * *

٢٨ ـ قال نوح : ياقوم ؛ أخبرونى ـ ان كنت مؤيدا بحجة واضحة من ربى ؛ وأعطانى برحمته النبوة والرسالة ، فحجب نورها عنكم ، وعماها عليكم اغتراركم بالجاه والمال ـ فهل يصح أن نلزمكم بالحجة والايمان بها مضطرين كارهين ؟!

* * *

٢٩ ـ ويا قوم ؛ لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربى مالا ، وانما أطلب جزائى من الله . وما أنا بطارد الذين آمنوا بربهم عن مجلسى ومعاشرتى ، لمجرد احتقاركم لهم ! لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة ، فيشكوننى اليه ان طردتهم لفقرهم . ولكنى أراكم قوما تجهلون مايصح أن يتفاضل به الخلق عند الله ! اهو الغنى والجاه ، كما تزعمون ؟ أم اتباع الحق وعمل الخير ؟ .

* * *

٣٠ ـ ويا قوم ؛ لا أحد يستطيع منع عقاب الله عنى ، ان طردتهم وهم المؤمنون به ؛ أهل بعد هذا تصرون على جهلكم ، فلا تتذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم ؟ .

* * *

٣١ ـ ولا أقول لكم ، لأنى رسول : ان عندى خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء ؛ فأجعل من يتبعنى غنيا ! ولا أقول : أنى أعلم الغيب ؛

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

فأخبركم بما اختص به علم الله ، بحيث لايعلمه أحد من العباد ! ولا أقول : انى ملك حتى تردوا على بقولكم : ما ذاك الا بشر ! ولا أقول عن الذين تحتقرونهم : ان الله لن يؤتيهم خيرا ارضاء لرغباتكم ! لأن الله وحده هو الذى يعلم مافى أنفسهم من اخلاص ! ٠٠ انى اذا قلت لهم ماتحبونه ؛ أكون من زمرة الظالمين لأنفسهم ولغيرهم ٠

٣٢ ـ قالوا : يانوح قد جادلتنا لنؤمن بك فأكثرت جدالنا ؛ حتى مللنا ؛ ولم نعد نتحمل منك كلاما ؛ فأتنا بهذا العذاب الذى تهددنا به ، ان كنت صادقا فى أن الله يعذبنا اذا لم نؤمن بك ٠

٣٣ ـ قال نوح : هذا أمر بيد الله وحده ، فهو الذى يأتيكم بما يشاء حسب حكمته ؛ ولستم بمفلتين من عذابه اذا جاء ، لأنه سبحانه لايعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ٠

٣٤ ـ ولا ينفعكم نصحى لمجرد ارادتى الخير لكم ؛ ان كان الله يريد أن تضلوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم ؛ حتى صارت لاتقبل حقا ! وهو سبحانه ربكم ؛ وسيرجعكم اليه يوم القيامة ، ويجازيكم على ماكنتم تعملونه ٠

٣٥ ـ ان هذا القصص الصادق ، ماذا يكون موقف المشركين منه ؟ أيقولون افتراه ؟ وان قالوا ذلك ؛ فقل لهم أيها الرسول : ان كنت افتريته على الله كما تزعمون ، فهو جرم عظيم ؛ على وحدى اثمه ! واذا كنت صادقا ، فأنتم المجرمون وأنا برىء من آثار جرمكم ٠

٣٦ ـ وأوحى الله الى نوح : أنه لن يصدقك ويذعن للحق من قومك أحد بعد الآن ؛ غير من سبق منه الايمان قبل ذلك ٠ فلا تحزن يانوح بسبب ماكانوا يفعلونه معك من تكذيبك وايذائك لأننا سننتقم منهم قريبا ٠

٣٧ ـ وقلنا له : اصنع الفلك لننجيك عليها بعنايتنا ، وتحت رعايتنا ٠ ولا تخاطبنى فى شأن هؤلاء الظالمين لأنى استجبت دعاءك ، وأمرت باهلاكهم غرقا (١) ٠

٣٨ ـ وشرع نوح فى عمل الفلك ، وكلما مر عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به ، لجهلهم ولعدم معرفة الغرض الذى يقصده ! قال نوح : ان تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله ، فانا أيضا سنسخر منكم كما تسخرون منا ٠

---

(١) أنظر التعليق العلمي على الآية : ٢٧ من سورة « المؤمنون » .

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ

وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا

بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾

وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ

فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾

قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ

ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ

وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ

عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾



٣٩ ـ فسوف تعلمون من منا الذى سيأتيه عذاب يذله فى الدنيا ويحل عليه فى الآخرة عذاب دائم خالد !

***

٤٠ ـ حتى اذا جاء وقت أمرنا باهلاكهم ؛ جاء الماء بقوة فائرا ذا رغوة ، كالماء الذى يغلى فوق النار ؛ قلنا لنوح : احمل معك فى السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرا وأنثى ، واحمل فيها أيضا أهل بيتك جميعا ، الا من سبق عليه حكمنا باهلاكه ؛ واحمل فيها أيضا من آمن من قـــومك ؛ ولم يكونوا الا عددا قليلا ٠

***

٤١ ـ وقال نوح للذين آمنوا من قومه ، بعد أن أعد الفلك : اركبوا فيها متيمنين بذكر اسم الله تعالى ، وقت اجرائها وفى وقت رسوها ؛ وعند النزول فيها والخروج منها ؛ وارجوا مغفرة الله على مافرط منكم ورحمته بكم ، فان المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى ٠

***

٤٢ ـ ونزلوا فى السفينة ؛ فصارت تجرى بهم سائرة فى موج يعـــلو ويرتفع ، حتى يصير كالجبال فى علوها ! وفى ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه بعاطفة الأبوة ، وقد كان فى معزل عن دعوة أبيه فناداه : اركب معنا يابنى ولا تكن مع الجاحدين بدين الله تعالى ! ٠

***

٤٣ ـ لم يطع الولد أباه الشفيق ! وقال : سأتخذ مأوى لى مكانا يمنعنى من الماء ! فقال الأب العالم بقضاء الله فى شأن العصاة : يابنى لا يوجد مايمنع من حكم الله تعالى بالاغراق للظالمين ! وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج المرتفع فكان مع المغرقين الهالكين الجاحدين ٠

***

٤٤ ـ وبعد أن هلك الجاحدون بالاغراق ، جاء أمر الله التكوينى ؛ فقيل بحكم التكوين : ابلعى ماءك أيتها الأرض ، وامتنعى عن انزال الماء أيتها السماء فذهب الماء من الأرض ؛ ولم تمد بشىء من السماء ، وانتهى حكم الله بالاهـلاك واستوت الفلك ووقفت عند الجبل المسمى بالجودى وقضى الله بابعـــاد الظالمين عن رحمته ، فقيل : هلاك للقوم الظالمين بسبب ظلمهم ٠

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٥ ـ ثارت الشفقة فى قلب نوح على ابنه ، فنادى به ضارعا مشفقا فقال : ياخالقى ومنشئى ؛ ان ابنى قطعة منى ، وهو من أهلى ؛ وقد وعدت أن تنجى أهلى ، وان وعدك حق ثابت واقع ؛ وأنت أعدل الحاكمين ؛ لأنك أعلمهم ، ولأنك أكثر حكمة من كل ذوى الحكم .

* * *

٤٦ ـ قال الله سبحانه : ان ابنك ليس من أهلك ؛ اذ أنه بكفره وسيره مع الكافرين قد انقطعت الولاية بينك وبينه ، وقد عمل أعمالا غير صالحة ؛ فلم يصر منك ، فلا تطلب مالا تعلم : أهو صواب أم خطأ ؟ ولا تسر وراء شفقتك وانى أرشدك الى الحق لكيلا تكون من الجاهلين الذين تنسيهم الشفقة الحقائق الثابتة ! ٠

* * *

٤٧ ـ قال نوح : ياخالقى ومتولى أمرى ؛ ألجأ اليك فلا أسألك من بعد مالا أعلم الحق فيه ؛ وأغفر لى ماقلته بدافع شفقتى ، وان لم تتفضل على بمغفرتك ، وترحمنى برحمتك ؛ كنت فى عداد الخاسرين ٠

* * *

٤٨ ـ قيل بلسان الوحى : يانوح ، انزل على الأرض من سفينة النجاة سالما آمنا ؛ بسلام من الله تعالى وأمن منه ؛ وبركات من الله عليك وعلى الذين معك ، الذين سيكونون أمما مختلفة من بعدك ، وسينال بركة الايمان والاذعان بعضهم ؛ وبعضهم سيكونون أمما يستمتعون بالدنيا وينالون متعها غير مذعنين للحق ؛ ثم يصيبهم يوم القيامة عذاب مؤلم شديد ٠

* * *

٤٩ ـ تلك القصة التى قصصناها عليك أيها النبى عن نوح وقومه ، من أخبار الغيب التى لا يعلمها الا الله ، ماكنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحى ، فاصبر على ايذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك ؛ فان عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم ، والعاقبة الطيبة دائما للذين يتقون عذاب الله بالايمان وعمل الصالحات ٠

* * *

٥٠ ولقد أرسلنا الى قوم عاد الأولى أخا لهم من قبيلتهم هو (هود) فقال لهم : ياقوم اعبدوا الله وحده . اذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره : وما أنتم الا كاذبون فى ادعائكم أن لله شركاء فى استحقاقهم للعبادة ليكونوا شفعاء لكم عند الله (١) ٠

---

(١) أنظر التعليق العلمى على الآية : ٦٥ من سورة الأعراف

يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى
فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً
إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ
قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى
تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ
بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن
تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ

٥١ ـ ياقوم ، لا أطلب منكم على النصح مكافأة من جاه أو سلطان أو مال وانما أجرى على الله الذى خلقنى ؛ ولا يصح أن تستولى عليكم الغفلة فلا تعقلون ماينفعكم وما يضركم !

* * *

٥٢ ـ وياقوم ، اطلبوا من خالقكم أن يغفر لكم ماسلف من ذنوبكم ؛ ثم ارجعوا اليه . انكم ان فعلتم ذلك يرسل المطر عليكم كثيرا متتابعا ؛ فتكثر خيراتكم ؛ ويزدكم قوة الى قوتكم التى تغترون بها ! ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه ، مصممين على الاجرام الذى يرديكم فى الهلاك .

* * *

٥٣ ـ قالوا : ياهود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ماتدعونا اليه ، وما نحن بتاركى عبادة آلهتنا لمجرد قولك ! أنتركها ، وما نحن لك بمصدقين .

* * *

٥٤ ـ مانقول فى موقفك منا الا أن بعض آلهتنا مسك بشر ؛ فصرت تهذى بهذا الكلام ! . قال مصرا على ايمانه متحديا : أقول ؛ وأشهد الله على ما أقول ، وأشهدكم عليه ؛ انى برىء من داء الشرك الذى أنتم فيه ؛ فأنتم المرضى .

* * *

٥٥ ـ ولا أبالى بكم ولا بآلهتكم التى تدعون أنها مستنى بسوء ! فتعاونوا أنتم وآلهتكم على الكيد لى ، ثم لا تؤخرون عقابى لحظة ان استطعتم .

* * *

٥٦ ـ انى اعتمدت على الله ؛ وهو مالك أمرى وأمركم ؛ لايعجزه شىء عن رد كيدكم ، وهو القادر على كل شىء ، فما من دابة الا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها ، فلا يعجزه حفظى من أذاكم ؛ ولا اهلاككم ! انأفعال ربى تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه ، فينصر المؤمنين المصلحين ، ويخذل الكافرين المفسدين .



شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ
قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ



ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ
ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ
إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي

٥٧ ــ فان تعرضوا عن دعوتى لم يضرنى اعراضكم ؛ والعاقبة السيئة عليكم ، فقد أبلغتكم ما أرسلنى الله به اليكم ، وليس على الا البلاغ : والله يهلككم ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم ! ٠ وأنتم لاتضرونه باعراضكم عن عبادته ! ان ربى مهيمن على كل شيء ؛ مطلع عليه ؛ فما تخفى عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم ٠

* * *

٥٨ ــ ولما جاء أمرنا باهلاك عاد نجينا هودا ؛ والذين آمنوا معه ٠ من عذاب الريح العاتية التى أهلكتهم ؛ ونجيناهم من عذاب شديد كبير فى الدنيا والآخرة ، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للايمان ٠

* * *

٥٩ ــ تلك عاد أنكروا الحجج الواضحة ، وعصوا رسل الله جميعا ؛ بعصيانهم رسوله اليهم ؛ وطاعتهم لأمر كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم !

* * *

٦٠ ــ فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لعنة تلحقهم فى الدنيا ولعنة تتبعهم يوم القيامة ٠ ألا فلينتبه كل من علم خبر عاد ٠ ان عادا جحدوا نعمة خالقهم عليهم ، ولم يشكروها بالايمان به وحده ؛ فأصبحوا جديرين بطردهم من رحمة الله وانزال الهلاك الشديد بهم ! ألا فهلاكا لهم لتكذيبهم هودا ٠

* * *

٦١ ــ وقد أرسلنا الى ثمود واحدا منهم تربطه بهم صلة النسب والمودة ، وهو صالح ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ، هو خلقكم من الأرض ، ومكنكم من عمارتها واستثمار مافيها والانتفاع بخيرها ٠٠ فادعوه أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ؛ ثم ارجعوا اليه بالندم على معصيته والاقبال على طاعته ، كلما وقعتم فى ذنب ٠ ان ربى قريب الرحمة مجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه (١) ٠

* * *

٦٢ ــ قالوا : ياصالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمحبة والتقدير من نفوسنا،قبل هذا الذى تدعونا اليه ! أتطلب منا أن نترك عبادة ماكان يعبد آباؤنا وما الفناه وألفوه ؟ اننا لفى شك من دعوتك الى عبادة الله وحده ، فهذا مثير المريب وسوء الظن فيك وفيما تدعو اليه !

---

(١) أنظر التعليق العلمى على الآية : ٧٣ من سورة الأعراف

مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾
وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ
ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ
أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ

٦٣ ـ قال : ياقوم ؛ أخبرونى ان كنت على بصيرة نيرة وبينة مما أدعوكم اليه مؤيدا بحجة من ربى ، وأعطانى ربى رحمة لى ولكم ؛ وهى النبـــــوة والرسالة ، فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته ؛ استجابة لكم ؟! ومن ينصرنى ويعيننى على دفع عذابه ان عصيته ؟ انكم لاتستطيعون نصرتى ودفع عذابه عنى، فما تزيدوننى غير الضياع والوقوع فى الخسران ان أطعتكم وعصيت ربى وربكم .

٦٤ ـ ويا قوم ؛ هذه ناقة الله جعلها لكم علامة تشهد على صدقى فيمـــا أبلغه لكم ، لأنها على غير ماتألفون من أمثالها ، فاتركوها تأكل فى أرض الله لأنها ناقته ؛ والأرض أرضه ؛ ولا تنالوها بسوء يؤذيها ، فانكم ان فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب .

٦٥ ـ فلم يسمعوا نصحه ؛ ولم يستجيبوا له ، وبلغ بهم الكبرياء والاستهانة بتهديده أن قتلوا الناقة ؛ فقال لهم : تمتعوا بحيـاتكم فى داركم ثلاثة أيام ؛ ثم يأتيكم بعدها عذاب الله ، ذلك وعده الحق الذى لايتخـــلف ؛ ولا يقع عليه تكذيب .

٦٦ ـ فلما جاء عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه من الهــــلاك برحمة خاصة منا ؛ ونجيناهم من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثمود . ان ربك أيها النبى هو القوى الغالب ؛ فاطمئن الى قوته وعزته وعونه ونصره ..

٦٧ ـ وأخذت الصيحة ثمود بعنفها ورجفتها وصاعقتها ، لأنهم ظـــلموا أنفسهم بالكفر والعدوان فأصبحوا فى ديارهم هامدين ؛ راقدين على وجوههم ، ميتين لاحراك بهم ! .

٦٨ ـ وانتهى أمرهم ؛ وزالت آثارهم من ديارهم ، كأنهم لم يقيمـــوا فيها ، ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ؛ ويعـــلم أن ثمود جحدوا بآيات من خلقهم !! وبسبب ذلك كان الهلاك والبعد عن رحمـة الله .

٦٩ ـ ولقد أرسلنا الملائكة الى ابراهيم ببشارته هو وزوجه بولد . قالوا يحيونه سلاما : قال يرد تحيتهم : سلام . وأسرع فلم يمكث أن حضر اليهم بعجل مشوى سمين ليأكلوا منه .

إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ
يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ
ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا
فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ
وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ

٧٠ ـ فلما رأى أيديهم لاتبلغه ولا تمتد اليه ـ كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف ، وأحس أنهم ملائكة ؛ وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه ، أو لتعذيب قومه ، قالوا وقد عرفوا أثر الخوف فى نفسه : لاتخف انا أرسلنا لهلاك قوم لوط ! ٠

٧١ ـ وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم فى مكان قريب منهم ، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخي زوجها، فبشرناها على ألسنة الملائكة بأنها ستلد من ابراهيم زوجها ولدا يسمى اسحاق ؛ وسيعيش ولدها ، وسيكون لها منه بعد اسحاق يعقوب ٠

٧٢ ـ صاحت متعجبة وقالت : ياعجبا ! أألد وأنا عجوز ، وهــــذا زوجى ترونه شيخا كبيرا لايولد لمثله ؟! ان هذا الذى أسمعه والله شيء عجيب ؛ اذ كيف يولد لهرمين مثلى ومثل زوجى ؟! ٠

٧٣ ـ قالت الملائكة لها : أتعجبين من أن يولد لكما على كبركما ، وهو من أمر الله الذى لايعجزه شيء ؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم ؛ أهل بيت النبوة ، فليس بعجيب أن يهب لكم مالا يهب لغيركم ؛ انه فاعل مايســـتوجب الحمد ، عظيم كثير الاحسان والكرم والعطاء ٠

٧٤ ـ فلما ذهب عن ابراهيم الخوف وسمع البشارة السارة بالولد ؛ أخذه الاشفاق ؛ وأخذ يجادل رسلنا فى هلاك قوم لوط ٠

٧٥ ـ ان ابراهيم لكثير الحلم ، لايحب تعجيل العقاب ؛ كثير التـــأوه والتوجع من السوء الذى يصيب غيره ؛ تائب راجع الى الله بما يحبه ويرضاه ؛ فرقته ورحمته ورأفته حملته على المجادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا وينيبوا اليه ٠

٧٦ ـ قالت الملائكة : يا ابراهيم أعرض عن هذا الجدال والتماس الرحمة لهؤلاء القوم ؛ انه قد جاء أمر ربك بهلاكهم ، وانهم لابد آتيهم عذاب نافذ غير مردود بجدل أو غير جدل ٠

٧٧ ـ ولما جاءت الملائكة رسلنا الى لوط فى صورة شبان حســـــان ؛ تألم واستاء ؛ وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقه بهم ، لخوفه عليهم من فســـــاد قومه ؛ وقال : هذا يوم شديد المكاره والآلام ٠

أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ
مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ
مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً
أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۚ وَمَا هِيَ مِنَ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ
قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۖ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ



٧٨ ـ وعلم قومه بهم ، فجاءوا مسرعين اليه ؛ ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويقترفون السيئات ! قال لهم لوط : ياقوم هؤلاء بناتى ؛ تزوجوا بهن ، فذلك أطهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ! فخافوا الله وصونوا انفسكم من عقابه ؛ ولا تفضحونى وتهينونى بالاعتداء على ضيفى ! أليس فيكم رجل سديد الرأى ؛ رشيد العقل ؛ يردكم عن الغى ويكفكم عن السوء ؟!

٧٩ ـ قالوا : لقد علمت يالوط أنه ليس لنا فى بناتك أى حقّ فى نكاحهن او رغبة فيهن ، وانك دون شك تعلم مانريد من مجيئنا واسراعنا اليك !

٨٠ ـ قال لوط لو أن لى قوة و ركنا قويا أعتمد عليه ؛ لكان موقفى منكم غير هذا ، ولدفعتكم عن ضيفى ومنعتكم من السيئات ٠

٨١ ـ قالت الملائكة ؛ وقد ظهرت على حقيقتها : يالوط ، لاتخف ولا تحزن انا رسل ربك ؛ لا بشر كما بدا لك ، ولقومك ، ولن يصل هؤلاء اليـــــك بشر يسوءك أو ضر يصيبك ؛ فسر أنت وأهلك فى بعض أوقات الليل ؛ اذا دخل جزء كبير منه ، واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحد منكم خلفه ؛ لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشر منه ! ٠ لكن امرأتك التى خانتك فلا تكن من الخارجين معك ؛ انه لابد مصيبها ماقدر أن يصيب هؤلاء ٠٠ ان موعد هلاكهم الصبح ؛ وهو موعد قريب ، فلا تخف ٠

٨٢ ـ فلما جاء وقت العذاب الذى قدرناه وقضينا به ، جعلنا عالى القرية التى كان يعيش فيها قوم لوط سافلها ، فقلبناها ، وأمطرنا عليهم فى أثناء ذلك حجارة من طين حمى بالنار حتى تحجر !

٨٣ ـ كانت تقع عليهم متتابعة منتظمة معلنة العذاب من عند ربك ؛ أيها النبى ، وليست بعيدة عن الظالمين من قومك ٠

٨٤ ـ ولقد أرسلنا الى قوم مدين (١) أخاهم فى النسب والمودة والتراحم شعيبا ، قال لهم : ياقوم اعبدوا الله وحده ؛ ليس لكم من يستحقّ العبادة غيره

(هاتان الآيتان نص على اعتبار نقص المكيال والميزان جريمة وهذا يقتضى أنها معاقب عليهـــا شرعا والعقاب بالتعزير ويقابل هذا فى التشريعات الوضعية مايسمى جريمة تزوير المكيال او الميزان التى حدد القانون الوضعى عقوبة لها وهذا من القرآن الكريم وسيلة من وسائل حماية المال ٠ ارض مدين واقعة بين شمال الحجاز وجنـــوب الشام ٠ وكان فيها مكان كثيف الاشجار يسمى الأيكة وقد ارسل الله عليهم عقابا شديدا بسبب عصيانهم ٠

عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ
بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ
أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ
فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي
مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ
إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ
عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ
شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ
هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾

ولا تنقصوا المكيال والميزان حين تبيعون لغيركم مايكال ويوزن ؛ انى اراكم يرجى منكم الخير ؛ بالشكر والطاعة لله ، واعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وانى أخاف عليكم اذا لم تشكروا خيره وتطيعوا أمره ؛ أن يحل بكم عذاب يوم لاتستطيعون أن تفلتوا من أهواله ، لأنها تحيط بالمعذبين فيها فلا يجدون سبيلا الى الخلاص منها !

٨٥ ـ وياقوم أدوا المكيل والموزون مما تبيعونه وافيا على وجه العدل والتسوية ؛ ولا تنقصوا الناس حقهم فى أشيائهم ، ولا تجوروا وتفسدوا فى الأرض بسرقة أموالهم أو الاغارة عليهم أو قطع الطريق على العابرين منهم ؛ تتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام !

٨٦ ـ مايبقى لكم من المال الحلال الذى تفضل به الله عليكم خير لكم من المال الذى تجمعونه من حرام ، ان كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ماحرمه عليكم فحاسبوا أنفسكم ، وراقبوا ربكم ؛ لست عليكم رقيبا أحصى أعمالكم وأحاسبكم عليها .

٨٧ ـ قالوا ساخرين مستهزئين : ياشعيب ؛ أصلاتك هى التى تأمرك أن تحملنا على ترك ماكان يعبد آباؤنا من الأصنام ، وعلى أن نمتنع عن التصرف فى أموالنا كما نريد مما نرى فيه مصلحتنا ؟ ان ذلك غاية السفه والطيش ؛ ولايتفق مع مانعرفه عنك من العقل وسداد الرأى ؛ فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد ؟!

٨٨ ـ قال : ياقوم ، أخبرونى ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربى ، ورزقنى رزقا حسنا تفضلا منه ؛ أيصح لى أن أكتم ما أمرنى بتبليغه لكم ؛ من ترك عبادة الأصنام ، وطلب ايفاء الكيل والميزان ، وترك الفساد فى الأرض ؟ وأنا لا أريد أن أتجه الى فعل ما أنهاكم عنه من ذلك ؛ ما أريد بموعظتى ونصيحتى وأمرى ونهيى الا الاصلاح قدر طاقتى وجهدى واستطاعتى ؛ وماكنت موفقا لاصابة الحق الا بمعونة الله وتأييده وتسديده ، عليه وحده أعتمد ، واليه وحده أرجع .

٨٩ ـ ويا قوم لايحملنكم الخلاف بينى وبينكم على العناد والاصرار على الكفر فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ؛ وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم ! فاعتبروا بهم حتى لايصيبكم ما أصابهم .



وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

٩٠ ــ واطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم ثم ارجعــــوا اليه نادمين مستغفرين كلما وقع ذنب منكم ، ان ربى كثير الرحمة محب ودود فيغفــــر للتائبين ويحب الأوابين ٠

٩١ ــ قالوا : ياشعيب مانعقل كثيرا مما تقوله لنا ! ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضعيفا لا قدرة لك على الدفاع ، وعلى الاقناع ؛ ان أردنا بك ماتكره ؛ ولولا مجاملتنا لعشيرتك ، لأنها على ديننا ؛ لقتلناك رجما بالحجارة ؛ وما أنت علينا بعزيز حتى نجلك ونحترمك ونكرمك ونصونك عن القتل بالرجم ! وانما هى المجاملة لعشيرتك تمنعنا عن قتلك ٠

٩٢ ــ قال : ياقوم ، أعشيرتى أحق بالمجاملة من الله ؛ فذكرتمـــوها ونسيتموه وجاملتمونى واتخذتموه كالشىء المنبوذ وراء الظهر ؟! ان ربى محيط علمه بكل ما تعملون ، فلا يخفى عليه شيء من أعمالكم ؛ وسيحاسبكم عليها وان نسيتموه ! ٠

٩٣ ــ وياقوم اعملوا على ما أنتم قادرون عليه وما تستطيعون عمـــله ؛ ان لم تسمعوا نصحى انى مثابر على العمل بما يخالف عملكم ، وسوف تعلمون من منا الذى يأتيه عذاب يفضحه ويذله ، ومن منا الذى هو كاذب : أأنا الذى أنذركم بالعذاب ؟ أم أنتم الذين أنذرتمونى بالاخــراج من القرية ؟ وانتظروا ماسيحصل ؛ انى معكم منتظر ٠

٩٤ ــ ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم ، نجينا شعيبا والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك ؛ وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم ؛ وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة ؛ والرجفة المهلكة ؛ فأصبحوا فى ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم ؛ لا حراك بهم (١) ٠

٩٥ ــ وانتهى أمرهم وزالت آثارهم ، كأنهم لم يقيموا فى ديارهم ! ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ! ألا هلاكا لمدين ؛ وبعدا من رحمـــة الله كما بعدت ثمود من قبلهـــم (٢) ٠

٩٦ ــ ولقد أرسلنا موسى مؤيدا بمعجزاتنا الدالة على صدقه ، وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهر على النفوس ٠

---

(١) ، (٢) انظر التعليق العلمى على الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ من هذه السورة .



إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ

٩٧ ـ أرسلناه الى فرعون وكبار رجاله ، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه فى الكفر ؛ فاتبعوا أمر فرعون ، وخالفوا أمر موسى ! وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن يتبع ! ٠

٩٨ ـ يتقدم قومه يوم القيامة ويقودهم كما قادهم فى الدنيا ، فيوردهم النار حتما ؛ يصلونها ويتجرعون غصص عذابها ! وقبح هذا المورد الذى يشربون منه ماء حميما ليطفىء ظمأهم فيقطع أمعاءهم ! ٠

٩٩ ـ وهم فى هذه الدنيا قد تبعتهم لعنة من الله والملائكة والناس ؛ ويوم القيامة تتبعهم كذلك اللعنة ؛ لأنها عطاؤهم ، وانه لعطاء قبيح يثير الشعور بالذنب ، ويقال فيه : بئس هذا العطاء المعطى لهؤلاء ٠

١٠٠ ـ ذلك القصص أيها النبى هو بعض أخبار القرى التى أهلكناها ، نقصها عليك لتعظ بها قومك ؛ وتطمئن الى نصر الله لك ٠ بعض هذه القرى كالزرع القائم على ساقه ٠ ليشهدوا بما حصل ؛ وبعضها عافى الأثر ، كالزرع الذى حصد ٠

١٠١ ـ وما ظلمناهم باهلاكهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله والفساد فى الأرض ؛ فما استطاعت أن ترد عنهم الهلاك آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ؛ ولا نفعتهم بشىء لما جاء أمر ربك أيها النبى ؛ وما زادهم اصرارهم على عبادة الأوثان الا الهلاك والضياع ! ٠

١٠٢ ـ ومثل هذا الأخذ الشديد ، الذى أخذ به ربك أيها النبى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ؛ أخذه الشديد اذا شاء أن يأخذ القرى وأهلها ظالمون بالكفر والفساد ! ان أخذه قوى مؤلم شديد على الظالمين ٠

١٠٣ ـ ان فى ذلك القصص لموعظة يعتبر بها من أيقن بالبعث وخاف عذاب يوم الآخرة ! ذلك يوم مجموع للحساب فيه الناس ؛ وذلك يوم مشهود يراه الملائكة والناس ٠

١٠٤ ـ وما نؤخره الا بمدة قليلة حددناها ، ومهما طالت فى نظر الناس فهى قليلة عند الله ٠



فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾



* وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ
مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ
نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ
وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ
رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ
أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ

١٠٥ ــ يوم يأتى هوله لايستطيع انسان أن يتكلم الا باذن الله، فمن الناس شقى بما يعانى من ألوان الشدة ؛ وهو الكافر ؛ ومنهم سعيد بما ينتظره من نعيم الآخرة ؛ وهو المؤمن •

١٠٦ ــ فأما الذين شقوا ففى النار مآلهم ، لهم فيها تنفس مصحوب بآلام مزعجة ، عند خروج الهواء من صدورهم ؛ وعند دخوله فيها •

١٠٧ ــ خالدين فى النار مادامت السموات والارض ؛ لايخرجون منها الا فى الوقت الذى يشاء الله اخراجهم فيه ، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب ! وان ربك أيها النبى فعال لما يريد فعله ؛ لايمنعه أحد عنه •

١٠٨ وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظة ؛ بعد انتهاء موقف الحساب الى مالا نهاية ؛ الا الفريق الذى يشاء الله تأخيره عن دخول الجنة مع السابقين ، وهم عصاة المؤمنين ؛ الذين يتأخرون فى النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم ؛ ثم يخرجون منها الى الجنة ، ويعطى ربك هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء عظيما مستديما ، غير منقوص ولا مقطوع •

١٠٩ ــ واذا كان أمر الأمم المشركة الظالمة فى الدنيا ثم فى الآخرة ، هو ماقصصنا عليك أيها النبى ؛ فلا يكن عندك أدنى شك فى مصير عباد الأوثان من قومك ؛ ان استمروا على ضلالهم ، لأنهم كالسابقين من آبائهم،الذى قصصنا عليك قصصهم من قبل ؛ كلهم مشركون ، وانا لموفو هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملا على قدر جرائمهم ؛ لاينقصون منه شيئا •

١١٠ ــ ونؤكد لك أيها النبى أننا أعطينا موسى التوراة ؛ فاختلف قومه من بعده فى تفسيرها ومعناها ، حسب أهوائهم وشهواتهم ، كل يريد اخضاعها لشهواته ، فتفرقوا شيعا ؛ وابتعد الكثير منهم عن الحق الذى جاءتهم به ؛ ولولا وعد من الله سابق بتأخير عذابهم الى يوم القيامة ، لحل بهم فى دنياهم قضاء الله وحكمه باهلاك المبطلين ونجاة المحقين، كما حل بغيرهم من الأمم التى جاءتهم بها ؛ بعد اختلاف أسلافهم فى فهمها ؛ وتحريفهم لها ، مما جعل ادراك الحقائق منها أمرا عسيرا • وان هؤلاء الذين ورثوا التوراة لفى حيرة وبعد عن الحقيقة !

١١١ ــ ان كل فريق من هؤلاء سيوفيهم ربك حتما جزاء أعمالهم ، انه سبحانه خبير بهم يحيط علمه بدقائق مايعملون من خير أو شر ، ويجازى كلا منهم حسب عمله •

١١٢ ــ واذا كان هذا هو حال الأمم التى جاءها كتاب من الله فاختلفت فيه وخرجت عليه ، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله ، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال بتقصير واهمال ومغالاة

بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ
يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ
مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ
فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ
بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ
ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ
رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

في تكليف أنفسكم مالا تطيقون · انه سبحانه محيط علمه بكل ماتعملون فيجازيكم عليه ·

١١٣ ـ ولا تميلوا أدنى ميل الى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله ، ولا تعولوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم ؛ فتستحقوا بسبب هذا الميل عذاب النار ؛ ولا تجدوا أحدا يدفعه عنكم ؛ ثم تكون عاقبتكم أنكم لاتنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم ، ولركونكم الى عدوه ! ·

١١٤ ـ وأد الصلاة أيها النبى على أتم وجه فى طرفى النهار ، وفى أوقات متفرقة من الليل ؛ فانها تطهر النفوس فتتغلب على نزعة الشر ؛ وتمحو آثار السيئات التى قلما يخلو منها البشر ! ذلك الذى أمرت به أيها النبى من الارشاد للخير عظة ينتفع بها المستعدون لقبولها ، الذين يذكرون ربهم ولا ينسونه ·

١١٥ ـ واصبر أيها النبى على مشاق ما أمرناك به ، وأحسن تنفيذه ؛ يعطك الله أجرا عظيما ؛ لأنه لايضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم ·

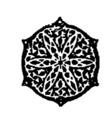
١١٦ ـ كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة ؛ التى أهلكناها بسبب ظلمها ، جماعة منهم لهم كلمة مسموعة وفضل من دين وعقل ؛ ينهون غيرهم عن الفساد فى الأرض ، فيحفظوهم من العذاب الذى حل بهم · ولم يكن هذا ؛ لكن الذى حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يسمع لهم رأى ولا توجيه ، فأنجاهم الله مع رسلهم ؛ فى الوقت الذى أصر فيه الظالمون المعاندون على ماتعودوه من قبل من حياة الترف والفساد ، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير ؛ وكانوا فى ايثارهم لهذه الطريق غارقين فى الذنوب والسيئات ، فأهلكهم الله تنفيذا لسنته فى خلقه ·

١١٧ ـ وما كان من سنة الله ؛ ولا من عدله فى خلقه ؛ أن يظلم أمة من الأمم فيهلكها وهى متمسكة بالحق ، ملتزمة للفضائل ؛ عاملة على مايصلح أمرها وأمر غيرها ·

١١٨ ـ ولو شاء ربك أيها النبى لجعل الناس على دين واحد ؛ مطيعين الله بطبيعة خلقتهم ؛ كالملائكة ، ولكان العالم غير هذا العالم ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ؛ بل تركهم مختارين ، فلا يزالون مختلفين فى كل شىء ، حتى فى أصول العقائد ؛ كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، مما لايجوز الخلاف فيه ، تبعا لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم ؛ يتعصب كل فريق لرأيه وما وجد عليه آباءه ! ·

١١٩ ـ لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرهم ، فانهم اتفقوا على حكم الله فيهم ؛ فآمنوا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر · ولهذه المشيئة التى اقتضتها حكمته تعالى فى نظام هذا العالم ؛ خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الاختلاف باختيارهم ؛ ليرتب على ذلك استحقاق الثواب والعقاب ، وبهذا يتحقق وعد ربك بأنه لابد من أن يملأ جهنم من أتباع ابليس من الجن والناس ·





مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾



١٢٠ ــ ونقص عليك أيها النبى من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أممهم مانقوى به قلبك على القيام بمشاق الرسالة ، وقد جاءك فى هــذه الأنباء بيان الحق الذى تدعو اليه ؛ مثلما دعا اليه السابقون من الرسل ؛ من توحيد الله والبعد عما يغضبه ؛ كما جاءك فيها مافيه عظة وعبرة ينتفع بهــا المؤمنون ، فيزدادون ايمانا ؛ والمستعدون للايمان فيسارعون اليه ٠

***

١٢١ ــ وقل أيها النبى للذين يصرون على العناد والكفر : ابذلوا أقصى مافى قدرتكم من محاربة الاسلام وايذاء المؤمنين به ؛ فاننا ماضون فى طريقنا ثابتون على عملنا ٠

***

١٢٢ ــ وانتظروا ما تترقبونه لنا ؛ اننا كذلك منتظرون وعد الله لنــا بنجاح الدعوة والانتصار على أعدائها ٠

***

١٢٣ ــ ولله وحده علم كل غيب فى السموات والأرض ، فيعلم ماسيحل بكم ، وما يكون لنا ؛ واليه وحده يرجع تصريف كل أمر من الأمور ؛ واذا كان الأمر كذلك ، فأعبد ربك وحده ؛ وتوكل عليه ، ولا تخش أحدا سواه ؛ وما ربك بغافل عما تعملون جميعا ؛ أيها المؤمنون والكافرون ؛ وسيجازى كلا بما يستحقه فى الدنيا والآخرة ٠



(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّة

وآياتها إحدى عشرة ومائة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

سورة يوسف

هذه السورة مكية ؛ وآياتها مائة واحدى عشرة آية : قص الله فيها قصة يوسف فى ثمان وتسعين آية ، وقدم لها بثلاث آيات ذكر فيها هذا الوحى الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، فسماه فى الآية الأولى كتابا مبينا ؛ وفى الثانية قرآنا عربيا ؛ اشارة الى أن من حقه أن يحفظ فى السطور والصدور معا . ثم ذكر فى الآية الثالثة ما اشتمل عليه من أحسن القصص ، وذكر النبى بأنه لم يكن يعلمه قبل تنزل الوحى به عليه ؛ وذلك دليل على أنه من عند الله . وقد ختمت القصة والسورة بتأكيد مابدئت به ؛ فوجه الله نظر نبيه فى عشر آيات الى أن هذه القصة من أنباء الغيب ، لم يكن صلى الله عليه وسلم يعلمها ويعلم حقائقها ودقائقها ، قبل أن ينزل عليه الوحى بها ؛ ولم يكن عند اخوة يوسف حين أجمعوا أمرهم ودبروا الشر لأخيهم من أبيهم . ثم أخبره بأن العناد والحسد يحمل أكثر الناس على الكفر ؛ وان حرصه عليه السلام على ايمان أكثرهم لايجديه . وعزاه عن ذلك بأنه لايطلب أجرا ، وانما يحمل اليهم القرآن هدى وذكر للناس أجمعين . وأشار فى ختام السورة الى الرسل الذين ذكر له قصصهم ومواقف أقوامهم منهم ؛ وانتصارهم فى النهاية على الكافرين المجرمين . وأكد أن فى قصص هؤلاء الأنبياء عبر لأصحاب العقول ، وأن هذا القرآن الذى تحدث بهذه القصص وغيرها ماكان حديثا يختلق وينسب الى الله كذبا ، وانما هو الحق والصدق ؛ والكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية الصحيحة ، والهدى والرحمة لقوم يفكرون ويعتبرون ويؤمنون ..

وأظهر خصائص هذه السورة أنها ذكرت قصة يوسف بتمامها ؛ وأظهرت شيوع الحسد فى الاسرة اذ ظهرت المحبة لبعضهم ، فكأن حسد أولاد يعقوب لأخيهم قد حملهم على القائه فى غيابة الجب ؛ ولكن الله حفظه من مكرهم ، كما حفظه من اغراء امرأة العزيز حين بلغ أشده فى بيت العزيز ، ومكن له فى أرض مصر ؛ وجعله ملاذ الذين ائتمروا به !! وكذلك شأنه سبحانه مع أنبيائه وأوليائه ينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم فى الارض ، ما تمسكوا بالحق ، وآمنوا به ، واعتصموا بحبله .

***

١ ــ ألف . لام . راء . : تلك الحروف وأمثالها يتكون منها كلامكم أيها العرب هى التى تتكون منها آيات الكتاب المعجز بكل مافيه ، الواضح الموضح لمن يسترشد به ، ويستهديه. وفى هذه الحروف الصوتية تنبيه لهم ؛ فيستمعوا ولو اتفقوا على عدم السماع .

٢ ــ انا أنزلنا على رسولنا بلغتكم أيها العرب كلاما عربيا يقرأ ويحفظ ؛ لكى تفهموه وتبلغوا الناس مافيه .

أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن
كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ
رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ
لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ
يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ



٣ ــ نحن نلقى عليك أيها النبى أحسن القصص بايحائنا اليك هــذا الكتاب ، وقد كنت قبل تلقيه من الذين غفلوا عما فيه ؛ وعما اشتمل عليه من عظات وآيات بينات ٠

* * *

٤ ــ من ذلك القصص أيها النبى قصة يوسف (١) ، اذ قال لأبيه : ياأبت، انى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبا ؛ والشمس والقمر ؛ رأيتهم جميعا خاضعين لى ساجدين أمامى ٠

* * *

٥ ــ قال أبوه : يابنى ؛ لاتحك لاخوتك هذه الرؤيا ، فانها تثيــر فى نفوسهم الحسد ، فيغريهم الشيطان بتدبير الحيل ضــدك ٠ فيحتالون للكيد لك ويمكرون بك ! ٠ ان الشيطان للانسان عدو ظاهر العداوة !

* * *

٦ ــ وكما رأيت نفسك فى المنام سيدا مطاعا ؛ ذا شرف وســلطان ؛ يصطفيك ربك ويختارك ويعلمك تفسير الرؤى ؛ وبيان ما تؤول اليه ، فيعظم قدرك وذكرك ، ويتم الله نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب ؛ بالنبوة والرسالة كما أتمها على أبويك من قبل أبيك يعقوب ؛ وهما ابراهيم واسحق ، ان ربك كثير الحكمة فلا يخطىء ؛ كثير العلم فيصطفى من عباده من يعلم أنه أهــل للاصطفاء ٠

* * *

٧ ــ لقد كان فى قصة يوسف واخوته دلائل وعبر ، للسائلين عنهــا والراغبين فى معرفتها ٠

* * *

٨ ــ اذ قال اخوة يوسف لأبيه فيما بينهم : ليوسف وأخوه الشقيق أحب الى أبينا منا ، ونحن جماعة قوية هى أنفع له منهما ! ان أبانا بايثــاره يوسف وأخاه علينا لفى خطأ وبعد عن الحق ، والصواب واضح ؛ ظاهر الوضوح ٠٠

---

(١) (يوسف عليه السلام هو ولــد يعقوب العبرانى الكنعانى وقد بيع فى مصر فى عهد الغزاة الأجانب الــذين يسمون بالهكسوس وهم فيما يبدو ساميون قدموا الى مصر من بلاد الشام حيث احتلوا دلتا النيل حوالى عام١٧٣٠ ق٠م قبل نهاية الاسرة الثالثة عشرة وحكموا مصر حوالى قرنونصف قرن من الزمان حيث طردوا حوالى عام ١٥٨٠ ق٠م ل يد احمس الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة الى ما وراء الحدود المصرية) ٠

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ
ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ
ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟
بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ
عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا

٩ ـ اقتلوا يوسف أو ألقوا به فى أرض بعيدة عن أبيه ، لايصل اليها ، يخلص لكم حب أبيكم واقباله عليكم ؛ وتكونوا من بعد ابعاد يوسف عنه بالقتل أو النفى قوما صالحين ؛ اذ يقبل الله توبتكم ؛ ويقبل أبوكم اعتذاركم ٠

١٠ ـ قال أحد المتحدثين منهم : لاتقتلوا يوسف ، فان ذلك جرم عظيم ؛ وألقوه فيما يغيب عن العيون من غور البئر ؛ يلتقطه بعض السائرين فى الطريق ، اذا ألقى دلوه فى البئر ، فيذهب به بعيدا عنكم وعن أبيه ، أن كنتم مصرين على ابعاده وتحقيق غرضكم بالفعل !

١١ ـ قالوا ، بعد أن تم اتفاقهم على ابعاد يوسف : يا أبانا ماالذى رابك منا حتى تبعد يوسف عنا ، ولا تشعر بالأمن اذا كان معنا ؟! نحن نؤكد لك أننا نحبه ؛ ونشفق عليه ؛ ونريد له الخير ، ونرشده اليه ، وما وجد منا غير الحب وخالص النصح ٠

١٢ ـ أرسله معنا الى المراعى غدا ، يتمتع بالأكل الطيب ، ويلعب ويمرح وانا لحريصون على المحافظة عليه ؛ ودفع الأذى عنه ! ٠

١٣ ـ قال : اننى لأشعر بالحزن اذا ذهبتم به بعيدا عنى ٠ وأخاف اذا أمنتكم عليه أن يأكله الذئب وأنتم فى غفلة عنه ٠

١٤ ـ قالوا : نقسم لك ، لئن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية ؛ ليكونن ذلك العار والخسار ! انا اذا حدث هذا الذى تخشاه ؛ لخاسرون لكل مايجب الحرص عليه وعدم التفريط فيه ؛ فاطمئن فلن نتهاون فى المحافظة عليه لأننا بذلك نعرض أنفسنا للضياع والهوان ٠

١٥ ـ فلما مضوا به بعيدا عن أبيه ، وأجمعوا رأيهم على القائه فى غور البئر ؛ أنفذوا ماعزموا عليه ؛ وألهمناه الاطمئنان والثقة بالله وأنه سيخبرهم بأمرهم هذا الذى دبروه وأقدموا عليه ؛ وهم لايشعرون حين تخبرهم أنك أخوهم يوسف الذى ائتمروا به ، وظنوا أنهم قضوا عليه واستراحوا منه ٠

١٦ ـ ورجعوا الى أبيهم وقت العشاء ؛ يظهرون الحزن ويرفعون أصواتهم بالبكاء ! ٠

وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ

فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ

وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ

بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ

عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ

فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ

عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا

بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ

١٧ ـ قالوا يا أبانا : انا مضينا نتسابق فى الرمى والجرى ، وتركنا يوسف عند متاعنا ليحرسه ، فأكله الذئب ونحن بعيدون عنه ؛ مشـــغولون بالتسابق دونه ! وما أنت بمصدق لنا فيما نقوله لك ؛ ولوكان مانقوله الحق والصدق ! .

***

١٨ ـ وأحضروا قميصه وعليه دم يشهد بادعائهم ، اذ زعمـــوا أنه دم يوسف ليصدقهم أبوهم ! ولكنه قال : ان الذئب لم يأكله كما زعمتم ؛ بل قد سولت لكم أنفسكم أمرا عظيما فأقدمتم عليه ! فشأنى صبر جميل لايصحبه الجزع على ما أصابنى منكم ، والله وحده هو الذى يطلب منه العـــــون على ماتزعمون وتدعون من الباطل ! .

***

١٩ ـ وجاءت جهة البئر جماعة كانت تسرع فى الســـير الى مصر ، فأرسلوا من يرد الماء منهم ويعود اليهم من البئر بما يسقيهم ، فألقى دلوه فيه ورفعه منه فاذا يوسف متعلق به ! . قال واردهم يعلن ابتهـــاجه وفرحه . يا للخير ويا للخبر السار . هذا غلام ! . وأخفوه فى أمتعتهم ، وجعــلوه بضاعة تباع ! . والله محيط علمه بما كانوا يعملون .

***

٢٠ ـ وباعوه فى مصر بثمن دون قيمته ! كان الثمن دراهم قليلة ! وكانوا فى يوسف من الزاهدين الراغبين عنه ، لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينتزعوه منهم .

***

٢١ ـ وقال الذى اشتراه من مصر لزوجته : أحسنى معاملته وأكرميه حتى تطيب له الاقامة معنا ، لعله ينفعنا أو نتبناه ونتخذه ولدا لنا . وكما كانت هذه المكانة عظيمة وهذه الاقامة كريمة،جعلنا ليوسف فى أرض مصر مكانة أخرى كبرى ؛ ليتصرف فيها بالعدل وحسن التدبير ، ولنعلمه تفســـير الأحاديث والرؤى فيعرف منها ماسيقع قبل أن يقع ويستعد له ! . والله قوى قادر على تنفيذ كل أمر يريده ؛ لا يعجزه شىء عن شىء ، ولكن أكثر الناس لايعلمون خفايا حكمته ولطف تدبيره .

***

٢٢ ـ ولما بلغ يوسف أقصى قوته ، أعطيناه حكما صائبا ؛ وعلما نافعا ، ومثل هذا الجزاء الذى أعطيناه اياه على احسانه ؛ نجزى المحسنين على احسانهم



وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ
إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ
كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا
ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ
وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ
سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي
عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ
مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ
قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾
فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ
إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ

٢٣ ـ وأرادت التى كان هو يعيش فى بيتها ، ويشعر بسلطانها ؛ أن تغريه بنفسها ؛ لتصرفه عن نفسه الطاهرة الى موافعتها ! فأخذت تذهب وتجيء أمامه ، وتعرض عليه محاسنها ومفاتنها ، وأوصدت الأبواب الكثيرة ؛ وأحكمت اغلاقها ؛ وقالت : أقبل على فقد هيأت لك نفسى ! ٠ قال : انى ألجأ الى الله ليحمينى من الشر ؛ وكيف أرتكبه معك وزوجك العزيز سـيدى الذى أحسن مقامى ؟! انه لايفوز الذين يظلمون الناس بالغدر والخيانة فيوقعون أنفسهم فى معصية الزنى ! ٠

* * *

٢٤ ـ ولقد عزمت أن تخالطه ونازعته نفسه اليها ؛ لولا أن رأى نور الله الحق نصب عينيه قد استضاء به ؛ ولم يطاوع ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ؛ فامتنع عن المعصية والخيانة ؛ وبت على طهره وعفته ٠ وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لنصرف عنه سوء الخيانة ومعصـية الزنى ، انه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله ٠

* * *

٢٥ ـ وأسرع يوسف الى الباب يريد الخروج منه ، فأسرعت تحاول أن تسبقه اليه ؛ لتحول دون خروجه ؛ وجذبت قميصه من خلفه تمنعه ، وقطعته ٠٠ ووجدا عند الباب زوجها ! ٠ قالت تثيره عليه : لاجزاء لمن أراد بزوجـك مايسوءك الا السجن يوضع فيه ، أو عذاب مؤلم يقع عليه ! ٠

* * *

٢٦ ـ قال يوسف يدافع عن نفسه : هى طلبتنى ٠ وحاولت أن تخدعنى عن نفسى ! وتخاصما فى الاتهام ؛ فحكم حكم من أهلها فقال : ان كان قميصه شق من أمام ، فقد صدقت فى ادعائها ، وهو من الكاذبين فيما أخبر به ٠

* * *

٢٧ ـ وان كان قميصه شق من خلف ؛ فقد كذبت فى قولها ؛ وهو من الصادقين فيما قال ٠

* * *

٢٨ ـ فلما رأى الزوج قميص يوسف قد من خلف ؛ قال لزوجته : ان اتهامك له بما وقعت أنت فيه مع براءته هو من كيدكن ، معشر النسوة ، ان مكركن عظيم ! ٠



وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ

٢٩ ــ يايوسف أعرض عن هذا الأمر ؛ واكتمه ولا تذكره ، واستغفرى أنت لذنبك ؛ انك كنت من الآثمين الذين تعمدوا الوقوع فى الخطــأ وارتكاب الاثم ، واتهموا غيرهم بما أثموا هم به ! •

***

٣٠ ــ وانتهى الخبر الى جماعة من النساء فى المدينة ، فتحدثن وقلن : ان امرأة العزيز تغرى خادمها وتخدعه عن نفسه ليطيعها فيما تريده منه ! قد خالط حبه شغاف قلبها حتى وصل الى صميمه ! انا نعتقد أنها بمسلكها معه فى ضلال واضح وخطأ بين •

***

٣١ ــ فلما سمعت باغتيابهن وسوء كلامهن فيها ؛ دعتهن الى بيتهــا ؛ وأعدت لهن مايتكئن عليه من الوسائد والنمارق ؛ وأعطت كل واحــدة منهن سكينا ، بعد أن حضرن وجلسن متكئات ؛ وقدم لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين ماتناله منه أيديهن • وقالت ليوسف : اخرج عليهن ! فلما ظهر ورأينه أعظمنه وأخذهن حسنه الرائع وجماله البارع ؛ فجرحن أيديهن من فرط الدهشــة والذهول ، وهن يقطعن طعامهن ! • قلن متعجبات مندهشات : تنزيها لله ! ما هذا الذى نراه بشرا ! • لأن البشر لايكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ! ما هذا الا ملك كثير المحاسن ؛ طيب الشمائل ، سخى الصفات ! •

***

٣٢ ــ قالت امرأة العزيز تعقب على كلامهن : فذلكن الفتى الذى بهركن حسنه ؛ وأذهلكن عن أنفسكن حتى حصل ماحصل ، هو الذى لمتننى فى شأنه ! ولقد طلبته وحاولت اغراءه ليستجيب لى فامتنع وتأبى ؛ كأنه فى عصمة كان يستزيد منها ! وأقسم ان لم يفعل ما آمره به ليعاقبن بالسجن وليكونن من الأذلاء المهينين ! •

***

٣٣ ــ قال يوسف ؛ وقد سمع منها التهديد والوعيد ، وســمع منهن النصح بمطاوعتها : يارب ؛ السجن أحب الى نفسى مما يطلبنه منى ، لأن فى هذا معصيتك ، وان لم تحول عنى شر مكرهن وكيدهن أمل اليهــن ؛ وأكن من السفهاء الطائشين •

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

٣٤ ـ فاستجاب الله له ، فصرف عنه شر مكرهن ، انه هو وحده السميع لدعوات الملتجئين اليه ، العليم بأحوالهم وبما يصلحهم ٠

* * *

٣٥ ـ ثم ظهر رأى للعزيز وأهله ، من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف ٠ فأجمعوا على هذا الرأى؛ وأقسموا على تنفيذه ، وهو أن يدخلوه السجن الى زمن يقصر أو يطول ؛ لكى يدفع مقالة السوء عن امرأته ويبعدها عن الغواية ! ٠

* * *

٣٦ ـ ودخل السجن مع يوسف فتيان من خدام الملك،قال له أحدهما : لقد رأيت فى منامى أنى أعصر عنبا ليكون خمرا ، وقال له الآخر : لقد رأيت أنى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل منه الطير ! أخبرنا يايوسف بتفسير هذا الذى رأيناه ومآل امرنا على هداه . أنا نعتقد أنك من الذين يتصفون بالاحسان واجادة تفسير الرؤى .

* * *

٣٧ ـ قال لهما ؛ يؤكد ماعلماه عنه : لايأتيكما طعام يساق اليكما رزقا مقدرا لكما ؛ الا أخبرتكما بمآله اليكما ، قبل أن يأتيكما ، وذكرت لكما صنعته وكيفيته ؛ ذلكما التأويل للرؤيا والأخبار بالمغيبات مما علمنى ربى وأوحى به الى لأنى أخلصت له عبادتى ، ورفضت أن اشرك به شيئا ، وابتعدت عن دين قوم لايصدقون بالله ؛ ولا يؤمنون به على وجه صحيح ؛ وهم بالآخرة وحسابها منكرون كافرون ٠

* * *

٣٨ ـ تركت ملة هؤلاء الكافرين ، واتبعت دين آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، فعبدت الله وحده ؛ فما صح لنا أن نجعل لله أى شريك من أى شىء كان ؛ من ملك أو جنى أو انسى ، فضلا عن الأصنام التى لاتنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ! ٠ ذلك التوحيد مما تفضل به الله علينا وعلى الناس ؛ اذ أمرنا بتبليغه اليهم ، ولكن أكثر الناس لايتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر ! ٠

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ
إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ
وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ
ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا
ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ
فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ
بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ
لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ

٣٩ ـ ياصاحبى فى السجن : أأرباب شتى كثيرة يخضع المرء لكل واحد منها ؛ خير ؛ أم الله الواحد الذى لايغالب ؟!

* * *

٤٠ ـ ماتعبدون من غير الله الا أسماء أطلقتموها أنتم وآباؤكم على أوهام لا وجود لها ؛ ما أنزل الله بتسميتها آلهة من حجة وبرهان ! • ما الحكم فى أمر العبادة وفيما يصح أن يعبد ومالا تصح عبادته ، الا لله ؛ أمر ألا تخضعوا لغيره وأن تعبدوه وحده . ذلك الدين السليم القويم الذى تهدى اليه الأدلة والبراهين ، ولكن أكثر الناس لايسترشدون بهذه الأدلة ؛ ولا يعلمون ماهم عليه من جهل وضلال •

* * *

٤١ ـ ياصاحبى فى السجن ؛ اليكما تفسير مناميكما : أما أحدكما الذى عصر العنب فى رؤياه فيخرج من السجن ، ويكون ساقى الخمر للملك ؛ وأما الثانى فيصلب ويترك مصلوبا ، فتقع عليه الطير وتأكل من رأسه • تم الأمر على الوجه الذى بينته فيما تطلبان فيه تأويل الرؤيا !

* * *

٤٢ ـ وقال للذى توقع النجاة منهما : اذكرنى عند الملك بصفتى وقصتى عساه ينصفنى وينقذنى مما أعانيه ! فشغله الشيطان وأنساه أن يذكر للملك قصة يوسف فمكث يوسف فى السجن سنين لاتقل عن ثلاث •

* * *

٤٣ ـ وقال الملك : انى رأيت فى منامى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف ؛ ورأيت سبع سنبلات خضر ؛ وسبع سنبلات أخر يابسات •• يأيها الكبراء من العلماء والحكماء ؛ أفتونى فى رؤياى هذه ان كنتم تعرفون تفسير الرؤى وتفتون فيها •

بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا
وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ لَّعَلِّىٓ
أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا
مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى
مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ
إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ

٤٤ ـ قالوا : هذه أخلاط أحلام باطلة ، ووساوس تهجس فى النفس ! وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين ٠

٤٥ ـ وقال الذى نجا من صاحبى يوسف فى السجن ؛ وتذكر بعد مضى مدة طويلة ، وصية يوسف : أنا أخبركم بتأويل الحديث الذى ذكره الملك ، فأرسلونى الى من عنده علم بتأويله آتكم بنبئه ٠

٤٦ ـ مضى الساقى الى يوسف : حتى جاءه فناداه : يوسف ، أيها الحريص على الصدق ، افتنا فى رؤيا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف وفى رؤيا سبع سنبلات خضر وأخر يابسات ؟ أرجو أن ارجع الى الناس بفتواك عساهم يعلمون معناها ، ويعرفون لك علمك وفضلك ٠

٤٧ ـ قال يوسف ؛ تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون الأرض قمحا وشعيرا سبع سنين متواليات ؛ دائبين على العمل فى الزراعة ، فما تحصدونه احفظوه فاتركوه فى سنبله ، الا قليلا مما تأكلونه فى هذه السنين ؛ مع الحرص على الاقتصاد (١) ٠

٤٨ ـ ثم يأتى بعد هذه السنين المخصبة سبع سنين مجدبة ، تأكل ما ادخرتم لها ؛ الا قليلا مما تخبئونه وتحفظونه ، ليكون بذرا لما تزرعونه بعد ذلك ٠

٤٩ ـ ثم يأتى بعد هذه السنين المجدبة عام يغاث فيه الناس بالمطر ؛ ويعصرون فيه العنب والزيتون وكل مايعصر ٠

٥٠ ـ تنبه الملك الى يوسف بسبب تعبيره لرؤياه ؛ وعزم على استدعائه فأمر أعوانه أن يحضروه ؛ فلما أتاه من يبلغه رغبة الملك لم يستخفه الخبر ، رغم مايحمل من بشرى الفرج ؛ ولم تزعزع حلمه لهفة السجين على الخلاص من ضيق السجن ووحشته ، وآثر التمهل حتى تظهر براءته ؛ على التعجل بالخروج وآثار التهمة عالقة بأردافه ، فقال للرسول : عد الى سيدك واطلب منه أن يعود الى تحقيق تهمتى ، فيسأل النسوة اللواتى جمعتهن امرأة العزيز كيدا لى ، فغلبهن الدهش وقطعن أيديهن : هل خرجن من التجربة معتقدات براءتى وطهرى أو دنسى وعهرى ! انى أطلب ذلك كشفا للحقيقة فى عيون الناس ؛ أما ربى فانه راسخ العلم باحتيالهن !

---

(١) تتفق هذه الآية مع ماوصل اليه العلم من ان ترك الحب فى سنابله عند تخزينه وقاية لـه من التلف بالعوامل الجوية والآفات ، وفوق ذلك يبقيه محافظا على محتوياته الغذائية كاملة) ٠

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ

قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ

عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ

أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

* وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا

مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ

ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ

إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ

يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ

وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

حزب ٢٥ جزء ١٣



٥١ ـ فاستحضر الملك النسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع يوسف ليغفل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميـــــلا اليكن ؟ فأجبنه : تنزه الله عن أن يكون نسى عبده حتى تلوث طهره ، فما لمسنا فيه شيئا يشين . وحينئذ قويت نزعة الخير فى نفس امرأة العزيز ، فاندفعت تقول الآن وضح الحق وظهر ، أنا التى خاتلته وحاولت فتنته عن نفسه بالاغراء فاستمسك بعصمته ! وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين رد التهمة على ونسبها الى ! .

***

٥٢ ـ هذا اعتراف منى بالحق أقدمه ، ليستيقن يوسف أنى لم أستغل غيبته فى السجن ، وأتمادى فى الخيانة ؛ وأعول على تثبيت اتهامه ؛ ولأن الله لاينجح تدبير الخائنين .

٥٣ ـ وما أدعى عصمة نفسى من الزلل ؛ فان النفس تميـــل بطبعهـــا الى الشهوات وتزيين السوء والشر ؛ الا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء . وانى لأطمع فى رحمة الله وغفرانه ؛ لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين ، قريب لا ينجح تدبير الخائنين .

***

٥٤ ـ فلما ظهرت براءة يوسف عند الملك ، صمم على استدعائه ؛ وكلف رجاله أن يحضروه ليجعله من خاصته وخلصائه . فلما حضر اليه وجـــــرى بينهما الحديث ؛ تجلى له من يوسف ماتجلى من طهارة النفس وثقوب الرأى فقال له : ان لك فى نفسى لمقاما كريما ثابتا ؛ وأنت الأمين الموثوق به .

***

٥٥ ـ وعلم الملك منه حسن التدبير وكفايته لما يقوم به ؛ وأحس يوسف بذلك ، وحينئذ طلب منه أن يستوزره قائلا له : ولنى على خــــزائن ملكك ومستودعات غلات أرضك ، لأنى كما تأكد لديك ضابط لأمور المملكة ؛ حافظ لها ، خبير بالتدبير وتصريف الأمور .

٥٦ ـ وقبل الملك عرضه ، فاستوزره ، وبذلك أنعـــم الله على يوسف نعمة جليلة ؛ فجعل له سلطانا وقدرة فى أرض مصر ؛ ينزل منها بأى مكان يريد . وهذا شأن الله فى عباده ، يهب نعمته لمن يختاره منهم ؛ ولا يهدر ثوابهم وانما يؤتيهم أجورهم على الاحسان بالاحسان فى الدنيا .

***

٥٧ ـ وان ثوابه فى الآخرة لأفضل وأوفى لمن صدقوا به وبرسله ؛ وكانوا يراقبونه ويخافون يوم الحساب .

فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ
أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ
فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ
فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾
قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ
فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ
هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا

٥٨ ـ واشتد القحط بما حول مصر ، ونزل بآل يعقوب مانزل بغيرهم من الشدة ، وقصد الناس مصر من كل مكان ؛ بعد ماعلموا من تدبير يوسف للمؤن ؛ واستعداده لسنوات الجدب · فبعث يعقوب اليهـــا أبناءه طلبــا للطعام ، واحتجز معه ابنه شقيق يوسف خوفا عليه ، فلما بلغ ابنـــاؤه مصر توجهوا من فورهم الى يوسف ، فعرفهم دون أن يعرفوه !

* * *

٥٩ ـ وأمر يوسف أن يكرموا فى ضيافته ، ويدفع لهم من الميرة ماطلبوه فتم لهم ذلك ؛ وأخذ يحدثهم ؛ ويسأل عن أحوالهم سؤال الجاهل بها ! وهو بها عليم · فأخبروه أنهم تركوا أخا لهم حرص أبوهم الا يفارقه ؛ وهـــــو بنيامين شفيق يوسف ؛ فقال : ليحضر معكم أخوكم ، ولا تخافوا شيئا ، فقد رأيتم ايفاء كيلكم واكرامى لكم فى نزولكم ·

٦٠ ـ فان لم تحضروا أخاكم هذا ؛ فليس عندى لكم طعام ، ولا تحاولوا أن تأتونى مرة أخرى ·

* * *

٦١ ـ قال اخوته : سنحتال على أبيه لينزل عن ارادته ولا يخاف عليه ، ونؤكد لك أننا لن نقصر فى ذلك أو نتوانى فيه ·

٦٢ ـ ولما هموا بالرحيل ؛ قال لأتباعه : ضـــــعوا ماقدموه من ثمن بضاعتهم فى أمتعتهم ، عساهم يرونها اذا عادوا الى أهلهم ؛ فيكون ذلك أرجى لعودتهم مؤملين فى اعطائهم الطعام ؛ واثقين بالوفاء بالعهد ؛ وآمنين على أخيهم وليبعثوا الطمأنينة فى نفس أبيهم ·

* * *

٦٣ ـ فلما عادوا الى أبيهم قصوا عليه قصتهم مع عزيز مصر ؛ وتلطفه بهم ، وأنه أنذرهم بمنع الكيل لهم فى المستقبل ان لم يكن معهم بنيــامين ؛ وواعدهم بوفاء الكيل لهم ، واكرام منزلتهم ؛ ان عادوا اليه بأخيهم · وقالوا له : ابعث معنا أخانا فانك ان بعثته اكتلنا ما نحتاج اليه من الطعام وافيا ؛ ونعدك وعدا مؤكدا أننا سنبذل الجهد فى المحافظة عليه ·

* * *

٦٤ ـ وثارت فى نفس يعقوب ذكريات الماضى ، فربطها بالحاضر ؛ وقال لبنيه : ان أمرى اذا استجبت لكم لعجيب فلن تكون حالى حين آمنـــكم على أخيكم الا مثل حالى حين ائتمنتكم على يوسف فأخذتموه ، ثم عدتم تقولون ؛ أكله الذئب ! فالله حسبى فى حماية ابنى ؛ ولا اعتمد الا عليه ؛ فهو أقوى حافظ ، ورحمته أوسع من أن يفجعنى بعد يوسف فى أخيه ·

وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ
مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ
بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ
وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ
قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ

٦٥ ــ وكان اخوة يوسف يجهلون أن يوسف وضع أموالهم فى حقائبهم ، فلما فتحوها ووجدوا الأموال عرفوا جميل ماصنع بهم يوسف ؛ وتذرعوا بذلك الى بث الطمأنينة فى قلب يعقوب ؛ واقناعه بالاستجابة الى ماطلب العزيز ، وبالغوا فى استمالته ، فذكروه بما بينه وبينهم من رباط الأبوة ؛ فقالوا : يا أبانا أى شىء تريده أجمل مما جرى وينتظر أن تجرى به الأحداث ؟ هذه أموالنا أعيدت الينا دون أن يحتجز منها شىء ؛ فنسافر مع أخينا ونجلب الميرة لأهلنا ، ونرعى أخانا ؛ ويزيد ميرتنا حمل بعير لحق أخينا ! • فقد رسم العزيز أن يعطى الرجل حمل بعير •

* * *

٦٦ ــ ونجحت محاولة أبناء يعقوب فى اقناعه ، وأثر مقالهم فيه ، فنزل عن التشدد فى احتجاز ابنه وحبسه عن الذهاب مع اخوته الى مصر ؛ ولكن قلبه لايزال فى حاجة الى مايزيد اطمئنانه ولذلك قال لهم : لن أبعثه معكم الا بعد أن تعطونى ضمانا قويا ، فتعاهدوا الله عهدا موثقا أن تعيـــدوه الى ؛ وألا يمنعكم عن رده الا أن تهلكوا أو يحيط بكم عدو يغلبكم عليه فاستجابوا له ، وقدموا ماطلب من المواثيق ؛ وعندئذ أشهد الله على عهودهم وأيمانهم بقوله : الله على مادار بيننا مطلع رقيب ••

* * *

٦٧ ــ اطمأن يعقوب الى عهد أبنائه ؛ ثم دفعته الشـــفقة عليهم الى أن يوصيهم عند دخولهم مصر بأن يدخلوا من أبواب متفرقة ؛ لكيلا يلفتوا الأنظار عند دخولهم ، ولا تترقبهم الأعين ؛ وقد يكون مايسيئهم ، وليس فى قدرتى أن أدفع عنكم أذى ؛ فالدافع للأذى هو الله وله وحده الحكم ، وقد توكلت عليه وفوضت اليه أمرى وأمركم ؛ وعليه وحده يتوكل الذين يفوضون أمورهم اليه مؤمنين به •

* * *

٦٨ ــ لقد استجابوا لوصية أبيهم ، فدخلوا من أبواب متفرقة ؛ وماكان ذلك ليدفع عنهم أذى كتبه الله لهم ! وان يعقوب ليعلم ذلك ، فانه ذو عــلم علمناه أياه ؛ ولكن وصيته كانت لحاجة فى نفسه ، وهى شـــــفقة الأب على أبنائه أعلنها فى هذه الوصية ، وان أكثر الناس لايعلمون مثل علم يعقوب ؛ فيفوضون لله ويحترسون •

* * *

٦٩ ــ ولما دخلوا على يوسف أنزلهم منزلا كريما ، واختص أخاه شقيقه بأن آواه اليه ؛ وأسر اليه قائلا : أنى أخوك يوسف ؛ فلا تحزن بما كانوا يصنعون معك وما صنعوه معى •

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن
جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم
مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا
جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ
فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ
أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ
ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ
كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ
أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا
لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾



٧٠ ـ فبعد أن أكرم وفدنهم ، وكالهم الطعام ، وزادهم حملا لأخيه : أعد رحالهم للسفر ؛ ثم أمر أعوانه أن يدسوا اناء شرب الماء فى حمل بنيامين : ثم نادى أحـــد أعوان يوسف : أيهـا الركب القافلون بأحمالكم ، قفـوا انكم لسارقون ! .

٧١ ـ فارتاع اخوة يوسف للنداء ، واتجهوا الى المنادين يسألونهم : ما الذى ضاع منكم وعم تبحثون ؟

٧٢ ـ فأجابهم الأعوان نبحث عن الصواع ؛ وهو اناء الملك الذى يشرب به ؛ ومكافأة من يأتى به حمل حمل من الطعام . وأكد رئيسهم ذلك فقال : وأنا بهذا الوعد ضامن وكفيل .

٧٣ قال اخوة يوسف . ان اتهامكم ايانا بالسرقة لعجيب ! ونؤكد بالقسم أن فيما ظهر لكم من أخلاقنا وتمسكنا بديننا فى مرتى مجيئنا مايؤكد علمكم أننا لم نأت بغية الافساد فى بلادكم ؛ وما كان من أخلاقنا أن نكون من السارقين .

٧٤ ـ وكان يوسف قد أوحى الى أتباعه أن يكلوا الى اخوته تقـــــدير الجزاء الذى يستحقه من وجد الصواع عنده ؛ تمهيدا لأخذ أخيه منهم بحكمهم ، وليكون قضاؤهم مبرما لا وجه للشفاعة فيه ؛ فقالوا لهم : فماذا يكون جزاء السارقين عندكم ان ظهر أنه منكم ؟

٧٥ ـ ولوثوق أبناء يعقوب بأنهم لم يسرقوا الصواع ، قالوا غيـــــر متلجلجين : جزاء من أخذ الصواع أن يؤخذ رقيقا ، فبمثل هذا الجزاء نجازى الظالمين الذين يأخذون أموال الناس .

٧٦ ـ وانتهى الأمر الى تفتيش الرحال ؛ وكان لابد من الاحكام حتى لايظهر فى تنفيذ الخطة افتعال ؛ وتولى يوسف التفتيش بنفسه ، بعد أن مهد الأمر ، فبدأ بتفتيش أوعية العشرة الاشقاء ؛ ثم انتهى الى تفتيش وعاء أخيه ، فأخرج السقاية منه ، وبذلك نجحت حيلته ، وحق له بقضاء اخوته أن يحتجز بنيامين وهكذا دبر الله الأمر ليوسف فما كان فى استطاعته أخذ أخيه بمقتضى شريعة ملك مصر الا بارادة الله وقد أرادها فدبرنا الأمر ليوسف ووفقناه الى ترتيب الأسباب واحكام التدبير والتلطف فى الاحتيال ؛ وهذا من فضل الله الذى يعلى فى العلم منازل من أراد وفوق كل صاحب علم من هو أعظم ؛ فهناك من يفوقه فى علمه !

٧٧ ـ وكان اخراج الصواع من حقيبة أخيه مفاجأة أخجلت اخـــوته : فتنصلوا باعتذار يبرىء جماعتهم دونه ، ويطعنه هو ويوسف ، ويوحى بأن السرقة طبع ورثاه من قبل الأم ؛ وقالوا : ليس بعجيب أن تقع منه سرقة اذ سبقه الى ذلك أخوه الشقيق ! وفطن يوسف الى طعنهم الخفى ، فساءه ؛ ولكنه كتم ذلك ، وأضمر فى نفسه جوابا لو صارحهم به لكان هذا الجواب : أنتـــم أسوأ منزلة وأحط قدرا ؛ والله أعلم وأصدق علما بكلامكم الذى تصـفون به أخاه بوصمة السرقة .

قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

٧٨ ــ ولم يكن بد من محاولة لتخليص أخيهم أو افتدائه ٠ رجاء أن تصدق مواثيقهم ليعقوب ؛ فاتجهوا الى ترقيق قلب يوسف بحديث الأبوة في شيخوختها وقالوا له : يأيها العزيز ؛ ان لأخينا أبا طاعنا في السن ؛ فان رحمته قبلت واحدا منا ليلقى الجزاء بدل ابنه هذا الذى تعلق به قلبه ، وأملنا أن تقبل الرجاء ، فقد جربنا عادتك الكريمة ، وتأكد لنا انطباعك عن حب الاحسان وعمل المعروف ٠

٧٩ ــ وما كان ليوسف أن ينقض تدبيرا وفقه الله اليه ، ويفلت من يده أخاه ؛ ولذلك لم يلنه استعطافهم ؛ وردهم ردا حاسما ؛ وقال لهم : انى ألجأ الى الله منزها نفسى عن الظلم فأحتجز غير من عثرنا على مالنا معه ، اذ لو اخذنا سواه بعقوبته لكنا من المعتدين الذين يأخذون البرىء بذنب المسىء ! ٠

٨٠ ــ فلما انقطع منهم الأمل ؛ ويئسوا من قبول الرجاء : اختلوا بأنفسهم يتشاورون في موقفهم من أبيهم ، فلما انتهى الرأى الى كبيرهم المدبر لشئونهم قال لهم : ما كان ينبغى أن تنسوا عهدكم الموثق بيمين الله لأبيكم أن تحافظوا على أخيكم حتى تردوه اليه ؛ ولا أنكم عاقدتموه من قبل على صيانة يوسف ثم ضيعتموه ! ولذلك سأبقى بمصر لا أفارقها ؛ الا اذا فهم أبى الوضع على حقيقته ، وسمح لى بالرجوع اليه ؛ أو قضى الله لى بالرجوع الكريم ؛ وييسره لى بسبب من الأسباب ؛ وهو أعدل الحاكمين ٠

٨١ ــ عودوا أنتم الى أبيكم وقصوا له القصة وقولوا له أن يد ابنك امتدت الى صواع الملك فسرقها وقد ضبطت في حقيبته وعوقب على ذلك باسترقاقه وما أخبرناك الا بما عايناه ؛ وما كنا مطلعين على المستور من قضاء الله حين طلبناه منك وأعطيناك على حفظه ورده اليك العهود والمواثيق وهو أعدل الحاكمين ٠

٨٢ ــ وان كنت في شك مما بلغناك ، فأرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر واستشهد أنت بنفسك رفاقنا الذين عدنا معهم في القافلة ، لتظهر لك براءتنا ، ونؤكد لك أننا صادقون فيما نقول ٠

٨٣ ــ فرجع بقية الأبناء الى يعقوب ؛ وخبروه كما وصاهم أخوهم الكبير فهيج الخبر أحزانه ، وضاعف منها فقد ابنه الثانى ؛ ولم تطب نفسه ببراءتهم من التسبب في ضياعه وهو المفجوع بما صنعوا من قبل في يوسف ؛ وصرح باتهامهم قائلا لهم : ما سلمت نيتكم في المحافظة على ابنى ؛ ولكن زينت لكم نفوسكم أن تتخلصوا منه مثلما تخلصتم من أخيه ، فلولا فتواكم وحكمكم أن يؤخذ السارق رقيقا عقوبة له على السرقة ، ما أخذ العزيز ابنى ، ولا تخلف أخوكم الكبير بمصر ، ولا حيلة لى الا أن أتجمل في مصيبتى بالعزاء الحميد ؛ راجيا أن يرد الله على جميع أبنائى ؛ فهو صاحب العلم المحيط بحالى وحالهم ؛ وله الحكمة البالغة ، فبها يصنع لى ويدبر ٠



وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن

٨٤ ــ وضاق بما قالوا فأعرض عنهم حاليا بنفسه ؛ مشغولا بأساه وأسفه على فقد يوسف ؛ فذهب سواد عينيه من شدة الحزن · وقد كظم غيظه وألمه أشد الكظم (١) ·

٨٥ ــ وتوالت الايام ويعقوب مسترسل فى لوعته : وخشى أبناؤه سوء العاقبه · فاتجهوا الى مراجعته وحمله على التخفيف من شدة حزنه ، وقالوا له؛ وهم بين الاشفاق عليه والغيظ من دوام ذكره ليوسف : لئن لم تخفف عن نفسك لتزيدن ذكرى يوسف آلامك وأوجاعك ؛ الى أن بذيبك الغم فتشرف على الموت ؛ أو تصبح فى عداد الميتين ! ·

٨٦ ــ ولم يؤثر قولهم فيه · فردهم قائلا ماشكوت لكم : ولا طلبت منكم تخفيف لوعتى ! وليس لى الا الله أضرع اليه وأشكو له همومى صعبها وسهلها وما أستطيع كتمانه منها وما لا أستطيع ؛ لأنى أدرك من حسن صنعه وسعة رحمته مالاتدركون ! ·

٨٧ ــ والثقة فى الله تحيى الأمل ، ولذلك لم يذهب الغم برجاء يعقوب فى عودة ولديه اليه ، وألقى فى روعه أنهما من الأحياء ؛ وأن موعد التقائه بهما قد حان ، فأمر بنيه أن ينقبوا عنهما ؛ قائلا لهم : يابنى ارجعوا الى مصر فانضموا الى أخيكم الكبير ؛ وابحثوا عن يوسف وأخيه وتطلبوا أخبارهما فى رفق لايشعر به الناس ، ولا تقنطوا من أن يرحمنا الله بردهما ؛ لأنه لايقنط من رحمة الله غير الجاحدين ·

٨٨ ــ واستجاب اخوة يوسف لطلب أبيهم : فذهبوا الى مصر ؛ وتحايلوا لمقابلة حاكمها الذى ظهر لهم من بعد أنه يوسف ! فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ؛ مسنا نحن وعشيرتنا الجوع وما يتبعه من ضر الأجسام والنفوس ؛ وجئنا اليك بأموال قليلة هى بضاعتنا ، وهى ترد لقلتها ورداءتها ؛ وليست كفاء مانرجوه منك ؛ لأننا نرجو منك وفاء الكيل فأوفه لنا ؛ واجعل الزائد عن حقنا صدقة علينا ، ان الله تعالى يثيب المتصدقين بأحسن الثواب ·

٨٩ ــ أخذت يوسف الشفقة الأخوية الرحيمة التى تعفو عن الاساءة ، وابتدأ يكشف أمره لهم قائلا فى عتب ؛ هل أدركتم قبح مافعلتموه بيوسف من القائه فى الجب ؛ وبأخيه من أذى ، مندفعين فى ذلك بجهل أنساكم الرحمة والأخوة ؟!

---

(١) ينشأ عن الحزن العميق حال نفسية يزداد بسببها الضغط على العينين فتصاب العين ببعض الأمراض وضعف البصر شيئا فشيئا قد يزول نهائيا وتبدو العين بيضاء .



يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ
لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ
ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ
فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا
كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ

٩٠ ــ نبهتهم تلك المفاجأة السارة الى ادراك ان هذا يوسف ، فتفحصوه ، ثم قالوا مؤكدين : انك لأنت يوسف حقا وصدقا ! فقال يوسف الكريم مصدقا لهم : أنا يوسف ؛ وهذا أخى ، قد من الله علينا بالسلامة من المهالك ، وبالكرامة والسلطان ! وكان ذلك جزاء من الله لاخلاصى واحسانى ؛ وان الله لايضيع أجر من يحسن ويستمر على الاحسان .

٩١ ــ فقالوا : صدقت فيما قلت ؛ ونؤكد لك بالقسم أن الله فضلك بالتقوى والصبر وحسن السيرة ؛ وأثابك بالملك وعلو المكانة · وانما كنا آثمين فيما فعلنا بك وبأخيك ، فأذلنا الله لك ، وجزانا جزاء الآثمين ·

٩٢ ــ فرد عليهم النبى الكريم قائلا : لا لوم عليكم اليوم ؛ ولا تأنيب ؛ ولكم عندى الصفح الجميل لحرمة النسب وحق الأخوة ؛ وأدعو الله لكم بالعفو والغفران ، وهو صاحب الرحمة العظمى ·

٩٣ ــ ثم سألهم يوسف عن أبيه ؛ فلما أخبروه عن سوء حاله وسوء بصره من كثرة غمه وبكائه ؛ أعطاهم قميصه ، وقال لهم : عودوا به الى أبى فاطرحوه على وجهه ، فسيؤكد له ذلك سلامتى ؛ وتملأ قلبه الفرحة ، ويجعله الله سببا لعودة بصره ؛ وحينئذ تعالوا الى به ، وبأهلكم أجمعين · .

٩٤ ــ وارتحلوا بالقميص ، وكان قلب يعقوب مستغرقا فى ترقب ما تأتى به رحلة بنيه ، وكان الله معه فى هذا الترقب فوصل روحه بأرواحهم ، فحين تجاوزت قافلتهم أرض مصر فى طريقها اليه ؛ شرح الله صدره بالأمل ؛ وأحاطه بجو من الطمأنينة الى اقتراب البشرى بسلامة يوسف ، وأخبر أهله بذلك اذ يقول : انى أشعر برائحة يوسف المحبوبة تغمرنى، ولولا خشيةأن تتهمونى فى قولى لأنبأتكم عن يوسف بأكثر من الشعور والوجدان !

٩٥ ــ فرد عليه أهله ردا خشنا ؛ حالفين بالله أنه لايزال ذاهبا عن صوابه هائما فى خياله ! فتهيأ له ماتهيأ من فرط محبته ليوسف ؛ ولهجه بذكراه ، ورجائه للقياه ·

٩٦ ــ واستمر على أمله منتظرا رحمة الله ، واستمر أهله على سوء الظن به ؛ الى أن أتاه من يحمل القميص ويبشره بسلامة يوسف ، فحين طـــرح القميص على وجه يعقوب نفحته رائحة يوسف وغمرت قلبه الفرحة ؛ فعـــاد اليه بصره ، ولما حدثه الرسول بحال يوسف ، وأنه يطلب رحلته اليه بأهله اتجه الى من حوله يذكرهم بنبوءته ؛ ويعاتبهم على تكذيبه ؛ ويوجه أذهانهم الى ذكر ما أكده لهم آنفا من أنه يدرك من رحمة الله وفضله مالا يدركون ·

٩٧ ــ فأقبلوا عليه معتذرين عما كان منهم ، راجين أن يصفح عنهم ، وأن يطلب من الله التجـاوز عن آثامهم ، لانهم كما أكـدوا فى اعتـذارهم كانـوا آثمين ·

٩٨ ــ فقال يعقوب : سأداوم طلب العفو من الله عن سيئاتكم ؛ وانه وحده صاحب المغفرة الثابتة والرحمة الدائمة ·



إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾
وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ
هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ
أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ
ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾



۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ
ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ
أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ
بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ

٩٩ ــ رحل يعقوب الى مصر ؛ وسار بأهله حتى بلغها ؛ فحين دخلوا على يوسف ، وكان استقبلهم فى مدخل مصر ، عجل به الحنان والشوق الى أبيه وأمه ! فقربهما اليه ، وطلب منهما ومن أهله أن يقيموا فى مصر آمنين سالمين باذن الله .

***

١٠٠ ــ وســـــار الركب داخل مصر حتى بلغ دار يوسف ، فدخلوها : وصدر يوسف أبويه ؛ فأجلسهما على سريره ، وغمر يعقوب وأهله شعور بجليل **ماهيأ الله لهم على يدى يوسف ؛ اذ جمع به شمل الأسرة بعد الشـــتات ونقلها الى مكان عظيم من العزة والتكريم ؛ فحيوه تحية مألوفة تعارف الناس عليها** فى القديم للرؤساء والحاكمين ، وأظهروا الخضوع لحكمه : فأثار ذلك فى نفس يوسف ذكرى حلمه وهو صغير ؛ فقال لأبيه : هذا تفسير ماقصصت عليك من قبل من رؤيا ، حين رأيت فى المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لى ، قد حققه ربى ؛ وقد أكرمنى وأحسن الى ؛ فأظهر براءتى ، وخلصنى من السجن ؛ وأتى بكم من البادية لنلتقى ، من بعد أن أفسد الشيطان بينى وبين اخوتى ، وأغراهم بى ؛ وما كان لهذا كله أن يتم بغير صنع الله ، فهو رفيق التدبير والتسخير لتنفيذ مايريد ، وهو المحيط علما بكل شىء ، البالغ حكمه فى كل تصريف وقضاء .

***

١٠١ ــ واتجه يوسف الى الله ، يشكره باحصاء نعمه عليه ، ويرجـوه المزيد من فضله ، قائلا : يارب ما أكثر نعمك على ! وما أعظمها ! لقد منحتنى من الملك ما أحمدك عليه ؛ ووهبتنى من العلم بتعبير الأحلام ما وهبت !، ياخالق السموات والأرض وبارئهما ، أنت مالك أمرى ومتولى نعمتى فى محياى وبعـد مماتى ؛ اقبضنى اليك على ما ارتضيت لأنبيائك من دين الاسلام ، وأدخلنى فى زمرة من هديتهم الى الصلاح من آبائى وعبادك الصالحين المخلصين .

***

١٠٢ ــ ذلك الذى قصصنا عليك أيها النبى من أخبار الماضى السحيق : لم يأتك الا بايحاء منا ، وما كنت حاضرا اخوة يوسف وهم يدبرون له من المكائد وما علمت بكيدهم الا عن طريقنا ! .

***

١٠٣ ــ وفى أغلب الطباع مرض يجعلهـــا غير قابلــة لتصديق ماأوحى اليك مهما تعلق قلبك بأن يؤمنوا أو أجهدت نفسك أن يكونوا من المهتدين .

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ

١٠٤ ـ وما نقصد بما تحدثهم به من أحاديث الهدى نيل جزاء أو منفعة ، فان لم يهتدوا فلا تحزن عليهم ؛ وسيهدى الله قوما غيرهم ؛ فما أنزلناه اليهم خاصة ، وما هو الا موعظة وعبرة لكل من خلق الله فى السموات والأرض ٠

***

١٠٥ ـ وما أكثر الدلائل على وجود الخالق ووحدانيته وكماله : الثابتة فى السموات والارض ، يشاهدها قومك ويتولون عنها مكابرين غير معتبرين !

***

١٠٦ ـ وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شئ؛ ولكن ايمان أكثرهم لايقوم على أساس سليم من التوحيد ! فلا يعترفون بوحدانية الله اعترافا خالصا ؛ ولكنه مقترن فى نفوسهم بشوائب تسلكهم فى مسلك المشركين ٠

***

١٠٧ ـ أاتخذوا عند الله عهدا بعدم تعذيبهم ٠ فضمنوا الأمن والسلامة من أن يصيبهم الله بعذاب غامر ؛ ويغشاهم بنقمته : كما فعل بأسلافهم من قبل ؟ أو أن تفاجئهم القيامة وتبغتهم وهم مقيمون على الشرك والكفر ثم يكون مصيرهم الى النار ؟! ٠

***

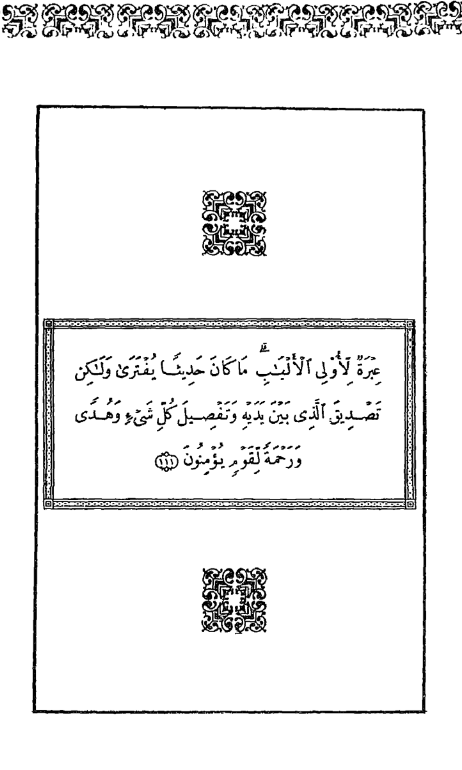
١٠٨ ـ نبههم يامحمد الى سمو غايتك ؛ وبصرهم بنبل مهمتك ؛ فقل لهم . هذه سنتى وطريقتى ، أدعو الناس الى طريق الله وأنا متثبت من أمرى ، وكذلك يدعو اليها كل من تبعنى وآمن بشريعتى ، وأنزه الله عما لا يليق به ، ولست مشركا به أحدا سواه ٠

***

١٠٩ ـ وما تحولنا عن سنتنا فى اختيار الرسل حين اخترناك أيها النبى ولا خرجت حال قومك عن أحوال الأمم السابقة ٠ فما بعثنا من قبلك ملائكة ، وانما اخترنا رجالا من أهل الأمصار ننزل عليهم الوحى ، ونرسلهم مبشرين ومنذرين ؛ فيستجيب لهم المهتدون ؛ ويعاندهم الضالون ! فهل غفل قومك عن هذه الحقيقة ؛ وهل قعد بهم العجز عن السعى فأهلكناهم فى الدنيا ومصيرهم الى النار ؛ وآمن من آمن فنجيناهم ونصرناهم فى الدنيا ، ولثواب الآخرة أفضل لمن خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه ؛ أسلبت عقولكم أيها المعاندون فلا تفكروا ولا تتدبروا ؟!

***

١١٠ ـ ولا تستبطئ يامحمد نصرى ، فان نصرى قريب أكيد ؛ وقد أرسلنا من قبلك رسلا فاقتضت حكمتنا أن يتراخى عنهم نصرنا ؛ ويتطاول عليهم

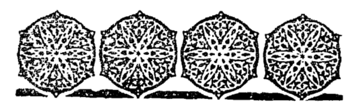


عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن
تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

التكذيب من قومهم . حتى اذا زلزلت نفوس واستشعرت القنوط وأدركهم نصرنا ؛ فأنعمنا بالنجاة والسلامة على الذين يستأهلون منا ارادة النجاة وهم المؤمنون ، وأدرنا دائرة السوء على الذين أجرموا بالعناد وأصروا على الشرك : ولا يدفع عذابنا وبطشنا دافع عن القوم المجرمين .

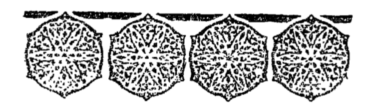
* * *

١١١ ــ وقد أوحينا اليك ما أوحينا من قصص الأنبياء : تثبيتا لفؤادك ؛ وهداية لقومك ، وأودعناه من العبر والعظات مايستنير به أصحاب العقول والفطن ويدركون أن القرآن حق وصدق ، فما كان حديثا مختلقا ولا أساطير مفتراة ؛ وانما هو حق ووحي ؛ يؤكد صدق ماسبق من كتب السماء ومن جاء بها من الرسل ! ويبين كل مايحتاج الى تفصيله من أمور الدين ، ويهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، ويفتح أبواب رحمة الله لمن اهتدى بهديه وكان من المؤمنين الصادقين .



تفسير سور

الرعد وابراهيم والحجر والنحل







(١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّة
وآياتها ثلاث وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ



سورة الرعد

(سورة الرعد) سورة مكية وسميت (الرعد) لما اشتملت عليه من تقديس الرعد لله تعالى . وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية . وقد ابتدأت ببيان منزلة القرآن الكريم ، وأنه يوحى من الله ؛ ثم بينت سلطان الله تعالى فى الكون ونبهت الى مافيه من ابداع ومنافع . ثم انتقلت من بيان قدرة الله تعالى فى الانشاء الى قدرته على الاعادة والبعث ؛ وعلم الله تعالى بكل شىء ؛ والى بيان قدرته على العقاب فى الدنيا ، وعليه يقاس العقاب فى الآخرة . ثم وجهت الأنظار الى مافى الكون من عجائب تبهر ؛ وبعد ذلك بين الله تعالى أحوال الناس فى تلقيهم للهدى القرآنى ؛ ثم ذكر أوصاف المؤمنين فى علاقاتهم بالانسانية ؛ وأخلاق الكافرين وتعنتهم فى طلب معجزات غير القرآن مع عظم منزلته ، وعظم استهزائهم برسولهم ؛ وبين للرسول أنه قد استهزىء برسل من قبله ! وأن الله تعالى قائم على الأشياء والنفوس ؛ وأنه مجاز كلا بما يستحق ؛ وأن القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية الى يوم القيامة ؛ وأن الله تعالى هو الذى يؤيد رسله بما يراه من معجزات ، واذا كان المشركون ينكرون رسالة النبى فالله يشهد بصدقها وحسبه ذلك وكفى .

***

١ - (المر) هذه حروف صوتية تبدأ بها بعض سور القرآن ؛ وهى تشير الى أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التى تتكون منها كلمات العرب ! وهذه الحروف الصوتية كانت تجذب العرب لسماع القرآن! ذلك أن المشركين تواصوا فيما بينهم الا يسمعوا هذا القرآن ؛ فكان المؤمنون اذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون .

ان تلك الآيات العظيمة هى هذا القرآن ؛ الكتاب العظيم الشأن الذى نزل عليك أيها النبى بالحق والصدق من الله الذى خلقك واصطفاك . ولكن أكثر المشركين الذين كفروا بما جاء به من الحق ليس من شأنهم ان يذعنوا للحق ؛ بل هم يعاندون فيه .

٢ - ان الذى أنزل هذا الكتاب هو الله الذى رفع ماترون من سموات تجرى فيها النجوم بغير أعمدة ترى ولا يعلمها الا الله ؛ وان كان قد ربط بينها وبين الأرض بروابط لاتنقطع الا أن يشاء الله ؛ وذلل الشمس والقمر بسلطانه ولمنفعتكم ، وهما يدوران بانتظام لزمن قدره الله سبحانه وتعالى ؛ وهو سبحانه يدبر كل شىء فى السموات والأرض ، ويبين لكم آياته الكونية رجاء أن توقنوا بالوحدانية .



ربكم توقنون ﴿٢﴾ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها
رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين
اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون ﴿٣﴾ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات
من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك
لآيات لقوم يعقلون ﴿٤﴾ * وإن تعجب فعجب



قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين
كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٥﴾ ويستعجلونك
بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات
وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك

٣ ـ وهو سبحانه الذى بسط لكم الأرض ، وجعلها ذلولا تسيرون فيها شرقا وغربا ؛ وجعل فى هذه الأرض جبالا ثابتة وأنهارا تجرى فيها الميـــاه العذبة ؛ وجعل من هذه المياه الثمرات المختلفة التى تتوالد ، وجعل منها الأنواع المتقابلة أصنافا ؛ منها الحلو والحامض ؛ ومنها الأبيض والأسود ، وأنه سبحانه يستر النهار بالليل ، وان فى هذا الكون وعجائبه لعلامات بينة تثبت قدرة الله ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر (١) .

٤ ــ وان الأرض ذاتها فيها عجائب ، فيها قطع من الأرض يجاور بعضها بعضا ؛ وهى مختلفة التربة مع ذلك ؛ بعضها قاحل ، وبعضها خصب ؛ وان اتحدت التربة ، ففيها حدائق مملوءة بكروم العنب ، وفيها زرع يحصد ؛ ونخيل مثمر ؛ وهى مجتمعة ومتفرقة ؛ ومع أنها تسقى بماء واحد يختـــــلف طعمها ، وان فى هذه العجائب لدلائل واضحة على قدرة الله لمن له عقل يفكر به (٢) .

***

٥ ــ وان أمر المشركين مع هذه الدلائل لعجب ، فان كنت يامحمـــــد تعجب ، فالعجب هو قولهم : أبعد الموت وبعد أن نصير ترابا نكون أحياء من جديد ؟ وهذا شأن الذين يكفرون بخالقهم ؛ عقولهم قيدت بالضلال ؛ ومآلهم النار التى يخلدون فيها ، فهم جاحدون ، مع أن من يقدر على الانشاء يقدر على الاعادة .

٦ ــ ويذهب بهم فرط ضلالهم ان يطلبوا انزال العذاب عاجلا بدل أن يطلبوا الهداية التى تنقذهم ويتوهمون أن الله لا ينزل بهم العقوبة فى الدنيـــا ان أراد ؛ وقد مضت عقوبات أمثالهم على ذلك ؛ فيمن أهلكهم الله قبلهم ، وشــأن

---

١ ــ النباتات الزهرية المثمرة جميعها ينتج من تزاوج عناصر الذكورة والانوثة سواء أكانت تلك العناصر فى زهرة واحـــــدة أو فى زهـــرتين مختلفتين .

٢ ــ تشير الاية الكريمـــــة الى علوم الاراضى والبيئة واثرها على صفات النبات فمن المعروف علميـــا ان التربة الزراعيـــــة تتكون من حبيبات معدنية مختلفة المصدر والحجم والترتيب ومن الماء ومصدره المطر ومن الهواء ومن المــــــادة العضوية التي يرجع وجودها الي بقايا النبات والاحياء الاخرى التي توجد على سـطح التربة او فى داخلها وفضلا عن ذلك فتوجد مـــلايين الكائنات الحية الدقيقة لا ترى بالعين المجـردة لصغر حجمهـا وتختلف اعـــدادها من عشرات الملايين الى مئـــاتها فى كل جـــرام من التربة السطحية الزراعية .

ان النظرة الشاملة لصفات التربة الطبيعية والكيمائية والحيـوية ان دلت على شيء فانما تدل علي قدرة الخالق وروعة الخلـــق فالارض كما يقول الزارعون بحق تختلف من شبر الي شبر .

ومعروف للعلماء ان اى نقص فى احد المـــواد الاساسية للتغـــــذية يتبعه تغيير مميز تظهـــر اعراضه على النبات ولذلك يعمد الزارعون الى تعويض النقص بالتسميد الملائم وعوامل البيئة اكثر من ان تحصى ولها اثر ملحوظ على الثمر والاثمار سواء أكان النبات متحد الاصـــــــل او مختلفه فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾
ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن
جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾
لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا

الله أن يغفر الظلم لمن يتوب ويعود الى الحق وينزل العقاب الشديد بمن يستمر على ضلاله ·

٧ ـ ويقول هؤلاء الجاحدون غير معتدين بالمعجزة الكبرى ، وهى القرآن : هلا أنزل عليه ربه علامة على نبوته من الحس كتحريك الجبال ، فيبين الله لنبيه الحق فى القضية ؛ ويقول له سبحانه : انما أنت أيها النبى منذر لهم بسوء العاقبة ؛ ان استمروا على ضلالهم ؛ ولكل قوم رسول يهديهم الى الحق ، ومعجزة تبين رسالته ، وليس لهم أن يختاروا ؛ انما عليهم أن يجيبوا التحدى وأن يأتوا بمثله ! ··

٨ ـ الذى أعطى الرسول تلك المعجزة الكبرى هو الذى يعلم كل شىء ؛ ويعلم النفوس الانسانية من وجودها نطفة فى الرحم الى موتها ؛ فيعلم ماتحمل كل أنثى من أجنة وحالها من ذكورة او من أنوثة ، وما تنقصه الأرحام وما تزداد به وقتا بعد آخر ، حتى تنتهى مدة الحمل ويتكامل نمو الجنين ؛ ويظهر فى الوجود · كل شىء عنده سبحانه بقدر معلوم ؛ وله زمان معلوم (١)

٩ ـ هو الذى يعلم مايغيب عن حسنا ، ويعلم مانشاهده علما أعظم مما نشاهد ونرى ، وهو سبحانه العظيم الشأن الذى يعلو كل مافى الوجود ·

١٠ ـ يعلم كل أحوالكم فى حياتكم ؛ وكل أقوالكم وأعمالكم ؛ فيعلم ماتسرون ؛ وما تعلنون من أفعال وأقوال ، ويعلم استخفاءكم بالليل وبروزكم بالنهار ؛ والكل فى علمه سواء ·

١١ ـ وان الله سبحانه هو الذى يحفظكم ؛ فكل واحد من الناس له ملائكة تحفظه بأمر الله وتتناوب على حفظه من أمامه ومن خلفه ، وان الله سبحانه لايغير حال قوم من شدة الى رخاء ومن قوة الى ضعف حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التى يصيرون اليها ، واذا أراد الله أن ينزل بقوم مايسوءهم فليس لهم ناصر يحميهم من أمره ، ولا من يتولى أمورهم فيدفع عنهم ماينزل بهم ·

١٢ ـ وان قدرة الله تعالى فى الكون بارزة آثارها ظاهرة ؛ فهو الذى يريكم البرق فترهبون منظره أو تخافون أن ينزل عليكم المطر من غير حاجة اليه فيفسد الزرع ، أو تطمعون من وراء البرق فى مطر غزير تحتاجون اليه ليصلح الزرع · وهو الذى يكون السحب المملوءة بالأمطار ·

---

١ ـ الله يعلم ما تحمل كل أنثى فى رحمها من أجنة ويعلم حالة الرحم وهو فى حالة صغره بينما تغيب فيه النطفة ويعلم حاله وهو يزداد يوما بعد يوم حتى يصبح جنينا كامل النمو صالحا للنزول وكل شىء عند الله بمقدار وحساب صغيرا أو كبيرا .

مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا



١٣ ــ وان الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعا مطلقا ، حتى أن صوته الذى تسمعون كأنه تسبيح له سبحانه بالحمــــد على تكوينه دلالة على خضوعه ؛ وكذلك الأرواح الطاهرة التى لاترونها تسبح حامدة له ؛ وهو الذى ينزل الصواعق المحرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه ، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون فى شأن الله سبحانه ، وهو شديد القوة والتدبير فى رد كيد الأعداء ·

١٤ ــ وان الذين يدعونهم فى خوفهم وأمنهم من الأصنام دون أن يدعوا الله وحده ؛ لايجيبون لهم نداء ولا دعاء ؛ وحالهم معهم كحال من يبسط كفه ويضعها ليحمل بهذه اليد المبسوطة الماء ليبلغ فمه فيرتوى ، وليس من شــأن الكف المبسوطة أن توصل الماء الى الفم ، واذا كانت تلك حالهم ؛ فما دعاؤهم الأصنام الا ضياع وخسارة ·

١٥ ــ والله سبحانه يخضع لارادته وعظمته كل من فى الســــموات والأرض من أكوان وأناس وجن وملائكة طائعين ؛ أو كارهين لما ينزل بهم ، حتى ظلالهم من طول وقصر حسب أوقات النهار فى الظهيرة وفى الأصيل خاضعة لأمر الله ونهيه ·

١٦ ــ أمر الله نبيه أن يجادل المشركين هاديا مبينا ؛ فقال له : قل لهم أيها النبى : من الذى خلق السموات والأرض ، وهو الحافظ لها ، والمسير لما فيها ؟ ثم بين لهم الجواب الصحيح الذى لايحارون فيه ؛ فقل لهم : هو الله المعبود بحق دون سواه ؛ فكان حقا عليكم أن تعبدوه وحده · ثم قل لهم · أفترون الأدلة المثبتة لانشائه وحده كل شىء ، وتتخذون مع ذلك أوثانا تعتبرونها آلهة من غير أن تقروا بوحدانيته ! وهذه الأوثان لاتملك لذاتها نفعا ولا ضرا ! فكيف تسوونها بالخالق المدبر ، انكم تسوون بين الخالق لكل شىء ومن لايملك شيئا ! فكنتم كمن يسوى بين المتضادين ! فهل يستوى من يبصر ومن لايبصر ؟ وهل تستوى الظلمة المتكاثفة الحالكة والنور المبين ؟ أيسوغون تلك التسوية ؟ أم ذهب بهم فرط ضلالهم الى زعم أن أوثانهم شركاء له فى الخلق والتدبير ؛ فتشابه عليهم أمر الخلق ، كما ضلوا العبادة ؟ قل لهم أيهـــا النبى : الله وحده هو الخالق لكل مافى الوجود ، وهو المنفرد بالخلق والعبادة ، الغالب على كل شىء ·

١٧ ــ وان نعمه تعالى مرئية لكم ؛ وأصنامكم لا تأثير لها فى هــــذه النعم ؛ فهو الذى أنزل عليكم الأمطار من السحاب ، فتسيل بها الأنهار والوديان كل بالمقدار الذى قدره الله تعالى لانبات الزرع ، واثمار الشــجر . والأنهــار فى جريانها تحمل مالا نفع فيه ويعلو على سطحها ؛ فيكون فيها مافيه نفع فيبقى ، ومالا نفع فيه يذهب · ومثل ذلك الحق والباطل ؛ فالاول يبقى والثـــانى يذهب ، ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حليـــة كالذهب



رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ
مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾



* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

والفضة ، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس ، ومنها مالانفع فيه يعـــلو السطح . وان مالا نفع فيه يرمى وينبذ ؛ وما فيه النفع يبقى ، كذلك الأمر فى العقائد : ما هو ضلال يذهب ؛ وما هو صدق يبقى . وبمثل هذا يبين الله سبحانه الحقائق ، ويمثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بينة(١)

١٨ ـ وان الناس فى تلقيهم للهدى قسمان : قسم أجاب دعوة الله الخالق المدبر ، فلهم العاقبة الحسنى فى الدنيا والآخرة ؛ وقسم لم يجب دعوة الذى انشأه ؛ وهؤلاء لهم العاقبة السيئة فى الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما فى الأرض جميعا ومثله معه ، ما استطاعوا ان يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ! ولكن أنى يكون لهم ذلك الملك ؟ ولذلك كان لهم حساب يسوءهم وينتهون به الى جهنم وبئس القرار والمستقر .

١٩ ـ ان المهتدين والضالين لايستوون ، فهل يكون الذى يعلم أن مانزل عليك من الله الذى رباك وكونك واصطفاك لأداء رسالته ؛ هو الحق الذى لاشك فيه .. هل يكون كمن ضل عن الحق ، حتى صار كالاعمى الذى لايبصر ؟ انه لايدرك الحق ويتذكر عظمة الله الا أصحاب العقول التى تفكر .

٢٠ ـ أولئك الذين يدركون الحق ؛ هم الذين يوفون بعهد الله تعـــالى عليهم بمقتضى الفطرة والتكوين وبمقتضى توثيق عقودهم وعهودهم ، ولا يقطعون المواثيق التى عقدوها باسم الله بينهم وبين العباد ؛ ولا بالميثاق الأكبر الذى عقده بالفطرة والتكوين ، وجعلهم يدركون الحق ويؤمنون ، الا ان يضلوا فى يقينهم .

٢١ ـ وأولئك المؤمنون من دأبهم المحبة والطاعة ، انهم يعقدون المودة مع الناس ويخصون ذوى أرحامهم ؛ ويؤيدون ولاتهم فى الحق ؛ وهم يعرفون حق

---

١ ـ بين الله هنا شبيهين بالحق هما المـاء الصافى والمعدن الصافى ينتفع بهما وبين شبيهين للباطل هما زبد الماء وزبد المعادن المذابة لا نفع منهما فقال : « انزل من السحاب مطرا فسالت مياه أودية بمقدارها فى الصغر والكبر فحمل الماء السائل زبدا عاليا على وجه الماء يسمى غثاء ومن بعض المعادن التى يوقد الناس عليها فى النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالبين عمل حلية أو متاع ينتفع به كالاوانى وغيرها زبد مثل زبد الماء فى كونه عاليا فوق سوائل المعادن يسمي خبيثا كهذا المذكور من الماء وزبده والمعدن وزبده بين الله للناس الحق والباطل فالحق كالماء الصافى والمعدن الصافى والباطل كالزبد الصـافى والذى لا ينتفع به . فاما الزبد الناشىء عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به واما ما ينفع النـاس من الماء والمعادن فيبقى فى الارض للنفـع كهذين المثلين فى الجلاء والوضوح بين الله الامثال للناس دائما فيبصرهم بالخير والشر .

ولما بين الله سبحانه وتعالى شأن كل من الحق والباطل شرع يبين حـــال أهل كل منهما فقال للذين أجابوا ربهم بالطاعة المثوبة الحسنى فى الاخرة وفى الجنة ونعيمها والـذين لم يجيبوا لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله ولكنه لا يقبـل منهم اذا فرض وملك .

ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ
عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ
وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأٓخِرَةِ
إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ
مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ

الله : فيخشونه ؛ ويخافون الحساب الذى يسوءهم يوم القيـــامة فيتوقون الذنوب ما استطاعوا .

***

٢٢ ـ وهم يصبرون على الأذى يطلبون رضا الله بتحمله فى سبيل اعلاء الحق ؛ ويؤدون الصلاة على وجهها تطهيرا لأرواحهم وتذكرا لربهم ؛ وينفقون من المال الذى أعطاهم الله فى السر والعلن من غير رياء ، ويدفعون الســـيئات بالحسنات يقومون بها ، وهم بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة ؛ بالاقامة يوم القيامة بأحسن دار وهى الجنة .

***

٢٣ ـ تلك العاقبة الطيبة اقامة مستمرة فى الجنات والنعيـــم ، يكونون فيها هم وآباؤهم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ؛ ومعهم أزواجهم وذرياتهم والأرواح الطاهرة الطيبة تحييهم وتجىء اليهم من كل ناحية .

٢٤ ـ وتقول لهم تلك الأرواح : الأمن الدائم لكم بسبب صبركم على الاذى وصبركم فى مكافحة أهوائكم ؛ وما أحسن هذه العاقبة التى صرتم اليها ؛ وهى الاقامة فى دار النعيم .

***

٢٥ ـ وان أوصاف المؤمنين الطيبة تقابلها أوصاف المشركين الذميمة .. فالمشركون ينقضون عهد الله الذى أخذه عليهم بمقتضى الفطرة ووثقـــه ، فيخالفون فطرتهم وعقولهم بعبادتهم حجارة لاتنفـــع ولا تضر وينكثون فى عهودهم مع العباد ثم يقطعون مودتهم مع الناس وصلتهم بالله فلا يطيعون أوامره ولا يفردونه بالعبادة ويفسدون فى الأرض ؛ بالاعتداء فيها ؛ وعدم اصـــلاحها والانتفاع بها ! والله سبحانه لايحب العبث والافساد .

***

٢٦ ـ واذا كان أولئك المشركون يرون أنهم قد أوتوا مالا وفيـــرا ، والمؤمنون فقراء ضعفاء ، فليعلموا أن الله تعالى يعطى الرزق الوفير لمن يشاء اذا أخذ فى الأسباب ؛ ويضيقه على من يشاء ؛ فهو يعطيه للمؤمن وغير المؤمن فلا تظنوا أن كثرة المال فى أيديهم دليل على أنهم على الحق ، ولكنهم يفرحون بما أوتوا من مال ، مع أن الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ومن لايحب ؛ وما الحياة الدنيا الا متع ضئيلة فانية ! .

***

٢٧ ـ وان أولئك المشركين تذهب بهم اللجاجة فيقولون : هلا أنزل على النبى من الله معجزة أخرى ؟ فقل أيهـا النبى أن السبب فى عـدم ايمانكم ليس نقص المعجزة ، انما هو الضلال ، والله سبحانه وتعـالى يضل من يريد ضـلاله مادام يسير فى طريق الضلال ويهدى الى الحق من يرجع الى الله دائما .



أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ
أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ
ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى
لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ
ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ
حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾
وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ

٢٨ ـ وان هؤلاء الذين يرجعون الى الله ؛ ويقبلون على الحق ، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره ؛ وان القلوب لاتسكن وتطمئن الا بتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته .

***

٢٩ ـ وأن الذين أذعنوا للحق ، وقاموا بالأعمال الصالحة ؛ لهم العاقبة الطيبة والمآل الحسن .

***

٣٠ ـ كما أرسلنا الى الماضين من الأمم رسلا بينوا لهم الحق ؛ فضل من ضل واهتدى من اهتدى ؛ وآتيناهم معجزات تدل على رسالتهم ، أرسلناك فى أمة العرب وغيرهم ، وقد مضت من قبلها أمم ؛ وكانت معجزتك القرآن ، لتقرأه عليهم قراءة توضح معانيه وجلاله ؛ وهم جاحدون برحمة الله عليهم بانزال القرآن ، فقل لهم أيها النبى : الله هو الذى خلقنى ويحمينى ويرحمنى ؛ لا اله يعبد بحق غيره ، أعتمد عليه وحده ؛ واليه مرجعى ومرجعكم .

***

٣١ ـ انهم يطلبون معجزة غير القرآن مع عظم تأثيره لو طلبوا الحق وأذعنوا له ؛ فلو ثبت ان كتابا يقرأ فتتحرك به الجبال من أماكنها ، أو تتصدع به الأرض ، أو تخاطب به الموتى ، لكان ذلك هو القرآن ، ولكنهم معاندون ؛ ولله وحده الأمر كله فى المعجزات وجزاء الجاحدين ، وله فى ذلك القدرة الكاملة ، واذا كانوا فى هذه الحال من العناد ؛ أفلا ييأس الذين أذعنوا للحق من ايمان هؤلاء الجاحدين ، وان جحودهم بارادة الله ؛ ولو أراد أن يهتدى الناس جميعا لاهتدوا ! وان قدرة الله ظاهرة بين أيديهم ؛ فلا يزالون تصيبهم بسبب أعمالهم القوارع الشديدة التى تهلكهم ، أو تنزل قريبا منهم ؛ حتى يكون الموعد الذى وعد الله به ، والله تعالى لا يخلف موعده .

***

٣٢ ـ واذا كان أولئك الجاحدون قد استهزأوا بما تدعو اليه وبالقرآن فقد سخر بالرسل الذين أرسلوا قبلك أيها النبى ؛ فلا تحزن لأنى أمهل الذين جحدوا ثم آخذهم فيكون العقاب الشديد الذى لايقدر وصفه ولا تعرف حاله .

عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ
بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ
مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن
يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ
إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ



٣٣ - ان المشركين سفهوا في جـ ه ودهم ، فجعلوا لله شركاء في العبادة ، فهل من هو حافظ مراقب لكل نفس ؛ يحصى عليها ماتكسب من خير أو شر ؛ تماثله هذه الأوثان ؟ قل لهم أيها النبى ، صفوهم بأوصافهم الحقيقية ! أهم أحياء ؟ أهم يدفعون الضر عن أنفسهم ؟ فان كانت حجارة لاتنفع ولا تضر ، فهل تخدعون أنفسكم بأن يخبروا الله بما تتوهمون، أنه لايعلمه فى هذه الأرض ، أم تضعونهم فى موضع العبادة بألفاظ تتلوى بها ألسنتكم ؟ بل الحقيقة أنه زين لهم تدبيرهم وتمويههم الباطل ؛ وبسبب ذلك صرفوا عن طريق الحق وتاهوا ! ومن يكون ضلالهم مثلهم ؛ فلن يهديه أحد ، لأنه صرف نفسه عن سبيل الهداية .

* * *

٣٤ - لهم العذاب فى الدنيا بالهزيمة والأسر والقتل ، ان سار المؤمنون فى سبيل الحق ؛ ولعذاب الآخرة النازل بهم لا محالة أشد و أدوم ، ومالهم أحد يقيهم من عذاب الله القاهر فوق كل شيء .

* * *

٣٥ - واذا كان لهؤلاء هذا العذاب ؛ فللمؤمنين الجنة ونعيمها ، وقد وعدوا بها . وحال هذه الجنة التى وعد بها أولئك الذين استقاموا على الحق ؛ وجعلوا بينهم وبين الباطل وقاية من الايمان ؛ أنها تجرى من تحت أشجارها المياه العذبة وثمراتها دائمة لاتنقطع ، وظلها دائم . وهذه عاقبة الذين اتقوا الشر أما الجاحدون فعاقبتهم دخول النار .

* * *

٣٦ - والذين أعطوا علم الكتب المنزلة من شأنهم ان يفرحوا بالكتاب الذى أنزل عليك : لأنه امتداد للرسالة الالهية ، ومن يتخذون التدين تحزبا : ينكرون بعض ما أنزل اليك عداوة وعصبية ، فقل أيها النبى : انى ماأمرت الا بأن أعبد الله لا أشرك فى عبادته شيئا ؛ والى عبادته وحده أدعو ، واليه وحده مرجعى .

* * *

٣٧ - ومثل الانزال للكتب السماوية ؛ أنزلنا اليك القرآن حاكما للناس فيما بينهم ، وحاكما على الكتب السابقة بالصدق . وقد أنزلناه بلغة عربية ؛ فهو عربى ؛ ولا تساير المشركين أو أهل الكتاب بعد الذى جاءك من الوحى والعلم ؛ ولئن سايرتهم فما لك ناصر ينصرك من الله ، أو يقيك منه . والخطاب للنبى ؛

مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

وهو بالأولى للمؤمنين ؛ والتحذير لهم حقيقى ، وللنبى لبيان أنه مع اصطفائه وعلو منزلته قابل للتحذير .

٣٨ ـ واذا كان المشركون يثيرون العجب من أن لك أزواجا وذرية ، ويطلبون معجزة غير القرآن ، فقد أرسلنا من قبلك رسلا لهم أزواج وأولاد ؛ فالرسول من البشر له أوصاف البشر ؛ ولكنه خير كله ، وليس لنبى أن يأتى بمعجزة كما يحب أو يحب قومه ! بل الذى يأتى بالمعجزة هو الله ؛ وهو الذى يأذن الله بها . لكل جيل من الأجيال أمر كتبه الله لهم يصلح به أمرهم ؛ فلكل جيل معجزته التى تناسبه .

٣٩ ـ يمحو الله مايشاء من شرائع ومعجزات ، ويحل محلها مايشاء ويثبته وعنده أصل الشرائع الثابت الذى لايتغير ؛ وهو الوحدانية وأمهات الفضائل ؛ وغير ذلك .

٤٠ ـ ولئن أريناك بعض الذى نعدهم من ثواب أو عقاب ، أو توفيناك قبل ذلك ، لرأيت هول ماينزل بالمشركين ! ولرأيت نعيم المؤمنين ! وليس عليك هذا ، انما الذى عليك ان تبلغ الرسالة والحساب علينا وحدنا .

٤١ ـ وان أمارات العذاب والهزيمة قائمة ! ألم ينظروا الى أنا نأتى الأرض التى قد استولوا عليها ؛ يأخذها منهم المؤمنون جزءا بعد جزء ؟ وبذلك ننقص عليهم الأرض من حولهم ، والله وحده هو الذى يحكم بالنصر أو الهزيمة ، والثواب أو العقاب ؛ ولا راد لحكمه ؛ وحسابه سريع فى وقته ، فلا يحتاج الفصل الى وقت طويل ، لأن عنده علم كل شىء ، فالبينات قائمة (١) .

٤٢ ـ وقد دبر الذين من قبلهم التدبير السيىء لرسلهم ؛ ولله سبحانه تدبير الأمر كله فى حاضر الكافرين وقابلهم ؛ وسيكون الجزاء على مايصنعون ، وهو يعلم ماتعلمه كل نفس . واذا كانوا يجهلون أن العاقبة الحسنة للمؤمنين ، فسيعلمون يوم القيامة بالرؤية لمن تكون العاقبة الحسنة بالاقامة فى دار النعيم .

٤٣ ـ والغاية من المراء الذى يقوم به الذين جحدوا ولم يذعنوا للحق أن يقولوا لك أيها النبى لست مرسلا من عند الله ! فقل لهم : حسبى أن الله هو الذى يحكم بينى وبينكم ، والذى يعلم حقيقة القرآن ؛ وما يدل عليه من اعجاز باهر تدركه العقول السليمة .

---

١ ـ تتضمن هذه الاية حقائق وصلت اليها البحوث العلمية الاخيرة اذ ثبت أن سرعة دوران الارض حول محورها وقوة طردها المركزى يؤديان الي تفلطح فى القطبين وهو نقص فى طرف الارض وكذلك عرف ان سرعة انطلاق جزئيات الغازات المغلفة للكرة الارضية اذا ما جاوزت قوة جاذبية الارض لها فانها تنطلق الي خارج الكرة الارضية . وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الارض فى نقص مستمر لاطرافها . لا أرض أعداء المؤمنين ، وهذا احتمال فى التفسير تقبله الاية الكريمة .

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

سورة ابراهيم

١ ـ ألف ٠ لام ٠ راء : فى الابتداء بهذه الحروف تنبيه الى اعجاز القرآن، مع انه مكون من حروف يتكلمون بها ، وتنبيه للاستماع ٠ هذا المـــذكور فى السورة كتاب منزلّ اليكَ يامحمدَ من عندنا ، لتخرج الناس كافة من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والعلم بتيسير ربهم ، وذلك النور هو طريق الله الغالب بالانتقام المحمود على الانعام ٠

***

٢ ـ طريق الله الذى له كل مافى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا ؛ واذا كان هذا هو حال الاله الحق ؛ فالهلاك بعذاب شديد للكافرين

***

٣ ـ الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويمنعـــــون الناس عن شريعة الله ؛ ويرغبون أن تصير الشريعة معوجة فى نظر الناس لينفروا منها ٠٠ أولئك الموصوفون بما ذكر قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق ٠

***

٤ ـ وما أرسلنا رسولا قبلك ، يأيها النبى ؛ الا متكلما بلغة قومه الذين بعثناه فيهم ، ليفهمهم ما أتى به ؛ فيفقهوه ويدركوه بســــهولة ؛ وليس عليه هدايتهم ؛ فالله يضل من يشاء ، لعدم استعداده لطلب الحق ؛ ويهدى من يشاء لحسن استعداده ، وهو القوى الذى لايغلب على مشيئته ؛ والذى يضع الأمور فى مواضعها ، فلا يهدى ولا يضل الا لحكمة ٠

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ
ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن
فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ

٥ ــ ولقد أرسلنا موسى مؤيدا بمعجزاتنا ؛ وقلنا له : أخرج قومك بنى اسرائيل من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والعلم ؛ وذكرهم بالوقائع والنقم التى أوقعها الله بالأمم قبلهم ٠ ان فى ذلك التذكير دلائل عظيمة على وحدانية الله ، تدعو الى الايمان كل من يتحقق به كمال الصبر على البـــلاء ، والشكر على النعماء ؛ وهذه صفة المؤمن ٠

***

٦ ــ واذكر أيها النبى لقومك ؛ لعلهم يعتبرون ، وقت قول موسى لقومه تنفيذا لأمر ربك : اذكروا نعمة الله عليكم ، حين أنجاكم من قوم فرعون وهم يذيقونكم العذاب السيىء ؛ بتكليفكم الأعمال الشاقة ، ويذبحـــون أبناءكم الذكور ؛ ويستبقون نساءكم بلا قتل ذليلات مستضعفات ، وفى كل ماذكر من التعذيب والانجاء اختبار من الله عظيم ، ليظهر مقدار الصبر والشكر ٠

***

٧ ــ واذكروا يابنى اسرائيل حين أعلمكم ربكم وقال : والله ان شكرتم ما وهبتكم من نعمة الانجاء وغيرها ، وبالثبات على الايمان والطاعة لأزيدنكم من نعمى ، وان جحدتم نعمى بالـكفر والمعصية ، لأعذبنـكم عذابا مؤلما ، لان عذابى شديد للجاحدين ٠

***

٨ ــ وقال موسى لقومه حينما عاندوا وجحدوا : ان تجحدوا نعم الله ولا تشكروها بالايمان والطاعة ؛ أنتم وجميع من فى الأرض ؛ فان ذلك لن يضر الله شيئا ، لأن الله غنى عن شكر الشاكرين ؛ مستوجب الحمد بذاته ؛ وان لم يحمده أحد ٠

***

٩ ــ ألم يصل اليكم خبر الذين مضوا من قبلكم ، قوم نوح وعاد وثمود ؛ والأمم الذين جاءوا من بعدهم ؛ وهم لايعلمهم الا الله لكثرتهم ، وقد جاءتهم



أَرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ
لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

رسلهم بالحجج الواضحة على صدقهم ، فوضعوا أيديهم على أفواههم استغرابا واستنكارا ، وقالوا للرسل : انا كفرنا بما جئتم به من المعجزات والأدلة ، وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان والتوحيد ؛ لانطمئن الى شيء وفي حيرة منه !!

* * *

١٠ ـ قالت الرسل لأقوامهم ؛ منكرين عليهم شكهم في وجـــود الله ووحدانيته ، متعجبين من ذلك : أفي وجود الله والوهيته وحده شك ، وهـو خالق السموات والأرض على غير مثال يحتذيه ؛ وهو يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم التي وقعت منكم قبل الايمان ، ويؤخركم الى انتهاء آجالكم ؟! قالت الأقوام لرسلهم تعنتا : ما أنتم الا بشر مثلنا ، لا فضـــــل لكم علينا يؤهلكم للرســـالة .. تريدون أن تمنعونا بما تدعوننا اليــه عما كان عليــه آباؤنا من العبادة ! فأتونا بحجة واضحة مما نقترحه عليكم .

* * *

١١ ـ قالت لهم رسلهم : مانحن الا بشر مثلكم كما قلتم ؛ ولكن الله يصطفي من يشاء من عباده فيخصهم بالنبوة والرسالة ؛ وما كان في قدرتنا أن نأتيكم بحجة مما تقترحون الا بتيسير منه ، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون ولنتوكل عليه بالصبر على معاندتكم .

* * *

١٢ ـ وأي عذر لنا في ترك التوكل على الله ؛ وهو قد أرشد كلا منا الى سبيله ومنهاجه الذي شرع له ، وأوجب عليه سلوكه في الدين ؟ وانا لنؤكد توكلنا على الله ،ولنصبرن على أذاكم لنا بالعناد واقتراح المعجزات ، والله وحده هو الذي يتوكل عليه المتوكلون .

* * *

١٣ ـ عمد أهل الحل والعقد من الكفار العاتين الى القوة ، بعد أن عجزوا جميعا عن مقاومة الدليل ، وقالوا لرسلهم : ليكونن أحد أمرين : اما أن نخرجكم



ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ
كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ
صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن
كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ
فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ
ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم
مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

من أرضنا ؛ واما أن تدخلوا فى ديننا ؛ فأوحى الله الى الرسل قائلا : لنهلكن الكافرين ، لظلمهم ٠

١٤ ـ ولنسكننكم ارضهم من بعد هلاكهم ٠ وذلك الاسكان للمؤمنين حق لمن خاف موقف حسابى ؛ وخاف وعيدى بالعذاب ، فان من غلب عليه الخوف أطاع ٠

١٥ ـ ان الرسل استنصروا على أقوامهم لما يئسوا من ايمانهم ؛ وطلبوا النصر من ربهم على الكافرين من أقوامهم ؛ فنصرهم الله وربحوا ، وخسر كل متكبر عن طاعة الله شديد العناد ٠

١٦ ـ وقد استقبل الهزيمة فى الدنيا ومن ورائه فى الآخرة عذاب جهنم ؛ ويسقى فيها من ماء كريه ، وهو كالصديد يسيل من أهل النار ٠

١٧ ـ يتكلف شربه ؛ كأنه يبتلعه مرة بعد أخرى ، ولايقرب من استساغته لأنه لايمكن أن يستساغ لكراهته وقذارته ! ويحيط به أسباب الموت من الشدائد من كل جهة ، وما هو فى جهنم بميت فيستريح مما هو فيه ؛ بل يستقبل فى كل وقت عذابا أشد ٠

١٨ ـ ان حال أعمال الخيرين الكافرين الدنيوية وكسبهم فيها ؛ لبنائها على غير أساس من الايمان ، كحال رماد اشتدت لتفريقه الريح فى يوم شديد العواصف ، لايقدرون يوم القيامة على شىء مما كسبوا فى الدنيا من تلك الأعمال فلا يمكنهم الانتفاع بشىء منها اذ لايرون لها أثرا من الثواب ، كما لايقدر صاحب الرماد المتطاير فى الريح على امساك شىء منه ؛ وهؤلاء الضالون يحسبون أنهم محسنون ؛ مع أن أعمالهم بعيدة أشد البعد عن طريق الحق ٠

١٩ ـ ألم تعلم أيها المخاطب أن الله تعالى خلق السموات والأرض لتقوما على الحق بمقتضى حكمته ؛ ومن قدر على هذا كان قادرا على اهلاككم أيها الكافرون ، والاتيان بخلق جديد غيركم يعترفون بوجوده ووحدانيته اذا شاء ٠

٢٠ ـ وما ذلك الاذهاب والاتيان على الله بمتعذر ولا بمتعسر ٠

٢١ ـ وسيظهر الكفار جميعا من قبورهم للرائين ؛ لأجل حساب الله تعالى ، ظهورا لاشك فيه كأنه واقع الآن فعلا فيقول ضعفاء الرأى من الأتباع للقادة المستكبرين : أنا كنا لكم تابعين فى تكذيب الرسل ومحاربتهم والاعراض عن نصائحهم ؛ فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله بعض الشىء ؟ قال المستكبرون : لو هدانا الله الى طريق النجاة ووفقنا له لأرشدناكم ودعوناكم

هَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ

اليه ؛ ولكن ضللنا فاضللناكم ، اى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا ، ونحن وأنتم الآن سواء علينا الجزع والصبر ؛ ليس لنا مهرب من العذاب ! .

* * *

٢٢ – ويقول ابليس ، حين يقضى الله الأمر بتنعيم الطائعين وتعذيب العاصين ؛ لمن اتبعه : ان الله تعالى وعدكم وعدا حقا بالبعث والجزاء فأنجزه . ووعدتكم وعدا باطلا بأن لا بعث ولا جزاءفأخلفتكم وعدى ، وما كان لى عليكم قوة أقهركم بها على اتباعى ؛ لكن دعوتكم بوسوستى الى الضلالة فأسرعتم الى طاعتى ، فلا تلومونى بوسوستى ؛ ولوموا أنفسكم على اجابتى وما أنا اليوم بمغيثكم من العذاب ، وما أنتم بمغيثى ! انى جحدت اليوم اشراككم اياى مع الله فى الدنيا حيث أطعتمونى كما يطيع العبد ربه : ان الكافرين لهم عذاب مؤلم .

* * *

٢٣ – وأدخل فى الآخرة الذين صدقوا وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجرى من تحت قصورها الأنهار خالدين فيها باذن الله تعالى وأمره ، تحيتهم فيها من الملائكة تفيد الأمن والاطمئنان .

* * *

٢٤ – ألم تعلم أيها الانسان كيف ضرب الله مثلا لكلمة الحق الطيبة ، وكلمة الباطل الخبيثة ، فجعل الكلمة الحسنة الفائدة مثل شجرة حسنة المنفعة ؛ اصلها ضارب بجذورها فى الأرض ، وأفنانها مرتفعة الى جهة السماء .

* * *

٢٥ – تعطى ثمرها كل وقت عينه الله لاثمارها بارادة خالقها ؛ كذلك كلمة التوحيد ثابتة فى قلب المؤمن ، وعمله يصعد الى الله ، وينال بركته وثوابه كل وقت . ويبين الله الأمثال للناس ؛ فيشبه المعانى بالمحسوسات ليتعظوا فيؤمنوا .

* * *

٢٦ – الكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة : كأنها اقتلعت ،





ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ
دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾
وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ
مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ
رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ

وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات فيها ، كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها ! لأنها لم تعاضد بحجة ٠

❋ ❋ ❋

٢٧ ــ يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة ، ويبعد الله الكافرين عنه لسوء استعدادهم ، ويفعل الله مايشـاء من تثبيت بعض واضلال آخرين ، لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه !

❋ ❋ ❋

٢٨ ــ ألم تنظر أيها السامع الى المشركين الذين وضعوا مكان شكر نعمة الله بمحمد ودينه كفرا بالله تعـــالى وأنزلوا أتباعهم باضلالهم اياهم دار الهلاك ٠

❋ ❋ ❋

٢٩ ــ وهى جهنم يقاسون حرها وقبح المقر جهنم ٠

❋ ❋ ❋

٣٠ ــ وجعلوا لله الواحد الأحد أمثالا من الأصنام فى العبـــادة ، لتكون عاقبة عملهم اضلال الناس عن سبيل الله ! وقل أيها النبى لأولئك الضالين : تمتعوا بشهواتكم فان مرجعكم الى النار !

❋ ❋ ❋

٣١ ــ قل يامحمد لعبادى الصادقين الذين آمنوا وأحسنوا : أقيموا الصلاة ؛ وأنفقوا بعض مارزقناكم فى وجوه البر ؛ مسرين ومعلنين ، وفى كل خير ، من قبل أن يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا صداقة ٠

❋ ❋ ❋

٣٢ ــ الله وحده هو الذى أنشأ السموات وما فيها ، والأرض وما فيها ، وانزل من السحاب ماء مدرارا ، فأخرج بسببه رزقا لكم ٠ هو ثمرات الزرع أو الشجر ؛ وسخر لكم السفن لتجرى فى البحر تحمل أرزاقكم وتجارتكم باذنه ومشيئته ؛ وسخر لكم الأنهار العذبة لتنتفعوا بها فى رى الأنفس والزروع ٠

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا
وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ
كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ
وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾

٣٣ ـ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، للاضاءة واصلاح النبات والحيوان ، وسخر لكم الليل للراحة ؛ والنهار للسعى ٠

*****

٣٤ ـ وهيأ لكم كل ماتحتاجون اليه فى حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا ٠ وان تعدوا ما أنعم الله به عليكم لايمكنكم حصر أنواعه ؛ فضلا عن أفراده ! ان الجاحد الذى قابل النعم بالجحود لشديد الظلم والجحود ٠

*****

٣٥ واذكر ، أيها النبى ؛ لقومك ، ليعتبروا فيرجعوا عن اشراكهم ؛ قول أبيهم ابراهيم بعد بناء الكعبة : يارب اجعل هذا البلد الذى فيه الكعبة ذا أمن من الظالمين ؛ وابعدنى وأبنائى عن عبادة الأصنام ٠

*****

٣٦ ـ لأن الأصنام تسببت فى اضلال كثير من الناس بعبادتهم لها ٠ فمن تبعنى من ذريتى ، وأخلص لك العبادة ؛ فانه من أهل دينى ، ومن عصانى باقامته على الشرك فأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة ٠

*****

٣٧ ـ ياربنا انى أسكنت بعض ذريتى فى وادى مكة الذى لاينبت زرعا ؛ عند بيتك الذى حرمت التعرض له والتهاون بشأنه ، وجعلت ماحوله آمنا ٠ ربنا ، فأكرمهم ليقيموا الصلاة بجوار هذا البيت ، فاجعل قلوبا خيرة من الناس تميل اليهم لزيارة بيتك ، وارزقهم من الثمرات بارسالها اليهم مع الوافدين ، ليشكروا نعمتك بالصلاة والدعاء ٠

*****

٣٨ ـ ربنا ، انه يستوى عند علمك سرنا وعلانيتنا ؛ فأنت أعلم بمصالحنا ، وأرحم بنا منا ؛ وما يخفى عليك شىء ولو كان صغيرا ؛ فى الأرض ولا فى السماء ، فلا حاجة بنا الى الدعاء، ولكننا ندعوك اظهارا للعبودية ؛ ونخشع لعظمتك ، ونفتقر الى ماعندك ٠

*****

٣٩ ـ الحمد لله الذى أعطانى ؛ مع كبر سنى ؛ واليأس من الولد ، اسماعيل ثم اسحق ! ان ربى لسميع دعائى ، مجيب له ٠

رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

٤٠ ـ رب وفقنى لأداء الصلاة على وجهها ، ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتى ؛ ربنا تقبل دعائى قبول المستجيب ·

* * *

٤١ ـ ربنا اغفر لى ما فرط منى من الذنوب ، واغفر لوالدى وللمؤمنين ، يوم يتحقق الحساب ، ويكون من بعده الجزاء ·

* * *

٤٢ ـ ولا تظنن ؛ أيها الرسول ، ربك غافلا عما يعمل الظـــالمون من محاربة الاسلام وأهله ؛ بل هو عالم بمخالفتهم ، وقدر تأخير عقوبتهم ليوم عسير ، تبقى فيه أبصارهم مفتوحة ؛ لايسيطرون عليها ، فلا ترتد اليهم من هول ماترى ·

* * *

٤٣ ـ وهم مسرعون نحو الداعى ؛ رافعى رءوسهم الى السماء ، لاترجع أعينهم الى ارادتهم ؛ وقلوبهم خالية ليس فيها تفكير من شدة الخوف ·

* * *

٤٤ ـ وبين أيها النبى ، للناس أهوال يوم القيامة الذى يأتيهم فيـــه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى : ربنا أخر العذاب عنا ، وردنا الى الدنيا ؛ وامهلنا الى أجل من الزمان قريب ؛ نتدارك ما فرطنـــا باجابة دعوتك الى التوحيد واتباع الرسل · فيقال لهم : أتقولون اليوم هذا ونسيتم أنكم حلفتم من قبل فى الدنيا أنكم اذا متم لاتزول عنكم هذه النعمة ، ان كان بعث يوم القيامة ·

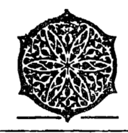
* * *

٤٥ ـ وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى من الأمم قبلكم ، وظهر لكم بمشاهدة آثارهم كيف عاقبناهم فلم تنزجروا ؟ وبينا لكم صفات مافعلوا وما حل بهم ؛ فلم تعتبروا ·

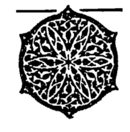
* * *

٤٦ ـ وقد دبر هؤلاء المشركون تدبيرهم لابطال الدعوة عند الله علـم مكرهم ، وما كان مكرهم لتزول منه الشريعة الثابتة ثبات الجبال ·





مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾
يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟
لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ
فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ
ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟
أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾



٤٧ ــ فلا تظن ، أيها الرسول ؛ أن الله تعالى مخلف رسله ماوعدهم به من النصر ، لأنه غالب لايمنعه أحد عما يريد ؛ شديد الانتقام ممن كفر به وعصى رسله ٠

* * *

٤٨ ــ فينتقم منهم يوم القيامة حين نجعل الأرض غير الأرض الموجودة الآن ونجعل السموات غير السموات كذلك ، ويخرج الخلائق من قبورهم لحكم الله الذى لاشريك له ولا غالب له ٠

* * *

٤٩ ــ وترى الكافرين يوم القيامة مشدودين بالقيود مع شياطينهم ٠

* * *

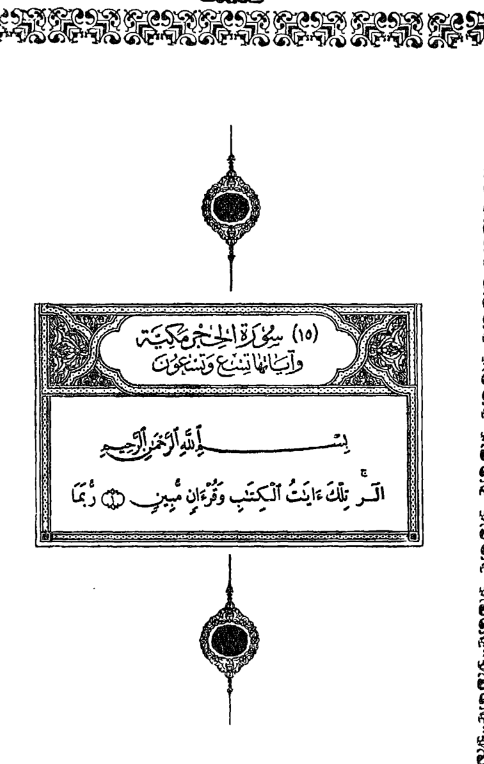
٥٠ ــ مطلية جلودهم بسائل من القطران ؛ كالملابس على أجسادهم ، وتعلو النار وجوههم وتجللها ٠

* * *

٥١ ــ يفعل بهم ذلك ؛ ليجزى الله كل نفس منهم بما كسبته فى الدنيا والله سريع الحساب يوم القيامة ولا يشغله عنه شىء ٠

* * *

٥٢ ــ هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولانذارهم وتخويفهم من عذاب الله ، وليعلموا اذا خافوا وتأملوا أنه لا اله الا اله واحد ، وليتذكر أصحاب العقول عظمة ربهم ؛ فيبتعدوا عما فيه هلاكهم ٠



(١٥) سورة الحجر مكية
وآياتها تسع وتسعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا

سورة الحجر

سورة الحجر سورة مكية وهى تشتمل على تسع وتسعين آية ؛ ابتدأت بالحروف الصوتية تنبيها الى أن القرآن مكون من الحروف التى تتكون منهـا كلماتكم ، ومع ذلك كان معجزا لكم ، لأن منزله هو الله سبحانه وتعـالى ؛ ولتكون تلك الحروف بأصواتها الممدودة تنبيها للمعرضين عن القرآن يدعوهم الى الاستماع ؛ فعساهم ينتفعون ويهديهم الله تعالى ٠

والسورة الكريمة تبين العبر بما نزل بالأمم السابقة والاشـارة الى اخبار الأنبياء السابقين ؛ وما لقيتهم به أممهم ؛ وتشير الى آيات الله فى الكون من سماء مرفوعة ذات بروج محفوظة ، وأرض ممهدة مبسوطة ؛ وجبال راسيات ورياح حاملة للماء ، وما يلقح الأشجار ، وتشير الى المعركة الأولى فى الخليقة بين ابليس اللعين وآدم وزوجه ؛ واستمرار هذه المعركة بين الخير والشر الى أن تنتهى هذه الدنيا ، ثم عاقبة الشر يوم القيامة ؛ وعاقبة الخير ٠ وبعد ذلك يقص الله سبحانه قصص النبيين ابراهيم ولوط ، وأصحاب الحجر ؛ وتشير الى منزلة القرآن ، وحال المشركين فى تلقيه ، وما يجب على النبى ازاء جحودهم وهو أن يعلن رسالته ؛ ويجهر بها ، ويعبد الله حتى يأتيه الأمر اليقين ٠



١ ــ تلك آيات الكتاب المنزل المقروء المبين الواضح ٠

٢ ــ يود ويتمنى الذين جحدوا بآيات الله سبحانه وتعالى كثيرا ، عندما

رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ
أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى
نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا
عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

يرون عذاب يوم القيـامة ، أن لو كانوا قد أسلموا فى الدنيـا وأخلصـوا دينهم لله .

٣ ـ ولكنهم الآن غافلون عما يستقبلهم فى الآخرة من عذاب ! فدعهم بعد تبليغهم وانذارهم ، ليس لهم هم الا أن يأكلوا ويستمتعوا بملاذ الدنيا ؛ ويصرفهم أملهم الكاذب ؛ فمن المؤكد أنهم سيعلمون مايستقبلهم عندما يرونه رأى العين يوم القيامة .

٤ ـ واذا كانوا يطلبون انزال العذاب الدنيوى ، كما أهلك الله الذين من قبلهم ؛ فليعلموا ان الله لايهلك مدينة أو أمة الا لأجل قدره معلوم عنده .

٥ ـ لايتقدمون عليه ، ولا يتأخرون عنه .

٦ ـ وان من قبح حالهم وشدة غفلتهم أن ينادوا النبى متهكمين قائلين : أيها الذى نزل عليه الكتاب المذكر ؛ ان بك جنونا مستمرا ، فليس النداء بنزول الذكر عليه الا للتهكم .

٧ ـ ولفرط جحودهم يقولون بعد ذلك الشتم والتهكم : هلا أتيتنا بدل الكتاب المنزل بملائكة تكون لك حجة ان كنت صادقا معدودا فى الصادقين .

٨ ـ وقد أجابهم الله تعالت كلماته : ماننزل الملائكة الا ومعهـم الحق المؤكد الثابت الذى لامجال لانكاره ؛ فان كفروا به فانهم لايمهلون ، بل ينزل بهم العذاب الدنيوى فورا .

٩ ـ وانه لأجل أن تكون دعوة النبى بالحق قائمة الى يوم القيـامة ، لم ننزل الملائكة ؛ بل أنزلنا القرآن المستمر تذكيره ، وانا لحافظون له من كل تغيير وتبديل ؛ حتى تقوم القيامة .

١٠ ـ ولا تحزن أيها الرسول الأمين ، فقد أرسلنا قبلك رسلا فى طوائف تتعصب للبـاطل مثـل تعصبهم ، ولقـد مضوا مع الأولين الذين هلكوا لجحودهم !

١١ ـ وما كان شـأن الذين سبقوهم فى تعصـبهم للباطل الا أن يستهزئوا برسلهم رسـولا رسولا ؛ كما يستهزئون بك ! فتلك سـنة المبطلين !

١٢ ـ كما أدخلنا القرآن فى قلوب المؤمنين فأضاءها ؛ أدخلنـا الباطل فى قلوب الذين اتسموا بالاجرام ، فانقلبت الأوضاع فى قلوبهم ، اذ تأصـل الباطل فى نفوسهم .

١٣ ـ لايؤمن أولئك المجرمون به ؛ وقد مضت طريقة الله تعالى فى امهالهم حتى يروا عذاب يوم القيامة المؤلم .

١٤ ـ ان هؤلاء يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ؛ ولا تظن أيها النبى أنهم يؤمنون لو نزلت ، بل لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ، يرون العجائب ويرون الملائكة !

لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ
ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا
وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾
وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ
مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ
نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ
مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ

١٥ ـ ما آمنوا ، ولقالوا : انما حبست أبصارنا عن النظر ، وغطيت ، بل ان ماكان هو السحر ، وقد سحرنا ! فلا جدوى فى أى آية مع الجحود المتغلغل فى قلوبهم ·

١٦ ـ واننا قد جعلنا فى السماء نجوما ، تكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال والهيئات ؛ وزيناها بذلك للذين ينظرون متأملين معتبرين ، مستدلين بها على قدرة مبدعها ·

١٧ ـ ولكن حفظناها من كل شيطان جدير بالرجم والطرد من رحمة الله تعالى ·

١٨ ـ من يحاول من هؤلاء الشياطين أن يسترق الاستماع الى الكلام الذى يجرى بين سكان هذه النجوم ؛ فانا نلحقه بجرم سماوى واضح بين ·

١٩ ـ وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كالبساط الممدود ، ووضعنا فيها جبالا ثابتة ؛ وأنبتنا لكم فيها من كل انواع النبات مايحفظ حياتكم ، وجعلناه مقدرا بأزمان معينة فى نموه ، وغذائه ، ومقدرا بمقدار حاجتكم ومقدار كميته ، وفى أشكاله فى الخلق والطبيعة (١) ·

٢٠ ـ وجعلنا فى الأرض أسباب المعيشة الطيبة لكم ؛ ففيها الحجارة التى تبنون منها المساكن ، والحيوان الذى تنتفعون بلحمه أو جلده أو ريشه ؛ والمعادن التى تخرج من بطنها ، وغير ذلك ؛ وكما أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ففيها المعيشة أيضا لمن يكونون فى ولايتكم من عيال واتباع ، فالله وحده هو يرزقهم واياكم ·

٢١ ـ وما من شىء من الخير الا عندنا كالخزائن المملوءة ، من حيث تهيئته وتقديمه فى وقته ، وما ننزل الى العباد الا بقدر معلوم حددته حكمتنا فى الكون ·

٢٢ ـ وقد أرسلنا الرياح حافلة بالامطار وحاملة بذور الانبات ، وأنزلنا منها الماء وجعلناه سقيا لكم ، وان ذلك خاضع لارادتنا ولا يتمكن احد من التحكم فيه حتى يصير عنده كالخزائن (٢)

٢٣ ـ وانا وحدنا نمد الأشياء بالحياة ، ثم ننقلها الى الموت اذ الوجود كله لنا ·

٢٤ ـ وكل منكم له أجل محدود ، نعلمه نحن ؛ فنعلم الذين يتقدمون فى الموت والحياة ؛ والذين يتأخرون ·

٢٥ ـ وان المتقدمين والمتأخرين سيجمعون فى وقت واحد ، وسيحاسبهم

---

١ ـ تقرر هذه الاية حقيقة علمية لم تعرف الا بعد الدراسات العملية للنبات ، وهي ان كل صنف من النبات تتماثل أفراده من الوجهة الظاهرية تماثلا تاما ، وفى التكوين الداخلى نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق فى كافة أجهزة النبات المختلفة وكذلك بين الخلايا لتحقيق الغرض الذى وجدت من أجله وقد تختلف من نوع لاخر ولكنها ثابتة للصنف الواحد

٢ ـ سبقت هذه الاية ما وصل اليه العلم من أن الرياح عامل هام فى نقل حبوب اللقاح الى الاعضاء المؤنثة فى النبات ليتم بذلك عقد الثمار، كما انه لم يعرف الا فى أوائل القرن الحالي ان



مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ
مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا
سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾
فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ
أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ
خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾
قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ
رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

ويجازيهم الله ؛ وان ذلك مقتضى حكمته وعلمه ، وهو الذى يسمى الحكيم العليم .

٢٦ ـ واننا فى خلقنا للعالمين فى هذه الأرض خلقنا طبيعتين : خلقنا الانسان من طين يابس يصوت اذا نقر عليه (١)

٢٧ ـ وعالم الجن خلقناه من قبل حين خلق أصله ابليس من النار ذات الحرارة الشديدة النافذة فى مسام الجسم الانسانى .

٢٨ ـ واذكر أيها النبى أصل الخلق ؛ اذ قال خالقك رب العالمين للملائكة انى مبدع بشرا خلقته من طين يابس ، له صوت اذا نقر عليه ، وهو متغير اللون له صورة .

٢٩ ـ فاذا أكملته خلقا ، ونفخت فيه الروح التى هى ملكى ؛ فانزلوا بوجوهكم ساجدين له تحية واكراما .

٣٠ ـ فسجدوا جميعا خاضعين لأمر الله .

٣١ ـ لكن ابليس أبى واستكبر أن يكون مع الملائكة الذين خضعوا لأمر الله .

٣٢ ـ عندئذ قال الله تعالى : يا ابليس ، ما الذى سوغ لك أن تعصى ولا تكون مع الخاضعين الساجدين .

٣٣ ـ قال ابليس ماكان من شأنى أن أسجد لانسان خلقته من طين يابس له صوت اذا نقر ؛ وهو متغير اللون مصور .

٣٤ ـ قال الله تعالى : اذا كنت متمردا خارجا على طاعتى ؛ فاخرج من الجنة فانك مطرود من رحمتى ومن مكان الكرامة .

٣٥ ـ وانى قد كتبت عليك الطرد من الرحمة والكرامة الى يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء ، وفيه يكون لك ولمن اتبعك العقاب .

٣٦ ـ قال ابليس ؛ وهو المتمرد على طاعة الله : ياخالقى أمهلنى ولاتقبضنى الى يوم القيامة ؛ يوم يبعث الناس أحياء بعد موتهم .

٣٧ ـ قال الله تعالى : انك من المؤجلين الممهلين .

٣٨ ـ الى وقت قدرته وهو معلوم لى ، ومهما يطل فهو محدود .

الرياح تلقح السحاب بما ينزل بسببه المطر اذ أن نويات التكاثف أو النويات التى تتجمع عليها جزئيات بخار الماء لتكون نقطا من الماء نامية داخل السحب هى المكونات الاولي من المطر تحملها الرياح الى مناطق اثارة السحاب وقوام هذه النويات املاح البحار وما تذروه الرياح من سطح الارض والاكاسيد والاتربة ونحوها كلها لازمة للامطار .

لقد ثبت فى العلم حديثا أن للمطر دورة مائية ، تبدأ بتبخر المياه من سطح الارض ، والبحر ثم تعود اليه مرة ثابتة على نحو ما سلف ذكره ، فاذا ما نزل المطر استقي منه كل حى علي الارض كما تستقي منه الارض نفسها ، ولا يمكن التحكم فيه لانه بعد ذلك يتسرب من الاحياء ومن الارض الى التبخر ، ثم تبدأ الدورة ثانية بالتبخر وهكذا دواليك .

ومن هذا يستبين معنىالاية فى قولهتعالي (وما أنتم له بخازنين) أى مانعيه من النزول من السماء ولا التسرب اليها على صورة البخار .

١ ـ الصلصال والحمأ صور من الطين تتفق معه فى التركيب ، لانها تتكون كيمائيا من عناصر

أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ



٣٩ ـ قال ابليس المتمرد العاصى : ياخالقى الذى يبقينى : لقد أردت لى الضلال فوقعت فيه ، وبسبب ذلك لأزينن لبنى آدم السوء ؛ ولأعمـــــلن على اضلالهم أجمعين ·

٤٠ ـ ولن ينجو من اضلالى الا الذين اخلصوا لك من العباد ،ولماتمكن من الاستيلاء على نفوسهم لعمرانها بذكرك ·

٤١ ـ ان خلوص العباد الذين أخلصوا دينهم هو طريق مستقيم بحق على الا أتعداه ، لأنى لا أستطيع اضلالهم ·

٤٢ ـ قال الله تعالى : ان عبادى الذين أخلصوا لى دينهم ليس لك قدرة على اضلالهم ؛ لكن من اتبعك من الضالين الموغلين فى الضلال لك ســــلطان على نفوسهم ·

٤٣ ـ وان النار الشديدة العميقة هى ما يوعدون به أجمعين من عذاب اليم ·

٤٤ ـ وليس للنار الشديدة باب واحد ، بل لها ابواب ســــبعة لكثرة المستحقين لها ، ولكل باب طائفة مختصة به ؛ ولكل طائفة مرتبة معلومة تتكافأ مع شرهم ·

٤٥ ـ هذا جزاء الذين يتبعون الشيطان ؛ أما الذين عجز الشيطان عن اغوائهم لأنهم يجعلون بينه وبين نفوسهم حجابا ، فلهم حدائق عظيمة وعيون جارية ·

٤٦ ـ يقول لهم ربهم : ادخلوا هذه الجنات باطمئنان آمنين ؛ فلا خــوف عليكم ؛ ولا تحزنون على أوقاتكم ·

٤٧ ـ وان أهل الايمان يعيشون فى هذا النعيم طيبة نفوسهم ؛ فقـــــد أخرجنا مافيها من حقد ، فهم جميعا يكونون اخوانا يجلسون على أسرة تتقابل وجوههم بالبشر والمحبة ، ولا يتدابرون كل ينقب عما وراء الآخر ·

٤٨ ـ لايمسهم فيها تعب ؛ وهى نعيم دائم لايخرجون منها أبدا ·

٤٩ ـ أخبر أيها النبى الأمين عبادى جميعا أنى كثير الغفران والعفـــــو لمن تاب وآمن وعمل صالحا ؛ وأنى كثير الرحمة بهم ·

٥٠ ـ وأخبرهم أن العذاب الذى أنزله بالعصاة الجاحدين هو العــــذاب المؤلم حقا ، وكل عذاب غيره لايعد مؤلما بجواره ·

٥١ ـ ونبئهم ، أيها النبى ؛ فى بيان رحمتى الخاصة فى الدنيا ؛ وعذابى للعصاة فيها ، عن الضيف من الملائكة الذين نزلوا على ابراهيم ·

٥٢ ـ اذكر أيها الأمين ؛ اذ دخلوا عليه فخاف منهم ؛ فقالوا له : أمنــــا واطمئنانا · فقال لهم انا خائفون منكم اذ فاجأتمونا وجئتم فى غير وقت للضيف عادة ، ولا نعلم ماوراءكم ! ·

التربة مضافا اليها الماء وهى المادة التي يتكون منها الانسان ، كما ذكر فى الايات المختلفـــة من القرآن الكريم .

ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن

مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا

ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾

قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ

إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ

ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ

إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ

يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ

بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ

مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ

ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

٥٣ ــ قالوا : لاتخف واطمئن ، فانا نبشرك بمولود لك يؤتيه الله تعالى في مستقبل حياته علما عظيما (١) ٠

٥٤ ــ قال : كيف تبشرونني بمولود يولد لى مع انه قد أصابتني الشيخوخة بضعفها ؛ فعلى أى وجه تبشرونني بهذا الأمر الغريب ؟!

٥٥ ــ قالوا بشرناك بالأمر الثابت الذى لاشك فيه ؛ فلا تكن ممن ييأسون من رحمة الله ٠

٥٦ ــ قال ابراهيم : انى لا أيأس من رحمة الله ؛ فانه لاييأس من رحمة الله الا الضالون الذين لايدركون عظمته وقدرته ٠

٥٧ ــ قال،وقد استأنس بهم : اذا كنتم قد بشرتمونى بهذه البشرى، فماذا يكون من شأنكم بعدها ؛ أيهؤلاء الذين أرسلكم الله ؟

٥٨ ــ قالوا : انا أرسلنا الله تعالى الى قوم أجرموا فى حق الله، وحق نبيهم وحق أنفسهم ، من شأنهم الاجرام ؛ هم قوم لوط ؛ فسنهلكهم ٠

٥٩ ــ ولم يسلم من الاجرام وعذابه الا أهل لوط ، فان الله تعالى قد أمرنا بأن ننجيهم أجمعين ٠

٦٠ ــ ولا يستثنى من أهله الا امرأته ؛ فانها لم تتبع زوجها ؛ بل كانت مع المجرمين الذين استحقوا العذاب ٠

٦١ ــ ولما نزل أولئك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لانزال ماتوعد به ، بأرض لوط وآله ٠

٦٢ ــ قال لهم لوط : انكم قوم تنكركم نفسى وتنفر منكم ، مخافة ان تمسونا بشر ٠

٦٣ ــ قالوا : لاتخف منا ؛ فما جئناك بما تخاف ؛ بل جئناك بما يسرك ، وهو انزال العذاب بقومك الذين كذبوك وكانوا يشكون فى صدقه أو ينكرونه ٠

٦٤ ــ وجئناك بالأمر الثابت الذى لاشك فيه ، وهو انزال العذاب ، وان صدق الوعد من صفاتنا بأمر الله ٠

٦٥ اذا كان العذاب نازلا بهم ؛ فسر ليلا مع أهلك الذين كتبت نجاتهم ؛ بعد مرور قطع من الليل ٠

٦٦ ــ وقد أوحى الله سبحانه وتعالى الى لوط : انا حكمنا وقدرنا أن هؤلاء المجرمين هالكون ، يستأصلون عند دخول الصباح ، ولا يبقى منهم أحد ٠

٦٧ ــ ولما أصبح الصباح رأوا الملائكة فى صورة جميلة من صور البشر : ففرحوا بهم رجاء أن يفعلوا معهم جريمتهم الشنيعة ؛ وهى اتيان الرجال

---

١ ــ واضح هنا ان التبشير ليس باسماعيل عليه السلام ، اذ أن اسماعيل كان قد ولد من قبل وكان هو وأمه هاجر بمكة ، وما ذكر هنا من التبشير كان لابراهيم ولامرأته وحينئذ كان باسحاق لانه ابن ابراهيم من زوجته سارة .

ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾
قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن
كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا

٦٨ ــ خشى لوط أن يفعلوا فعلتهم الشنيعة فقال : ان هؤلاء ضـــــيوفى فلا تفضحونى بفعلتكم القبيحة ٠

٦٩ ــ وخافوا الله تعالى ، فلا ترتكبوا فاحشتكم ، ولا توقعونى فى الخزى والذل أمامهم ٠

٧٠ ــ قال أولئك المجرمون : أو لم ننهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نفعل معهم مانشتهى ؟!

٧١ ــ قال نبى الله لوط ؛ ينبههم الى الطريق الطبيعى الشرعى : هؤلاء بنات القرية ؛ وهم بناتى ، تزوجوهن ان كنتم راغبين فى قضاء الشهوة ٠

٧٢ ــ بحق حياتك أيها النبى الأمين ، انهم لفى غفلة عما سينزل بهم ؛ جعلتهم كالسكارى ! انهم لضالون متحيرون لايعرفون مايسلكون ٠

٧٣ ــ وبينما هم فى هذه السكرة الغافلة ؛ استولى على ألبابهم صـــوت شديد الازعاج ، وقد أشرقت الشمس ٠

٧٤ ــ ولقد نفذ الله سبحانه حكمه فقال : جعلنا عالى مدائنهم ســـــافلها بانقضاضها ؛ وأنزلنا عليهم طينا متحجرا كان ينزل كالمطر ، فدورهم تهدمت ، وان خرجوا الى العراء استقبلتهم تلك الأمطار من الحجارة ؛ وبذلك أحيط بهم ٠

٧٥ ــ ان فى هذا الذى نزل بقوم لوط لعلامة بينة تدل على تنفيذ الله وعيده ، يعرفها الذين يتعرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها ٠ فكل عمل موصوف بالاجرام متسم به ، له مثل هذه النتيجة فى الدنيــــــا وفى الآخرة ٠

٧٦ ــ وان هذه المدينة آثارها قائمة ثابتة ؛ وهى واقعة على طريق قائم ثابت يسلكه الناس ويعتبر بها من أراد الاعتبار ٠

٧٧ ــ وان فى بقائها قائمة على طريق واضح لدليلا على تنفيذ الله تعالى وعيده ؛ يدركه المؤمنون المذعنون للحق ٠

٧٨ ــ ومثل تكذيب قوم لوط ، كذب أصحاب الغيضــــــة العظيمة ذات الثمرات رسولهم ، وكانوا ظالمين شديدى الظلم فى عقائدهم ومعاملاتهم ٠

٧٩ ــ فأنزلنا نقمتنا عليهم ؛ وان آثارهم بطريق واضح بين يعتبر بهم من يمر بديارهم ان كان من أهل الايمان ٠

٨٠ ــ ولقد كذب مثل السابقين أصحاب الحجر رسولهم الذى أرسل اليهم . وكانوا لهذا مكذبين كل المرسلين ، لأن رسالة الله واحدة (١)

٨١ ــ بينا لهم الحجج الدالة على قدرتنا ورسالة رسولنا ، فكانوا معرضين عنها لا يفكرون فيها ٠

٨٢ ــ وكانوا قوما ذوى منعة وعمران ؛ فكانوا يصنعون بيوتهم فى الجبال ومن الجبال ، وكانوا بها مطمئنين على أنفسهم وأموالهم ٠

٨٣ ــ فلما كفروا وجحدوا أتتهم أصوات مزعجة منذرة بالهلاك ؛ فأهلكوا فى وقت الصباح ٠

---

١ ــ أصحاب الحجر هم ثمود ، والحجر واد بين المدينة والشام .
انظر التعليق العلمي على الاية رقم ٧٣ من سورة الاعراف .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ
ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ
مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾
كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ
عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۙ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ
نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

٨٤ ـ وما دفع عنهم الهلاك الذى نزل بهم ماكانوا يكسبون من أموال ، ويتحصنون به من حصون ٠

٨٥ ـ ما أنشأنا السموات والأرض وما بينهما من فضاء : وما فيهما من أناس وحيوان ونبات وجماد ؛ وغيرها مما لايعلمه البشر ، الا بالعدل والحكمة والصلاح الذى لايتفق معه استمرار الفساد وعدم نهايته ، ولذا كان اليوم الذى يكون فيه انتهاء الشر آتيا لا محالة ؛ واصفح أيها النبى الكريم عن المشركين بالنسبة للعقاب الدنيوى ؛ وعاملهم بالصبر على أذاهم ، والدعوة بالحكمة معاملة الصفوح الحليم ٠

٨٦ ـ ان الله الذى خلقك أيها النبى ورباك ، هو الكثير الخلق ؛ العليم بحالك وحالهم ، فهو حقيق بأن تكل اليه أمرك وأمرهم ؛ وهو الذى يعلم الأصلح لك ولهم ٠

٨٧ ـ ولقد آتيناك ؛ أيها النبى الأمين ، سبع آيات من القرآن ؛ هى الفاتحة التى تكررها فى كل صلاة ، وفيها الضراعة لنا ؛ وكمال طلب الهداية ، وأعطيناك القرآن العظيم كله ، وفيه الحجة والاعجاز ، فانت بهذا القوى الذى يجدر منه الصفح ٠

٨٨ ـ لاتنظر أيها الرسول نظرة تمن ورغبة الى ما أعطيناه من متع الدنيا أصنافا من الكفار المشركين واليهود والنصارى والمجوس ؛ فانه مستقر بالنسبة لما أوتيته من كمال الاتصال بنا ومن القرآن العظيم ، ولا تحزن عليهم بسبب استمرارهم على غيهم وتطامن وتواضع ، وارفق بالذين معك من المؤمنين ؛ فانهم قوة الحق وأهل الله ٠

٨٩ ـ وقل أيها النبى ، للجاحدين جميعا : انى أنا المنذر لكم بعذابى الشديد ، والمبين انذارى بالأدلة القاطعة المعجزة ٠

٩٠ ـ وان هذا مثل انذار أولئك الذين قسموا القرآن الى شعر وكهانة وأساطير وغيرها ، ولم يؤمنوا به مع قيام الحجة عليهم ٠

٩١ ـ الذين جعلوا القرآن بهذا التقسيم قطعا متفرقة ، وهو كل لايقبل التجزئة فى اعجازه وصدقه ٠

٩٢ ـ واذا كانت تلك حالهم ، فوالذى خلقك وحفظك ورباك لنحاسبنهم أجمعين يوم القيامة ٠

٩٣ ـ على أعمالهم من ايذاء وجحود واستهزاء ٠

٩٤ ـ فاجهر بدعوة الحق ولا تلتفت الى مايفعله المشركون ويقولونه ٠

٩٥ ـ وان أولئك المشركين ؛ الذين يسخرون من دعوتك ؛ لن يتمكنوا منك ولن يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين دعوتك ٠

٩٦ ـ أولئك المشركون قد ضعفت مداركهم فجعلوا مع الله آلهة أخرى من الأوثان ، وسوف يعلمون نتائج شركهم حين ينزل بهم العذاب الأليم ٠

٩٧ ـ وانا لنعلم مايصيبك من ضيق وألم نفسى بما يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة ٠



رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾



٩٨ ـ فاذا أصابك ذلك الضيق فافزع الى الله تعالى واتجه اليه ، وكن من الخاضعين الضارعين اليه ؛ واستعن بالصلاة فان فيها الشفاء ٠

* * *

٩٩ ـ والتزم عبادة الله الذى خلقك وهو حافظـــك ؛ حتى يأتى الأمر المستيقن ، وهو يوم القيامة والميعاد ٠





(١٦) سُورَةُ النَّحْلِ مَكِّيَّة
وآياتها ثمان وعشرون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ



سورة النحل

هذه السورة مكية ، ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة منها فانها مدنية · وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة · ابتدأت السورة الكريمة بتأكيد وعيد الله تعالى للمشركين ، وبيان قدرته سبحانه وتعالى على تنفيذه ، بدليل خلقه السموات والأرض · ثم بيان نعمه على الناس كافة بخلقه الابل ، وانباته الزرع ؛ وماخلق فى البحر من أسماك تؤكل ، وجواهر للزينة · ثم أشار الى ما تستوجبه هذه النعم من شكره سبحانه ، ووجوب عبادته وحده ، واستقبال المشركين للدعوة الى الوحدانية ، وافترائهم على القرآن الكريم ، وادعاء أنه من أساطير الأولين · ثم أشار سبحانه الى عذاب المشركين يوم القيامة ، ونعيم المؤمنين ، ثم ذكر سبحانه أفكار المشركين للبعث ولجاجتهم فى الانكار،ويستنكر سبحانه جحودهم ببيان قدرتهم؛ ويؤكد وعده للمتقين ووعيده لهم ؛ ثم يقرب البعث ببيان قدرته عليهم ، وخضوع الوجود كله له سبحانه ، وبيان أنه سبحانه هو الذى يكشف ، وبيان خرافات المشركين فى اعتقادهم القدرة فيمن لا يملك نفعا ولا ضرا ، وسوء رأيهم فى المرأة طفلة وامرأة · وأشار سبحانه الى الرسل السابقين وساق سبحانه العبر فى خلقه وتكوينهللأشياء وما فيها من نعمللانسان،وتفاوت الأرزاق من أن يكونللغنى فضلعلى الفقير ،ونعمهعلى الانسانفىخلقهذكراوانثى والانسال بالزواج منهما · وأخذ يضرب سبحانه الأمثال لبيان قدرته ، ثم وجه الأنظار الى عظم المخلوقات الدالة على عظمة الخالق وفائض نعمه ، ومقابلة المشركين لهذه النعم الجليلة · وبعد ان بين مطالب الاسلام فى العدل وصلة الرحم بالوفاء بالعهد واعجاز القرآن ، وكفر المشركين به وافترائهم عليه ، أشار سبحانه الى حال المشركين يوم القيامة·وبين كيف كانوا يحلونويحرمون من غير حجة ، وأشار الى اليهود الذين يقاربون المشركين ، وبين أنه يجب ألا يعاقبوا الا بالمثل وأن على المؤمنين أن يصبروا وأن يلتزموا التقوى والاحسان·

***

١ ــ تأكدوا أيها المشركون أن ما توعدكم الله به يوم القيامة واقع قريب الوقوع لاشك فيه ، فلا تستهزئوا باستعجال وقوعه ، تنزه الله عن انيكون له شريك يعبد من دونه ، وعما تشركون به من آلهة لا تقدر على شىء ·

٢ ــ ينزل الملائكة بما يحيى القلو ب من وحيه على من يختاره للرسالة من عباده ، ليعلموا الناس أنه لا اله يعبد بحق الا أنا · فابتعدوا عما يغضبنى ويعرضكم للعذاب ، والتزموا الطاعات لتكون وقاية لكم من العذاب ·

٣ ــ خلق السموات والأرض بمقتضى الحكمة ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يتصرف فى شىء من ملكه ، أو يستحق أن يعبد مثله ·

٤ ــ خلق كل فرد من أفراد الانسان من مادة سائلة لا تماسك فيها وهى النطفة ، فاذا به انسان قوى مجادل عن نفسه ، مكافح لخصومه ، مبين لحجته

وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُواْ
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا
تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٌۚ وَلَوۡ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ
لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٌ وَمِنۡهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ
ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ

٥ ــوقد تفضل الله عليكم أيها العباد ، فخلق لكم الابل والبقر والضأن والمعز لتتخذوا من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما تستدفئون به ، ومن لحومها تأكلون ما يحفظ حياتكم ٠

* * *

٦ ــ ولكم فيها بهجة وسرور ، حين تروىنها راجعة من مراعيها مــلأى البطون والضروع ، وحين تذهبون بها الى الحقول والمراعى تسرع الخطـا الى غذائها ٠

* * *

٧ ــ وتحمل أمتعتكم الثقيلة الى بلد لم تكونوا مستطيعين الوصول اليه بدونها الا بتحميل أنفسكم أقصى جهدها ومشقتها ٠ ٠ ان ربكم الذى هيأ ذلك لراحتكم لشديد الرأفة بكم ، واسع الرحمة لكم ٠

* * *

٨ ــ وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها ، فتتخذوا منها زينة تدخل السرور على قلوبكم ، وسيخلق مالا تعلمون الآن ، من وســائل الركوب وقطع المسافات ، مما سخره الله لبنى الانسان ، اذا استخدم عقله وفكر به واهتدى الى استخدام كل القوى ٠

* * *

٩ ــ وعلى الله بمقتضى فضله ورحمته أن يبين لكم الطريق المستقيم الذى يوصلكم الى الخير ، ومن الطريق ما هو مائل منحرف لايوصل الى الحق ، ولو شاء هدايتكم جميعا لهداكم وحملكم على الطريق المستقيم ، ولكنه خلق لكم عقولا تدرك ، وارادة توجه ، وترككم لاختياركم ٠

* * *

١٠ ــ هو الذى أنزل من جهة السماء ماء لكم منه شراب ، وبعضه ينبت منه الشجر ، وفى هذا الشجر ترسلون أنعامكم لتأكل منه ، وتمدكم باللبن واللحوم ، والأصواف والأوبار والأشعار ٠

* * *

١١ ــ ينبت لكم بالماء الذى ينزل من السماء الزرع الذى نخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعناب ، وغيرها من كل أنواع الثمرات التى تأكلونهــا غير ما ذكر ، ان فى ايجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بعقولهــم ويفكرون فى القدرة التى أوجدتها

* * *

١٢ ــ وسخر لكم الليل اذ جعله مهيئا لراحتكم ، والنهار اذ جعله مناسبا لسعيكم وحركتكم وأعمالكم ، والشمس اذ تمدكم بالدفء والضوء ، والقمــر لتعرفوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم مسخرات بأمر الله تهتدوا بها فى الظلمات ، ان فى ذلك لعلامات وادلة لقوم ينتفعون بما وهبهم الله من عقل يدرك ٠



يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

١٣ ــ وبجوار ما خلقه الله لكم فى السماء ، وهيأه لمنافعكم ، خلق لكم على سطح الأرض كثيرا من أنواع الحيوان والنبات والجماد ، وجعل فى جوفهـا كثيرا من المعادن المختلفة الألوان والأشكال والخواص ، وجعل كل ذلك لمنافعكم. ان فى ذلك كله لأدلة واضـحة كثيرة لقوم يتدبرون فيها فيتعظون ؛ ويعرفون من خلالها قدرة خالقهم ورحمته بهم .

١٤ ــ وهو الذى ذلل البحر وجعله فى خدمتكم ، لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طريا طازجا ؛ وتستخرجوا منه ماتتحلون به كالمرجان واللؤلؤ . وترى أيها الناظر المتأمل السفن تجرى فيه شاقة مياهه تحمل الأمتعة والأقوات. سخره الله لـذلك لتنتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضـل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها . ولتشكروه على ما هيأه لكم ، وذلله لخدمتكم .

١٥ ــ وجعل الله فى الأرض جبالا ثابتة تحفظها أن تضطرب ، وجعل فيها أنهارا تجرى فيها المياه الصالحة للشرب والزرع ، وطرقا ممهدة لتهتدوا بها فى السير الى مقاصدكم .

١٦ ــ وجعل علامات ترشد الناس فى أثناء سيرهم فى الأرض ، وهم فى ذلك يسترشدون فى اثناء سيرهم بالنجوم التى أودعها السماء اذا عميت عليهم السبل والتبست معالم الطرق (١)

١٧ ــ هل يستوى فى نظر العقل السليم التسوية بين القادر والعاجز فيجعل من يخلق هذه الأشياء كمن لايستطيع خلق أى شىء ؟ أتعمون أيهـا المشركون عن آثار قدرة الله ، فلا تعتبروا وتشكروا عليها الله ؟

١٨ ــ وان تحاولوا عد أنعم الله عليكم لا يمكنكم احصاؤها ، ان الله كثير المغفرة واسع الرحمة ، فتوبوا اليه وأخلصوا العبادة له ، يغفر لكم ويرحمكم .

١٩ ــ والله يدرك بعلمه الشامل ما تخفون ، وما تظهرون ، لايخفى عليه شىء من سركم وجهركم ..

٢٠ ــ هذا الخالق المنعم العالم بكل شىء ، هو وحده المستحق للعبادة ، أما الأصنام التى تعبدونها ، فهى عاجزة لاتستطيع ان تخلق شيئا ، ولو كان ذبابا .. بل هى نفسها مخلوقة ربما صنعتموها بأيديكم .

٢١ ــ وهى جمادات ميتة لاحس لها ولا حركة ، ولا تدرى متى تكـون القيامة والبعث لعابديها ، فلا يليق بكم أيها العقلاء بعد هذا أن تظنوا أنهـا تنفعكم فتشركوها مع الله فى العبادة .

٢٢ ــ وقد وضح بكل هذه الدلائل أن الهكم الذى يجب أن تعبدوه وحده اله واحد لا شريك له ، ومع ذلك فالذين لايؤمنون بالبعث والحساب قلوبهم منكرة لوحدانيته منعهم الاستكبار عن اتباع الحق والخضوع له .

---

١ ــ انظر التعليق العلمى على الاية ٩٧ من سورة الانعام .



إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ
رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ
كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن
فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ
وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ
بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

٢٣ ـ لاشك أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، من عقائد وأقـــوال رأفعال ، وسيحاسبهم على كل ذلك ، ويعاقبهم على استكبارهم ، لأنه سبحانه لايحب المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له ٠

***

٢٤ ـ واذا سئل هؤلاء الكفار المستكبرون : أى شيء أنزله ربكم عـــلى محمد ؟ قالوا فى عناد : هذا الذى يزعم أن الله أنزله عليه ما هو الا أباطيل وخرافات سطرها السابقون فنقلها وصار يرددها ٠

***

٢٥ ـ قالوا ذلك ، ليصدوا الناس عن اتباع رسول الله ، لتكون عاقبة امرهم أنهم يعذبون يوم القيامة عذاب ضلالهم كاملا ، وعذاب بعض الناس الذين خدعوهم وغرروا بهم حتى ضلوا دون علم أو بحث ! ٠ تنبه أيها السامع لقبح ما ارتكب هؤلاء من ذنوب ما أشد عقابهم عليها !

***

٢٦ ـ وقد سبق هؤلاء الكافرين المتكبرين أمثال لهم ، دبروا المكايـد لأنبيائهم ، واحتالوا فى اضلال الناس فأبطل الله كيدهم ، ودمر بلادهم ،ونزل بهم عذاب النار فى الدنيا من حيث لايتوقعون !

***

٢٧ ـ ثم في الآخرة حيث يبعث الناس ويحاسبون على أعمالهم ، يوقفهم الله موقف الخزى والعار ، حين يفضحهم ويظهرما كانت تخفيه صدورهـم ، ويقول لهم : اين هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة ؟ وكنتم تحاربوننى ورسلى فى سبيلهم ؟! أين هم حتى يمدوا لكم يد العون كما كنتم تزعمون ، فلا يستطيعون جوابا ! وحينئذ يقول الذين يعلمون الحق من الأنبياء والمؤمنين والملائكة ان الخزى اليوم والعذاب المسيء واقعان على الجاحدين ٠

***

٢٨ ـ الخزى على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى قبضت الملائكة أرواحهم ، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وبارتكاب السوء ، واستسلموا بعد طول العناد اذ علموا حقيقة جرمهم ، وقالوا كذبا من شدة دهشتهم : ما كنا فى الدنيا نعمـل شيئا من المعاصى ! ٠٠ فتقول لهم الملائكة والأنبياء : كلا ؛ انكم كاذبون ، وقد ارتكبتم أفظع المعاصى ، والله سبحانه محيط بكل صغيرة وكبيرة مما كنتم تعملونه فى دنياكم ، فلا يفيدكم انكاركم !

***

٢٩ ـ ويقال لهم بعد ذلك : مآلكم دخول النار والعذاب فيها عـــذابا مؤبدا لا ينقطع ! وقبحت جهنم دارا ومقاما لكل متكبر على الانقياد الى الحـق والايمان بالله ورسله ٠



۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ

٣٠ ــ وقيل للذين آمنوا بالله واتقوا ما يغضبه من قول أو فعل أوعقيدة ما الذى أنزله ربكم على رسوله ؟ قالوا : أنزل عليه القرآن ·· فيه خير الدنيا والآخرة للناس جميعا ، فكانوا بذلك من المحسنين · والله سبحانه يكافىء المحسنين بحياة طيبة فى هذه الحياة الدنيا ، ويكافئهم فى الآخرة بما هو خير وأحسن مما نالوه فى الدنيا ، ولنعم الدار التى يقيم فيها المتقون فى الآخرة·

***

٣١ ــ وهى جنات ثابتة للاقامة ، تجرى من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، لهم فيها ما يشاءون من النعيم ، ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل المتقين الذين آمنوا به ، واتقوا ما يغضبه ، وأحسنوا عملهم ·

***

٣٢ ــ وهم الذين تقبض أرواحهم الملائكة ، وهم طاهرون من دنس الشرك والمعاصى ، وتقول الملائكة تطمينا لهم : أمان من الله لكم ، فلا يصيبكم بعداليوم مكروه ، وأبشروا بالجنة تدخلونها بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة فى دنياكم

***

٣٣ ــ هؤلاء هم المتقون الذى استعدوا لآخرتهم ، وذلك جزاؤهم ، أما المشركون ، فانهم بعنادهم وبقائهم على شركهم ، لاينتظرون الا الملائكة تقبض أرواحهم ، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وعمل الشر ، ويأتيهم عذاب ربك باهلاكهم جميعا · ومثل ما فعل هؤلاء الكفار المعاندون ، فعل الذين سبقوهم فى ذلك مع أنبيائهم فعاقبهم الله على فعلهم ، ولم يكن ظالما لهم حين عاقبهم ، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم حين عرضوها لعذاب الله بكفرهم ·

***

٣٤ ــ فأصابهم جزاء ما عملوا من سيئات ، وأحاط بهم العذاب الذى كانوا ينكرونه ويستهزئون به ·

***

٣٥ ــ وقال الذين أشركوا عنادا ومغالطة : لو شاء الله أن نعبده وحده ونطيعه فيما يأمر به لما عبدنا غيره ، ولما حرمنا من عندنا ما لم يحرمه ، كالبحيرة

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ
ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ
ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ
بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا
عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ
لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ
كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ

والسائبة وهى حجة باطلة يستندون عليها فى كفرهم ، وقد احتج بهـا من سبقوهم من الكفار ، بعد ما أرسلنا اليهم رسلنا ، فأمروهم بالتوحيد وطاعة الله ، ونهوهم عن الشرك وعن تحريم ما لم يحرمه الله ، فقامت عليهم الحجة، وادى رسلنا ما أمرناهم بتبليغه ، وعلينا نحن حسابهم ، وليس على الرسل شيء بعد ذلك .

٣٦ ـ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ليقول لهم : اعبدوا الله وحده ، واجتنبوا كل طاغية مفسد ، فبلغهم وأرشدهم : ففريق استمع الى الارشاد وتقبله ، فهداه الله بحسن استعداده الى الطريق المستقيم ، وفريق اعرض عن سماع الحق فحق عليه أن يسير فى الطريق المنحرف عن الصواب ، فأنزل الله به العذاب . واذا كنتم فى شك من هـذا يامشركى مكة ، فسيروا فى الأرض ، قريبا منكم ، فانظروا وتأملوا كيف حل بالمكذبين ، من عاد وثمود وقوم لوط ، عذاب الله ؟ وكيف كانت عاقبة أمرهم خسرانا وهلاكا ؟!

٣٧ ـ ان تكن حريصا أيها النبى على هداية المشركين من قومك ، باذلا معهم أقصى ما فى جهدك ، فلا تهلك نفسك حزنا اذا لم يتحقق ما تريد ، فقد تحكمت فيهم الشهوات ، والله لايجبر على الهداية من اختاروا الضلال وتمسكوا به لأنه يتركهم لما اختاروا لأنفسهم ، وسيلقون جزاءهم عذابا عظيما ، ولايجدون لهم يوم القيامة من ينصرهم ويحميهم من عذاب الله .

٣٨ ـ وقد أضاف المشركون الى شركهم بالله انكارهم ليوم القيامة ، فاقسموا بالله غاية طاقتهم فى القسم ، وأكدوا ان الله لايبعث من يموت ، وهم كاذبون فى قسمهم ، وسيبعثهم الله جميعا ، لأنه أخذ العهد على نفسه بذلك ، ولن يخلف الله عهده ، ولكن اكثر الناس من الكفار لايعلمون حكمة الله فى خلق هذا العالم وانه لم يخلقه عبثا ، ولا عن حسابه فى الآخرة ومجازاته .

٣٩ ـ وان من عدل الله فى خلقه أن يبعثهم جميعا بعد موتهم ، فيظهر لهم حقائق الأمور التى اختلفوا فيها ، ليعلم المؤمنون أنهم على حق ، ويعلم الكافرون أنهم كانوا مخطئين فى اتخاذهم شركاء لله ، كاذبين فى قسمهم أن الله لا يبعث من يموت ، وليلقى كل من الفريقين جزاءه على علم به وبأسبابه

٤٠ ـ وليس بعث الناس يوم القيامة بعسير علينا حتى يستبعده هؤلاء الكفار ، لأننا اذا أردنا شيئا لايحتاج ايجاده الا ان نقول له : كن ، فيكون كما نريد .

٤١ ـ والمؤمنون الذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى ، واخلاصا لعقيدتهم ، من بعد ما وقع عليهم الظلم والعذاب من المشركين ، لنعوضهم فى الدنيا على اخلاصهم واحتمالهم للعذاب ، حياة طيبة حسنة لا تأتى الا



يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن
يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ
دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

بالجهاد ، وسيكون أجرهم يوم القيامة أكبر ، ونعيمهم فى الجنة أعظم ، لو كان المخالفون لهم يعلمون ذلك لما ظلموهم وظلموا أنفسهم ..

٤٢ ـ وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على ما تحملوه من عذاب فى سبيل عقيدتهم ، وفوضوا أمرهم الى الله وحده ، غير مبالين بما سواه ، ومن أجل هذا أحسنا لهم الجزاء

٤٣ ـ وما أرسلنا الى الأمم السابقة قبل ارسالك الى أمتك ، أيها النبى، الا رجالا نوحى اليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك . فاسألوا أيها الكافرون أهل العلم بالكتب السماوية ، ان كنتم لاتعلمون ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعا ما كانوا الا رجالا لا ملائكة .

٤٤ ـ وقد أيدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم ، وأنزلنا عليهم الكتب تبين لهم شرعهم الذى فيه مصلحتهم ، وأنزلنا اليك أيها النبى القرآن لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ، وتدعوهم الى التدبر فيه ، رجاء أن يتدبروا فيتعظوا ويستقيم أمرهم .

٤٥ ـ فكيف يصح بعد كل هذا أن يتمادى المشركون فى عنادهم ، ويدبروا المكايد للرسول ؟ هل أغراهم حلم الله بهم ، فاعتقدوا انهم فى مأمن من عذاب الله ؛ فلا يخسف بهم الارض كما فعل بقارون ؟ أو يأتيهم العذاب فجأة بصاعقة كما فعل بثمود وهم لايدرون أين نزل !

٤٦ ـ أو يهلكهم فى أثناء تنقلهم فى الأرض للتجارة بعيدين عن مساكنهم فلا يستطيعون الافلات من عقاب الله ، لأنه لايعجزه شىء يريده .

٤٧ ـ أو ينزل بهم العذاب فى أنفسهم وأموالهم رويدا رويدا ، وهم فى كل لحظة فى عذاب من الخوف منه والترقب لوقوعه ، فلا تتمادوا أيها المشركون وتغتروا بتأخير عقوبتكم ، فقد اقتضت رأفة الله الشاملة ورحمته الواسعة الا يعاجلكم بالعقوبة فى الدنيا ، كى تتفكروا وتتدبروا لأنه سبحانه رءوف رحيم ..

٤٨ ـ أغفل هؤلاء الكفار عن آيات الله حولهم ، ولم ينظروا ويتدبروا فيما خلقه الله من الأشياء القائمة ، تنتقل ظلالها ، وتمتد تارة يمينا وتارة شمالا ، تابعة فى ذلك لحركة الشمس نهارا والقمر ليلا ، وكل ذلك خاضع لأمر الله ، منقاد لأحكام تدبيره ، لو تدبر المشركون هذا ، لعلموا ان خالقه ومدبره هو وحده المستحق للعبادة والخضوع ، القادر على أهلاكهم لو أراد .

٤٩ ـ ولله وحده ـ لالغيره ـ يخضع وينقاد جميع ما خلقه فى السموات وما دب على الأرض ومشى على ظهرها من مخلوقات ، وفى مقدمتهم الملائكة يخضعون له ولا يستكبرون عن طاعته (١)

---

(١) تسبق هذه الاية ركب العلم فى تقرير وجود أحياء تدب على بعض الكواكب فى مجموعتنا الشمسية أو خارج نطاقها ، وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول الى حقيقته .



يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۩

۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ ۖ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ

٥٠ ــ وحالهم أنهم دائما على خوف من ربهم القادر القاهر ، ويفعلون ما يأمرهم به ٠

***

٥١ ــ وقال الله : لاتعبدوا اثنين ، وتجعلوهما الهين ، لأن الشركة فى العبادة تنافى وحدانية الخلق والتكون ، انما المعبود بحق اله واحد ،فخافونى ولا تخافوا غيرى ٠

***

٥٢ ــ وله وحده ما فى السموات والأرض خلقا ، وملكا وعبيدا ، فحقه دون غيره أن يعبد ويحمد ، ويخضع له وترجى رحمته ويخاف عذابه

***

٥٣ ــ وأى شيء جاءكم من النعم فهو من الله وحده ، ثم اذا لحقكم ما يضركم فلا تتضرعوا بأعلى أصواتكم الا اليه ٠

***

٥٤ ــ ثم اذا استجاب لدعائكم ورفع ذلك الضر عنكم ، نسى بعضكم حق الله عليه من التوحيد واخلاص العبادة له ، فيشركون بخالقهم ومربيهم، ويعبدون معه غيره ٠

***

٥٥ ــ ذلك يحدث منهم لتكون عاقبة أمرهم انكار فضلنا على ما اعطيناهم، فتمتعوا أيها الكافرون بما لاتؤدون حق شكره ؛ فسوف تعلمون عاقبة الكفر !

***

٥٦ ــ ويجعل المشركون لأوثانهم ، التى يسمونها بغير علم آلهة ، نصيبا يتقربون به اليها ، من الرزق الذى أعطيناهم اياه من الحرث والأنعام وغيرهما لأسألكم وعزتى ، أيها المشركون ، عما كنتم تختلقونه من الكذب وتفترونه من الباطل ، وأجازيكم عليه ٠

***

٥٧ ــ ويجعلون لله ما يكرهون ، فيزعمون أن الملائكة بنات ، ويعبدونها تنزه الله عن ذلك ! ويجعلون لأنفسهم ما يحبون ، وهم الذكور من الأولاد

***

٥٨ ــ وهم اذا خبر أحدهم بانه ولدت له أنثى ، صار وجهه مسودا من الحزن وهو مملوء غيظا يكظمه

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم

مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ

فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ

لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾

تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

٥٩ ـ يحاول الاختفاء عن أعين الناس ، لئلا يروا كآبته من الألم الذى أصابه من وجود المولود الذى اخبروه به ، وتستولى عليه حيرة : أيبقيـــه حيا مع ما يلحقه من الهوان على ذلك فى زعمه ؟! أم يدفنه فى التراب وهو حى حتى يموت تحته ؟ تنبه أيها السامع لفظاعة عمل هؤلاء أقبح حكمهم الذين ينسبون فيه لله ما يكرهون ان ينسب الى أنفسهم ٠٠

***

٦٠ ـ للذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب الحال التى تسوء ، وهى الحاجة الى الأولاد الذكور وكراهة الاناث ، ولله الصفة العليا ، وهو الغنى عن كل شىء ، فلا يحتاج الى الولد ، وهو الغالب القوى الذى لايحتاج الى معين ٠

***

٦١ ـ ولو يعجل الله عقاب الناس بما ارتكبوا من ظلم ، ما ترك عـلى ظهر الأرض دابة ، ولكنه بحلمه وحكمته يؤخر الظالمين الى وقت عينه ، وهو وقت انتهاء آجالهم ، فاذا جاء هذا الوقت لايتأخرون عنه لحظة كما لايتقدمون عليه لحظة ٠

***

٦٢ ـ وينسب المشركون الى الله ما يكرهون أن ينسب اليهم من البنات والشركة ، وتنطق ألسنتهم الكذب اذ يزعمون مع ذلك أنهم ، كما أن لهم فى الدنيا الغنى والسلطان ، لهم عند الله العاقبة الحسنى ، ان بعثوا ، وهى الجنة ! ٠ لاشك أن لهم النار ، وأنهم مسوقون اليها قبل غيرهم ٠

***

٦٣ ـ تأكد أيها النبى أننا أرسلنا رسلا الى أمم من قبلك بمثل ماأرسلناك به الى الناس جميعا ، فحسن لهم الشيطان الكفر والشرك والمعاصى فكـذبوا رسلهم ، وعصوهم ، وصدقوا الشيطان وأطاعوه ، فهو متولى أمورهم فى الدنيا يزين لهم ما يضرهم ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد الألم ٠

***

٦٤ ـ وما أنزلنا عليك القرآن الا لتبين به للناس الحق فيما كان موضع خلافهم من الدين ، وليكون هداية تامة ورحمة عامة لقوم يؤمنون بالله وبالكتاب الذى أنزله ٠

***

٦٥ ـ والله أنزل من السماء ماء يحمله السحاب ، فجعل الأرض منبتة



يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ
مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا
لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ
مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ
عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ

فيها حياة ، بعد أن كانت قاحلة لاحياة فيها · ان فى ذلك لدليلا واضحـــا على وجود مدبر حكيم (١)

٦٦ ــ وان لكم أيها الناس فى الابل والبقر والغنم لموعظة تعتبرون بهـــا وتنتقلون فى هداها من الجهل الى العلم بالصانع المبدع الحكيم ، ونسقيكم من بعض ما فى بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبنا صافيا لذيذا سهل التناول للشاربين (٢)

٦٧ ــ ومن ثمرات النخيل والأعناب التى أنعمنا بها عليكم ومكناكم منها تتخذون عصيرا مسكرا غير حسن ، وطعاما طيبا حسنا · ان فى ذلك لعلامة دالة على القدرة والرحمة لقوم ينتفعون بعقولهم ·

٦٨ ــ وألهم ربك ، أيها النبى ، النحل أسباب حياتها ، ووســـائل معيشتها ، بأن تتخذ من الجبال بيوتا فى كهوفها ، ومن فجوات الشجر ،ومن عرائش المنازل والكروم بيوتا كذلك ·

٦٩ ــ ثم هداها ، سبحانه ، للاكل من كل ثمرات الشجر والنبـات ، وسهل لها أن تسلك لذلك طرقا هيأها لهاربها مذللة سهلة ، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود صانع قادر حكيم ، ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم بالتـــأمل فيفوزون بالسعادة الدائمة (٣)

٧٠ ــ والله خلقكم ، وقدر لكم آجالا مختلفة ، منكم من يتوفاه مبكرا ، ومنكم من يبلغ أرذل العمر فيرجع بذلك الى حال الضعف ، اذ تأخذ حيويته فى الضعف التدريجى ، فيقل نشاط الخلايا وتهن العظام والعضلات والأعصاب فتكون عاقبته أن يفقد كل ما علمه ! · ان الله عليم بأسرار خلقه ، قـادر عـلى تنفيذ ما يريده ·

٧١ ــ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فجعل رزق السيـــد المالك أفضل من رزق مملوكه ، فما الذين كثر رزقهم من السادة بمعطين

---

(١) ينزل الماء من السماء الى الارض ليذيب عناصرها التى تمتصها النباتات وتتحول الى خلايا حية وانسجة .

(٢) توجد فى ضروع الماشية غـدد خاصة لافراز اللبن تمدها الاوعية الشريانية بخلاصة مكونة من الدم ، والكيلوز ، وهو خلاصة الغذاء المهضوم ، وكلاهما غير مستساغ طعما ، ثم تقوم الغــدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين : الـدم والكيلوز ، وتفـرز عليهما عصارات خاصة تحيلها الى لبن يختلف فى لونه ومذاقه اختلافا تاما عن كل منهما .

(٣) يتركب عسل النحل من كميـة كبيرة من الجلوكـــوز والفركتوز وهو اســـهل انواع السكريات فى الهضم ، وثبت فى اخر الابحـاث الطبية ان الجلوكوز مفيد فى كثير من الامراض ويعطى بطريق الحقن والفم والشرج ، بصفته مقويا ، ويعطى ضد التسمم فى مختلف المعادن وضد التسمم الناشىء من امراض الاعضــاء ، مثل التسمم البولى والصفراء ، وغيرهما ، كما ثبت انه يحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات خصوصا فيتامين ب المركب .

عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ



ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا
رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا
يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

نصف رزقهم لعبيدهم المملوكين لهم ، حتى يصيروا مشاركين لهم فى الرزق على حد المساواة ! • واذا كان هؤلاء الكفار لايرضون أن يشاركهم عبيدهم فى الرزق الذى جاء من عند الله ، مع أنهم بشر مثلهم ، فكيف يرضون أن يشركوا مع الله بعض مخلوقاته فيما لا يليق الا به تعالى ، وهو استحقاق العبادة ؟ فهل تستمر بعد كل هذا بصائرهؤلاء المشركين مطموسة ، فيجحدوا نعمة الله عليهم باشراكهم معه غيره •

٧٢ ـ والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء بنين ، ورزقكم ما أباحه لكم مما تطيب به نفوسكم أبعد ذلك يشرك به بعض الناس ، فيؤمنون بالباطل ، ويجحدون نعمة الله المشاهدة ، وهى التى تستحق منهم الشكر ، واخلاص العبادة لله (١)

٧٣ ـ ويعبدون غير الله من الأوثان وهى لا تملك ان ترزقهم رزقا ـ أى رزق ـ ولو قليلا سواء كان هذا الرزق آتيا من جهة السماء كالماء أمخارجا من الأرض كثمر الاشجار والنبات ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل شيئا من ذلك ولا أقل منه !

٧٤ ـ وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم ، فلا تذكروا لله تعالى أشباها ، وتبرروا عبادتها بأقيسة فاسدة ، وتشبيهات غير صحيحة ،تعبدونها معه ! ان الله يعلم فساد ما تعملون ، وسيجازيكم عليه ، وأنتم فى غفلة لا تعلمون سوء مصيركم !

٧٥ ـ جعل الله مثلا يوضح فساد ما عليه المشركون ، هو عبد مملوك لايقدر على فعل شيء ، وحر رزقه الله رزقا طيبا حلالا ، فهو يتصرف فيه ،وينفق منه فى السر والجهر ! هل يستوى العبيد الذين لايقدرون على شيء ، والأحرار الذين يملكون ويتصرفون فيما يملكون ؟ ان الله مالك كل شيء ، فهو يتصرف فى ملكوته كما يريد ، وغيره لا يملك أى شيء فلا يستحق ان يعبد ويحمد ، الثناء كله حق لله وحده ، والتنزيه له وحده ، وله العلو وحده ، لأن كل خير

---

١ ـ الزواج رابطة مقدسة ، وهو أصل الاسرة التى هى نواة الامة والمجتمع ، والزواج ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت فى الانسان كما اودعت فى غيره من أنواع الحيوان ، ولولا الزواج الذى هو تنظيم مقدرة الفطرة المشتركة بين الانسان والحيوان لتساوى الانسان مع غيره من أنواع الحيوان فى سبيل تلبية الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع ، وعندئذ لا يكون الانسان ذلك المخلوق الذى سواه الله وأودع فيه العقل والفكر وفضله على كثير من خلقه واستخلفه الارض .

واذا كان الوضع الالهى للانسان فى هذه الحياة يقضى بتنظيم الفطرة الخاصة بالزواج سموا به عن فوضى الحيوان ، فان الانسان من جهة أخرى مطبوع على حب البقاء ، واذا كان لا سبيل له الى بقائه بذاته وهو يؤمن بذلك من صنع الله فى ابائه واجداده وسائر الاحياء فانه يرى أن سبيله الى البقاء انما هو فى نسله المعروف ، اليه يراه امتدادا لبقائه واستمرارا وخلودا .

ولعل من اوضح ما يملأ فطرته به قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم ازواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) .



وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ
مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ
سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا
يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا
وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ
لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ

صدر عنه ، وكل جميل مرده اليه . ولا يفعل هؤلاء ما يفعلون عن علم ، وانما يفعلون ما يفعلون تقليدا لرؤسائهم ، بل أكثرهم لا يعلمون ، فيضيفون نعمه الى غيره ، ويعبدونه من دونه !

٧٦ ـ وجعل الله مثلا آخر هو رجلان : احدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم غيره ، كل على من يلي أمره ، اذا وجهه سيده الى جهة ما لايرجع بفائدة . هل يستوى هذا الرجل مع رجل فصيح قوى السمع ، يأمر بالحق والعدل ، وهو فى نفسه على طريق قويم لاعوج فيه ؟ ان ذلك الأخرس الذى لايسمع ولا يتكلم ولا يفهم ولا يفهم ، هو مثل الأصنام التى عبدوها من دون الله ، فانها لاتسمع ولا تنطق ولا تنفع ، فلا يمكن أن تستوى مع السميع العليم الداعى الى الخير والحق ، والى الطريق المستقيم .

٧٧ ـ ولله وحده علم ما غاب عن العباد فى السموات والأرض ، وما أمر مجيء يوم القيامة ، وبعث الناس فيه ، عند الله فى السرعة والسهولة ، الا كرد طرف العين بعد فتحها ! بل هو أقرب سرعة من ذلك . ان الله عظيم القدرة لايعجزه أى شيء

٧٨ ـ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تدركون شيئا مما يحيط بكم، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وسائل للعلم والادراك ، لتؤمنوا به عن طريق العلم ، وتشكروه على ما تفضل به عليكم (١)

٧٩ ـ ألم ينظر المشركون الى الطير مذللات للطيران فى الهواء الى السماء بما زودها الله به من أجنحة أوسع من جسمها تبسطها وتقبضها ، وسخر الهواء لها . فما يمسكهن فى الجو الا الله بالنظام الذى خلقها عليه ؟ ان فى النظر اليها والاعتبار بحكمة الله فى خلقها ، لدلالة عظيمة ينتفع بها المستعدون للايمان (٢)

٨٠ ـ والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على انشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن ، وجعل لكم من جلود الابل والبقر والغنم وغيرها أخبية تسكنون فيها وتنقلونها فى حلكم وترحالكم ، وجعلكم تتخذون من صوفها وشعرها ووبرها فرشا تتمتعون بها فى هذه الدنيا الى حين آجالكم

---

(١) اثبت الطب الحديث ان حاسة السمع تبدأ مبكرة جدا فى حياة الطفل فى الاسابيع القليلة الاولى ، اما البصر فيبدأ فى الشهر الثالث ، ولا يتم تركيز الابصار الا بعد الشهر السادس ، اما الفؤاد ، وهو الادراك والتمييز ، فلا يتم الا بعد ذلك . وهكذا فالترتيب الذى جاءت به آيات القرآن الكريم هو ترتيب ممارسة هذه الحواس .

(٢) الطيور تطير لعدة أشياء فى تكوينها : اهمها شكل الجسم الانسيابي ، والبسطة فى الاجنحة المزودة بالريش ، والعظام المجوفة الخفيفة ، والاكياس الهوائية بين الاحشاء ، وهى متعلقة بالرئتين ، وتمتلىء بالهواء عند الطيران فيخف وزن الجسم .



يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

٨١ ـ والله جعل لكم من الأشجار التى خلقها وغيرها ظلالا تقيكم شر الحر ، وجعل لكم من الجبال كهوفا ومغارات تسكنون فيها كالبيوت ، وجعل لكم ثيابا من الصوف والقطن والكتان وغيرها ، تصونكم من حرارة الشمس ، ودروعا من الحديد تصونكم من قسوة حروب أعدائكم . كما جعل لكم هـذه الاشياء ، يتم عليكم نعمته بالدين القيم ، لتنقادوا لأمره وتخلصوا عبادتكم له دون غيره !

٨٢ ـ فان أعرض عنك أيها النبى الذين تدعوهم الى الاسلام ، فلا تبعة عليك فى أعراضهم ، فليس عليك الا التبليغ الواضح ، وقد فعلت ..

***

٨٣ ـ ان اعراض هؤلاء الكفار ليس لأنهم يجهلون أن الله سبحانه هو مصدر كل النعم عليهم ولكنهم يعملون عمل من ينكرها حيث لم يشكروه عليها، وأكثرهم جمد على تقليد الآباء فى الكفر بالله ، حتى كان أكثرهم هم الجاحدون

٨٤ ـ وحذر أيها النبى كل كافر بربه مما سيحصل ، يوم نبعث من كل أمة نبيا ليشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها ، واذا أراد الكافر منهم ان يعتذر لايؤذن له فى الاعتذار ، ولا يوجد لهم شفيع يمهد لشفاعته ، بأن يطلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم ، لأن الآخرة ليست دار توبة .

***

٨٥ ـ واذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم ، وطلبوا أن يخففه الله عنهم ، لايجاب لهم طلب ، ولا يؤخرون عن دخول جهنم لحظة .

٨٦ ـ واذا رأى الذين أشركوا آلهتهم التى عبدوها وزعموا أنها شركاء لله قالوا : ياربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مخطئين ، فخفف عنا العذاب بالقاء بعضه عليهم ! .فيجيبهم شركاؤهم قائلين : انكم أيها المشركون لكاذبون فى دعواكم اننا شركاء ، وانكم عبدتمونا ! انما عبدتم أهواءكم ولسنا كما زعمتم شركاء .

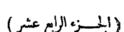
٨٧ ـ حينئذ استسلم المشركون لله ، وخضعوا لقضائه ، وغاب عنهم ماكانوا يختلقونه من أن معبوداتهم تشفع لهم ، وتدفع العذاب عنهم ! .

***

٨٨ ـ الذين كفروا ومنعوا غيرهم عن طريق الله ، وهو طريق الخير والحق ، زدناهم عذابا فوق العذاب الذى استحقوه بالكفر ، بسبب ماكانوا يتعمدونه من الافساد واضلال العباد !

***

٨٩ ـ وحذر ايها النبى ، كفار قومك مما سيحصل يوم تحضر من كل أمة شهيدا عليها ، هو نبيها الذى يكون بين أبنائها ، ليكون ذلك اقطع لعذرها ، ونجىء بك أيها النبى شهيدا على هؤلاء الذين كذبوك ، وعليهم أن





عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ
بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن
تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ
وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

يعتبروا من الآن . قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الحق ، وفيه الهداية وفيه الرحمة والبشرى بالنعيم ، للذين يذعنون له ويؤمنون به .

٩٠ ان الله يأمر عباده بأن يعدلوا فى أقوالهم وأفعالهم ، ويقصدوا الى الأحسن من كل الأمور فيفضلوه على غيره ، كما يأمر باعطاء الأقارب مايحتاجون اليه لدعم روابط المحبة بين الاسر ، وينهى عن فعل كل خطيئة ، خصوصا الذنوب المفرطة فى القبح ، وكل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة ، كما ينهى عن الاعتداء على الغير ، والله سبحانه بهذا يذكركم ويوجهكم الى الصالح من أموركم ، لعلكم تتذكرون فضله فى حسن توجيهكم ، فتمتثلوا كلامه

٩١ ــ وأوفوا بالعهود التى تقطعونها على أنفسكم ، مشهدين الله عن الوفاء بها ، مادام الوفاء متسقا مع ما شرعه الله ، ولا تنقضوا الأيمان بالحنث فيها ، بعد تأكيدها بذكر الله ، وبالعزم أو بالتصميم عليها ، وقد راعيتم فى عهودكم وحلفكم ان الله يكفل وفاءكم ،وان الله رقيب ومطلع عليكم ، فكونوا عند عهودكم وأيمانكم ، لأن الله سبحانه يعلم ما يكون منكم من وفاء وخلف وبر وحنث ، فيجازيكم على ما تفعلون .

٩٢ ــ ولا تكونوا فى الحنث فى أيمانكم بعد توكيدها مثل المرأة المجنونة التى تغزل الصوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنقضه وتتركه محلولا ، متخذين أيمانكم وسيلة للتغرير والخداع لغيركم ، مع أنكم مصرون على الغدر بهم ، لأنكم أكثر وأقوى منهم ، أو تنوون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم . أولترجوا زيادة القوة بالغدر وانما يختبركم الله ، فان آثرتم الوفاء كان لكم الغنى فى الدنيا والآخرة ، وان اتجهتم الى الغدر كان الخسران .. وليبين لكم يوم القيامة حقيقة ما كنتم تختلفون عليه فى الدنيا،ويجازيكم،حسب أعمالكم(١)

٩٣ ــ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة فى الجنس واللون والايمان ، ليس بينها تخالف ، وذلك بخلقكم خلقا آخر ، كالملائكة لا اختيار لها ؛ ولكن شاء الله ان تختلفوا فى الأجناس والالوان ، وان يجعل لكم اختيارا ، فمن اختار شهوات الدنيا وآثارها على رضا الله تركه وما يريد ، ومن أراد رضا

---

(١) هاتان الايتان تدلان على ان اساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم مع العدالة الوفاء بالعهد وان العلاقات الدولية لا تنظم الا بالوفاء بالعهد وان الدول الاسلامية اذا عقدت عهدا فانما تعقده باسم الله فهو يتضمن يمين الله وكفالته، وتدل الاية على ثلاثة معان لو نفذتها الدول لساد السلم .

اولها : انه لا يصح ان تكون المعاهدات سبيلا للخديعة والا كانت غشا ، والغش غير جائز فى العلاقات الانسانية سواء كانت علاقات احاد ام علاقات جماعات ودول .

ثانيها : ان الوفاء بالعهد قوة فى ذاته وان من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بناه من اسباب القوة فيكون كالحمقاء التى تفك غزلها بعد تقويته وتوثيقه .

ثالثها : انه لا يصح ان يكون الباعث على نكث العهد الرغبة فى القوة او الزيادة فى رقعة الارض او نحو ذلك .

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ
ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ
وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم
بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ
بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا
بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ

الله بالعملَ الصالح سهل له ما أراد • وتأكدوا بعد ذلك أنكم ستسألون جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا ، وتجازون حسب أعمالكم •

٩٤ ـ ولا تسلكوا سبيل الغدر ، فتتخذوا الأيمان سبيلا للتغـــرير والخديعة ، فانه بسبب ذلك تزل الأقدام فتبتعدوا عن المحجة المستقيمة ،ويكون فى ذلك أعراض عن سبيل الله فى الوفاء ، وتكونون قدوة سيئة فى الغدر ، ويرى الناس فيكم صورة مشوهة للاسلام ، فيعرضون عنه ، وينزل السوء بكم فى الدنيا لعدم الثقة فيكم بسبب صدكم عن طريق الحق ، وينزل بكم عذاب مؤلم شديد الايلام •

٩٥ ـ ولا تستبدلوا بالوفاء بالعهود المؤكدة متاع الدنيا ، فهو قليل مهما كان كثيرا ، لان ماعند الله ، من جزاء المحافظين على العهد فى الدنيا ، ومن نعيم الآخرة الدائم ، خير لكم من كل ما يغريكم بنقض العهود ، فتدبروا ذلك وافهموه ان كنتم من أهل العلم والتمييز بين الصالح وغير الصالح ، ولاتفعلوا الا ما فيه صلاح لكم فى دنياكم وأخراكم •

٩٦ ـ فان ما عندكم أيها الناس من نعيم ينفد وينتهى مهما طال زمنه ، وما عند الله من نعيم الآخرة خالد لاينقطع ، ولنكافئن الذين صبروا على مشاق التكاليف بما وعدناهم به ، من حسن الثواب المضاعف على أعمالهم ، ينعمون به نعيما دائما فى الآخرة ••

٩٧ ـ ان من عمل عملا صالحا فى هذه الدنيا ، سواء أكان ذكرا أم أنثى، مندفعا الى هذا العمل الصالح بقوة الايمان ، بكل مايجب الايمان به ، فاننا لابد ان نحييه فى هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنغيص فيها ، تغمرهـــا القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا ، والشكر على نعم الله فيها ، وفى الآخرة لابد أن نجزى هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على اعمالهم فى الدنيا •

٩٨ ـ وان الذى يحمى النفس من نزعات الهوى هو القـــرآن ، فاذا تدبرت هذا أيها المؤمن وأردت ان تحيا بعيدا عن تلاعب الشيطان ، وتفـوز بطيب الحياة فى الدارين ، فانى أرشدك الى أمر يعينك على هذا ، وهو قراءة القرآن ، واذا أردت قراءة القرآن ، فاستفتح قراءته بالدعاء الخالص الى الله أن يمنع عنك وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله ، الذى يطيب له أن يغرر بالناس ويوقعهم فى عصيان الله •

٩٩ ـ فانك ان فعلت هذا مخلصا لله ، حماك الله منه ، وبعدت عنـك وساوسه ، لأنه ليس له تأثير على الذين عمرت قلوبهم بالايمان بالله ،واستمداد العون منه وحده ، والاعتماد عليه •

١٠٠ ـ انما تأثيره وخطره على الذين خلت قلوبهم من التعلق بالله وحبه فلم يكن لهم عاصم من تأثيره ، فانقادوا له كما ينقاد الصديق لصديقه ، حتى أوقعهم فى أن يشركوا بالله فى العبادة آلهة لاتضر ولا تنفع •

إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ
رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي
ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا
مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ
بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

١٠١ ـ واذا جعلنا معجزة لك بدلَ معجزة مساوية لنبى سابق ،فجئناك بالقرآن معجزة ، رموك بالافتراء والكذب على الله ، والله وحده هو العليم علما ليس فوقه علم بما ينزل على الأنبياء من معجزات ، ولكن أكثرهم ليسوا من اهل العلم والمعرفة الصادقة ٠

***

١٠٢ ـ قل لهم مبينا منزلة معجزتك أيها النبى : ان القرآن قد نزله على من ربى جبريل الروح الطاهر ، مقترنا بالحق ، مشتملا عليه ، ليثبت به قلوب المؤمنين ، وليكون هاديا الناس الى الصواب ومبشرا بالنعيم كل المسلمين

***

١٠٣ ـ اننا لنعلم ما يقوله كفار مكة : انه لايعلم محمدا هذا القرآن الا رجل من البشر نعرفه ، هو شاب رومي ، وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول وقولهم هذا باطل ، لأن الشاب الذى يقولون عنه انه يعلمك هذا التعليم أعجمى لايحسن العربية ، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة ، الى حد انكم عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها ، فكيف يصح بعد ذلك اتهامكم ؟!

***

١٠٤ ـ ان الذين لايذعنون لآيات الله التى عجزوا عن محاكاتها ،واصروا مع عجزهم على كفرهم بها ، لايهديهم الله . ولهم فى الآخرة عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم ؟

***

١٠٥ ـ انما يجرؤ على افتراء الكذب على الله من لايؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم وحدهم البالغون فى الكذب نهايته ، ولست أيها النبى من هؤلاء حتى يتهموك بما اتهموك به ٠

***

١٠٦ ـ ان الذين ينطقون بالكفر بعد الايمان ، عليهم غضب من الله ، الا من أكره على النطق بكلمة الكفر ، وهو عامر القلب بالايمان ، فانه ناج من غضب الله أما الذين تنشرح قلوبهم للكفر ، وتتجاوب مع قلوبهم السنتهم فأولئك عليهم غضب شديد من الله الذى أعد لهم عذابا عظيما فى الآخرة ٠

***

١٠٧ وذلك الذى استحقوه من غضب الله وعذابه ٠ انما كان بسبب حبهم الشديد لنعيم الدنيا ومتاعها الزائل ، حتى صرفهم هذا الحب عن الحق ، وأعماهم عن الخير ، فتركهم الله وما يحبون من الكفر ، لأنه قد جرت سنته فى خلقه بترك أمثال هؤلاء ، وعدم هدايتهم لفسادهم ، وتماديهم فى الباطل ٠





أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَٰجَرُوا۟
مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ
تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً
مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟
مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

١٠٨ ــ هؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فصارت لا تقبل الحق ، وعلى اسماعهم فلم يعودوا يسمعون سماع فهم وتدبر ، كأنهم صم ، وعلى أبصارهم فلا ترى ما فى الكون أمامهم من عبر ودلالات ، وأولئك هم الغارقون فى الغفلة عن الحق ، فلا خير فيهم الا اذا أزالوا الغفلة عن عقولهم ٠

***

١٠٩ ــ وهؤلاء لا شك انهم وحدهم هم الخاسرون لكل خير فى الآخرة ؟

***

١١٠ ــ ثم اعلم أيها النبى أن ربك معين وناصر للذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم من الضغط ، وبأنفسهم من عذاب المشركين ، ثم جاهدوا بما يملكون الجهاد به من قول أو فعل ٠ وصبروا على مشاق التكاليف ، وعلى ما يلاقونه فى سبيل دينهم ٠ ان ربك من بعد ما تحملوا ذلك لغفور لما حصل منهم ان تابوا ، رحيم بهم فلا يؤاخذهم على ما أكرهوا عليه ٠

***

١١١ ــ اذكر لقومك ايها النبى ، محذرا اياهم ، يوما يأتى فيه كل انسان لايهمه الا الدفاع عن نفسه ، لايشغله عنها والد ولا ولد ، وهو يوم القيامة ، ويوفى الله فيه كل نفس جزاء ماكسبت من أعمال ، خيرا كانت أم شرا ، ولا يظلم ربك أحدا ٠

***

١١٢ ــ وجعل الله سبحانه لأهل مكة مثلا يعتبرون به هو قصة قرية من القرى ، كان أهلها فى أمن من العدو ، وطمأنينة من ضيق العيش ، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان ، فجحدوا نعم الله عليهم ،ولم يشكروه بطاعته وامتثال أمره ، فعاقبهم الله بالمصائب التى أحاطت بهم من كل جانب ،وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن ، وذلك بسبب تماديهم فى الكفر والمعاصى ٠

***

١١٣ ــ ولقد جاءهم رسول منهم ، فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك، ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا ، فأخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم ، وبسبب هذا الظلم ٠

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ
وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ

١١٤ ـ اذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبدلها أبؤسا ، فاتجهوا أيها المؤمنون الى الشكر ، وكلوا مما رزقكم الله وجعله حلالا طيبا لكم ولاتحرموه على أنفسكم ، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته وحده أن كنتم تخصونه حقا بالعبادة ٠٠

***

١١٥ ـ فان الله لم يحرم عليكم الا اكل الميتة ، والدم الذى ينـزل من الحيوان عند ذبحه ، ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله ، فمن الجأته ضرورة الجوع الى تناول شيء مما حرمه الله عليكم ، غير طالب له ، ولا يتجاوز فى أكله حد ازالة الضرورة ، فان الله لايؤاخذه على ذلك ، لأنه سبحانه غفور لعباده. يغفر لهم ما يقعون فيه من أخطاء لايصرون عليها ، رحيم بهم حين منعهم مما يضرهم ، وأباح لهم ما يحفظ حياتهم ٠

***

١١٦ ـ واذا كان الله قد بين لكم الحلال والحرام ، فالتزموا ما بين لكم ، ولا تتجرءوا على التحليل والتحريم انطلاقا وراء ألسنتكم ، فتقولوا : هذا حلال ، وهذا حرام ، فتكون عاقبة قولكم هذا أنكم تفترون على الله الكـذب ، وتنسبون اليه ما لم يقله ! ان الذين يفترون على الله الكذب لايفوزون بخير ولا فلاح ٠

***

١١٧ ـ واذا كانوا يجرون بذلك وراء شهواتهم ومنافعهم الدنيوية ، فان تمتعهم بها قليل زائل ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد ٠

***

١١٨ ـ ولم تحرم الا على اليهود وحدهم ما قصصناه عليك أيها النبى من قبل نزول هذه الآيات ، وهو كل ذى ظفر ، وشحوم البقر والغنم ، الا مـا حملت ظهورها ؛ أو الحوايا أو ما اختلط بالعظام ٠ وما ظلمناهم بهذا التحريم ، ولكنهم الذين ظلموا أنفسهم ، لتسببهم فيه بسبب تماديهم وشرهم وعـدم وقوفهم عند الحلال ٠٠

***

١١٩ ـ ثم ان الذين عملوا السوء تحت تأثير طيش وغفلة عن تـدبر العواقب ، ثم تابوا من ذلك الذنب ، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم ، فان ربك أيها النبى يغفر لهم ذنوبهم ، لأنه سبحانه بعد هذه التوبة كثير التجاوز عن السيئات ، واسع الرحمة بالعباد ٠

***

١٢٠ ـ ان ابراهيم الذى تفخرون أيها المشركون أنتم واليهود كان جامعا لكل الفضائل ، بعيدا عما أنتم عليه من باطل ، خاضعا لأمر ربه ، ولم يكـن مثلكم مشركا به ٠

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢١ ــ وكان شاكرا لنعم ربه عليه ، ولهذا كله اختاره الله لحمل رسالته ، ووفقه لسلوك طريق الحق المستقيم الموصل للنعيم الدائم ٠

١٢٢ ــ وجعلنا له فى الدنيا ذكرا حسنا على كل لسان ، وسيكون قطعا فى الآخرة فى زمرة الصالحين المنعمين بجنات الله ورضوانه ٠

١٢٣ ــ ثم أوحينا اليك ــ أيها النبى ــ بعد ابراهيم بقرون عديدة ، وأمرناك باتباع ابراهيم فيما دعا اليه من التوحيد والفضائل والبعد عن الاديان الباطلة ، فانه لم يكن من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون ٠

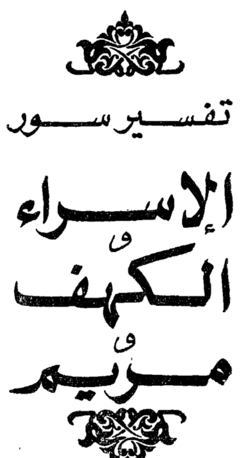
١٢٤ ــ وليس تعظيم يوم الجمعة ، وترك تعظيم يوم السبت فى الاسلام، مخالفا لما كان عليه ابراهيم كما يدعى اليهود ، فان تحريم الصيد يوم السبت احتراما له لم يكن من شريعة ابراهيم ، وانما فرض على اليهود فقط ، ومع ذلك لم يحترموه ، بل خرج بعضهم على هذا التعظيم ، وخالفوا أمر ربهم فكيف يعيبون على غيرهم ممن لم يكلف بتعظيمه عدم تعظيمه ، مع أنهم وهم المكلفون بذلك خرجوا عليه ؟ وتاكد ايها النبى أن ربك سيقضى بينهم يوم القيامه فى الأمور التى اختلفوا فيها ، ويجازى كلا منهم بعمله ٠

١٢٥ ــ أيها النبى : ادع الى طريق الحق الذى شرعه ربك مع قومك ، واسلك فى دعوتهم الطريق الذى يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لعقولهم ، وادع عوامهم منهم بما يناسبهم من ايراد المواعظ ، وضرب الأمثال التى توجههم الى الحق، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل اصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالمنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التى لايشوبها عنف ولاسباب حتى تتمكن من اقناعهم واستمالتهم ٠ هذا هو الطريق لدعوة الناس الى الله على اختلاف ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، وآترك أمرهم بعد ذلك الى ربك الذى يعلم من غرق فى الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، ومن سلم طبعه فاهتدى وآمن بما جئتهم به ٠

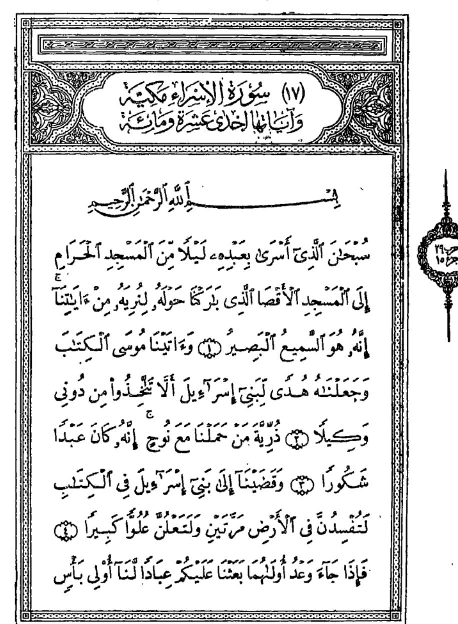
١٢٦ ــ وان أردتم عقاب من يعتدى عليكم أيها المسلمون ، فعاقبوه بمثل ما فعل بكم ، ولا تتجاوزوا هذا المثل ، وتأكدوا أنكم لو صبرتم ، ولم تقتصوا لأنفسكم ، لكان خيرا لكم فى الدنيا والآخرة ، فعاقبوا لأجل الحق ، ولا تعاقبوا لأجل أنفسكم ٠

١٢٧ ــ واصبر أنت ــ أيها النبى ــ فان ذلك يسهل عليك كثيرا من مشقات الحياة ، ويعالج مشاكلها ، ولا تحزن على عدم استجابة قومك لدعوتك، وايمانهم بك ، ولا يضيق صدرك من مكرهم وتدبيراتهم لخنق دعوتك ، فانك لن يضرك شىء من فعلهم ، وقد أديت ما عليك واتقيت ربك ٠

١٢٨ ــ فان ربك مع الذين اتقوا غضب الله باجتناب نواهيه ، وأحسنوا لله أعمالهم بالاقبال على طاعته ، يعينهم وينصرهم فى الدنيا ، ويجزيهم خير الجزاء فى الآخرة ٠


تفسير سور
الإسراء
و
الكهف
و
مريم



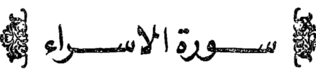


(١٧) سُورَةُ الإِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى
وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾
فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ

حزب ٢٩ ج ١٥



سورة الاسراء

تشتمل هذه السورة الكريمة على احدى عشرة آية ومائة ، وهى سورة مكية الا الآيات ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ ومن آية ٧٣ الى ٨٠ ، فمجموع الآيات المدنية اثنتا عشرة آية . ابتدأت السورة بتسبيح الله تعالى ، ثم ذكرت الاسراء، ثم رسالة موسى ، وما كان من بنى اسرائيل . ثم أشارت الى منزلة القرآن الكريم فى الهداية ، والى الآيات الكونية فى الليل والنهار ، وما يكون للناس يوم القيامة من جزاء على ما يقدمون من أعمال فى الدنيا . وبين سبحانه أسباب فساد الأمم ، وحال الأفراد فى مساعيهم ونتائج اعمالهم فى الآخرة ، وجاءت الآيات من بعد ذلك باكرام الوالدين ، وحال الناس بالنسبة لأموالهم ، وجاءت بأوامر عشرة فيها بناء المجتمع الفاضل ، ثم رد سبحانه مفتريات المشركين بالنسبة للملائكة ، ثم بين القرآن تصريفه فى الحجج .

ثم اشار سبحانه الى ما يستحق من تحميد ، والى جحود المشركين ، وقدم سبحانه وصايا للمؤمنين ، وبين معاملته تعالى للكافرين فى الدنيا وفى الآخرة . ثم بين سبحانه أصل الخليقة الانسانية والشيطانية وهدد سبحانه المشركين بآياته، وبين بعد هذا سبحانه الكرامة الانسانية، وذكر سبحانه بعذاب يوم القيامة ثم ذكر محاولة المشركين لصرف النبى عن دعوته وتثبيت الله تعالى له وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك النبى بعدة وصايا هادية ، وأدعية ضارعة . ثم اشار سبحانه وتعالى الى منزلة القرآن الكريم ، وتكلم سبحانه عن الروح ، وأشار الى أسرارها ، ثم ذكر سبحانه اعجاز القرآن وعجز الجن والانس عن أن يأتوا بمثله ، وموقف الناس منه . وبين سبحانه قدرته على أن يأتى بآيات أخرى ، ثم بين منزلة القرآن فيما اشتمل عليه من الحق وحال المؤمنين الصادقين فى ايمانهم ، وما ينبغى من أن يحمدوا الله دائما ويكبروه .

***

١ ـ تنزيها لله عما لا يليق به ، وهو الذى سار بعبده محمدا فى جزء من الليل من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى ببيت المقدس ، الذى باركنا حوله لسكانه فى أقواتهم ، لنريه من أدلتنا ما فيه البرهان الكافى على وحدانيتنا وعظم قدرتنا ! ان الله وحده هو السميع البصير .

٢ ـ وان بيت المقدس كان يسكنه بنو اسرائيل من بعد موسى ، حتى افسدوا فيه ، فشردوا منه من قبل ، مع أننا أعطينا موسى التوراة ، وجعلنا فيها هداية لهم ، وقلنا لهم لا تتخذوا غير الله من تفوضون اليه أموركم .

٣ ـ أنتم أيها الاسرائيليون ذرية المخلصين الذين كانوا مع نوح فى الفلك بعد ايمانهم ونجيناهم من الغرق . اجعلوا نوحا قدوتكم كما جعله أسلافكم ، فانه كان عبدا كثير الشكر لله على نعمته .

٤ ـ وأنفذنا بقضائنا الى بنى اسرائيل فيما كتبناه فى اللوح المكنون انهم يفسدون فى بيت المقدس لا محالة مرتين ، فى كل مرة منهما كان الظلم والطغيان، وترك أحكام التوراة ، وقتل النبيين ، والتعاون على الاثم . وانه ليبسط سلطانكم وتعلون مستكبرين ظالمين .

شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ
وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ
عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ

٥ ــ فاذا جاء وقت عقاب أولاهما سلطنا عليكم ، بسبب افسادكم عبادا لنا أصحاب بطش شديد ، فأخذوا يسيرون فى داخل الديار ، لم يتركوا جزءا منها ، ليقتلوكم ، وكان وعد العقاب وعدا لابد أن يكون .

***

٦ ــ ثم لما استقام أمركم ، واهتديتم ، وجمعتم شملكم ، ورجعتم عن الفساد ، رددنا لكم الغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ورزقناكم أموالا وبنين ، وجعلناكم اكثر مما كنتم عددا .

***

٧ ــ وقلنا لهم : أن احسنتم فأطعتم الله ، كان احسانكم لأنفسكم فى الدنيا والآخرة ، وان أسأتم بالعصيان ، فالى أنفسكم تسيئون . فاذا جاء وقت عقاب المرة الآخرة من مرتى افسادكم فى الأرض ، بعثنا عليكم أعداءكم ، ليجعلوا آثار المساءة والذلة والكآبة بادية على وجوهكم ، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس ، فيخربوه كما دخلوه وخربوه أول مرة ، وليهلكوا ما غلبوا عليه اهلاكا شديدا .

***

٨ ــ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية ، ان تبتم ، وان عدتم الى الفساد عدنا الى العقوبة ، وجعلنا جهنم للكافرين سجنا ومحبسا .

***

٩ ــ ان هذا القرآن يرشد الناس للسبيل التى هى أقوم السبل وأسلمها . فى الوصول الى السعادة الحقيقية فى الدنيا ، ويبشر المؤمنين بالله ورسوله ، الذين يذعنون للحق ويعملون الأعمال الصالحات ، بالأجر العظيم يوم القيامة .

***

١٠ ــ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعددنا لهم فى جهنم عذابا شديد الألم .

***

١١ ــ وان فى طبع الانسان تعجلا فى الحكم على ما يقع من الناس ، وفى أقواله وأفعاله ، فهو يسارع بالدعوة الى الشر مسارعته فى الدعوة الى الخير ، ويسارع فى دعاء الله تعالى بأن ينزل الشر على من يبادر بالغضب عليه مسارعته بالدعاء له بالخير !

ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ
وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ
تَفۡصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ
وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ
كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ
رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا
فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾
وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا
لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا

١٢ ـ وجعلنا الليـل والنهار بهيئاتهما وتعـاقبهما علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا ، فأزلنا من الليل الضوء فلا يستبان فيه شيء ، وكانت علامته ظلاما لا ترى فيه الشمس ، تلك العلامة الكبرى ، وجعلنا النهار مبصرا ، وترى فيـه الشمس الآية الكبرى لتتجهـوا فى ضوء النهـار الى التصرف فى معاشكم ، ولتعلموا باختلاف الليل والنهـار عدد السنين وحساب الأشهـر والأيام وكل شيء لكم فيه مصلحة بيناه لكم بيانا واضحا ، لتقوم عليكم الحجة بعد تمام النعمة .

***

١٣ ـ والزمنا كل انسان عمله لزوم القلادة للعنق ، ونخرج له يوم القيامة كتابا فيه أعماله ، يلقاه مفتوحا ، ليسرع فى قراءته .

***

١٤ ـ ويقال له : اقرأ بقدرة الله ـ ولو لم يكن فى الدنيا قارئا ـ كتـاب أعمالك تكفيك نفسك اليوم حاسبة ومحصية عليك عملك .

***

١٥ ـ من اتبع طريق الحق فانما ينفع نفسه ، ومن حاد عنه فانما اثم ضلاله على نفسه ، ولا تتحمل نفس مذنبة فوق ذنبها ذنب نفس أخرى ، وما صح لنا أن نعذب احدا على فعل شيء قبل أن تبعث اليه رسولا من لدنا يهدى الى الحق ويردع عن الباطل .

***

١٦ ـ واذا قدرنا فى اللوح المحفوظ اهلاك أهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا ، سلطنا المترفين فيها فأفسدوا فيها ، وخرجوا عن جادة الحق ، واتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا ، وبذلك يحق عليها كلها العقاب ، فندمرها تدميرا شديدا .

***

١٧ ـ وكثيرا من أهل القرون من بعد نوح اهلكناهم بتمردهم على انبيائهم ، ويكفيك بيان ربك واعلامه ، لأنه العالم بكل شيء علما دقيقا كعلم من يبصر ، وهو الخبير بذنوب عباده البصير بها ، فلا يخفى عليه افعال احد من العبـاد وسيجازيهم بما يستحقون .



مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾



* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾

١٨ ـــ من كان يطلب متاع الدنيا العاجلة ويعمل له ، متخذا الأسباب ، ولا يوقن بميعاد ، ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة ، عجلنا له فى الدنيا ما نشاء تعجيله من البسط والسعة ، وكان هذا لمن نريد التعجيل له ، ثم اعددنا له فى الآخرة جهنم يقاسى حرها وهو مذموم بما قدم ، هالك مطرود من رحمة الله .

***

١٩ ـــ ومن أراد بعمله الآخرة ، ولها عمل ، وهو مصدق بالله وجزائه ، فأولئك كان عملهم مقبولا عند الله ينالون الثواب عليه .

***

٢٠ ـــ واننا نمد كلا الفريقين اذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك فى الدنيا ، وما كان عطاء ربك فيها ممنوعا من أحد ، مؤمنا كان أو كافرا ، ما داموا قد اتخذوا الأسباب .

***

٢١ ـــ انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعض عبادنا على بعض ، فى المال والجاه والسعة ، اذا اتخذوا أسباب ذلك فى الدنيا ، لحكمة نعلمها . وأن تفاوتهم فى الدار الآخرة أكبر درجات من تفاوتهم فى الدنيا ، فينبغى الاعتناء بها ، فالآخرة هى التى تكون فيها الرفعة الحقيقية والتفاضل الحقيقى .

***

٢٢ ـــ لا تجعل أيها المكلف مع الله شريكا ، فتصير موصوما بالاهانة ، ويكون الخذلان مكتوبا عليك .

***

٢٣ ـــ وحكم ربك بألا تعبدوا الا اياه ، وبأن تبروا الوالدين برا تاما ، واذا بلغ الوالدان أو أحدهما عندك أيها المخاطب حال الضعف وصارا فى آخر العمر ، فلا تتأفف لما يصدر منهما بصوت يدل على الضجر ، ولا تزجرهما ، وقل لهما قولا جميلا لينا فيه احسان اليهما وتكريم لهما .

***

٢٤ ـــ والن لهما جانبك وتواضع لهما شفيقا عليهما ، وقل فى شأنهما : رب ارحمهما كما رحمانى حين ربيانى صغيرا .

***

٢٥ ـــ ربكم أيها الناس أعلم منكم بما فى ضمائركم ، ويحاسبكم عليه بالثواب او العقاب فان تكونوا قاصدين الصلاح فاعلين له ، ثم كانت منكم هفوة ، ثم انبتم الى الله ، فان الله سبحانه يغفر لكم ، لانه دائم المغفرة للراجعين اليه .

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ
ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ
رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًۭٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ
كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

٢٦ ـــ وأعط ذا القربى حقه من البر والصلة ، وذا الحاجة المسكين ، والمسافر الذى انقطع عن ماله ، حقهما من الزكاة والصدقة ، ولا تبعثر مالك فى غير المصلحة تبذيرا كثيرا .

***

٢٧ ـــ لأن المبذرين كانوا قرناء الشياطين ، يقبلون وسوستهم حين يسخرونهم للفساد والانفاق فى الباطل ، ودأب الشيطان أنه يكفر بنعمة ربه دائما ، وصاحبه مثله .

***

٢٨ ـــ وان أرغمتك أحوالك المالية على الاعراض عن هؤلاء المذكورين ، فلم تعطهم لعدم وجود ما تعطيهم فى الحال ، مع رجاء أن يفتح الله عليك به ، فقل لهم قولا حسنا يؤملهم فيك .

***

٢٩ ـــ ولا تمسك يدك عن الانفاق فى الخير ، وتجعلها كأنها مربوطة فى عنقك بغل من الحديد لا تقدر على مدها ، ولا تبسطها كل البسط بالاسراف فى الانفاق ، فتصير مذموما على الامساك نادما أو منقطعا لا شىء عندك ، بسبب التبذير والاسراف .

***

٣٠ ـــ ان ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، لأنه خبير بطبائعهم بصير بحوائجهم ، فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب .

***

٣١ ـــ واذا كان أمر الارزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع ، لأنا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم ، ان قتلهم كان اثما عظيما .

***

٣٢ ـــ ولا تقربوا الزنى ، بمباشرة أسبابه ودواعيه ، لأنه رذيلة واضحة القبح ، وبئس طريقا طريقه .

***

٣٣ ـــ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها الا قتلا يكون بالحق ، بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصا أو عقوبة . ومن قتل مظلوما ، فقد جعلنا لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص من القاضى ، فلا يجاوز الحد فى القتل، بأن يقتل غير القاتل ، أو يقتل اثنين بواحد ، فان الله نصره وأوجب له القصاص أو الدية ، فلايصح أن يتجاوز الحد .



وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ

٣٤ ــ ولا تتصرفوا فى مال اليتيم الا بالطريقة التى هى أحسن الطرق لتنميته وتثميره ، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده ، واذا بلغ فسلموه له ، وحافظوا على كل عهد التزمتموه ، فان الله سيسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليـــه .

***

٣٥ ــ وأوفوا الكيل اذا كلتم للمشترى ، وزنوا له بالميزان العدل ، فان ايفاء الكيل والوزن خير لكم فى الدنيا ، لأنه يرغب الناس فى معاملتكم ، وأجمل عاقبة فى الآخرة .

***

٣٦ ــ ولا تتبع أيها المرء مالا علم لك به من قول أو فعل ، فلا تقل : سمعت، وانت لم تسمع ، أو علمت ، وانت لم تعلم ، فان نعم السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منهما يوم القيامة ! .

***

٣٧ ــ ولا تمش فى الأرض متكبرا مختالا ، فانك مهما فعلت فلن تخـــرق الأرض بشدة وطأتك ، ولن تبلغ مهما تطاولت ان تحاذى بطولك قمم الجبال .

***

٣٨ ــ كل ذلك المذكور من الوصايا ، كان القبيح منه من المنهيات مكروها مبغوضا عند ربك .

***

٣٩ ــ وهو مما أوحاه اليك ربك من معرفة الحق لذاته ، والخير للعمل به ، ولا تجعل مع الله الها غيره ، فتلقى فى جهنم ملوما عند نفسك وعند غيرك ، هالكا مطرودا من رحمة ربك .

***

٤٠ ــ أنكر سبحانه على من قالوا : الملائكة بنات الله ، فقال : أفضلكم ربكم على نفسه ، فخصكم بأقوى الأولاد ، وهم البنون ، واتخذ هو لنفسه من الملائكة بنات بزعمكم ! انكم فى قولكم هذا تفترون بهتانا عظيما .

إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا
لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ
وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ
وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾
وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ
بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ
إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

٤١ ــ لقد بينا فى هذا القــرآن أحسن بيان ضروبا من الأمثــال والمواعظ والأحكام ، ليتعظ هؤلاء المشركون ، ولكنهم لتحجر قلوبهم لا يزيدهم ذلك التبيين الا شرودا عن الحق .

***

٤٢ ــ قل ايها النبى ، اظهارا لابطال زعمهم الشركاء لله : لو كان مع الله آلهة فى الوجود كما يقولون ، لطلب هؤلاء الآلهة طريقا يصلون منه الى صاحب الملك المطلق لينازعوه عليه .

***

٤٣ ــ تنزه الله تنزها لائقا به ، وتعالى جل شأنه عما يزعمون من أنه معه آلهــة .

***

٤٤ ــ ان السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المخلوقات ، تنزهه وتقدسه ، وتدل باتقان صنعها على تنزيه لله سبحانه عن كل نقص وكمــال ملكه ، وانه لا شريك له من شىء من المخلوقات فى ملكه الواسع الا ينزهــه كذلك مع الثناء عليه ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة لاستيلاء الغفلة على قلوبهم ، وكان الله حليما عليهم ، غفورا لمن تاب فلم يعاجلهم بالعقوبة .

***

٤٥ ــ واذا قرأت أيها النبى القرآن الناطق بدلائل الحق ، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء ، حين ارادة الفتك بك ، حجابا ساترا لك منهم ، فلا يرونك .

***

٤٦ ــ وجعلنا بمقتضى حكمتنا فى الاضلال والهداية على قلوبهم أغطية ، كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ، وفى آذانهم صمما ، فلا يسمعونه سماع انتفاع ، لأنهم أسرفوا فى العناد والمكابرة ، واذا ذكرت ربك فى القرآن منفردا عن ذكر آلهتهم ، رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه .

***

٤٧ ــ نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من الاستهزاء والسخرية حين استماعهم اليك ، وهم ذوو مسارة بما ذكر ، وذلك قول الظالمين لغيرهم فى مسارتهم : ان اتبعتم فأنتم لا تتبعون الا رجلا مغلوبا على عقله .



سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ
خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ * قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾
أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ
قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾
يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا
قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ
ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا
مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ
يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ
بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ

٤٨ ـــ انظر كيف ذكر لك الأشباه ، فشبهوك بالمســحور ، والكاهن ، والشاعر ، فضلوا بذلك عن منهاج الحجة فلا يستطيعون طريقا الى الطعن يمكن قبوله ، أو فضلوا بذلك عن الهدى فلا يجدون طريقا اليه .

***

٤٩ ـــ قال المنكرون للبعث : أنبعث اذا صرنا عظاما نخرة ، وقطعا متفرقة ، فنكون خلقا جديدا فيه حياة ؟ ان هذا مالا يدخل العقول .

***

٥٠ ـــ فقل لهم يأيها النبى : لو كنتم حجارة لا تقبل الحياة بحال ، أو حديدا وهو أصلب من الحجارة .

***

٥١ ـــ أو خلقا آخر غيرهما ، مما تنكر قلوبكم قبوله الحيـــاة ، لبعثتم ! فسيقولون مستبعدين : من يعيدنا ؟ فقل لهم : يعيدكم الله الذى أوجدكم أول مرة فسيحركون اليك رءوسهم تعجبا ، ويقولون استهزاء : متى البعث الذى تعدنا به ؟ فقل لهم : أرجو أن يكون قريبا .

***

٥٢ ـــ وسيكون يوم يبعثكم الله فيه من قبوركم ، فتبعثون حامدين ربكم على كمال قدرته ، وتظنون أنكم ما لبثتم فى قبوركم الا زمنا قليلا ، تستقصرون المدة الطويلة فى جنب ما أنتم قادمون عليه .

***

٥٣ ـــ وقل يأيها النبى لعبادى المؤمنين ، أن يقولوا عند محاربتهم المشركين العبارات التى هى أحسن للاقناع ، ويتركوا الكلام الخشن الذى يتسبب عنه الشر والفساد ، فان الشيطان يفسد بين المؤمنين والكافرين ، لأنه دائما عدو للانسان بين العداوة ! .

***

٥٤ ـــ ربكم أعلم بعاقبة امركم ، أن يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان ، أو ان يشأ يعذبكم بعدمه ، وما أرسلناك موكولا اليك أمرهم فتجبرهم على الايمان ، وانما ارسلناك بشيرا للمصدقين ونذيرا للمكذبين ، فدارهم ، ومر أصحابك بالاحتمال منهم .

***

٥٥ ـــ وربك أعلم بكل من فى السموات والأرض وبأحوالهم ، فيختار منهم لنبوته من يشاء ، وقد اختارك لرسالته ، فلا يصح أن يستكثروا عليك النبوة ، وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء فى الفضل عنده ، جل شأنه ، بل بعضهم أفضل من بعض ، ولقد فضل النبيين على بعض بالمعجزات وكثرة التابعين ، لا بالملك ، ففضل داود انه أوتى الزبور ، لا لأنه أوتى الملك ، فلا عجب أن تنال الفضل العظيم بما أوتيت من القرآن .

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ
كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ
بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ
مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا
ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

٥٦ ــ قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين ، ويزعمونهم آلهة من دون الله : ادعوا من تعبدونه اذا نزلت بكم شدة ، أو خفتم نزولها ، وسلوهم فى شأنها ، فلن تجدوا منهم كشفا لضركم ، ولا تحويلا له عنكم ! !

***

٥٧ ــ وان هؤلاء المخلوقين الذين يدعوهم من يعبدهم يعبدون الله ، ويطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة ويحرص كل منهم أن يكون أقــرب الى الله ، ويطمعون فى رحمته ، ويرهبون عذابه ، ان عذاب الله ينبغى أن يحذر ويخاف!.

***

٥٨ ــ وقد جرت سنتنا أن نهلك كل قرية ظالمة بمن فيها ، أو نعذب أهلها عذابا شديدا بالقتل وغيره ، فليحذر ذلك قومك ، فقد جرى بذلك قضاؤنا ، وسطر فى كتابنا .

***

٥٩ ــ لقد اقترح عليك قومك أن تأتيهم بالآيات والمعجزات ، ولم يقنعوا بما اتاهم مما يقنع ذوى الألباب ، وقد جرت سنتنا مع من يقترح الآيات ، ثم يجاب اليها ولا يؤمن بها ، أن نستأصله بالعذاب كما فعلنا بالأولين . ومنهم ثمود ، اذ اقترحوا آيات ، فكانت الناقة معجزة مضيئة نيرة واضحة مجلية للشــك والريب ، فكفروا بها ، فكان ما كان من أمرهم ! وكان من حكمة الله الا يجيب قومك الى ما طلبوا ، خشية أن يكفروا بها ، ويرجى منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن . والآيات انما نرسل بها الى الناس تخويفا وارهابا .

***

٦٠ ــ واذكر أيها النبى حين قلنا لك : ان ربك أحاط بالناس ، فهم فى قبضة قدرته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ، وماجعلنا ما عاينته ليلة الاسراء من العجائب الا امتحانا واختبارا للناس ، ، يزداد به ايمان المؤمن وكفــر الكافر ، وما جعلنا الشجرة المذمومة فى القرآن ، وهى شجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم ، الا اختبارا لهم أيضا ، اذ قالوا : النار تحرق الشجر ، فكيف تنبته ؟ ونخوفهم بها ، فما يزيدهم تخويفنا الا تجاوزا للحد الكبير .



قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ
ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى
لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ
إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

٦١ — وان الله ليذكر بأصل الخلق والعداوة بين ابن آدم وابليس ، اذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء ، فسجدوا على الفـور ، الا ابليس امتنع وقال منكرا : كيف اسجد لمن خلقته من طين وانا من نار فأنا خير منـه .

***

٦٢ — قال ابليس : اخبرنى يارب عن هذا الذى كرمته على ، بأن امرتنى بالسجود له لم كرمته على وانا خير منه ؟ وعزتك لئن أخرتنى حيا الى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالاغواء ، الا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته .

***

٦٣ — قال له المولى تهديدا واستدراجا : امض لشأنك الذى اخترته لنفسك، فمن اطاعك من ذرية آدم فان جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرا كاملا .

***

٦٤ — واستخف واستنزل بدعائك الى معصية الله من استطعت منهم ، وافرغ جهدك فى جميع انواع الاغراء ، وشاركهم فى كسب الأموال من الحرام وصرفها فى الحرام ، وتكفير الأولاد واغرائهم على الافساد ، وعدهم المواعيـد الباطلة كشفاعة آلهتهم ، والكرامة عند الله بأنسابهم ، وما يعد الشيطان أتباعه الا بالتغرير والتمويه ! .

***

٦٥ — أما عبادى المخلصون لى ، فليس لك على اغوائهم قدرة ، لتـوكلهم على ربهم ، وكفى به ناصرا يستمدون منه العون فى الخلاص منك .

***

٦٦ — ربكم هو وحده الذى يجرى لكم السفن فى البحر ، لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها . انه دائم الرحمة بكم .

***

٦٧ — واذا أصابكم الأذى وتعرضتم للمخاطر فى البحر ، غاب عنكم كل من تدعونه فى حوائجكم من الاصنام ، الا الله وحده ، فانكم لا تذكرون سـواه ، فلما نجاكم من الغرق ، واخرجكم الى البر ، اعرضـتم عن توحيده وكفـرتم النعمة ، وشأن الانسان دائما جحد النعمة .



عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾



* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ

٦٨ — واذا نجوتكم بخروجكم الى البر ، افامنتم من عذاب الله ؟ كلا ان شاء قلب بكم جانبا من البر فهلكتم تحته ، وان شاء أرسل عليكم ريحا شديدة ترميكم بالحصى والحجر ، فلا تجدون حافظا مما يصيبكم .

***

٦٩ — أم امنتم أن يعيدكم ربكم فى البحر مرة أخرى ، فيرسل عليكم قاصفا من الريح يكسر فلككم ؟ فيغرقكم بسبب جحودكم نعمته حين انجاكم أولا ، ثم لا تجدون لكم علينا من يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم .

***

٧٠ — ولقد كرمنا أولاد آدم بحسن القوام والنطق وتخير الأشياء، وأعطيناهم الكرامة والعزة ان اطاعوا ، وحملناهم فى البر على الدواب ، وفى البحر على السفن ، ورزقناهم من المستلذات ، وفضلناهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلا عظيما .

***

٧١ — واذكر ايها النبى لقومك ، يوم ندعو كل جماعة بشعارهم الذى يعرفون به ، أو زعيمهم من رئيس اتبعوه ، أو نبى ، أو كتاب ، فيقال : يأهل موسى ، يأهل القرآن ، وهكذا ، ليتسلموا كتب أعمالهم ، فمن أعطى كتاب أعماله بيمينه ، وهم السعداء ، فأولئك يقرءون كتابهم مبتهجين ولا ينقصون من اجورهم أدنى شىء .

***

٧٢ — وأما الفريق الآخر ، فيغمه ما يرى ، وتسد عليه مسالك النجاة ، ويعمى عن كشف ضره ، كما كان أعمى فى الدنيا عن طريق الحق والرشاد ! ومن كان فى الدنيا أعمى ، فهو أشد عمى فى الآخرة ، وابعد عن سبيل الخير .

***

٧٣ — وان المشركين يتفننون فى محاولة صرفك عن القرآن لتطلب غيره من المعجزات ، وتكون كالمفترى علينا ، وحينئذ يتخذونك صاحبا لهم ! وان هذه المحاولات قد تكررت وكثرت ، وكان من شأنها أن تقربك مما يريدون ، ولكنك رسولنا الأمين .

***

٧٤ — وقد شملك لطفنا ، فصرفناك عن الاستجابة لهم ، وثبتناك على الحق، ولولا ذلك لأوشكت أن تميل الى استجابتهم ، طمعا فى أن يكمل ايمانهم يوما اذا دخلوا فى أوائل الاسلام .

ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ
ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾
وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ
وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

٧٥ — ولو قاربت الركون اليهم ، لجمعنا عليك عذاب الدنيا ، وضاعفناه ، وعذاب الآخرة وضاعفناه ، ثم لا تجد لك نصيرا علينا يمنع عنك العذاب ، ولكن لا يكون ذلك ابدا لانه ممتنع على رسولنا الأمين .

***

٧٦ — ولقد حاول كفار مكة ، وكادوا أن يزعجوك من أرض مكة بعداوتهم ومكرهم ، ليخرجوك منها ، ولو تحقق منهم ذلك لا يبقون بعد خروجك منهـا الا زمنا قليلا ، ثم يغلبون على أمرهم وتكون الكلمة لله .

***

٧٧ — وذلك كطريقتنا فى الرسل قبلك ، من اهلاك من أخرجوا نبيهم ، ولن تجد لطريقتنا تبديلا .

***

٧٨ — اقم الصلاة المفروضة ، من أول زوال الشمس من وسط السماء نحو الغرب ، الى ظلمة الليل ، وهذه صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، واقم صلاة الفجر التى تشهدها الملائكة .

***

٧٩ — وتيقظ من نومك فى بعض الليل ، فتهجد بالصلاة عبادة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك ، رجاء ان يقيمك ربك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخـــلائق .

***

٨٠ — وقل : يارب ادخلنى ادخالا مرضيا كريما فى كل ما ادخل فيه من أمر او مكان ، واخرجنى منه اخراجا مرضيا كريما ، واجعل من فضلك قوة تنصرنى بها على أعدائى .

***

٨١ — وقل منذرا قومك المشركين : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح والعدل ، وذهب الباطل والشرك والدين الفاسد والظلم ، ان الباطل مضمحل زائل دائما .

***

٨٢ — وكيف لا يقوى الحق ، ونحن ننـــزل من القرآن ما هو شـــفاء لما فى الصدور من الشك والريب ، وسبب رحمة لمن آمن به ! ولا يزيد الظـــالمين الا خسارا لكفرهم به ! .

ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ
يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ
ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ
عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ

٨٣ — وان فى طبع الانسان الغرور والقنوط ، فاذا أنعمنا عليه بالصحة والسعة ، أعرض عن ذكرنا ودعائنا ، ويعد عنا بنفسه تكبرا وتعاظما ! واذا مسه الشر كالمرض والفقر ، كان شديد القنوط من رحمة الله .

***

٨٤ — قل ايها النبى لكفار قريش ، رغبة عن اثارة الشر والجدال : كل منا ومنكم يعمل ويسير علىطريقته ، فربكم عليم علما ليس فوقه علم بمن هو أوضح طريقا واتباعا للحق فيؤتيه أجره موفورا ، ومن هو أضل سبيلا فيعاقبه بما يستحق ..

***

٨٥ — ويسألك يا محمد قومك ، بايعاز من اليهود ، عن حقيقة الروح ، قل : الروح من علم ربى الذى استأثر به ، وما أوتيتم من العلم الا شيئا قليلا فى جنب علم الله تعالى .

***

٨٦ — ولئن أردنا أن نمحو من صدرك القرآن الذى أوحينا اليك ، لفعلنا ، ثم لا تجد من يقوم لك وينصرك .

***

٨٧ — ولكن أبقيناه رحمة من ربك لأن فضله فى هذه المعجزة كان عليك عظيما .

***

٨٨ — قل لهم متحديا أن يأتوا بمثله ، وانهم ليعجزون ! لئن اجتمعت الانس والجن ، وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى نظمه ومعانيه ، لا يستطيعون ، ولو كانوا متعاونين بعضهم يظاهر بعضا .

***

٨٩ — ولقد نوعنا مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس فى هذا القرآن ، من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ، فأبى أكثر الناس الا الجحود والانكار .

***

٩٠ — ولما ظهر اعجاز القرآن ، ولزمتهم الحجة ، اقترحوا الآيات والمعجزات ، فعل المحجوج المبهوت المتحير ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من ارض مكة عينا لا ينقطع ماؤها ! .

خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا
كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ
بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ
جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾
قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ

٩١ ــ أو يكون لك بمكة بستان من نخيل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيرا كثــيرا ! .

***

٩٢ ــ أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعا كما زعمت أن الله توعدنا بذلك ، أو تأتى بالله والملائكة نقابلهم معاينة ومواجهة !

***

٩٣ ــ أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب ، أو تصعد فى السـماء ولن نصدقك فى هذه الحال الا اذا جئتنا بكتاب من الله يقرر فيه صدقك نقرؤه ! قل لهم : أنزه ربى عن أن يتحكم فيه أحد ، أو يشاركه فى قدرته ! ما كنت الا بشرا كسائر الرسل ، ولم يأتوا قومهم بآية الا باذن الله .

***

٩٤ ــ ومامنع مشركى مكة أن يذعنوا للحق حين جاءهم الوحى مقرونا بالمعجزات الا زعمهم جهلا منهم أن الله تعالى لا يبعث رسله من البشر بل من الملائكة .

***

٩٥ ــ قل ردا عليهم : لو كان فى الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيهــا كالآدميين مستقرين فيها ، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم ، ولكن الملائكة لا يكونون كالبشر ، ولو كانوا لجاءوا فى صورة البشر .

***

٩٦ ــ وقل ان أنكرتم رسالتى فكفى الله حاكما بينى وبينكم مقررا صدق رسالتى اليكم انه كان بعباده عالما بأحوالكم بصيرا بأفعالهم وهو مجازيهم عليها.





سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
* أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ
بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ
وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

٩٧ ـــ وقل لهم : من يهده الله لحسن استعداده فهو المهتدى ، ومن يضلله لفساد طبعه ، فلن تجد له أنصارا غيره يهدونهم فى الدنيا ، ونحشرهم فى الآخرة مسحوبين على وجوههم ، لا ينظرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، ومكانهم الذى يأوون اليه جهنم ، كلما ضعف لهيبها زادها الله تلهبا واشتعالا .

***

٩٨ ـــ ذلك العذاب جزاؤهم ، بسبب كفرهم بالأدلة التى ائتمناها لهم على الحق ، وقولهم : انبعث خلقا جديدا بعد أن نصير عظاما ورفاتا ؟ !

***

٩٩ ـــ أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ، مع عظمهما ، قادر على أن يخلق مثلهم من الانس والجن ؟ ومن هو قادر على ذلك ، كيف لا يقدر على اعادتهم ، وهى أهون عليه ! وقد جعل سبحانه لاعادتهم بعد الموت أجلا محددا لا شك فى حصوله ، وهو يوم القيامة ، ومع ذلك أبى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، بعد اقامة هذه الحجة الا جحودا .

***

١٠٠ ـــ قل لهؤلاء المشركين : لو كنتم تملكون خزائن رزق ربى، لبخلتم خشية الفقر ، لأن الانسان مطبوع على شدة الحرص والبخل ، والله هو الغنى الجواد ، يمنح ما شاء لمن يشاء ، وينزل من المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس ؟ وهو فى ذلك كله حكيم عليم ..

***

١٠١ ـــ ولو أوتى هؤلاء من الأيات ما اقترحوا ، لصرفوها عن وجهها ، ولم يؤمنوا بها ! ولقد آتينا موسى تسع آيات واضحات (١) ومع ذلك كفروا ، وقال فرعون : انى لأظنك مسحورا يا موسى .

***

١٠٢ ـــ قال موسى : لقد علمت يا فرعون أن الذى أنزل هذه الآيات هو رب السموات والأرض لأنه هو الذى يقدر عليها ، وهى واضحات تبصرك بصدقى ، ولكنك تكابر وتعاند ، وانى لأظنك يا فرعون هالكا اذا لم ترجع عن عنادك .

***

١٠٣ ـــ فتمادى فرعون فى طغيانه ، فأراد أن يخرج موسى وبنى اسرائيل من أرض مصر ، فأغرقناه مع جنوده جميعا .

---

(١) هذه الآيات التسع : ١ ـــ العصا ـــ ٢ ـــ اليد البيضاء ـــ ٣ ـــ الطوفان ـــ ٤ ـــ الجراد والضفادع والقمل والدم ـــ ٥ ـــ الجدب ونقص الثمار ـــ ٦ ـــ فلق البحر ـــ ٧ ـــ انبجاس الماء من الحجر ـــ ٨ ـــ نتق الجبل كأنه ظلة ـــ ٩ ـــ خطابه لربه .

مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ
ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ
وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ
لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾
قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ
إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ
رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ
يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴿١٠٩﴾ ۩ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ



ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾
وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ
فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

١٠٤ ــ ونجينـــا موسى وقومه ، وقلنا ، من بعــد اغــراق فرعون ، لبنى اسرائيل : اسكنوا الأرض المقدسة بالشام ، فاذا جاء وقت الحياة الأخرى ، جئنا بكم من قبوركم مختلطين ثم نحكم بينكم بالعدل .

***

١٠٥ ــ وما انزلنا القرآن الا مؤيدا بالحكمة الالهيـــة : التى اقتضت انزاله ، وهو فى ذاته وما نزل الا مشـــتملا على الحـــق كله ، فعقائده هى الصحيحة ، وأحكامه هى المستقيمة . وما أرسلناك أيها النبى الا مبشرا من آمن بالجنة ، ونذيرا لمن كفر بالنار ، فليس عليك شىء اذا لم يؤمنوا .

***

١٠٦ ــ وقد فرقنا هذا القرآن ، ونزلناه منجما على مدة طويلة ، لتقراه على الناس على مهل ليفهموه . نزلناه شيئا بعد شىء تنزيلا مؤكدا لا شبهة فيه .

***

١٠٧ ــ قل لكفار مكة تهديدا لهم : اختاروا لأنفسكم ما تحبون ، من الايمان بالقرآن أو عدمه ، فان الذين أوتوا العلم الصحيح والادراك السليم من قبـــل نزوله ، اذا يتلى عليهم يقعون على الوجوه سجدا ، شكرا لله على نعمته .

***

١٠٨ ــ ويقولون تنزه ربنا عن خلف الوعد الذى وعد به من نعيم وعـــذاب ، ان وعده كان حاصلا لا محالة .

***

١٠٩ ــ ويقعون ثانيـــا على الوجوه سجدا باكين من خـــوف الله ، يزيدهم القرآن تواضعا لله .

***

١١٠ ــ قل لهؤلاءالمشركين : ســـموا الله باســـم الله أو اسم الـــرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسنى ، ولا شبهة لكم فى أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى . واذا قرأت القرآن فى صـــلاتك ، فلا ترفع صوتك به ، لئلا يســـمع المشركون فيســـبوك ويؤذوك ، ولا تسر به فلا يسمع المؤمنون ، وكن وسطا فى قراءتك .

***

١١١ ــ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ، لعدم حاجته اليه ، ولم يكن له شريك فى الملك، لأنه وحده منشئه ، ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من ذل لحقه ، وعظم ربك تعظيما يليق به .

(١٨) سُورَةُ الكَهْفِ مَكِّيَّة وآياتها عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا



سورة الكهف

هذه السورة مكية ، ما عدا الآية ٣٨ والآيات التى تبتدىء من ٨٣ الى ١٠١ ففيها عشرون آية مدنية . وقد ابتدأت بحمد الله تعالى لانزاله القرآن الكريم ، وبيان أن القرآن هو الانذار والتبشير ، وفيه انذار الذين ادعوا أن لله ولـــدا ، وفيها ذكر حرص النبى صلى الله عليه وسلم على ايمان الذين يدعوهم بدعاية الله ثم ذكر قصة أهل الكهف الذين رقدوا ثم بعثوا بعد أن لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وهو عدد من النصارى فروا من ظلم الحاكم الرومانى ، ورقدوا فى الكهف تلك المدة ثم بعثوا للدلالة على قدرة الله تعالى على البعث بعد المـــوت .

ثم بعد ذلك أمر الله بأن يتلو القرآن ، وينذر به ويبشر ، ثم بيان حال أهل الجنة فيها وأهل النار ، وضرب الله مثلا لرجلين أحدهما غنى يعتز بماله وبنيه ، والثانى يعتز بالله ، وبين سبحانه أن ولايته هى الحق ، ثم بين سبحانه زينة الحياة الدنيا الفانية ، ثم ما يكون يوم القيامة من نعيم مقيم أو عذاب أليم ، ثم ذكر سبحانه قصة موسى مع العبد الصالح الذى اوتى علما من الله ، وفى هذه القصة يتصور ما يجهله الانسان ولو كان نبيا مرسلا من أولى العزم من الرسل من قـــدرة الله الا اذا آتاه الله علمه . ثم يجىء ذكر ذى القرنين ووصــــوله الى أقصى الشرق وبنائه للسد ، ثم يوم القيامة وما يكون فيه ، وجزاء المؤمنين ، وعلم الله تعالى وكلماته التى لا تنفد ، وختمت السورة ببيان الطريق لارضائه سبحانه .

***

١ ـــ الثناء الجميل مستحق لله تعالى الذى أنزل على عبده محمد القرآن ، ولم يجعل فيه شيئا من الانحراف عن الصواب ، بل كان فيه الحق الذى لا ريب فيه.

***

٢ ـــ وجعله قيما مستقيما فى تعاليمه لينذر الجاحدين بعذاب شديد صادر من عنده ، ويبشر المصدقين الذين يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثوابا جزيلا .

***

٣ ـــ هو الجنة خالدين فيها أبدا .

***

٤ ـــ وينذر على وجه الخصوص الذين قالوا عن الله انه اتخـــذ ولدا ، وهو المنزه عن أن يكون كالحوادث يلد أو يولد له .

***

٥ ـــ وليس عندهم علم بذلك ولا عند آبائهم من قبل ، فما أعظم الافتـــراء فى هذه الكلمة التى تجرءوا على اخراجها من أفواههم ! ما يقولون الا افتراء ليس بعده افتـــراء .

***

٦ ـــ لا تهلك نفسك ـــ أيها النبى ـــ أسفا وحزنا على اعراضهم عن دعوتك غير مصدقين بهذا القرآن .

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى
لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

٧ ــ انا قد خلقناهم للخير والشر ، وصيرنا ما فوق الأرض زينة لها ومنفعة لأهلها ، لنعاملهم معاملة المختبر ليظهر منهم الأصلح عملا ، فمن استهوته الدنيا ولم يلتفت الى الآخرة ضل ، ومن آمن بالآخرة اهتدى .

***

٨ ــ وانا لمصيرون عند انقضاء الدنيا ما فوقها مثل أرض مستوية لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء عامرة بمظاهر الحياة .

***

٩ ــ لقد أنكر الذين استهوتهم الدنيا بزينتها البعث ، مع أن الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه قصة أهل الكهف فى الجبل واللوح الذى رقمت فيه أسماؤهم بعد موتهم لم تكن عجبا وحدها دون سائر الآيات ، وان كان شأنها خارقا للعادة ، فليس أعجب من آياتنا الدالة على قدرتنا .

***

١٠ ــ اذكر حين صار هؤلاء الفتيان الى هذه المغارة ، وجعلوها مأوى لهم ، فرارا بدينهم من الشرك والمشركين ، فقالوا : يا ربنا آتنا من عندك مغفرة وأمنا من عدونا ، ويسر لنا من شأننا هداية وتوفيقا .

***

١١ ــ فاستجبنا دعاءهم فأنمناهم آمنين فى الكهف سنين عديدة .

***

١٢ ــ ثم أيقظهم الله بعد أن ظلوا نياما أمدا طويلا ، لتكون عاقبة ذلك اظهار علمنا من أصاب من الفريقين فى تقدير مدة مكثهم .

***

١٣ ــ نحن نقص عليك أيها الرسول خبرهم بالصدق : أنهم فتيان كانوا قبل العهود السابقة على دين الحق ، صدقوا بوحدانية ربهم وسط قوم مشركين ، وزدناهم يقينا .

***

١٤ ــ وثبتنا قلوبهم على الايمان والصبر على الشدائد ، حين قاموا فى قومهم ، فقالوا متعاهدين : ربنا أنت الحق رب السموات والأرض ، لن نعبد من غيره الها ، ولن نتحول عن هذه العقيدة . والله اذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيدا عن الصواب .

***

١٥ ــ ثم قال بعضهم لبعض : هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره ، هلا يأتون على الوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة ، أنهم لظالمون فيما فعلوا ، ولا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه .





وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم
مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن
كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ
ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن
يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا
مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ
لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ
رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ
مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ
أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ

١٦ ــ وقال بعضهم لبعض : ما دمنا قد اعتزلنا القوم فى كفرهم وشركهم ، فالجأوا الى الكهف فرارا بدينكم ، يبسط لكم ربكم من مغفرته ، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به (١) من مرافق الحياة .

***

١٧ ــ وقد كان الكهف فتحة متسعة فى الجبل ، وهى متجهة الى الشمال يجيئهم فيها النسيم العليل ، واذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أشعتها عنهم ، واذا غربت عن يسارهم تجاوزتهم ولم تدخل أشعتها فى كهفهم ، فحرارة الشمس لا تؤذيهم . ونسيم الهواء يأتيهم ، وذلك كله من دلائل قدرة الله، ومن يوفقه الله لادراكها يهتدى ، ومن لا يوفقه فلا مرشد له من بعد .

***

١٨ ــ وتظنهم أيها الناظر منتبهين . وفى الحقيقة هم نيام ، ونقلبهم فى نومهم يمينا مرة ويسارا مرة لنحفظ أجسامهم من تأثير الارض ، وكلبهم الذى صاحبهم مادا ذراعيه بالفناء وهو نائم أيضا فى شكل اليقظان ، لو اطلعت أيها المخاطب عليهم وهم على تلك الحال لفررت منهم هاربا ، ولملىء قلبك منهم فزعا لهيبتهم فى منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم الا هابهم ، كيلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد حتى تنتهى المدة .

---

(١) لم يكن على وجه التحقيق معرفة أصحاب الكهف ، ولا زمانهم ولا مكان الكهف الذى أوى اليه هؤلاء الفتية ، ومع ذلك فلا بأس من القيام بمحاولة قد تلقى ضوءا ولو خافتا عليهم . ولما كان القرآن الكريم قد نص على أنهم فتية آمنوا بربهم فلا بد أنهم وشعبهم قد تعرضوا لاضطهاد دينى راى معه هؤلاء الفتية الاعتصام بالكهف . ويشير التاريخ (القديم) الى وقوع اضطهادات دينية فى الشرق القديم ، حدثت فى أوقات مختلفة ــ ونذكر فيما يلى اضطهادين قد يكون أحدهما مناسبا للمقام :

أما أولهما فقد حدث فى عهد الملك السلوقى انتيوخوس الرابع الملقب بنابيفانيس (حوالى ١٧٦ ــ ٨٤ ق.م) فانه لما اعتلى هذا الملك عرش سوريا ، وكان مولعا أشد الولوع بالثقافة الاغريقية وحضارتها ، فرض على اليهود بفلسطين ــ وكانت فى قبضة سوريا منذ عام ١٩٨ ق.م ــ التدين بديانة الاغريق وأبطل شريعتهم ، ودنس « الهيكل » بوضعه تمثال زوس معبود الاغريق الاعظم على المذبح ، وتقديم الخنازير ذبائح له ، ثم انه أحرق ما وجده من نسخ التوراة .

ففى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو ان هؤلاء الفتية يهود ويكون مكانهم فى فلسطين عامة أو فى أورشليم ذاتها ، ويكونون قد بعثوا حوالى عام ١٢٦ م أبان حكم الروم للشرق ، اى قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم (حوالى ٥٧١ م) بأربعمائة وخمسة وأربعين عاما تقريبا .

أما الاضطهاد الثانى فقد حدث فى عهد الامبراطور الرومانى هادريانوس (١١٧ ــ ١٣٨) ، فهذا الامبراطور قد فعل باليهود مثل ما فعل أنتيوخوس السالف الذكر تماما ، وتفصيل ذلك أنه حدث فى عهده أن أعلن اليهود العصيان على الامبراطورية الرومانية (الروم) عام ١٣٢ م ، فطردوا الحاميات الرومانية واستولوا على أورشليم ، وصكوا نقودهم ذكرى لتحرير المدينة المقدسة، وقبضوا على زمام الامور طوال ثلاث سنوات ، وأخيرا تحرك هادريانوس وجيشه ، وقمع الثورة ، وأخضع فلسطين ، واستعاد أورشليم ، وقضى على القومية اليهودية قضاء تاما ، وقد لاقى قوادها حتفهم ، وبيع اليهود فى سوق النخاسة ، وكان من نتائج ذلك أن عطل هادريانوس الشعائر اليهودية ، وأبطل تعاليم اليهود وقوانينهم .

وفى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود ، ويكون مكانهم فى أى مكان فى الشرق القديم أو فى أورشليم نفسها ، ويكون قد بعثوا حوالى عام ٤٣٥ م ، أى قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بمائة وثلاثين عاما .

ويبدو أن الاضطهاد الاول أكثر تلاؤما مع أصحاب الكهف ، لانه كان أشد قوة ، أما الاضطهادات المسيحية فلا تتلاءم مع مولد النبى صلى الله عليه وسلم .



فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ

١٩ ــ وكما أنمناهم ايقظناهم ليسأل بعضهم بعضا عن مدة مكثهم نائمين، فقال واحد منهم : ما الزمن الذى مكثتموه فى نومكم . قالوا : مكثنا يومـــا أو بعض يوم . ولما لم يكونوا مستيقنين من ذلك ، قالو : اتركوا الامر لله ، فهو الأعلم به ، وليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية الى المدينة ، وليتخير اطيب طعمة فيأتيكم بطعام منه . وليكن حسن التفاهم ، ولا يظهرن امركم لأحد من النـــاس .

***

٢٠ ــ انهم ان راوكم يقتلوكم رجما بالحجـــارة أو يعيـــدوكم الى الشرك بالقوة ، واذا عـــدتم اليه فلن تفلحوا فى الدنيا والآخرة .

***

٢١ ــ وكما أنمناهم وبعثناهم اطلعنا اهل المـــدينة عليهم ليعلم المطلعون أن وعد الله بالبعث حق ، وأن القيامة لا شك فى اتيانها . فآمن أهـــل المدينة بالله واليوم الآخر ، ثم امات الله الفتية فتنازعوا فى شأنهم : فقال بعضـــهم ابنوا على باب الكهف بنيانا ونتركهم وشأنهم فربهم أعلم بحالهم ، وقال أصحاب الكلمة فى القوم لنتخذن على مكانهم مسجدا للعبادة .

***

٢٢ ــ سيقول فريق من الخائضين فى قصتهم من اهل الكتاب : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقول آخرون : هم خمسة سادسهم كلبهم . ظنا خاليـــا من الدليل ، ويقول آخرون : هم ســـبعة وثامنهم كلبهم . قل لهؤلاء المختلفين : ربى عليم علما ليس فوقه علم بعددهم . ولا يعلم حقيقته الا قليل من الناس اطلعهم الله على عددهم ، فلا تجادل هؤلاء المختلفين فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا لينا دون محاولة اقناعهم ، فانهم لا يقتنعون . ولا تسأل احدا منهم عن نبئهم ، فقد جاءك الحق الذى لا مرية فيه .

***

٢٣ ــ ولا تقولن لشىء تقدم عليه وتهتم به : انى فاعل ذلك فيما يستقبل من الزمان .

وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى
لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ
مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ
لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم
مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾
وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ
فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ

٢٤ ــ الا قولا مقترنا بمشيئة الله بأن تقول : ان شاء الله ، واذا نسيت أمرا فتدارك نفسك بذكر الله ، وقل عند اعتزامك أمرا وتعليقه على مشـيئة الله : عسى أن يوفقنى ربى الى أمر خير مما عزمت عليه وأرشد منه .

***

٢٥ ــ وان الفتية مكثوا فى كهفهم نياما ثلاثمائة سنين زادت تسعا (١) .

***

٢٦ ــ وقل أيها الرسول للناس : ان الله وحده هو العالم بزمنهم كله ، لأنه سبحانه هو المختص بعلم الغيب فى السموات والأرض ، فما أعظم بصره فى كل موجود ، وما أعظم سمعه لكل مسموع ، وما لاهل السموات والارض من يتولى أمورهم غيره ، ولا يشرك فى قضائه أحدا من خلقه .

***

٢٧ ــ واقرأ ــ أيها الرسول ــ ما أوحى اليك من القرآن ، ومنه ما اوحى اليك من نبأ الفتية ، ولا تستمع لما يهزءون به من طلب تبديل معجزة القرآن بمعجزة اخرى ، فانه لا مغير لما ينبئه الله بكلمة الحق فى معجزاته ، فانه لا يقدر احد على تبديله ، ولا تخالف أمر ربك فانك حينئذ لن تجد غيره ملجأ يحفظك منه .

***

٢٨ ــ واحتفظ ــ أيها الرسول ــ بصحبة صحابتك من المـؤمنين الـذين يعبدون الله وحده فى الصباح وفى العشى دائما ، يريدون رضوانه ، ولا تنصرف عيناك عنهم الى الجاحدين من الكفار لارادة التمتع معهم بزينة الحياة الدنيا ، ولا تطع فى طرد فقراء المؤمنين من مجلسك من جعلنا قلبه غـافلا عن ذكرنا ، لسوء استعداده ، وصار عبدا لهواه ، وصار أمره فى جميع أعماله بعيدا عن الصواب ! والنهى للنبى نهى لغيره ، وان النبى صلى الله عليه وسلم لا يريد الحياة الدنيا وزينتها ، ولكن كان اتجاه النهى اليه لكى يحترس غيره من استهواء الدنيا ، فانه اذا فرض فيه ارادة الزينة للابدان لفرض كل انسان فى نفسه ذلك ليحتـرس .

---

(١) تشير هذه الآية الى حقيقة فلكية ، وهى ان ثلاثمائة سنة شمسية تقابلها ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية ، وقد سبقت الآية علم الفلك .



وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ
بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ


ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا
رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا
وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ

٢٩ ـ وقل أيها الرسول : ان ما جئت به هو الحق من عند ربكم ، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن ، فذلك خير له ، ومن شاء أن يكفر فليكفر ، فانه لم يظلم الا نفسه . اننا اعددنا لمن ظلم نفسه بالكفر نارا تحيط بهم كالسرادق . وان يستغث الظالمون بطلب الماء وهم فى جهنم ، يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة ، يحرق الوجوه بلهيبه ! قبح هذا الشراب لهم ، وقبحت جهنم مكانا لـراحتهم !! .

***

٣٠ ـ أما الذين آمنوا بالله وبدينه الحق الذى يوحى اليك،وعملوا ما أمرهم به ربهم من الأعمال الصالحة ، فانا لا نضـيع أجرهم على ما أحسـنوا من الأعمـال ..

***

٣١ ـ هؤلاء لهم جنات يقيمون فيها منعمين ابدا ، تنساب الأنهار من بين اشجارها وقصورها يتحلون فيها بمظاهر السعادة فى الدنيا ، كالأساور الذهبية، وملابسهم فيها الثياب الخضر من الحرير على اختلاف أنواعه ، متكئين فيها على السرر بين الوسائد والستائر ، نعم الثواب لهم ، وحسنت الجنـة دار مقـام وراحة ، يجدون فيها كل ما يطلبون .

***

٣٢ ـ بين أيها الرسول فى شأن الكفار الاغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلا وقع فيما سلف بين رجلين : كافر ومؤمن ، وللـكافر حديقتان من أعنـاب ، واحطناهما بالنخيل زينة وفائدة ، وجعلنا بين الجنتين زرعا نضرا مثمرا .

***

٣٣ ـ وقد اثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجا موفورا ، ولم تنقص منه شيئا ، وفجرنا نهرا ينساب خلالهما .

***

٣٤ ـ وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة ، فداخله الـزهو بتلك النعم ، فقال لصاحبه المؤمن فى غرور ، وهما يتناقشان : أنا أكثر منك مالا واقوى عشيرة ونصيرا .



مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ج إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

٣٥ — ثم دخل احدى جنتيه مع صاحبه المؤمن ، وهو مأخوذ بغروره فقال: ما أظن أن تفنى هذه الجنة أبدا ! .

***

٣٦ — وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت الى ربى بالبعث كما تزعم ، والله لأجدن خيرا من هذه الجنة عاقبة لى ، لأننى أهل للنعيم فى كل حال، فهو يقيس الغائب على الحاضر ، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء على الايمان وفعل الخير .

***

٣٧ — قال صاحبه المؤمن مجيبا له : أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذى خلق أصلك آدم من تراب ، ثم من نطفة مائية ، ثم صـــورك رجلا كاملا ، فان اعتززت بمالك وعشيرتك ، فاذكر ربك وأصلك الذى هو من الطين .

***

٣٨ — لكن اقول : ان الذى خلقنى أو خلق هذا العالم كله هو الله ربى ، وأنا أعبدهوحده ، ولا أشرك معه أحدا .

***

٣٩ — ولولا قلت عند دخول جنتك والنظر الى ما فيها : هذا ماشاء الله ولا قوة لى على تحصيله الا بمعونة الله ، فيكون ذلك شـــكرا كفيلا بدوام نعمتك . ثم قال له : ان كنت ترانى أقل منك مالا وأقل ولدا ونصيرا ؟

***

٤٠ — فلعل ربى يعطينى خيرا من جنتك فى الدنيا أو الآخرة ، ويرسل على جنتك قدرا قدره لها كصواعق من السماء ، فتصير أرضا ملساء لا ينبت فيها شىء ، ولا يثبت عليها قدم .

***

٤١ — أو يصير ماؤها غائرا فى الارض لايمكن الوصول اليه ، فلا تقدر على اخراجه لسقيها .

***

٤٢ — قد عاجل الله الكافر ، وأحاطت المهلكات بثمار جنته ، وأهلكتها ، وأبادت أصولها ، فأصبح يقلب كفيه ندما وتحسرا على ما أنفق فى عمارتها ، ثم عاجلها الخراب ، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدا .

وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ
نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ
لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟

٤٣ ــ عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز ، وما كان هو بقادر على نصرة نفسه .

***

٤٤ ــ فان النصرة فى كل حال ثابتة لله الحق وحده وهو سبحانه خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له العاقبة .

***

٤٥ ــ واذكر ــ أيها الرسول ــ للناس مثلا للحياة الدنيا فى نضرتها وبهجتها ثم سرعة فنائها ، بأنها كماء أنزل من السماء فارتوى به نبات الارض فاخضر وأينع ، ثم لم يلبث طويلا حتى جف وصار يابسا متكسرا تفرقه الرياح والله قادر على كل شىء انشاء وافناء .

***

٤٦ ــ المال والبنون جمال ومتعة لكم فى الحياة الدنيا وهى قوتها ، ولكن لا دوام لها ، بل هى فانية غير باقية ، والأعمال الصالحة الباقية خير لكم عند الله ، يجزل ثوابها ، وخير أمل يتعلق به الانسان .

***

٤٧ ــ وأنذر الناس أيها الرسول بيوم يفنى هذا الوجود فيزيل فيه الجبال وتبصر فيه الارض ظاهرة مستوية لا يسترها شىء مما كان عليها ، ونحشر فيه الناس للحساب فلا نترك منهم أحدا .

***

٤٨ ــ ويعرض الناس فى هذا اليوم على الله فى جموع مصفوفة للحساب ، ويقول الله تعالى : لقد بعثناكم بعد الموت كما أحييناكم أول مرة ، وجئتمونا فرادى بلا مال ولا بنين ، وكنتم فى الدنيا تكذبون بالبعث والحساب .

حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن
دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾



* مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ
أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ
يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن
يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ

٤٩ ــ ووضع فى يد كل واحد كتاب أعماله ، فيبصره المؤمنون فرحين مما فيه ، ويبصره الجاحدون خائفين مما فيه من الاعمال السيئة ، ويقولون اذا رأوها : ياهلاكنا ، انا نعجب لهذا الكتاب الذى لم يترك من أعمالنا صغيرة ولا كبيرة الا سجلها علينا ! ووجدوا جزاء ما عملوا حقا ولا يظلم ربك أحدا من عبـــاده .

***

٥٠ ــ واذكر أيها الرسول لهم بدء خلقهم ، ليعلموا انهم من الطين ، وليس لهم أن يغتروا بما هم فيه ويخضعوا لعدو أبيهم ابليس ، لانه كان من الجن فاستكبر وتمرد على اللـــه ، فكيف بعد ما عرفتم من شأنه تتخذونه وذريتـــه أنصارا لكم من دون الله ، وهم لكم أعداء ؟ ! قبح هذا البدل لمن ظلم نفسه فأطاع الشيطان .

***

٥١ ــ ما أحضرت ابليس ولا ذريته خلق السموات والارض ، ولا أشهدت بعضهم خلق بعض لأستعين بهم ، وما كنت فى حاجة الى معين فضلا عن أن اتخذ المفسدين أعوانا ، فكيف تطيعون الشيطان وتعصوننى .

***

٥٢ ــ واذكر لهم يوم يقول الله للمشركين : نادوا الذين ادعيتم فى الدنيـــا أنهم شركائى فى العبادة ليشفعوا لكم بزعمكم ، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ، وجعلنا الان ما كان بينهم هلاكا للكفار ، بعد أن كان فى الدنيا تواصل عبـــادة ومحبـــة .

***

٥٣ ــ وعاين المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها ، ولم يجدوا بديلا عنها مكانا يحلون فيـــه .

***

٥٤ ــ ولقد ذكر الله الناس فى هذا القرآن الذى كفروا به ، وطلبـــوا معجزة أخرى غيره ، مثلا متنوعة ليعظهم بما فيها ، ولكن الانسان فى طبيعته حب الجدل ، فاذا كان جاحدا جادل بالباطل .

سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

٥٥ ــ وما منع المشركين من الايمان حين جاءهم سبب الهدى ، وهــو الرسول والقرآن ليؤمنوا ويستغفروا الله ، الا تعنتهم وطلبهم من الرسول ان تأتيهم سنة الله فى الاولين ، وهى الهلاك المستأصل الذى أتى الأولين ، أو يأتيهم العذاب عيانا .

***

٥٦ ــ ولكن الله لا يرسل رسله الا للتبشير والانذار ، ولم يرسلهم ليقترح عليهم المعاندون معجزات معينة ، ولكن الذين كفروا يعرضون عن الحجة ، ويجادلون المرسلين بالباطل ليبطلوا الحق ، وقد وقفوا من القــرآن والنذر موقف المستهزىء الساخر الذى لا يعنى بطلب الحقائق .

***

٥٧ ــ وليس أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه فلم يتدبرها ، ونسى عاقبة ما عمل من المعاصى ! انا بسبب ميلهم الى الكفر جعلنا على قلوبهم أغطية ، فلا تعقل ولا يصل اليها النور ، وفى آذانهم صمما فلا تسمع سماع فهم ! وان تدعهم ايها الرسول الى الدين الحق فلن يهتدوا مادامت هذه طبيعتهم البتة .

***

٥٨ ــ وربك العظيم المغفرة لذنوب عباده ، صاحب الرحمة الواسعة لمن أناب اليه منهم ، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من السيئات لعجل لهم العذاب كما سلف لغيرهم ، ولكنه لحكمة قدرها أخرهم لموعد يذوقون فيــه أشد العقاب ، ولن يجدوا ملجأ يحفظهم منه .

***

٥٩ ــ وهاهى ذى القرى الماضية التى دمرناها لما ظلم أهلها بتــكذيب رسلهم ، وجعلنا لهلاكهم موعدا لا يتخلف ، فكذلك حال المكذبين من قومك اذا لم يؤمنوا .

***

٦٠ ــ وان علم الله لا يحيط به أحد ، الا ان يعطيه نبيا او صالحا ، واذكر أيها الرسول ان موسى بن عمران قال لفتاه خادمه وتلميذه : لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أسير زمنا طويلا .



فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ
ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ
أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ
رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ
هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ
إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا
تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

٦١ ــ فلما بلغ موسى وفتاه المكان الجامع بين البحرين نسيا فيه حوتهما الذى حملاه بأمر الله ، فانحدر فى البحر واتخذ طريقه فى المــاء .

***

٦٢ ــ فلما ابتعد موسى وفتاه عن ذلك المكان ، وأحسا بالجوع والتعب ، قال موسى لفتاه : آتنا ما نتغذى به ، لقد لقينا فى سفرنا هذا تعبا ومشقة .

***

٦٣ ــ قال له فتاه : أتذكر حين التجانا الى الصخرة ، فانى نسيت الحوت، وما انسانى ذلك الا الشيطان ، ولا بد أن يكون الحوت اتخذ سبيله فى البحر، وانى لأعجب من نسيانى هذا .

***

٦٤ ــ قال له موسى : ان هذا الذى حدث هو ماكنا نطلبه لحكمة أرادها الله ، فرجعـــا فى الطريق الذى جاء منه يتتبعان اثر سيرهما .

***

٦٥ ــ حتى وصلا الصخرة ، فوجدا عبدا من عبادنا الصالحين ، أعطيناه الحكمة ، وعلمناه من عندنا علما غزيرا .

***

٦٦ ــ قال موسى للعبد الصالح : هل اسير معك على أن تعلمنى ممـــا علمك الله ؟

***

٦٧ــ قال له : انك لن تستطيع الصبر على مصاحبتى .

***

٦٨ ــ وكيف يمكنك الصبر على شىء لا خبرة لك بمثله .

***

٦٩ ــ قال موسى : سترانى ان شاء الله صابرا مطيعا لك فيما تأمر به .

***

٧٠ ــ قال العبد الصالح : فان اتبعتنى ورأيت ما تنكره ، فلا تفاتحنى بالسؤال عنه حتى أحدثك عنه .



فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

٧١ ــ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى وجدا سفينة ، فركباها، فخرقها العبد الصالح فى اثناء سيرها ، فاعترض موسى قائلا : أخرقتها قاصدا اغراق اهلها ، لقد ارتكبت أمرا منكرا ! .

***

٧٢ ــ قال العبد الصالح : اننى قلت لك انك لن تستطيع الصبر على مصاحبتى .

***

٧٣ ــ قال له موسى : لا تؤاخذنى على نسيان وصيتك ، ولا تكلفنى مشقة فى تحصيل العلم منك وتجعله عسيرا .

***

٧٤ ــ وبعد أن خرجا من السفينة ذهبا منطلقين ، فلقيا فى طريقهما صبيا فقتله العبد الصالح ، فقال موسى مستنكرا : اتقتل نفسا طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحدا ؟ ! لقد أتيت فعلا مستنكرا ! .

***

٧٥ ــ قال العبد الصالح لموسى : لقد قلت لك : انك لن تستطيع صبرا على السكوت عن سؤالى .

***

٧٦ ــ قال موسى : ان سألتك عن شىء بعد هذه المرة فلا تصاحبنى ، لانك قد بلغت الغاية التى تعذر بها فى فراقى .

***

٧٧ ــ فسارا حتى أتيا قرية ، فطلبا من أهلها طعاما ، فأبوا ضيافتهما ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط ، فنقضه العبد الصالح ، وبناه حتى اقامه، قال موسى : لو شئت طلب أجر على النقض والبناء لفعلت .

***

٧٨ ــ قال العبد الصالح : هذا التعرض منك مرارا لما افعل سبب الفراق بينى وبينك . وسأخبرك بحكمة هذه التصرفات التى خفى عليك أمرها ، ولم تستطع صبرا على ما خفى حتى تعرف حقيقته وسره .



أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾
وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ
زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ
قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ

٧٩ — أما السفينة التى خرقتها ، فهى لضعفاء محتاجين يعملون بهـــا فى البحر لتحصيل رزقهم ، فأردت أن أحدث بها عيبا يزهد فيها : لان خلفهم ملكا يغتصب كل سفينة صالحة .

***

٨٠ — وأما الغلام الذى قتلته ، فكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا — ان عاش أنه سيصير سببا لكفرهما .

***

٨١ — فأردنا بقتله أن يعوضهما الله عنه خيرا منه دينا وأعظم برا وعطفا .

***

٨٢ — وأما الجدار الذى اقمته — دون أجر — فكان لغـــلامين يتيمين من أهل المدينة ، وكان تحته كنز تركه أبوهما لهما ، وكان رجلا صالحا ، فأراد الله أن يحفظ لهما الكنز حتى يبلغا رشدهما ، ويستخرجاه ، رحمة بهما ، وتكريما لأبيهما فى ذريته . وما فعلت ما فعلت باجتهادى انما فعلته بتوجيه من الله . هذا تفسير ما خفى عليك ياموسى ولم تستطع الصبر عليه .

***

٨٣ — يسألك — أيها الرسول — بعض الكفار عن نبأ ذى القرنين ، فقل لهم سأقص عليكم بعض أخباره .

***

٨٤ — لقد مكنا لأمره فى الارض ، يتصرف فيها بتدبيره وسلطانه ، وآتيناه الكثير من العلم بالاسباب ما يستطيع به توجيه الأمور .

***

٨٥ — فاستعان بهذه الأسباب على بسط سلطانه فى الأرض ، واتخــذ سببا يوصله الى باوغ المغرب .

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ
وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا
مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ
لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل
لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا
لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ
ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ
قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ
مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ

٨٦ — وسار حتى وصل الى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس فى رأى العين تغرب فى مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه العين وجد ذو القرنين قوما كافرين ، فألهمه الله ان يتخذ فيهم احد أمرين : أما ان يدعوهم الى الايمان ، وهذا أمر حسن فى ذاته ، واما أن يقاتلهم ان لم يجيبوا داعى الايمان .

***

٨٧ — فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك، استحق العذاب الدنيوى على يديه ، ثم يرجع الى ربه فيعذبه عذابا شديدا ليس معروفا لهم .

***

٨٨— وأن من استجاب له وآمن بربه وعمل صالحا : فله العاقبة الحسنى فى الآخرة ، وسنعامله فى الدنيا برفق ويسر ..

***

٨٩ — ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعينا بتوفيق الله ، واتبع سببا للوصول الى مطلع الشمس مشرقا .

***

٩٠ — حتى بلغ مشرق الشمس — فى رأى العين — فى نهاية ما وصل اليه من العمران فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى ، لا يسترهم من حرها ساتر .

***

٩١ — وكما دعا ذو القرنين السابقين من اهل المغرب الى الايمان ، دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الأولى .

***

٩٢ — ثم سار كذلك مستعينا بما هيأ الله من أسباب التوفيق ، سالكا طريقا بين الشرق والغرب .

***

٩٣ — حتى وصل — فى رحلته الثالثة — الى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين .. وهنالك وجد قوما لا يفقهون ما يقال لهم الا فى عسر ومشقة (١).

***

٩٤ — فلما آنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سدا فى وجه يأجوج ومأجوج ، وهم قوم كانوا يغيرون عليهم ، فيفسدون فى أرضهم ويخربون ، على ان يجعلوا له ضريبة فى نظير هذا العمل .

---

(١) السد بين الجبلين المذكورين فى التفسير ، هما جبلان : أذربيجان وأرمينية ، وقيل هما جبلان فى أواخر الشمال منقطع أرض التركستان .

فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي
زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ



يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي
مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

٩٥ ـ فرد عليهم قائلا : ان ما منحنيه الله من الثروة والسلطان خير مما تعرضون علي . وشرع يقيم السد ، طالبا منهم أن يعينوه بكل ما يقدرون عليه من رجال وأدوات ، ليحقق لهم ما أرادوه . .

***

٩٦ ـ وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد ، فجمعوا له منها ما أراد ، فأقام به سدا عاليا ساوى به بين حافتى الجبلين ، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه النار ، فأوقدوها حتى انصهر الحديد ، فصب عليه النحاس المذاب فأصبح سدا صلبا منيعا .

***

٩٧ ـ فما استطاع هؤلاء المغيرون أن يتسلقوا السد لارتفاعه ، ولا أن يثقبوه لصلابته .

***

٩٨ ـ وبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد ، قال شاكرا لله : هذا السد رحمة من ربى بعباده ، وسيظل قائما حتى يجيء أمر الله بهدمه ، فيصير أرضا مستويا ، وأمر الله نافذ لا محالة .

***

٩٩ ـ ومنذ اتمام السد ، ظل يأجوج ومأجوج من ورائه يضطربون فيما بينهم ، وحبس شرهم عن الآخرين ، فاذا كان يوم القيامة ونفخ فى الصور ، جمع الله الخلائق جميعا للحساب والجزاء .

***

١٠٠ ـ وعند ذلك يبرز الله جهنم للكافرين ابرازا يروعهم ويحشرهم فيها .

***

١٠١ ـ وذلك لان أعينهم فى الدنيا كانت فى غفلة عن التبصر فى آيات الله كأن عليها غطاء وكانوا لضلالهم لا يستطيعون سماع دعوة الحق كفاقدى حاسة السمع (١) .

***

١٠٢ ـ هل عميت بصائر الذين كفروا ، فظنوا أن اتخاذهم آلهة من عبادى كالملائكة وعيسى ، يعبدونها من دونى ، نافع لهم وصارف عنهم العذاب ؟! انا أعتدنا لهم جهنم مقرا ينالون فيه ما يستحقون من جزاء .

***

١٠٣ ـ قل أيها الرسول لهؤلاء الكافرين : هل اخبركم بأشد الناس خسرانا لأعمالهم ، وحرمانا من ثوابها ؟

---

(١) « الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا » : الذين كانت أعينهم فى غفلة عن تدبر مواضع التذكير بى فى السموات والارض ، وبذلك تدعو الآية الكريمة الى دراسة كل ما يحيط بالانسان من شواهد دالة على وجود الله .



ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

١٠٤ — هم الذين بطل عملهم فى الحياة الدنيا لفساد اعتقـادهم ، وهم يعتقـدون أنهم يحسنون بعملهم صنيعا !

***

١٠٥ — هؤلاء هم الذين كفروا بدلائل قدرة الله ، وانكروا يـوم البعث والحساب ، فضاعت أعمالهم ، واستحقوا يوم القيامة التحقير والاهمال ، اذ ليس لهم عمل يعتد به !

***

١٠٦ — ذلك الذى بيناه وفصلناه ، شأن هؤلاء ، وجزاؤهم عليه جهنم ، بسبب كفرهم وسخريتهم بما أنزل الله من آيات وما أرسل من رسل .

***

١٠٧ — ان الذين صدقوا فى الايمان وعملوا الاعمال الصالحة ، جزاؤهم جنات الفردوس ينزلون فيها .

***

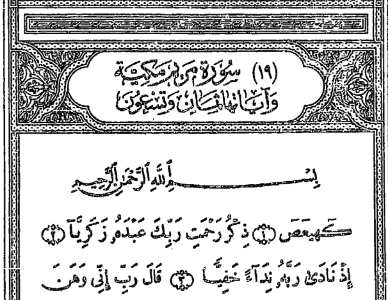
١٠٨ — وينعمون ابدا لا يبغون عنها بديلا .

***

١٠٩ — قل أيها الرسول للناس : ان علم الله محيط بكل شىء ، ولو كان ماء البحر مدادا يسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته ، لنفد هـذا المداد ، ولو مد بمثله قبل أن تنفد كلمات الله ! .

***

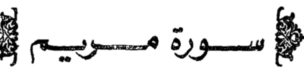
١١٠ — قل أيها الرسول للناس : انما انا انسان مثلكم ، مرسل اليـكم ، اعلمكم ما علمنى الله اياه ، يوحى الى انما الهكم اله واحد لا شريك له ، فمن كان يطمع فى لقاء الله وثوابه فليعمل الاعمال الصالحة مخلصـا ، وليتجنب الاشراك بالله فى العبادة .



(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ
ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا



سورة مريم

هذه السورة مكية ، وليس فيها مدنى الا آية ٥٨ ، ٧١ ، وعدد آياتها ٩٨ آية ، وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ككثير من السور ، وفيها قصة ولادة يحيى ابن زكريا عليهما السلام ، وطلب زكريا الولد بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، ومع أن امرأته عاقر ، ولقد ذكر من بعد ذلك قصة السيدة البتول مريم عليها السلام، وولادتها للمسيح عليه السلام ، ثم ذكرت قصة ابراهيم عليه السلام ، ودعوته الى الوحدانية ، وطلبه من أبيه أن يهجر عبادة الأوثان ، وما كان بينهما من مجاوبات حول الأوثان وسيطرة الشيطان ..

وفيها اشارة الى الأنبياء من ذرية ابراهيم ، اسماعيل واسحق وذرية اسحق ، ثم اشارة الى قصة ادريس عليه السلام ، وذكر بعد ذلك سبحانه الأخلاف الذين جاءوا بعد النبيين من طائعين وعصاة ، وذكر أن الجنة هى جزاء المؤمنين ، والنار هى جزاء الكافرين ، وأحوال الكافرين فى جهنم ، وأشار سبحانه الى المنحرفين الذين يقولون : ان الله اتخذ ولدا .

وقد بين سبحانه منزلة القرآن ، وأنذر الكافرين . وضرب الأمثال على هلاك العاصين للأنبياء .. وأشار الى أنهم لا آثار لهم .

***

١ ــ حروف صوتية لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعون .

***

٢ ــ هذا أيها الرسول قصص ربك عن رحمته لعبده ونبيه زكريا .

***

٣ ــ حين التجأ الى الله ودعاه فى خفية عن الناس .

***

٤ ــ فقال : رب انى قد ضعفت ، وشاب رأسى ، وكنت بدعائك غير شقى يارب ، بل كنت سعيدا مستجاب الدعوة .

***

٥ ــ وانى خفت أقاربى الا يحسنوا القيام على أمر الدين بعد موتى ، وكانت ولا تزال امرأتى عقيما ، فارزقنى من فضلك غلاما يخلفنى فى قومى .

***

٦ ــ يرثنى فى العلم والدين ، ويرث من آل يعقوب الملك ، واجعله يارب مرضيا عندك وعند الناس .

***

٧ ــ فنودى : يا زكريا انا نبشرك بغلام سميناه يحيى ، ولم نسم به أحدا قبل .

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ
فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ
ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن
لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

٨ — قال زكريا متعجبا : يارب كيف يكون لى ولد وزوجى عقيم وانـــا فى سن الشيخوخة ؟ .

***

٩ — فأوحى الله لعبده زكريا ، أن الأمر كما بشرت به ، وان منحك الولد مع كبر السن وعقم الزوج هين على ولا تستبعد ذلك فقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا موجودا .

***

١٠ — قال زكريا : رب اجعل لى علامة تدل على حصول ما بشرت به . قال الله تعالى : علامتك أن تحبس عن الكلام ثلاث ليال ، وأنت سليم الحواس واللســـان .

***

١١ — فخرج زكريا على قومه من مصلاه ، فأشار اليهم أن سبحوا الله صباحا ومساء .

***

١٢ — ولد يحيى ، وشب ثم نودى ، وامر بأن يعمل بما فى التوراة ، فى جد وعزم ، وقد آتاه الله فى طور الصبا فقه الدين وفهم الاحكام .

***

١٣ — وطبعه الله على الحنان ، وسمو النفس ، ونشأه على التقوى .

***

١٤ — وجعله الله كثير البر بوالديه ، والاحسان اليهما ، ولم يجعله متجبرا على الناس ، ولا عاصيا لله .

***

١٥ — وسلامة له وأمان ، أن يمسه ضر أو أذى يوم ولادته ، ويوم موته، ويوم بعثه حيا .

***

١٦ — واذكر أيها الرسول ما فى القرآن من قصة مريم ، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس ، وذهبت الى مكان جهة الشرق من مقامها .

***

١٧ — وضربت بينها وبينهم حجابا ، فأرسل الله اليها جبريل فى صـــورة انسان تام الخلق ، حتى لا تفزع من رؤيته ، فى هيئته الملكية التى لا تألفها .

***

١٨ — قالت مريم : انى ألتجىء الى الرحمن منك ، ان كان يرجى منـــك أن تتقى الله ، وتخشـــاه .



قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ
ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾



۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى
وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

١٩ ـــ قال الملك : ما أنا الا رسول من ربك لأكون سببا فى ان يوهب لك غلام طاهر خير .

***

٢٠ ـــ قالت مريم : كيف يكون لى غلام ولم يقربنى انســـان ، ولست فاجـــرة ؟ .

***

٢١ ـــ قال الملك : الأمر كما قلت : لم يمســـك رجل . قال ربك : اعطاء الغلام بلا أب على سهل ، وليكون ذلك آية للناس تدل على عظيم قدرتنـــا ، كما يكون رحمة لمن يهتدى به . وكان خلق عيسى امرا مقدرا لابد منه .

***

٢٢ ـــ وتحققت ارادة الله ؛ وحملت مريم بعيسى على الوجه الذى أراده الله ، وذهبت بحملها الى المكان البعيد عن الناس .

***

٢٣ ـــ فالجأها الم الولادة ، الى أن تركن الى جـــذع نخلة لتســـتند اليه وتستتر به ، وتخيلت ما سيكون من انكار اهلها هذا الأمر ، وتمنت لو أدركها الموت ، وكانت شيئا منسيا لا يذكر .

***

٢٤ ـــ فناداها الملك من مكان منخفض عنها : لا تحزنى بالوحدة وعـــــدم الطعام والشراب ومقالة الناس ، قد جعل ربك بالقرب منك نهرا صغيرا .

***

٢٥ ـــ وهزى النخلة نحوك يتساقط عليك الرطب الطيب (١) .

***

٢٦ ـــ فكلى منه واشربى ، وطيبى نفسا . فان رأيت احدا من البشر ينكر عليك أمرك .. فاشيرى اليه انك صائمة عن الكلام ، ولن تتحدثى اليوم الى أحـــــد .

***

٢٧ ـــ فأقبلت مريم على اهلها تحمـــل عيسى ، فقالوا لهـــا فى دهشـــة واستنكار : لقد اتيت أمرا فظيعا منكرا .

---

(١) « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبـــا جنيا » : ثبت أن البلح الرطب يحتوى على المواد الغذائية الرئيسية فى صورة مركزة سهلة الهضم وأنه بذلك يناسب النفساء .

يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا

٢٨ ــ ياسلالة هارون النبى التقى الورع ، كيف تأتين ما اتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق وما كانت أمك فاجرة [١] .

***

٢٩ ــ فأشارت الى ولدها عيسى ليكلموه . فقالوا : كيف نتحدث مع طفل لا يزال فى المهد .

***

٣٠ ــ فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله فقال : انى عبد الله سيؤتينى الانجيل ، ويختارنى نبيــا .

***

٣١ ــ ويجعلنى مباركا معلما للخير نفاعا للناس ، ويأمرنى باقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حيــاتى .

***

٣٢ ــ كما يأمرنى أن أكون بارا بوالدتى ، ولم يجعلنى متجبرا فى الناس ، ولا شقيا بمعصيته .

***

٣٣ ــ والأمان من الله على يوم ولادتى ، ويوم موتى ، ويوم بعثى حيا .

***

٣٤ ــ ذلك الموصوف بهذه الصفات ، هو عيسى ابن مريم ، وهذا هو القول الحق فى شأنه ، الذى يجادل فيه المبطلون ، ويشك فى أمر نبوته الشاكون .

***

٣٥ ــ وما صح ولا استقام فى العقل ان يتخذ الله ولدا ــ تنزه الله عن ذلك ــ وشأنه سبحانه أنه اذا قضى أمرا من الامور ، نفذت ارادته لا محالة .. بكلمة ــ كن ــ فيتحقق فى الوجود كائنا .

***

٣٦ ــ وان الله سيدى وسيدكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به أحــدا ، هذا الذى دعوتكم اليه طريق يوصلكم الى السعادة .

***

٣٧ ــ ومع ما تقدم من قول الحق فى عيسى ، قد اختلف أهل الكتاب فيه ، وذهبوا مذاهب شتى . والعذاب الشــديد للكافرين يــوم يحضرون مــوقف الحساب ، ويشهدون موقف القيامة ، ويلقون سوء الجزاء .

---

(١) يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا » : ذكر فى دائرة المعــارف الانجليزية أن القرآن غلط غلطا تاريخيا حين قال: « يا أخت هارون » فى سورة مريم مع أن بين مريم وهارون أخى موسى مئات من السنين ، وقد غفلوا عن أن الاخوة تطلق فى لسان العرب على الاخوة الشبهية ، فالمراد يا من أشبهت هرون فى الصلاح والتقوى ، ما الذى غير حالك من الصلاح الى ضده ، وما كان أبوك امرأ سوء يأتى الخنا ، وما كانت أمك امرأة فحش .

لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ
يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ
كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ
وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ

٣٨ ـــ ما أشد سمعهم وأقوى بصرهم يوم يلقون الله !! لكنهم اليوم فى الدنيا بظلمهم أنفسهم ، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر ، فى ضلال عن الحق، ظاهر لا يخفى .

***

٣٩ ـــ وحذر أيها الرسول هؤلاء الظالمين ، يوما يتحسرون فيه على تفريطهم فى حق الله وحق أنفسهم ـــ وقد فرغ من حسابهم ، ونالوا جزاءهم ـــ وقد كانوا فى الدنيا غافلين عن ذلك اليوم ، لا يصدقون بالبعث ولا بالجزاء .

***

٤٠ ـــ الا فليعلم الناس أن الله هو الوارث لهذا الكون وما فيه ، وحسابهم على الله .

***

٤١ ـــ واذكر أيها الرسول للناس ، ما فى القرآن من قصة ابراهيم ، انه كان عظيم الصدق ، قولا وعملا ، مخبرا عن الله تعالى .

***

٤٢ ـــ واذكر حين وجه ابراهيم الخطاب الى أبيه فى رفق قائلا له : يا أبى كيف تعبد أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تجلب لك خيرا ، ولا تدفع عنك شرا ؟!

***

٤٣ ـــ يا أبى ، لقد جاءنى من طريق الوحى الالهى ما لم يأتك من العلم بالله ، والمعرفة بما يلزم الانسان نحو ربه ، فاتبعنى فيما أدعوك اليه من الايمان ، أدلك على الطريق المستقيم ، الذى يوصلك الى الحق والسعادة .

***

٤٤ ـــ يا أبت : لا تطع الشيطان فيما يزين لك من عبادة الاصنام ، فان الشيطان دائب على معصية الرحمن ومخالفة أمره .

***

٤٥ ـــ يا أبت : انى أخشى ان أصررت على الكفر ان يصيبك عذاب شديد من الرحمن ، فتكون قرينا للشيطان فى النار تليه ويليك .

***

٤٦ ـــ قال الاب لابراهيم منكرا عليه ، مهددا له : كيف تنصرف عن آلهتى يا ابراهيم وتدعونى الى عبادة الهك ؟ لئن لم تكف عن شتم الأصنام لأضربنك بالحجارة ، فاحذرنى واتركنى زمانا طويلا ، حتى تهدأ ثائرتى عنك .

إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ
مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن
رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ
أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴿٥٥﴾
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ

٤٧ ــ تلطف ابراهيم مع أبيه وودعه قائلا : سلام عليك منى ، وسأدعو لك ربى بالهداية والمغفرة ، وقد عودنى ربى أن يكون رحيما بى قريبا منى .

***

٤٨ ــ وهأنذا أهجركم وأبتعد عما تعبدون من دون الله ، وأعبد ربى وحده ــ راجيا أن يقبل طاعتى ولا يخيب رجائى .

***

٤٩ ــ فلما فارق ابراهيم أباه وقومه وآلهتهم ، أكرمه الله بالذرية الصالحة ، على يأس منها ، اذ بلغ هو وزوجه حد الكبر ، الذى لا ينجب ، فوهب له اسحاق ، ورزقه من اسحاق يعقوب ، واختار كلا منهما نبيا .

***

٥٠ ــ وأعطيناهم فوق منزلة النبوة كثيرا من خير الدين والدنيا برحمتنا ، وأورثناهم فى الدنيا ذكرى طيبة خالدة ، بلسان صدق على يتحدث بذكرهم .

***

٥١ ــ واتل ــ أيها الرسول ــ على الناس ما فى القرآن من قصة موسى، انه كان خالصا بنفسه وقلبه وجسمه لله ، وقد اصطفاه الله للنبوة والرسالة.

***

٥٢ ــ وكرمناه ، فناديناه عند جبل الطور ، وسمع موسى النداء الالهى من الجهة اليمنى ، وقربناه تقريب تشريف ، واصطفيناه لمناجاتنا .

***

٥٣ ــ ومنحناه من رحمتنا ونعمنا ، واخترنا معه أخاه هارون نبيا ، يعاونه فى تبليغ الرسالة .

***

٥٤ ــ واتل ــ أيها الرسول ــ على الناس ما فى القرآن من قصة اسماعيل .. انه كان يصدق فى وعده ، وقد وعد أباه بالصبر على ذبحه له ، ووفى بوعده ففداه الله وشرفه بالرسالة والنبوة .

***

٥٥ ــ وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وكان فى المقام الكريم من رضا ربه .

***

٥٦ ــ واتل ــ أيها الرسول ــ على الناس ما فى القرآن من قصة ادريس، انه كان شأنه الصدق قولا وفعلا وعملا . وقد منحه الله شرف النبوة .

***

٥٧ ــ وقد رفعه الله بذلك مكانا ساميا .





عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾
۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

٥٨ ــ أولئك الذين سلف ذكرهم ، ممن أنعم الله عليهم من النبيين ، بنعم الدنيا والآخرة ، من ذرية آدم ومن ذرية من نجاه الله مع نوح فى السفينة ، ومن ذرية ابراهيم كاسماعيل ، ومن ذرية يعقوب كأنبياء بنى اسرائيل ، وممن هديناهم الى الحق ، واخترناهم لاعلاء كلمة الله .. هؤلاء اذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم ، خشعوا وخروا ساجدين لله متضرعين له .

***

٥٩ ــ ثم جاء بعد هؤلاء الأخيار أجيال على غير هديهم ، تركوا الصلاة ، واهملوا الانتفاع بهديها ، وانهمكوا فى المعاصى ، وسيلقى هؤلاء جـزاء غيهم وضلالهم فى الدنيا والآخرة .

***

٦٠ ــ لكن من تداركوا أنفسهم بالتوبة ، وصدق الايمـان ، والعمـل الصالح ، فان الله يتقبل توبتهم ، ويدخلهم الجنة ، ويوفيهم أجورهم .

***

٦١ ــ هذه الجنات دار خلود ، وعد الرحمن بها عباده التائبين ، فآمنوا بها بالغيب ، فهم داخلوها لا محالة ، فان وعد الله لا يتخلف .

***

٦٢ ــ وهم فى تلك الجنات لا يجرى بينهم لغو الحديث ، ولا يسمعون الا خيرا وأمنا ، ورزقهم فيها رغد مكفول دائما .

***

٦٣ ــ وانما يؤتى الله تلك الجنة ، ويملكها لمن كان تقيا فى الدنيا ، بترك المعاصى ، وفعل الطاعات .

***

٦٤ ــ وحين دخولهم ، واستقرارهم فيها ، يقولون حامدين لله : ما دخلنا فى الجنة ، ولا ننتقل فيها من منزل الى منزل ، الا بأمر الله وفضـله ، فهـو سبحانه المالك والمدبر ، العالم بمستقبلنا وماضينا ، وما بين ذلك ، ولا ينسى الله تحقيق وعده لمن وعده من عباده المتقين .

وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ
سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ
حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ
بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا
وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ
أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ

٦٥ — فهو سبحانه الخالق المالك للسموات والأرض وما بينهما ، والمدبر لشئونهما ، والمستحق وحده للعبادة ، فاعبده أيها المخاطب ، وثابر على عبادته صابرا مطمئنا ، فهو سبحانه المستحق — وحده — للعبادة ، وليس لـه نظير يستحق العبادة ، أو يسمى باسم من أسمائه ..

***

٦٦ — ويقول الانسان مستغربا البعث : كيف أبعث حيا بعد الموت والفنـاء ؟! .

***

٦٧ — كيف يستغرب قدرة الله على البعث فى الآخرة ، ولا يذكر أنه تعالى خلقه فى الدنيا من عدم ، مع أن اعادة الخلق أهون من بدئه فى حكم العقل .

***

٦٨ — واذا كان أمر البعث غريبا ينكره الكافرون ، فوالذى خلقك ورباك ونماك ، لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع شياطينهم ، الذين زينوا لهم الكفر، وسنحضرهم جميعا حول جهنم ، جاثين على ركبهم فى ذلة ، لشدة الهول والفـزع .

***

٦٩ — ثم لننزعن من كل جماعة أشدهم كفرا بالله ، وتمردا عليه ، فيدفع بهم قبل سواهم الى أشد العذاب .

***

٧٠ — ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم الى دخول جهنم والاصطلاء بلهيبها .

***

٧١ — وان منكم معشر الخلق الا حاضر لها ، يراها المؤمن ويمر بهـا ، والكافر يدخلها ، وتنفيذ هذا أمر واقع حتما ، جرى به قضاء الله .

***

٧٢ — ثم اننا نشمل المتقين برحمتنا ، فننجيهم من جهنم ، ونترك بهـا الذين ظلموا أنفسهم جاثين على ركبهم ، تعذيبا لهم .

***

٧٣ — وكان الكافرون فى الدنيـا ، اذا تليت عليهم آيات الله واضحة الدلالة ، أعرضوا عنهـا ، وقالوا للمؤمنين — معتزين بمالهم وجمعهم — : لستم مثلنا حظا فى الدنيا ، فنحن خير منكم منزلا ومجلسا ، فكذلك سيكون حظنا فى الآخرة التى تؤمنون بها .

***

٧٤ — وكان على هؤلاء الكافرين ان يتعظوا بمن سبقهم من أمم كثيرة ، كفرت بالله ، وكانوا أحسن منهم حظا فى الدنيا ، وأكثر متاعا ، وأبهى منظرا ، فأهلكهم الله بكفرهم — وهم كثيرون — وفى آثارهم عبر لكل معتبر .



لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ
وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾
أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾
وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ
عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

٧٥ ــ قل ــ أيها الرسول ــ لهؤلاء : من كان فى الضلالة والكفر أمهله الرحمن ، وأملى له فى العمر ، ليزداد طغيانا وضلالا ، وسيردد الكفار قولهم للمؤمنين : أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ الى أن يشاهدوا ما يوعدون، اما تعذيب المسلمين اياهم فى الدنيا بالقتل والأسر واما خزى القيامة لهم ، فحينئذ يعلمون أنهم شر منزلا وأضعف أنصارا .

***

٧٦ ــ أما المؤمنون بآيات الله ، فحينما يسمعونهــا ، يقبلون عليهــا ، ويزيدهم الله بها توفيقا لحسن العمل ، والاعمال الصالحة خير وابقى عند الله ثوابا وعاقبة .

***

٧٧ ــ تعجب أيها الرسول من أمر الكافر بآيات الله ، الذى فتنته دنياه ، فأنكر البعث وقال ــ مستهزئا ــ : ان الله سيعطينى فى الآخرة التى تزعمونها مالا وولدا أعتز بهما هناك ، وظن أن الآخرة كالدنيا ، تقاس عليها ، ونسى أنها جزاء الخير والشر ، وأن الفضل فيها بالعمل الصالح .

***

٧٨ ــ فهل اطلع ذلك الكافر على الغيب ، حتى يخبر عن صدق ، وهل أخذ من الله عهدا بذلك حتى يتعلق بأمل ؟ .

***

٧٩ ــ فليرتدع عما يفتريه ، فاننا نحصى عليه افتراءه ، وسيصل عذابه ممدودا مدا طويلا لا يتصوره .

***

٨٠ ــ سيسلبه الله ما يعتز به فى الدنيا ، من مال وولد ، ويهلكه ، ويأتى فى الآخرة وحيدا منفردا ، دون مال أو ولد أو نصير .

***

٨١ ــ أولئك الكافرون اتخذوا غير الله آلهة مختلفة عبدوها ، لتكون لهم شفعاء فى الآخرة .

***

٨٢ ــ عليهم أن يرتدعوا عما يظنون ، سيجحد الآلهة عبادتهم وينكرونها . ويكون هؤلاء المعبودون خصما للمشركين ، يطالبون بتعذيبهم .

***

٨٣ ــ ألم تعلم ، أيها الرسول ، أننا مكنا الشياطين من الكافرين ــ وقد استحوذت على هؤلاء الكافرين ــ تغريهم وتدفعهم الى التمرد على الحــق فانقادوا لهــا . .

***

٨٤ ــ فلا يضيق صدرك ــ أيها الرسول ــ بكفرهم ، ولا تستعجل لهم العذاب ، فانما نتركهم فى الدنيا أمدا محدودا ونحصى عليهم أعمالهم وذنوبهم ، لنحاسبهم عليها فى الآخرة . .

وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى
لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ
مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

٨٥ — اذكر ... الرسول — اليوم الذى نجمع فيه المتقين الى جنة الرحمن وفودا و... ت مكرمين .

***

٨٦ — وندفع ... المجرمين الى جهنم عطاشا ، كاندفاع الدواب العطاش الى الماء .

***

٨٧— ولا يملك الشفاعة فى هذا اليوم أحد الا من يأذن الله تعالى له ، لعهد كان له .

***

٨٨ — لقد قال المشركون واليهود والنصارى : ان الله اتخذ ولدا ، من الملائكة أو من النـــاس .

***

٨٩ — لقد أتيتم أيها القائلون ذلك القول أمرا منكرا ، تنكره العقول المستقيمة .

***

٩٠ — تكاد السموات يتشققن منه ، وتنخسف الارض ، وتسقط الجبـــال قطعا مفتتة .

***

٩١ — وانما تقرب حوادث السموات والارض والجبـــال أن تقع ، لأنهم سموا لله ولدا .

***

٩٢ — وما يستقيم فى العقل أن يكون لله ولد ، لأن اثبات الولد له يقتضى حدوثه وحاجته .

***

٩٣ — ما كل من فى السموات والأرض الا سيأتى الله سبحانـــه يـــوم القيامة عبدا خاضعا لألوهيته .

***

٩٤ — لقد أحاط علمه بهم جميعا وبأعمالهم ، فلا يخفى عليه أحـــد منهم ولا شىء من أعمالهم .

***

٩٥ — وهم جميعا يجيئون اليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد والمـــال .

***

٩٦ — ان المؤمنين العاملين الصالحات يحبهم الله ، ويحببهم الى الناس.

***

٩٧ — فانما يسرنا القرآن بلغتك لتبشر برضا الله ونعيمـــه من اتبـــع أوامره واجتنب نواهيه . وتنذر بسخط الله وعذابه من كفر به واشـــتد فى خصومته .

***

٩٨ — فلا يحزنك — أيها الرسول — عنادهم لك ، فقد أهلك الله قبلهم كثيرا من الأمم والأجيال ، لعنادهم ولكفرهم ، ولقد اندثروا ، فلا ترى منهم أحدا ، ولا تسمع لهم صوتا ..

مطابع الاهرام التجارية


Bibliotheca Alexandrina
0243024